
حواديت المجاهدين العرب في أفغانستان
١٩٧٩-٢٠٠١م
15 طلقة
في سبيل الله
العرب فى أفغانستان:
الأحـلام الأولى
الخطوات الأولى
الطلقات الأولى
بين فلسطين و أفغانستان:
مع تـمـيم الـعدنـانــى فـــى الأرجــون
وعــبــدالـــلـه عـــزام فـــى بـــيـــشـــاور
ثرثرة
فوق
سقف
العا !
سلسلة
كتب
من
أدب
ا طاريد
الكتاب
الأول
1
بقلم:
مصطفى
حـامـد

الكاتب في سطور

_ مصطفى حامد .
من مواليد مصر عام 1945 محافظة الشرقية/ مدينة بلبيس.
تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام1969.
ـ عمل في الصحافة خلال فترة السبعينات ،في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي .
ـ كتب عن الجهاد الأفغاني وشارك فية منذ عام 1979 قبل التدخل السوفيتي .
ـ في 1985 أقام مع أسرته في باكستان . وعمل هناك مديراً لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتي عام 1986 .
ـ أقام في أفغانستان منذ عام 1993 وحتي الحملة الأمريكية عام 2001م .
ـ تعرف عن قرب علي عدد من الشخصيات العربية الهامة التي عملت في القضية الأفغانية مثل الدكتورعبدا عزام وتميم العدناني وأسامة بن لادن الذي يعتبره صديقاً شخصياً له .
ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعها . وتدور حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني ، الذي عاصره منذ بدايته وحتي نهايته .
ـ تعرف عن قرب علي حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلي ما قبل الحرب الأمريكية علي أفغانستان .

....

<u>سلسلة كتب من أدب المطاريد</u>

1 15طلقه فى سبيل ا .
2 معارك البوابة الصخرية .
3 خيانة على الطريـ ـ ـ ق .
4 الحماقة الكبرى (أو حرب المعيز).
5 المطـ ـ ـ ـار 90.
6 صليب فى سماء قندهار.

الفـ ـ ـهرس

التقرير الخامس : حصاد المرحـــلة .

****

خرائط :

صور:

<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<>>>>>>>>>>

كلمات بين يدى أدب المطاريد

- ((أفضل العقل معرفة الإنسان بنفسه)) .
- ((من عرفه نفسه جاهدها)) .
- ((ومن عرف نفسه عرف ربـــه)) .
- ((من عرف نفسه كان لغيره أعرف)).
- ((أعظم الجهل جهل الإنسان لنفسه)) .
- ((كفى بالمرء جهلا أن يجهل نفسه)) .
- وبعد كل ذلك .. كيف ينتصر على عدوه من لا يعرف نفسه ؟
  بل كيف يعرف ربه من لم يعرف نفسه ؟
- وإذا كان جهلنا بأنفسنا لا حد له .. فكيف نعجب من أن هزائمنا لا حد لها ؟ ..

.. لا شك أن دراسة تجاربنا التاريخية .. القريب منها والبعيد هى من أفضل الوسائل لمعرفة أنفسنا .. هذا إذا إستخلصنا منها النتائج الصحيحة . فمن لا تاريخ له فلا حاضر له ولا مستقبل.

" الكاتب "

****

جاء فى الأنجيل على لسان السيد المسيح :

(من لم يكن له سيف فليبع ثوبه ويشترى له سيفاً) .

مقـ ـ ـدمة

مضى على (فتح كابل) ما يقارب الثلاثون شهرا ، وفي هذا المنفى الجبلي في منطقة خوست شرعت في تحقيق حلم قديم هو وضع كتاب عن أفغانستان . وليس هناك أسوأ من هذا التوقيت للكتابة عن أفغانستان . فقد إستدار الزمان وتبدلت المصالح وأسفرت الوجوه عن ملامحها الأصلية بعد طول تكلف وخداع . وانتهى أحد الفصول الكالحة في لعبة الأمم ، تلك اللعبة الشيطانية التي لا تبالي بدين أو دماء . فاز الأقوياء بالغنائم الضخمة ، وانتزعوا حتى الفتات من أفواه حلفائهم ، ورضى الذين باعوا دينهم بقشور تافهة من حظوظ الدنيا، باعوا بها الدين كما باعوا دماء إخوانهم ، وضربوا أمتهم في مقتل وصدموها في عقائدها وآمالها .

مضى الوقت الذي كانت فيه الكتابة عن أفغانستان مشروعا تجاريا ناجحا. طوال عقد الثمانينات كانت أفغانستان هي الحدث الأول على الساحة الدولية ـ وبالتالي الساحة الإسلامية ـ وقرر الغرب بزعامة أمريكا أن يلعب بالورقة الإسلامية لإحراج منافسه السوفييتي .

وأعطيت الأضواء الخضراء كي تنطلق أكبر حملة مساندة في العالم الإسلامي خلال هذا القرن لنصرة ـ الجهاد الأفغاني ـ بالأموال ، بدماء الشباب ، بالإعلام . وصارت أفغانستان قضية المسلمين الأولى .

وما أن أتم السوفييت إنسحابهم من أفغانستان ثم سقط النظام الشيوعي في كابل بعد ذلك بثلاث سنوات تقريبا ، حتى إنقلبت الصورة رأسا على عقب وتبدلت المواقف والتحالفات . تحول الأعداء إلى أصدقاء ، والأصدقاء إلى أعداء ، وتحول المجاهد مجرما مطاردا ، والمجرمون أصبحوا زعماء مسيطرين وزالت الإيديولوجيات وعم السلام تحت راية القطب الأوحد ولم يتبق للعالم أجمع إلا عدو واحد هو (الأصولية الإسلامية) !!.

وجاءنا نظام (دولي جديد) يدافع عن حقوق الإنسان وحرية التجارة وينشر الديموقراطية، ولا يرى غير الإسلام عدوا لدودا يهدد طريقته المثلى، و يظهر في الأرض الفساد .

أعلن ذلك النظام البشع عن ميلاده على أرض جزيرة العرب عندما وطأتها أرجل الجيوش النصرانية واليهودية ، في الحرب التي أسموها حرب تحرير الكويت .

النصر الذي تحقق على أرض أفغانستان ضد الجيش الأحمر السوفييتي أدى إلى هيمنة أمريكية مطلقة على العالم .

أما على الجانب الإسلامي فقد تحول إلى كارثة إسلامية شاملة ، في صورة حرب صليبية دولية ضد الإسلام كان أول من دفع ثمنها هو الشعب الأفغاني نفسه الذي أوقدوا على أرضه حربا حزبية قومية تدمر أول ما تدمر آثار الجهاد بل آثار الإسلام في تلك البلاد ، التي شهدت أكبر نصر عسكري للمسلمين منذ عدة قرون .

وأول من دفع ثمن النصر الإسلامي في أفغانستان ، هم هؤلاء المتطوعون العرب الذين نالوا النصيب الأوفى من الإضطهاد والملاحقة وتشويه السمعة ، سواء من الغرب أومن الحكومات الإسلامية، خاصة في باكستان، أو الحكومة الإسلامية في أفغانستان نفسها. وتلك أعظم المفارقات وأكثرها إيلاما .

ورغم تفوق تكنولوجيا السلاح في الغرب ، إلا أن حملاته الإعلامية أشد فعالية وتأثيرا من حملاته العسكرية . ومن الواضح أن المال والإعلام هما السلاحان الرئيسيان في يد اليهود

للسيطرة على الغرب ومن ثم العالم بأجمعه.
وقد تسلطت الآلة الإعلامية الدولية على رأس المتطوعين العرب في أفغانستان ، حتى صاروا أشد فئات المجرمين الدوليين خطورة في نظر العامة وليس فقط الحكومات .
لقد تشتت ذلك التجمع النادر المثال ولوحق في أصقاع الأرض ، ومن تبقى حتى الآن في أفغانستان ـ لا يتعدى عدة عشرات ـ يعيش على خوف وتوجس من بوادر إنقلاب إفغانى ضدهم بتحريض أمريكي/ إسلامي !!!
ذلك المجهود الإعلامي الدولي ، والذي ساهم في جعل أفغانستان قضية العالم الأولى لأكثر من عشر سنوات ، أعمل معاول الهدم في الشعب الأفغاني نفسه وشوه صورته عالميا .
وهكذا فإن من ساهموا في صنع ذلك النصر التاريخي الفريد على أرض أفغانستان قد تحولوا جميعا إلى مجرمين منبوذين على مستوى العالم أجمع ـ يستوي في ذلك العرب والأفغان ـ بينما فازت أمريكا بصدارة العالم بلا منازع وإلى حين إشعار آخر .
في هذا الوقت الكالح والظروف الكئيبة أشرع في كتابة هذا الكتاب .
إن توقيت الكتابة يجعل هذا الكتاب مشروعا تجاريا فاشلا . لقد ذهب إلى غير رجعة ذلك الزمان الذي كان المسلمون والعالم أجمع يقرأون ويتابعون بنهم كل ما ينشر عن أفغانستان .
ورغم أنني حضرت وتابعت المشكلة منذ بداياتها المبكرة (مايو 1979م) إلا أنني امتنعت عن إصدار الكتب رغم إلحاح بعض الزملاء ورواج السوق في ذلك الوقت . والسبب هو أن متطلبات السوق ـ سواء سوق النشر أو السوق السياسي ـ لم تكن مناسبة بالمرة كي أكتب ما أرى أنه الحقيقة .
فإما أن أقول (نعم) لكل ما يحدث على الجانب الأفغاني والحليف له، أو أقول (لا) وأدخل في المعسكر الآخر جملة وتفصيلا .
وكنت أرى أن كلا المعسكرين، (نعم) و (لا)، لا يعبر عن مصالح المسلمين بقدر ما يعبر عن مصالح التكتل الدولي آنذاك. كانت، نعم أو لا، كلاهما يحقق الشهرة والمال معاً.
ومن المؤسف أن موقف المجلات الإسلامية والكتاب الإسلاميين كان يتملق ويستثير عواطف المسلمين، وهو مدخل سهل ورخيص لاكتساب المجد والغنى. ولكن عمليات خداع بهذا الشكل تنتهي دوماً بكوارث مفجعة تضر أجيال المسلمين ومسيرة الاسلام حاضرا ومستقبلاً وهذا ماحدث في أفغانستان بكل أسف.
إن قول الحقيقة شيء صعب في الحياة العادية ، وتزداد الصعوبة إذا تعلقت الحقيقة بحالة حرب إختلطت فيها عوامل الدين بالمصالح، لأطراف متعارضة في كل شيء .
والبحث عن الحقيقة ومحاولة نشرها علي الملأ في تلك الأحوال إنما هي عملية إنتحار مع سبق الإصرار ، لأن المقاومة لهذا العمل لن تأتي من أحد طرفي الصراع بل من كلاهما معا .
إن أطنانا من المطبوعات و مليارات من الجمل طارت في الأثير تتحدث عن أفغانستان لأكثر من عشر سنوات ، ومع ذلك فإن حقيقة ما حدث في أفغانستان ما زالت مجهولة لدى معظم الناس ، وما زالت عملية البحث عن الحقيقة ونشرها عملية صعبة للغاية وتكاد تكون مستحيلة ، لأن بعض أطراف المأساة ـ أو معظمهم ـ ما زالوا نشطين على مسرح الأحداث ومنغمسين في تصنيع مزيد من المآسي الدامية للمسلمين .
وزاد في الأمر صعوبة تلك الهيمنة الأحادية للولايات المتحدة على شئون العالم أجمع . فاختفي ذلك الهامش الضيق الذي كانت تطل منه الحقيقة من خلال تناقض المصالح بين المتنافسين في

الشرق والغرب . تلك الهيمنة الأحادية أوضحت بشكل جلي تلك السيطرة المدمرة للقوى اليهودية على العالم أجمع من خلال سيطرتهم المالية الكاسحة ونفادهم إلى عظام الغرب الإقتصادية والسياسية والفكرية .

علينا في ظل هذه الظروف أن نبحث ـ نحن المسلمون ـ عن الحقائق ونعمل على نشرها والإستفادة منها ـ الآن ومستقبلا ـ في أحد قضايانا الكبيرة في هذا القرن ، قضية أفغانستان .

ولا أزعم أن هذا الكتاب سوف يحتوي بين دفتيه علي تلك الحقيقة المنشودة ، فذلك مستحيل لأسباب كثيرة . ولكن ما أطمح إليه هو أن يكون هذا الكتاب مجرد شهادة متجردة من جانب أحد شهود تلك المرحلة الخطيرة .

وبالطبع سوف يحمل هذا الكتاب تلك السلبيات الطبيعية لمثل ذلك العمل، مثل محدودية الفترة الزمنية ومحدودية الإحتكاك ومحدودية المعلومات ومحدودية الفهم والتقييم ... الخ .

فلا يمكن إذن الزعم بأن الحقيقة قد جاءت مؤخرا بين دفتي كتاب . وعلى أفضل الظنون فإن هذا الكتاب سوف ينير جانبا من الحقيقة و قد يساعد يوما على إكتشافها . كما أنه سوف يلقي بعض الضوء على شريحة من هؤلاء البشر الذين إنخرطوا في تلك التجربة وكابدوها .

وإذا قدر لهذا الكتاب أن يرى النور ـ وهذا موضع شك حتى الآن ـ فسوف تكون هناك أجيالا جديدة قد تولت زمام العمل من أجل الإسلام . أجيال سوف تكون أفضل في كل شيء سلوكا وفهما وعملا . وهكذا تبشر الدلائل التي نراها الآن . وللتجربة الأفغانية دورها في صيانة هؤلاء الشباب الذين ما زالوا في بطن الغيب . فالحاضر هو تربة المستقبل التي ينمو عليها ويزدهر .

والتجربة الأفغانية رغم كل شيء قد أثرت إلى درجة كبيرة ـ وربما أكبر من أي تجربة تعيها ذاكرة جيلنا الحالي ـ صياغة الفكر والعمل الإسلامي الذي يتوق إلى تحقيق الإسلام على أرض الواقع ، ومهما كانت التبعات .

تبقى مسألة أخرى هي مسألة الرياء والسمعة وهو رادع معنوي لكثير من المسلمين عن الكتابة عن أحداث عاصروها وشاركوا فيها. ويزداد هذا الرادع إذا إضطر الشاهد ـ أي الكاتب ـ أن يستخدم صيغة المتكلم ، وهو أسلوب غير محبب ، ولكنه قد يصبح ضروريا في مثل هذه الحالات خاصة إذا كان سيجنب القارئ الكثير من الغموض ويجعل الصورة لديه أكثر وضوحا وفي حالتنا هذه أرجو أن لا يكون للرياء نصيب ولهذا أيضا أسباب . فالكتابة عن الإسلام عامة والجهاد بشكل خاص لم يعد بالموضوع المقبول في الدوائر الدولية والسلطات الإسلامية ، إلا إذا كان الموضوع يتملق تلك الدوائر ولا يجرح مشاعرها ، أي أن الكاتب عليه أن يكذب على ا ورسوله أو أن يلبس الحق بالباطل ويكتم الحق عن علم . إذن فمثل هذا الكتاب لن يرضي القوي اليهودية التي تحكم العالم الآن ـ بما فيه بلاد المسلمين ـ كما أنه لن يرضي قوى وجماعات إسلامية نافذة ، إرتكبت أخطاء فادحة في تعاملها مع القضية الإسلامية في أفغانستان ، ووظفت مساحتها في العمل الإسلامي العام لصالح قوى الغرب وليس لمصالح الأمة الإسلامية، وكانت صفقة خاسرة لهم وللمسلمين.

إذن هذا الكتاب لن يجد أصدقاء لا على المستوى الدولي ولا على مستوى القوى الإسلامية المؤثرة على ساحةالعمل الإسلامى. والحال هكذا، فالأرجح إن ترقد تلك الأوراق فى قاع أحد الأدراج حتى تأكلها الفئران والعتة أو أن يجعل ا لها فرجا وتتغير الأحوال السائدة ويقيض ا لها من يتولي طباعتها ونشرها ، ربما كمخطوطة تاريخية وأثر يحمل عبق الماضي .

ويومها سوف يكون كاتب هذه المخطوطة قد أفضى إلى ربه حيث لا ينفعه رياء ولا سمعة .
إنها صرخة في واد قد تصل في وقت ما إلى أذن ما ... فإن أفادت فذلك من فضل ا ، وإن لم تفد فذلك قدر ا ، ويبقى كونها شهادة من شخص ما ، كان هناك في ذلك المكان الذي شهد واحدا من أضخم أحداث العصر ، وواحدة من أكبر وأهم معارك المسلمين خلال عشرات ـ بل مئات ـ من السنين أي منذ توقفت الحروب الجهادية في حياة أمتنا ، وتهاوت دولة الإسلام ورابطة الخلافة .

مصطفى حامد
كتبت فى معسكر الفاروق خوست
الأحد 7 أغسطس 1994م

تعليقات بعد الحرب الأمريكية (2001م) :

1- كتبت هذا الكتاب الأول من سلسلة أدب المطاريد، فى معسكر الفاروق وشقيقه معسكر (جهاد وال)، وهما من معسكرات العرب التى بقيت من حقبة الحرب السوفييت .
وبعد حوالى أربعة سنوات من كتابة هذه المقدمة قصفت أمريكا هذين المعسكرين مع معسكرات آخرى أفغانية وباكستانية بحوالى مئة صاروخ كروز رداً على تفجير سفارتيها فى نيروبى ودار السلام فى 8أغسطس1998م.
لقد إستغرق الفراغ من هذا الكتاب حوالى عام واحد تقريباً .
2- ***حواشى وتعليقات هذا الكتاب التي كتبتها بعد إحتلال أمريكا لأفغانستان – أى أن أنها لم تكتب فوق سقف العالم بل من جوف أحد السجون، سوف تظهر فى الكتاب بخط مائل على النحو الوارد فى هذه الفقرة.***
3- فى تلك السلسلة من (أدب المطاريد) كان الحرص منصب علي توصيف " الحالة الأسلامية" على ماهى عليه وقتها ، ليس فقط من جهة الأحداث والوقائع ، بل أيضاً من جهة الأفكار والآراء ، رغم أن العديد منها قد ناله التطوير أو حتى التبديل (خاصة ما يتعلق منها بالكاتب) . لذا لا تحتوى هذه الكتب على أى (حكمة ذات أثر رجعى) ، فكل شيئ على نفس حاله وقت حدوثه باعتباره جزء من تاريخ المسلمين ، الذى يمتلكه كل واحد منهم، أياً كان –رأيه فى تلك الأحداث ، وموقفه من المشاركين فيها وآرائهم .
4- المصطلح الاسلامى اصبح – وبشكل متزايد – غريباً مستغربا فى الكتابات السياسية وغيرها .. لذا تعمد الكاتب إستخدامه(أحياناً) عن سبق إصرار وترصد .. حتى لو إعتبره البعض مصطلحاً يخدش الحياء المنافق لمصطلحات الثقافة الغربية، التى سادت على نطاق العالم وطالت حتى الكتابات الإسلامية التى أصبحت محاصرة ومتهمة بل ومطاردة .

الفصل الأول

بين أفغانستان وفلسطين

لماذا ذهبت إلى أفغانستان؟ . سمعت هذا السؤال مرات عديدة ، من أصدقاء وزملاء ومعارف ومن أناس لا أعرفهم . كما سمعته أثناء عودتي من رحلتي الأولى لأفغانستان عندما سألني شاب أفغاني غاضبا: (أنت ليش يجي هون؟ ليش ما تسوي جهاد في فلسطين) ؟.
قالها هكذا بعربية ركيكة شائعة في منطقة الخليج .
كان السؤال مفاجئا ومثيرا لكثير من الأوجاع .مرافقنا الأفغاني قدم إعتذاره لي ولزميلي وإتهم السائل بأنه (منافق) .
وفي بداية عام 1983م كتبت كتابا صغيرا عن أفغانستان كانت تغلب عليه الرومانيسية وسألت صديقا له باع طويل في الكتابة أن يقرأه ويكتب لي ملاحظاته . وكانت أول ملاحظة في القائمة هي: (لماذا ذهبت إلى هناك)؟ .
ومن حسن حظ القراء أنني لم أنشر ذلك الكتاب، ومازال راقداً فى أحد الأدراج بعد أن فقد بعض أجزائه .
كنت مازلت شابا في الرابعة والثلاثين من عمري عندما ذهبت لأول مرة إلى أفغانستان وكنت في العام السابق لذلك قد تطوعت للقتال ضد اليهود في جنوب لبنان في صفوف منظمة فتح إثر الإجتياح الإسرائيلي للجنوب عام 1978م.
كانت لي لحية صغيرة وأنيقة في ذلك الوقت وسبق لي الحج مرتين، لذا فقد كانت إجابتي بأنني مسافر من أجل (الجهاد في سبيل ا) مقنعة تماما للبعض بل ومصدر سعادة لهم .
أما الأكثر (حيطة وذكاء) فقد وضعوا إفتراضات عديدة منها أنني قد تزوجت بإمرأة أخرى في أفغانستان أو باكستان.وقال آخرون بل لقد ناء بمسئولياته العائلية وكثرة أبنائه فهو يريد التخلص من حياته .
وقال لي أحد بلدياتي: إنهم يقولون عنك أنك تسافر إلى تلك البلاد بهدف الإتجارفي المخدرات !!!! .
أما هؤلاء الأكثر ثقافة فقد وضعوا نظرية أكثر حداثة تقول: القضية الأفغانية ما هي إلا لعبة أمريكية ضد المعسكر الإشتراكي والأفغان عملاء لأمريكا والإمبريالية ، أما هو فليس إلا مثلهم .
عندما بدأ تواجد المجاهدين العرب في أفغانستان يصبح ملحوظا ، كنت قد بدأت رحلتي في سن الأربعين وما بعده . كانوا في أغلبهم في العشرينات من العمر ويندر فيهم من تخطى الثلاثين.
وقد أثر ذلك في علاقتي بهؤلاء الذين مثلوا ظاهرة فريدة في ذلك العصر،وكان فارق السن إضافة لعوامل كثيرة ـ سيأتي ذكرها ـ سببا في كون العلاقة لم تكن مريحة أو مثمرة .
في البداية كنت أنظر حولي وأشعر بغضة ألا أجد أحدا من أبناء جيلي.
لذلك شعرت بالفرح عندما قابلت الشيخ عبد ا عزام لأول مرة في بيشاور في سبتمبر 1984م .
كان من نفس الجيل وإن كان أكبر مني بثلاث سنوات ، يومها شعرت أنني لست وحيدا .
ولكن لسوء الحظ ، فإن اختلاف رؤيتنا للأحداث ومواقفنا منها أدى لأن تكون علاقتي معه فاترة ومتحفظة وإن سادها الإحترام المتبادل .
هناك خيط مشترك يربط أبناء الجيل الواحد مع بعضهم البعض بسبب معايشتهم لنفس الظروف و الأحداث . لهذا كان هناك قدرا مشتركا ـ لا بأس به ـ بيني وبين الشيخ عبد ا عزام تجاه قضية

أفغانستان والموقف منها بشكل عام .
وكان أكبر نقاط التنافر بين مواقفنا هو تقييم قادة الأحزاب الأفغانية ودورهم في القضية . فبينما مضى هو إلى أقصى حد في تمجيدهم خاصة الثلاثي: سياف ،حكمتيار،رباني، ذهبت أنا إلى الطرف المناقض تماماً .
لقد كنت متفقا مع الشيخ عبد ا على أن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة أمام الأمة الإسلامية للدفاع عن دينها ومصالحها في مواجهة القوى المتكالبة عليها، وأن المعركة الرئيسية للمسلمين هي معركتهم مع اليهود والصليبية المتحالفة معهم . وأن أفغانستان هي فرصة نادرة لمسيرة الجهاد التي ينبغي أن تستمر وتتصاعد وأن تكون أفغانستان هي المدرسة الكبرى للممارسة العملية على نطاق الأمة .
إن جيلنا كان وافر الحظ مع الحروب . فقد جاء جيلنا إلى الحياة مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وقبل أن يدرك ما حوله نشبت حرب 1948م بين اليهود والعرب وضاعت معظم فلسطين وظهرت إسرائيل كأبشع حقيقة سياسية في حياة العرب المعاصرين. تلتها سلسلة من الإنقلابات في العالم العربي كرست عملية الإنتقال من التبعية للإستعمار البريطاني والفرنسي إلى التبعية الجديدة للإمبريالية الأمريكية ، ثم جاءت حرب 1956م بين مصر من جانب وإسرائيل مدعومة بفرنسا وبريطانيا من جانب آخر . وفي عام 1967 كانت أبشع الهزائم العربية في التاريخ الحديث أمام إسرائيل وضاعت بقية فلسطين مع مساحات شاسعة من الأراضي المصرية والسورية . وفي عام 1973م كانت حرب (التحريك) بين مصر وسورية من جانب وإسرائيل من الجانب الآخر وفعلا تحركت المنطقة نحو مسيرة طويلة للتسوية السلمية مع إسرائيل لتنتهي بها إلى إستسلام كامل للهيمنة الإسرائيلية على كامل المنطقة العربية مع إعتراف بالقطب الأمريكي المسيطر الأوحد على الساحة الدولية.
وفي أبريل 1978م كان الإنقلاب الشيوعي في أفغانستان تلاه الغزو السوفييتي في ديسمبر 1979م ، وبدأ نجم الجهاد في أفغانستان يبزغ على إستحياء حتى تلقفه الدوامة الدولية.
ولمدة عشر سنوات كان الجهاد والمجاهدون في أفغانستان هم حديث الساعة عالمياً.
بدا لنا أن الفرصة سانحة وأن الراية التى رفعت فى جبال أفغانستان ينبغى أن تظل خفاقة حتى النصر وأن تواصل المسير فى الآفاق حتى تعود للمسلمين دولتهم وعزتهم.
هكذا كنا نحلم – وفي هذا الإتجاه حاولنا أن نعمل – أما النتائج فكانت شيئا آخراً .
كانت هناك عدة فروق بين الحرب في أفغانستان والحروب التي شهدتها المنطقة العربية مع إسرائيل . وهي فروق أدهشت الشعوب العربية وجعلت الإسلاميين فيها ينجذبون إليها .
ـ لقد قام الأفغان ضد حكومة شيوعية مدعومة بقوة عظمى ومع ذلك لم يستسلموا بل تصاعدت مقاومتهم .
ـ رفع الأفغان شعار الجهاد فأجج ذلك مقاومتهم وأكسبهم تعاطف المسلمين في كل مكان .
ولما كان جيلنا قد أدرك متأخرا أن الحروب العربية الإسرائيلية إنما هي حروب من جانب واحد تواطأت فيها الحكومات العربية ـ التي لا تتولى السلطة إلا بموافقة ومساعدة القوى الغربية ـ وذلك لفرض الهزيمة على الشعوب العربية وتكريس سيادة إسرائيل على المنطقة . لهذا صار لزاما على هذه الحكومات أيضا أن تعمل ضد الإسلام نفسه ، وتعمل على إضعافه أوإقتلاعه من المنطقة حتى يسهل إستقرار وسيطرة اليهود عليها .
رغم صغر حجم إسرائيل وقلة سكانها من اليهود إلا أنها استطاعت أن تفرض إرادتها على

دول المنطقة ، وجيوشنا كانت سريعا ما تنهزم وتفر أمامهم في ميادين القتال وإذا قاتلت فلأيام معدودة يبدأ بعدها سيل من الإتفاقات وعهود السلام . والشعوب ضعفت عقيدتها وانهارت معنوياتها وأصبحت تقبل بأي شيء في مقابل إستمرارها في حياتها المهينة .
ثم جاءت أفغانستان لتقدم صورة مناقضة تماما لتلك الصورة العربية الكئيبة . في أفغانستان شعب خشن ذو عزيمة وتصميم يقاتل لأجل الإسلام ، ويتحمل أهوالا تعجز الجبال عن تحملها ، والأعجب أنه يحقق إنتصارات ضد أقوى جيوش الأرض ، الجيش السوفييتي .
إنه الصورة المناقضة لحالنا ، والحلم الذي يراود المسلمين يتحقق أخيرا . لقد تخيلنا أن الأمل بدأ يتحقق ، ومن أفغانستان سوف تخرج جيوش الفتح الإسلامي .
لهذا جئت إلى أفغانستان ، وجاء غيري مئات وآلاف من الشباب ، لتبدأ ملحمة العرب في أفغانستان ، كواحدة من أغنى تجاربنا الإسلامية الحديثة .
منذ تسلطت دول الغرب الإستعمارية على بلاد المسلمين ، وهدفها الأول إضعاف الإسلام في نفوس الناس مع إستبعاده من الحياة العامة وعزله في المساجد والمدارس الدينية التي تسيطر عليها الحكومات الموالية للغرب . وكانت تلك السياسة على أشد فى البلاد العربية لكونها مهد الإسلام ومحضنه الطبيعي وقبلة المسلمين من غير العرب.
وبعد إستبدال الإستعمار البريطاني والفرنسي ، بالإمبريالية الأمريكية وحصول الدول العربية الممزقة على إستقلالها الشكلي،إستمرت السياسة نفسها ضد الإسلام وبشكل أشد ضراوة على أيدي الحكومات الوطنية ، التي تبنت العلمانية وأعلنت الحرب على الشريعة الإسلامية ، حتى وصفها البعض بالأنظمة المرتدة .
فتراجعت الروح الإسلامية للشعوب وساد الجهل بتعاليم الإسلام . وسيطرت الدولة على التعليم الديني والعلماء فانعزلت المؤسسة الدينية الرسمية عن المسلمين وفقدت ثقتهم . ومن ذلك الوقت بدأت الحركة الدينية الشعبية ، التي كانت بدايتها الكبرى مع الشيخ حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين ، التي ما زالت منذ تأسيسها تمثل التيار الأكبر حجما والأكثر تنظيما بين تيارات التحرك الإسلامي الشعبي .
رغما عن أي سلبيات شابت التحرك الإسلامي الشعبي فإنه قام بدور تاريخي هام في الدفاع عن الإسلام والحفاظ على شعائره وتعاليمه والدفاع عنه ضد مختلف الحملات المرتدة ، سواء الحملات الفكرية والثقافية أو الحملات البوليسية القمعية . وقد دفعت تلك الحركات ثمنا غاليا جداً من دماء وأرواح أتباعها وكوادرها .
من بين فرائض الإسلام كان الجهاد الأوفر حظا ، فقد ركز الغرب (وحكومات الردة الوطنية) على إستئصاله من حياة المسلمين بل ومن قاموسهم الديني .
حتى أن الدول الإستعمارية الغربية قد ساعدت على إنشاء فرق إسلامية مهمتها مقاومة فكرة الجهاد والعمل على إبطالها عمليا ونظريا .
ولما جاء الشيخ حسن البنا ـ رحمه ا ـ كي يضع في شعار جماعته تلك العبارة الشهيرة. (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل ا أسمى أمانينا) ، كان ذلك يعني إعلان الحرب على الإحتلال البريطاني والنظام الملكي في مصر . وفي ظني أن قرار إغتياله قد أصدره الإنجليز من يوم أن رفعت الجماعة ـ الإخوان ـ ذلك الشعار .
وعندما نشبت حرب فلسطين عام 1948م كان الجهاد مازال حيا في الذاكرة الشعبية للعرب ،

وتبنته جزئيا وسائل الإعلام العربية في ذلك الوقت من خلال الأغاني والأناشيد الحماسية .
وكما حدث في حرب أفغانستان بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما بادر الغرب(وحكومات العلمنة الوطنية) في وضع مخطط لإجهاض العمل الجهادي الشعبي، وتسخير مجهوده لصالح الكفار أنفسهم ثم البطش والتنكيل بالمجاهدين .
وضع الإنجليز مخطط حرب فلسطين ، بهدف إخراج الهزيمة بشكل مسرحي ـ تشارك فيه (حكومات الردة الوطنية) عن عمد ـ بهدف تحطيم معنويات الشعوب ودفعها تدريجيا للإستسلام لليهودية الدولية. وأعطى هذا المخطط ثمارا يانعة في السبعينات وحتى الإستسلام الكامل لليهود في التسعينات من هذا القرن .
لقد كانت حرب فلسطين عام 1948م تجربة غنية للعمل الإسلامي مليئة بالدروس والعبر.
ولكن للأسف عندما خاض المسلمون في التجربة الأفغانية لم يستفيدوا من تلك الدروس وكرروا الأخطاء ـ بل زادوا عليها ـ ثم تعرضوا لنفس النكسات والضربات الأليمة و بالطريقة نفسها تقريبا مع تحويرات تتناسب والتغيرات في الزمان والمكان والملابسات المحيطة .
 لقد كانت بريطانيا هي القوة المهيمنة على كل الحكومات العربية والمحتلة لأكثر الدول العربية المحيطة بفلسطين ، ونفذت بريطانيا مخططها في فلسطين وفي الحرب الفلسطينية عام 1948م عبر الحكومات العربية التي دخلت الحرب بسبعة جيوش. وفي الحالة الأفغانية كانت أمريكا منذ عام 1981م هي القوة المهيمنة على الحرب الأفغانية ، وتحركت مع مجموعة من الحكومات خاصة الحكومة السعودية والباكستانية. وكانت أدواتها على الساحة الأفغانية هي الأحزاب الأفغانية المسماة بالمنظمات الجهادية وعددها سبعة منظمات،
وهو نفس عدد الجيوش التي دخلت حرب فلسطين تحت إمرة الجنرال جلوب باشا الإنجليزي.
وقد تحكمت المخابرات الأمريكية إلى درجة كبيرة بالعمل القتالي في أفغانستان بواسطة جهاز المخابرات الباكستاني (آي،إس،آي) والذى أنشأه ضياء الحق عام 1979م بهدف التدخل في أفغانستان التى تحولت إلى الشيوعية. في الحالتين دخلنا الحرب بقيادة جنرالات كفرة أو (أشباه مسلمين).
ومع هذا لم تستطيع الولايات المتحده أن تحكم سيطرتها على جهاد الشعب الأفغانى بنفس القدر الذى أحكمت به بريطانيا سيطرتها على الجيوش العربيه فى فلسطين. فالجيوش العربية الضعيفة التجهيز والمعنويات، والشعوب العربية المقهورة بحكومات مستبدة والبعيدة عن دينها، كان من السهل، ومازال، إيقاع الهزيمة بها وإرغامها على تجرعها حتى الثمالة، ثم القبول بالأمر الواقع. أما الشعب الأفغانى ذو الطبيعة القتالية، والتركيب القبلى، والمتمرس على القتال و المتعصب لدينه، فكان التحكم به صعبا، لذلك إستطاعت القوى الإسلامية المخلصة في أفغانستان رغم التعب الذي أصابها ، أن توقع الهزيمة بالسوفييت ثم أسقطت النظام الشيوعي في كابل. كل ذلك رغما عن كل المحاولات الأمريكية للخروج بنتيجة لا غالب ولا مغلوب ثم تشكيل حكومة علمانية تقود البلاد تحت نفوذ أمريكي سوفيتي مشترك .
ـ كانت حرب فلسطين في حقيقتها هي (دعوة إلى وليمة الهزيمة).
بريطانيا هي صاحبة الدعوة والجيوش العربية السبعة هم ضيوف الشرف . فما هو دور المتطوعين المسلمين ؟ ... ولماذا سمحت لهم بريطانيا بالمشاركة ؟

أولا : سمحت بريطانيا للإخوان المسلمين بالمشاركة العسكرية في فلسطين حتى يصبحوا شركاء في الهزيمة المنتظرة فلا يكون لهم فضل على الأنظمة ولا يزايدون عليها بإسم الإسلام .
ثانيا : إستطلاع عمق الشعور الجهادي داخل الجماعة وفي صفوف الشعوب العربية .
ثالثا : كشف العناصر الناشطة إسلاميا والفاعلة جهاديا وتقديمها إلى صفوف القتال للقضاء عليها .
وقد كان المجاهدون من صفوف الإخوان يكلفون بأخطر المهام القتالية في ميدان القتال . ويعلم الإنجليز بخبرتهم العسكرية أن الإخوان كقوات فدائية سوف يصابون بأعلى الخسائر في الأرواح. وكان ذلك هو المطلوب .
رابعا : بعد إشراكهم في الهزيمة وتقديمهم قرابين بشرية لنيران اليهود ، تتكفل أجهزة الأمن المصرية ـ وغيرها ـ بتصفية الباقين في المعتقلات وعلى أعواد المشانق .فقبل قليل من إنتهاء الحرب صدرت الأوامر للجيش المصري بنزع سلاح كتائب الإخوان المسلمين.
فقام ضباط الجيش المصري بنزع سلاح زملائهم من وحدات الفدائيين المسلمين ، الذين قاتلوا إلى جانبهم وأنقذوهم من عشرات المآزق القاتلة ومن الهلاك في حصار الفالوجا وغيرها .
ثم وضع ضباط الجيش المصري زملائهم من كتائب الإخوان المسلمين في سجون الوحدات العسكرية حتى إستلمتهم السلطات المصرية ووضعتهم في معتقلات نائية بدون أن تسمح لهم حتى بالعودة إلى الوطن لزيارة عائلاتهم . أي من الجبهة إلى المعتقلات ...
والغريب أن هؤلاء المتطوعين في فلسطين قد إستمر إعتقالهم وإضطهادهم حتى جاء الإنقلاب العسكري عام 1952م. (ثورة يوليو) فلفقت لهم القضايا وتم إعدام عدد منهم واعتقال آخرين تحت ظروف التعذيب الوحشي حتى قتلوا. ولم ينج منهم إلا أفراد قلائل فروا من مصر قبل إعتقالات عام 1954م، ولم يتمكنوا من العودة إليها مرة أخرى رغم مرور عشرات السنين على حرب فلسطين .
أما عناصر الإخوان الذين لم يشاركوا في القتال فقد سمح لهم السادات في بداية عهده بالعودة إلى مصر في إطار معين للحصول على لقب الرئيس المؤمن.
وكان ذلك نصف الطريق المرسوم له من الغرب ، أما النصف الآخر فقد أنجزه بعد حرب أكتوبر 1973 م بحصوله على لقب بطل الحرب والسلام . عندئذ صار الطريق مفتوحاً أمامه لتوقيع إتفاقية الإستسلام مع إسرائيل بصفته الكاملة وهي: "الزعيم المؤمن بطل الحرب والسلام" .
أي أنه في حالتي الحرب1948 والسلام 1977م كان الإسلاميون عرضة للإستغلال من جانب الغرب، وحكومات العلمانية الوطنية، في تنفيذ مخططاتهم ضد الإسلام في المنطقةالعربية.
هذا ما حدث مع الإسلاميين في قضية فلسطين فماذا حدث معهم في قضية أفغانستان؟
إن التشابه كان مدهشا بين الحالتين:
لقد بدأ تسرب المجاهدين العرب إلى أفغانستان ، وكان هناك في البداية تضييقا على حركتهم نحو الحدود الأفغانية. وكان حكم الجنرال ضياء الحق في باكستان لا يرغب في تصعيد إجراءات منع العرب من النفاذ إلى أفغانستان من أجل الجهاد وذلك لأسباب داخلية كثيرة ، ولتحالفه في ذلك الوقت مع التيار الإسلامي في باكستان لمواجهة المد الشيوعي والعلماني المتحالف مع الهند وموسكو من أجل إسقاط نظام حكمه .
وقررت أمريكا مع زيادة تورطها في القضية الأفغانية أن تلعب بالورقة الإسلامية في مواجهة

موسكو لإحراجها في كل العالم الإسلامي . وللإستفادة من دماء المسلمين المبذولة بسخاء في ميادين الجهاد وأموالهم المتدفقة لمساعدة المجاهدين كي تخوض أمريكا حلقة في إطار الحرب الباردة لا تكلفها شيئا تقريبا.
وقررت أمريكا أن تقوم الخزينة السعودية بتمويل الحرب في أفغانستان ، أما الدماء في المعارك فسوف يتسابق المجاهدون العرب والأفغان لبذلها في سبيل ا . أما أمريكا فدورها التوجيه والتخطيط ثم جني الثمار ـ وحدها فقط ـ وإن إستدعى ذلك قتل شركائها. فقتلوا ضياءالحق ثم تميم العدناني ثم عبد ا عزام ثم دمروا التواجد الجهادي العربي في باكستان وأفغانستان بحملات بوليسية وإعلامية مركزة .
والإشتراطات الأربعة التي وضعتها بريطانيا لمشاركة المجاهدين العرب في حرب فلسطين كانت هي نفسها الإشتراطات التي وضعتها أمريكا لاشتراك المجاهدين العرب في أفغانستان . ولنستعرضها مرة أخرى في الحالة الأفغانية .
أولا :
تصورت أمريكا أن دعوة المتطوعين العرب للجهاد في أفغانستان هي دعوة على مائدة الهزيمة. لأن خيوط القيادة والتوجيه تنتهي إلى اليد الأمريكية والقرار الأمريكي ، ولأن اللاعبين الرئيسيين هم من الأتباع المخلصين إما لأمريكا مباشرة: باكستان و السعودية ثم مصر. أو أتباع مخلصون لأتباع آخرين مخلصين مثل قادة المنظمات الجهادية الأفغانية ،وكلهم تابع لهيئة الإستخبارات الباكستانية (آي،إس،آي).
ويتلقى أوامره اليومية ومساعداته من أموال وأسلحة من أيدي موظفي الحكومة الباكستانية.
ثانيا:أرادت أمريكا أن تسبر غور التيار الإسلامي في المنطقة العربية بعد سنوات من الإنفراج النسبي في العلاقة معه ، وأن تكتشف عمق المشاعر الجهادية والناشطين جهاديا باعتبارهم أول خصومها في المنطقة وأكبر المخاطر على إسرائيل ومشروعها الشامل للسيطرة.
ثالثا : أن القتال في أفغانستان لن يكون نزهة على أية حال ، والمتطوعون العرب المملوءون حماساً وغير المدربين وغير المنظمين لن يكونوا سوى فريسة سهلة للنيران السوفييتية. وهذه أرخص السبل وأسرعها للقضاء عليهم قضاء إختيارياً لا يحرج أحدا من الحكومات . وعلى هذا الأساس سهلت الحكومات العربية خروج شبابها للجهاد في أفغانستان ، وقدمت بعضها تسهيلات كبيرة .
رابعاً :إذا استطاع أحد من المتطوعين العرب أن ينجو من نيران الجيش الأحمر ، فإن جيوش المخابرات في أنظمة الردة سوف تتولى أمره كالمعتاد .
ويمكن تلخيص تلك الخطوات الأربعة بأربعة عناوين هي:
إستدراج ـ إستطلاع ـ إغتيال ـ تصفية .
خطوات أربعة تكررت كما هي ضد المجاهدين العرب في فلسطين ثم في أفغانستان على أيدي نفس الفئات: اليهود والصليبية والمرتدون .
فكم من المرات سوف نلدغ من نفس الجحر؟ .
دعنا نتأمل في بند التصفية لنرى مكوناته وكيفية تنفيذه في الحالتين :حرب فلسطين والحرب الأفغانية.
أ ـ لقد شملت التصفية في الحالة الفلسطينية في أول لحظة المقاتلين الإسلاميين ، وفور أن إنتهت الحرب، ولم يسمح لهم أن تطأ أقدامهم أرض الكنانة ، فقد إعتقلوا داخل الوحدات

العسكرية العاملين معها .
ب ـ وبعد فاصل زمني قصير أصدرت الحكومة قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين وإغلاق مراكزها وإعتقال جميع المنتمين إليها .
جـ ـ ثم كانت الخطوة الأخيرة هي إغتيال قائد التنظيم ، الشيخ حسن البنا ، في أحد شوارع القاهرة أمام المقر الرئيسي للإخوان . وقد تمت الخطوات الثلاث خلال عدة أشهر.
ومن المعلوم أن مشاورات مكثفة حول برنامج التصفية قد جرت بين الدول الثلاث: الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا .
وبالطبع فإن إسرائيل والقوى اليهودية العالمية كانت هي الموجه الرئيسي لتلك الإجتماعات .
إذن فأهداف التصفية ثلاث عناصر:
أ ـ المقاتلين ب ـ التنظيم ج ـ القائد
والقائمون على التصفية ثلاث فئات هم:
أ ـ اليهود للتوجيه والتحريض. ب ـ الصليبيون للتخطيط. جـ المرتدون للتنفيذ والتمويل.
وقد يتعجب البعض من كون التمويل هو من نصيب المرتدين وليس الصليبيين أو اليهود. ولكن هذا ما حدث في الحالتين الفلسطينية والأفغانية . فميزانية الدولة المصرية تحملت تكاليف عملية تصفية الإخوان المسلمين عام 1948م وما تلى ذلك من حملات. أما في الحالة الأفغانية فإن ميزانية الدولة السعودية قد تكلفت بسداد جميع الفواتير التي أمرت الولايات المتحدة الحكومة السعودية بسدادها.
ولننظر إلى برنامج تصفية المجاهدين العرب في أفغانستان لنرى أوجه التشابه والإختلاف بين الحالتين .
أ ـ بدأت عملية التصفية بقتل الشيخ عبد ا عزام في بيشاور نوفمبر 1989م أي بعد إنسحاب الروس من أفغانستان بتسعة أشهر فقط . كان ضياء الحق قد اغتيل في أغسطس من نفس العام ، كما أغتيل مساعد الشيخ عبد ا عزام وهو تميم العدناني، أثناء علاجه فى أمريكا، قتلوه بالسم وظهرت الوفاة طبيعية .
ب ـ أما تصفية المقاتلين والتجمع العربي في باكستان فكان من المفترض أن يعقب عملية إغتيال الشيخ عبد ا عزام مباشرة في صورة حملة إعتقال شاملة . ولكن حساسية وتعقيد الوضع السياسي في باكستان وأفغانستان والحرب الدائرة في أفغانستان جعلا العملية مستحيلة فأحجمت عنها حكومة باكستان ، ولم تتح الفرصة إلا بعد انتهاء الحرب الأفغانية فبدأت حملة شاملة ضد العرب في 5 /1993/4م أعقبتها حملات نفسية وبوليسية أسفرت عن نتائج ـ حتى وقت كتابة هذا الكتاب ـ هي :
* تصفية الجانب الأعظم من التواجد العربي الجهادي في أفغانستان ولم يتبق إلا أفراد قلائل مشتتون .
ـ تصفية التجمع العربي في بيشاور وتم إستبداله بمجموعات من الموظفين العرب العاملين مع هيئات الإغاثة العربية .
لقد سجنت الحكومة الباكستانية عشرات من المجاهدين العرب وأبعدتهم خارج البلاد ، وفرت عشرات الأسر العربية إلى الخارج وتم تلفيق عدة قضايا مخدرات لعدد من المجاهدين العرب ، وتم البرنامج تحت رعاية مباشرة من السفير الأمريكي في باكستان مع لجان أمنية عربية

وإسرائيلية .
إن برنامج التصفية في الحالة الأفغانية قد شارك فيه:
أ ـ إسرائيل والقوى اليهودية العالمية.
ب ـ الولايات المتحدة التي أصبحت القوة الأولى في العالم بعد هزيمة السوفييت في أفغانستان.
جـ ـ المرتدون وأهمهم الحكومة السعودية ، النظام المصري ، الحكومة الباكستانية كما شارك النظام التونسي والجزائري كقوى ثانوية تطالب برؤوس رعاياها في باكستان وأفغانستان.
لقد تعهد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش بعد إنتصاره على العراق في مسرحيته الهزلية ، "حرب تحرير الكويت"، صرح بأن بلاده سوف تطارد "العرب الأفغان" ـ كما أسموهم ـ في صحاري العالم . إنها نفس السياسة ، فكما أن مجاهدي الإخوان في فلسطين دفعوا وما زالوا يدفعون الثمن حتى هذه اللحظة ، فإن المجاهدين العرب في أفغانستان العرب الأفغان سوف يطاردون في أقطار الأرض وليس في بلدانهم فقط .
وهناك أحداث تشير إلى أن عملية الملاحقة ضدهم فى العالم كله مستمرة.
فأجهزة الإستخبارات في أوروبا صرحت علانية أنها تراقب العرب الذين وفدوا إليها من باكستان بعد طردهم من هناك ، وأنها سوف تطارد المتطرفين منهم وتعتقلهم .
أما في البلاد العربية فالأمر لا يحتاج إلى تعليق فهناك حاليا قانون في مصر يتكفل بإعدام كل مصري جاهد في أفغانستان. ولم يتبق ملجأ لهؤلاء المجاهدين حاليا غير السودان واليمن .
وتعيش هاتان الدولتان في ظل حصار وتآمر دولي شديد ، فقد أشعلت أمريكا وحلفاؤها حربا أهلية في اليمن لتقسيمها ولكن خطتهم فشلت . أما السودان فيعيش في ظل حصار اقتصادي دولي خانق ، وحرب في الجنوب تمولها السعودية والصليبية الدولية .
إن مطاردة المجاهدين العرب ـ في فلسطين وأفغانستان ـ هو قرار لا يتقيد بمدة محددة .
ورغم أن القانون الوضعي يسقط التهم بعد مرور فترة من الزمن ـ عشرون عاما ـ إلا أن مجاهدي فلسطين ما زالوا ممنوعين من دخول مصر حتى الآن ، رغم أنهم الأن تخطوا الخامسة والستين من العمر . ومنذ شهرين فقط سمحوا لأحدهم أن يدخل مصر وهو في حالة احتضار كي يموت هناك بعد أيام من وصوله، وكانت حالة استثنائية نادرة .
رأينا كيف أن الجهات التي تآمرت ضد المجاهدين العرب في فلسطين وأفغانستان هي نفس الجهات ، وأن مخططهم هو نفسه من حيث الجوهر .
والعمل الإسلامي الجهادي كان واحدا من نفس الجوهر وهو خروج جماعات من شباب المسلمين لنصرة إخوانهم في الدين ، ولكن خارج الحدود الوطنية التي فرضتها عليهم الصليبية الدولية بعد إنهيار الدولة العثمانية آخر خلافة للمسلمين.
ولقد جوبه هذا التحرك الإسلامي بقمع دولي.
لأنه من وجهة النظر الصليبية فإن العمل الإسلامي ينبغي أن يحترم الحدود الوطنية التي وضعها الصليبيون.
وحتى إن أمكن ، ينبغي أن يكون للجهاد فهما وطنيا،فأطلقوا مصطلح "الجهاد الأفغاني" لإكساب الجهاد صبغة وطنية وذلك لأول مرة في تاريخ المسلمين.
والعجيب أن وسائل إعلام الجماعات الإسلامية إستخدمت المصطلح المشبوه كما هو .
ولكن تدفق المتطوعين العرب قد أبطل المكيدة وأعطى الجهاد مفهومه الإسلامي الأممى الصحيح، كحرب عقائدية وليست حرباً وطنية .

(لأجل هذا تحارب أمريكا المجاهدين . خاصة من كان فى أفغانستان ، باسم مكافحة الإرهاب الدولى وحتى الجهاد الوطنى كما فى فلسطين وجنوب لبنان أصبح هو الآخر مشمولا بتلك الحرب أى أن، الإله الأمريكى، قرر لنا أن لا جهاد فى الاسلام بعد اليوم . وصدر المرسوم فى 11-9-2001م).

والملاحظ أن المجاهدين العرب في أفغانستان لم يستفيدوا من دروس الجهاد في فلسطين، وأكثرهم لم يقرأ إلا قليلا عما حدث عام 1948 م. وبشكل عام فإن دراسة التاريخ وأخذ العبر منه ليست واردة عند هؤلاء الشباب . ومازالت تلك الثروة التاريخية الإسلامية منذ عام 1948م وحتى الآن لم توظف بعد في خدمة التحرك الإسلامي المعاصر وبالشكل المناسب .

وفي بعض الجوانب كان واضحا أن العمل الجهادي العربي في أفغانستان أشد تخلفا بكثير من العمل الجهادي في فلسطين ، رغم الفارق الزمني الكبير بين الحدثين.

أما تكرار نفس الأخطاء فهو يدل على أننا قوم لا نقرأ، وإذا قرأنا فإننا لا نفهم، وإذا فهمنا فإننا لا نطبق ما فهمناه .

لقد دخل المتطوعون العرب حرب فلسطين وهم في حالة تنظيمية رائعة ، خاصة إذا قورنت بحالة العرب في أفغانستان .

1 ـ كانت القيادة الدينية والتنظيمية مركزة في يد الشيخ حسن البنا مؤسس ومرشد الجماعة . ولم تكن هناك أي مزاحمة أو شك في جدارته بمنصبه .

2 ـ كانت الجماعة في وضع تنظيمي جيد ومحدد ، وتتمتع بقاعدة شعبية واسعة من الأنصار.

3 ـ كان للمجاهدين تنظيما منفردا وملحقا بالجماعة(النظام الخاص) وكان يتم إختيار أعضائه من أفضل شباب الإخوان إلتزاما وخلقا وقوة جسمانية .

وإذا قارنا تلك الصورة بمثيلتها في أفغانستان نجد أن:

1 ـ كان الشيخ عبد ا عزام يؤدي وظيفتي التحريض والتجميع بالنسبة للشباب العربي . فمعظمهم قد أتى إلى أفغانستان نتيجة لخطب الشيخ البليغة والمؤثرة . واتجه هؤلاء صوب بيشاور للمشاركة في الجهاد .

2 ـ لم يسفر التجمع العربي في بيشاور عن أي كيان منظم وكان الشكل الغالب لمهام التجمع الذي أحاط بالشيخ عبد ا عزام هو مهام متفرقة لتقديم خدمات للجبهات في أفغانستان وتقديم المساعدات بشكل مباشر إلى هناك . إضافة لمشاريع وخدمات تعليمية وصحية في أنحاء متفرقة من أفغانستان .

ثم بدأت بالتدريج تظهر التجمعات القطرية للجنسيات العربية المختلفة وظهرت لها قيادات وأعقب ذلك سلسلة من الإنشقاقات في كل تجمع من هؤلاء.

كان تنظيم هؤلاء الشباب العرب عملية مستحيلة ، فالإتجاهات الفكرية والفقهية متباينة أشد التباين ، وأفكارهم عن المستقبل الإسلامي وإقامة الدولة الإسلامية أشد تباينا وغموضا. وإذا أضفنا إلى ذلك الإختراقات الأمنية العميقة والكثيفة لهذه التجمعات أدركنا مدى المأساة التنظيمية التي عاشها المجاهدون العرب في أفغانستان ، وبالتالي محدودية تأثير الشيخ عبد ا عزام على هذا التجمع .

وندرك كذلك ضعف تأثير هذا التجمع على أفغانستان وباكستان قياسا بالإمكانات الهائلة التي إمتلكها من العناصر البشرية والمالية .

3 ـ بينما كان المجاهدون من إخوان 1948م ، منتقون من أفضل عناصر التنظيم . كما أنهم تلقوا تدريبا في معسكرات الجيش المصري قبل التحرك نحو فلسطين ، فإن المجاهدين العرب في

أفغانستان كانوا أبعد ما يكون عن أي نوع من أنواع الإنتقاء أو الإنتظام أو التدريب مع إستثنائات قليلة للغاية. وبدأت برامجهم التدريبية تظهر بشيء من الجدية بعد عام 1987م .
كما بدأت بعض المجموعات تنظم نفسها ، خاصة الجماعات التي وفدت من بلادها بغرض تدريب عناصرها ، وعملت أيضا على تجنيد مزيد من العناصر التي جاءت أفغانستان بدون إرتباطات تنظيمية سابقة.
لقد شهدت بيشاور كثيرا من المعارك الكلامية والمهاترات والإتهامات والإنقسامات ، وتبادل الإشاعات وحروب المنشورات بين هذا الخليط المتنافر ، وكلما تقدم الوقت كانت تلك السلبيات تتضخم ، خاصة مع مجهودات هيئات الإستخبارات العربية العاملة وسط تلك الجماعات .
وعندما جاءت النكبة لذلك التجمع في أبريل 1993م ، كان تعليق البعض أنها نعمة من ا ، لأن تجمعا بهذا الشكل إذا إستمر كان سيفرز كثيرا من المهازل والمصائب .
وبالفعل عندما وصلت مأساة التجمع العربى فى بيشاور إلى ذروتها، ظهر تنظيم الخلافة الذي لجأ إلى الجبال في مناطق القبائل القريبة من بيشاور ، وأعلن تكفير كل من لم يبايع الخليفة وعين حكاما من طرفه في عدد من البلاد الإسلامية . وأرسل الخليفة فرمانا إلى سكان فلسطين يعلن أنه قادم لتحريرهم ويطالبهم بقطع شجر الغرقد حتى لا يختبئ خلفه اليهود .
وهدد عرب بيشاور بالقتل إن لم يبايعوا وأنه سوف يسبي نساءهم .
ورغم أن القبائل قتلت مساعد الخليفة إلا أن حركته إنتقلت الآن إلى أفغانستان .
هذا مثال لما كان يمكن أن يسفر عنه تجمع جهادي عشوائي بهذا الشكل تعبث به الأهواء وتنخر في عظامه أجهزة المخابرات الدولية والعربية .
(بعد ذلك بسنوات عاد الخليفه إلى بريطانيا التى يحمل جنسيتها بعد ما فشل مشروعه، وخذلته الأمة الإسلامية، فقد رفض الجميع مبايعته، من الأحزاب الأفغانية إلى القبائل إلى حركة طالبان إلي أسامه بن لادن ، فعاد إلى الدولة الأم .. بريطانيا التى لم توجه له أى تهمة ، حتى عن جرائم القتل التى إرتكبها فى عهد خلافته) !!.

<u>في التجربتين الفلسطينية والأفغانية كان للمجاهدين العرب أخطاء مشتركة من أهمها :</u>

1 ـ وقوع المجاهدين فريسة مخططات الدول الصليبية الكبرى التي تمكنت من إستدراجهم إلى ساحات القتال وجعلوهم يعملون بها وفق شروطها، ثم إستولوا على نتاج قتالهم لصالح المخططات الصليبية في المنطقة .
لقد نزل المجاهدون إلى ساحات قد خططها الصليبيون ووضعوا قواعد اللعب بها . كما إستولى الصليبيون على المفاتيح الرئيسية للعمل ، وتركوا للمسلمين مهمة الموت . وعندما جاءت ساعة الغنائم ـ في أفغانستان ـ ذهبت جميعها تقريبا إلى أيدي الصليبيين، ولم يجد المسلمون في أيديهم سوى الحرب الأهلية للأفغان والمطارة والتشريد والتشويه للعرب.
2 ـ في الحالتين الفلسطينية والأفغانية كان التحرك الإسلامي الجهادي عاطفيا، لا يملك رؤية سياسية ولا إستراتيجية عمل جهادي متكامل .
3 ـ في الحالتين إنقطعت صلة المجاهدين بعد الحرب بالساحة التي قاتلوا عليها وإندمجوا في مسارات أخرى. وإنقطع تأثيرهم وتعاملهم مع الساحة التي دفنوا فيها إخوانا لهم . فليس هناك أي برامج طويلة المدى لخدمة القضية الإسلامية في تلك المناطق . وكأن الجهاد حادث عارض مبتور ، أو فورة عاطفية سريعا ما تزول وتتلاشى فلا منهج ولا خطة .
وقد دفعت تلك الملاحظة بعض المتابعين إلى التشكك بأن قوى الغرب الكافرة تمتلك القدرة على تحريك عواطف المسلمين متى شاءت كي يجاهدوا في الإتجاه الذي يخدم مصالح الغرب وفي

التوقيت الذي يناسبه.
فحالات الجهاد الأممى ـ وليس القطري ـ وهما حالتى فلسطين ثم أفغانستان ثم البوسنة والهرسك منذ 1992م أي بنهاية الحرب الأفغانية وحتى كتابة هذه السطور، تثبت أن الغرب يمتلك هذه القدرة ، وهذا لا يطعن بأي حال في إخلاص المجاهدين وشجاعتهم وحسن نواياهم، ولكن ذلك كله لا يكفي بدون عقل يدبر ويخطط لاستثمار النتائج لصالح المسلمين أنفسهم وليس لصالح أعداء الإسلام.
4 ـ أخطأ الإخوان المسلمون عام 1948م في تقييم النظام المصري وحاول الشيخ حسن البنا أن يكسب الملك إلى صفة للعمل ضد الإنجليز.
وكان مجاهدوا الإخوان في فلسطين يعملون تحت إشراف مباشر من الجيش المصري وكانت النتيجة أن الملك فاروق هو الذي أمر باغتيال الشيخ حسن البنا ، وأن الجيش المصري هو الذي ألقى القبض على مجاهدي الإخوان .
وفي الحالة الأفغانية فإن الشيخ عبد ا عزام قد أحسن الظن في ضياء الحق ونظامه ، وأحسن الظن في نوايا الحكومة السعودية وموظفي إستخباراتها في باكستان، وظن الشيخ عزام ومعظم المتطوعين العرب أن أمريكا لا تستطيع أن تمد لهم يدا وأن باكستان أعجز من أن تتصدى لهم . فماذا كانت النتيجة ؟ ،أغتيل الشيخ في بيشاور بأوامر أمريكية وأيدي باكستانية ومساعدة إستخباراتية سعودية . أما الشباب العربي فقد تعرض لحملات متلاحقة خلعتهم من المنطقة كلها ـ ولم تترك إلا قليلا من الصامدين حتى الآن، وكانت الإستخبارات السعودية هي صاحبة اليد الطولى في مراقبة الشباب العرب في أفغانستان ، الذين إعتمدوا إلى أكبر حد على تبرعات أهل الخير من السعودية. وكانت تلك أكبر الثغرات التي دخل منها عملاء الحكومة السعودية. وكانت تلك المعلومات التى كدسوها ذات فائدة عظمى لباقي أجهزة المخابرات المتحالفة ضد المسلمين في أفغانستان بل وضد الإسلام في كل مكان.
....

الفصل الثاني

البحـ ـث عن الإخـ ـوان المسلمين

تدهورالوضع السياسى فى مصر بعد حرب فلسطين، وزادت التوتر الداخلى إلى درجة كبيرة. وأدرك الجميع أن انفجارا قادما لا محالة وأن التركيبة السياسية القائمة سوف تتغير.
كان النظام القائم ملكيا مع وجود أحزاب وحياة ديموقراطية ، ويسير النظام كله تحت إشراف دقيق من سلطات الإحتلال البريطانية . كان السفير البريطاني هو الحاكم الفعلي للبلاد أما وظيفة الملك فهي ترجمة الإرادة البريطانية إلى قرارات ملكية تقوم الحكومة بتنفيذها .
أما الحكومات المتعاقبة فكانت من أحزاب الأقلية التي تفوز دائما في انتخابات مزورة .
أما حزب الأغلبية الوفد فلا يحكم إلا برغبة بريطانية . أما القوة الشعبية الحقيقية الإخوان فكانوا خارج اللعبة السياسية تقريبا . كان الملك مستاءا من تهميشه لهذا طمع الإخوان في جذبه إلى صفهم والعمل سويا ضد الإحتلال . لكن الملك يدرك أن بريطانيا هي التي وضعته على عرش مصر وأنها القادرة على خلعه، فكان مدينا بوصفه الملكي لبريطانيا العظمى . وإمتعاضه منها لا يعني أنه قادر على المضي إلى حد الثورة عليها . لهذا عندما صدرت الإرادة البريطانية بإغتيال المرشد العام للإخوان ، لم يبطئ الملك فى إصدار أوامره إلى خاصة رجاله بتنفيذ العملية.

أضافت عملية الإغتيال مزيدا من الزيت على النار ، وكانت هزيمة فلسطين قد هزت وجدان الأمة وأشارت إلى مواطن الداء : الإحتلال الأوروبي والأنظمة العميلة .
أرادت بريطانيا إنقاذ الوضع بعملية تنفيس للضغط الشعبي المتزايد فسمحت لحزب الأغلبية بتشكيل الوزارة عسى أن يؤدي ذلك إلى إنفراج الأزمة السياسية . وحزب الأغلبية الذي وصل بعد طول إنتظار إلى الوزارة ـ منتهى آماله ـ وكان لا بد له من إتخاذ إجراء يضمن إلتفاف الشعب حوله ويلبي جزءا من مطالب الأمة المصرية .
طالبت حكومة الوفد بإلغاء اتفاقية عام 1936م التي تتيح لبريطانيا إحتلالا قانونيا لمصر والإحتفاظ بقواعد عسكرية ضخمة على ضفاف قناة السويس. عارض الإنجليز وهددوا فانفجر الشعب الساخط وبدأت حرب مقاومة ضد التواجد العسكري البريطاني في منطقة القناة .
واضطرت الحكومة ـ التي فجرب الموقف ـ إلى تملق التحرك الشعبي وركوب موجته لتحقيق مزيد من الشعبية ومزيد من الضغط علي الإنجليز . وأعطت الحكومة تسهيلات للمجاهدين وانخرط عدد من ضباط الجيش والشرطة في تدريب رجال المقاومة وتهريب الأسلحة والذخائر إليهم .
شملت المقاومة معظم التيارات الوطنية ولكن كان نجمها الساطع بلا منازع هم الإخوان المسلمون . فمعظم كوادرهم القتالية التي تكونت في حرب فلسطين مازالت سليمة ، وفتحت حكومة الوفد أبواب المعتقلات لهم ولغيرهم من الوطنيين كي يساهموا في حركة المقاومة .
إن عملية التنفيس البريطانية كادت أن تؤدي إلى ثورة ، وسعى الوفد إلى مزيد من الشعبية ، وموقعه على رأس الحكومة ، حوله إلى قائد لهذه الثورة التي تضم كل القوي الفاعلة في مصر،خاصة الإخوان المسلمين طليعة هذه القوى وأكثرها حيوية .
تصاعدت تهديدات الإنجليز والملك وخاف الملك من التمادي في اللعبة . فبدأ يتراجع ويسحب دعمه لحركة المقاومة المسلحة في قناة السويس وبدأت عملية تضييق وملاحقة . لكن مشاعر الثورة كانت تتزايد وخسر الوفد كثيرا من أوراقه الشعبية . وكان الإخوان أضعف من أن يتولوا زمام ثورة شعبية يقودونها ضد النظام بكافة أركانه الإنجليز والملك والحكومة .
كانت أمريكا حاضرة تماما على الساحة المصرية منذ حرب 1948م وراهنت منذ البداية على العسكريين لتولي السلطة في مصر عوضا عن الملك، على أن تحل هى محل بريطانيا.
وعوضا عن فوضى الديموقراطية والأحزاب يأتي الضباط بالقوانين الثورية والأحكام العرفية ، لتطهير مصر من كافة القوى الإسلامية والوطنية،التي قد تشكل مستقبلا عقبة أمام مشروع العصر: إسرائيل الكبرى .

تدريب فى صحراء بلبيس:

في تلك الأيام المليئة بالحماس والعمل والترقب ، وعمليات الفدائيين تتوالى ضد معسكرات الإنجليز على القناة، تعرفت على الإخوان المسلمين .
كان أخي الأكبر أحد متدربي معسكر الإخوان القريب من بلدتنا "بلبيس" ، البلدة الصغيرة ذات العلاقات الإجتماعية الدافئة،والواقعة على حافة إلتقاء الصحراء،مع أراضى رائعة الخصوبة متصلة مع دلتا النيل.فى موقع جغرافى عبقرى يربط مابين القاهرة وصحراء سيناء عبر قناة السويس.
لذا كانت المدينة الصغيرة معبرا تاريخيا لقوافل التجارة وجيوش الغزو...وعبور الأديان،من العائلة المقدسة وحتى جيوش الفتح الإسلامى.
{فى بلدة كهذه،يانعة كنبتة خضراء على حافة الصحراء من السهل أن يدرك المرء أن الموت ليس النهاية،

وأن الشهادة بشرى حبيبة، يتمناها طوال حياته حتى يتوقف قلبه عن النبض. بشرى غالية، لحياة أبدية فى نعيم لا ينفذ}.

* أخذني أخي الأكبر ذات يوم إلى شعبة الإخوان المسلمين وسجلت إسمي في قسم الأشبال .
كنت أصغر أعضاء الأشبال عمراً ، "6 سنوات تقريبا" وبالطبع كنت أقصرهم قامة ،
فضمن لي ذلك أن أكون دائما في مقدمة طابور الأشبال أثناءمسيراتنا إلى خارج البلدة في الصحراء حيث نحفظ قصار السور ، ويقص علينا(الأخ مسعد) مسؤول الأشبال، وهو في عمر أخي الأكبر ومن أصدقائه ، يقص علينا قصص من السيرة والغزوات .
كان الإسلام الذي تلقيناه في قسم الأشبال بالإخوان على يد الأخ مسعد يختلف عما ألفناه في بلدتنا. كان إسلام البلدة عبارة عن طقوس وإحتفالات وقصص أكثرها يثير الرهبة مع كثير من التشويش.
ورغم أعمارنا الصغيرة إلا أننا أدركنا أن الإسلام أكثر عمقا وجدية عما تعلمناه في البلدة سواء من الأهل أو المشايخ في الكتاتيب أو المدارس الحكومية .
كانت الرؤية الإسلامية للإخوان ـ والتي صاغها الشيخ حسن البنا ـ متكاملة ومحكمة ، عبر عنها شعارهم المشهور والجامع :
"الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا".
ورغم مرور نصف قرن من الزمان منذ أن تعلمت الإسلام بهذه الطريقة ، فإنني لا أتصور فهما أفضل وأعمق للإسلام خارج تلك الحلقات الخمس المترابطة (الله ،الرسول ، القرآن ، الجهاد، الشهادة) قد يبدو فهم هذه المعاني شيئا عسيرا بالنسبة لطفل في السادسة من العمر. لكن هناك عاملان ساهما في أن تكون المهمة سهلة ويسيرة . العامل الأول هو الحالة الجهادية التي كنا نحياها وتحيط بنا من كل جانب . عمليات الفدائيين كما كان يطلق عليهم آنذاك كانت حديث المجالس في كل ساعة . ومسرحها لا يبعد كثيرا عن بلدتنا . وهناك معسكرات في الصحراء على حافة البلدة يتدرب فيها إخوتنا الكبار ، ورجال من البلدة . هناك أسلحة تنقل سرا وتخبأ بعيدا عن أعين جواسيس الإنجليز والحكومة بعدما غيرت موقفها من أحداث القناة . وشارك في تلك النشاطات ليس الإخوان فقط بل أفراد كثيرون من أعمار ومهن وطبقات اجتماعية متباينة .
شارك في الأحداث أطفال ورجال ونساء ، شارك بها طلاب وفلاحون وعمال ومتعطلون .
وحتى بعض أبناء الليل جرفهم الحماس ، بعضهم تاب إلى الله على يد شباب الإخوان وشارك معهم في العمليات وأدوا أدوارا بارزة واستشهد بعضهم .
منذ فجر التاريخ والموت هو أهم الأحداث في حياة المصريين . ومازال كذلك خاصة في الريف . لهذا كانت مراسم إستقبال بلدتنا لجثث الشهداء مهيبا وتقشعر له أبداننا كأطفال .
وخلافا للمراسم المأساوية للجنازات في مصر ، كانت مراسم تأبين الشهداء حماسية وتثير حمية العامة للجهاد ـ هكذا كانوا يطلقون على القتال ضد الإنجليز في الأوساط الشعبية ـ وكان الخطباء يتبارون في الإشادة بمآثر الشهداء ويدعون الناس إلى الإنخراط في كتائب المجاهدين .
كان هذا هو الجو العام ـ جو يعبق بأريج الجهاد ـ فما كان أيسر أن نفهم ـ رغم حداثة عمرنا ـ ذلك المفهوم الرائع للإسلام والذي صاغه حسن البنا في شعاره الشهير . لقد رأينا الشعار يطبق أمام أعيننا من مئات وآلاف الأشخاص من حولنا ـ من الإخوة والأهل والجيران ـ ومن آخرين قدموا من أعماق البلاد في طريقهم إلى القناة للجهاد ضد الإنجليز.
ما كان يمكن لنا أن نفهم بغير هذه الطريقة التي وصلت إلى قلوبنا عبر ما لا يحصى من

الأمثلة العملية والمجسدة في أهلنا ومن حولنا من الجيران .
إن الكتب والمحاضرات ليست سوى زاد فكري للصفوة ، أما البشر الذين يجسدون في حياتهم بين الناس مبادئ الدين فهم حقا الوسيلة الأمثل لنشر الدين على الأرض .
العامل الثاني الذي ساعد في تيسير ذلك الفهم علينا رغم الطفولة وحداثة السن، هو شخصية الأخ مسعد المسؤول عنا في شعبة الأشبال ، كان بالنسبة لنا عملاقا مهيبا رغم أن عمره لا يتجاوز السابعة عشر فقط . كان هادئا حازما حنونا ويعتبرنا مهمته المقدسة . وبقدر الأهمية التي أولاها لنا زادت أهمية الأخ مسعد لدى كل أشبال الشعبة ، وكانت أهميته وهيبته لدى الأشبال تأتي قبل هيبة الأب أو الأم .
كان لنا معه عدة لقاءات كل أسبوع ، يبدأ أغلبها بصلاة الفجر جماعة في الشعبة ، ثم مسيرة طويلة في الصحراء خارج البلدة . ثم تمارين في الزحف وعبور الموانع الطبيعية المناسبة لنا، ثم دروس في القرآن والسيرة والغزوات. كان ذلك أحب اللقاءات إلى نفسي. ولقاءات أخرى بعد العصر للدروس وتمارين على الخطابة ـ بالطبع كانت محاولاتنا مضحكة جدا ـ لكنه كان يأخذها بجدية تامة ويعطينا إرشاداته لتحسين مستوانا . ثم يضيف فقرته الأخيرة ـ وهي أشق الفقرات على أنفسنا ـ في تنبيه كل شبل إلى أخطائه ـ فقد كنا نخشى من تأنيب الأخ مسعد رغم أدبه ورقته لكنه كان أشد على نفوسنا من صفعات وركلات الأهل في تأديبهم لنا .
بعد إنقلاب الجيش في يوليو1952م شعرت بتغير كبير في الشعبة ونقص في الحماس وشيء من الإضطراب لم أفهم له سببا .
وترك أخي الأكبر الإخوان، بينما بقيت مع الأشبال حتى إعتقالات 1954م. وإن كان ذهابى أصبح نادرا . ثم جاءت الإعتقالات وكان أكثر ما هزني تلك الأنباء التي وصلت إلى البلدة عن التعذيب المخيف الذي نزل بالإخوان، وأصابتنا بالكمد تلك الأخبار عن الأخ مسعد وأنه تعرض للإنهيار نتيجة التعذيب في المعتقل .
لقد شاهدنا أو عاصرنا حروبا أخرى مع اليهود ، وكنا نفتقد الإسلام في تلك الحروب ، وكان ذلك مترجما في إفتقاد الإخوان . إختفي مصطلح الجهاد من الحياة العامة ، واقتصر الإلتزام الديني إلى داخل الحدود الضيقة التي تسمح بها حكومة الثورة . والإنتماء إلى جماعة الإخوان كان إتهاما كفيلا بتدمير المتهم وعائلته والمحيطين به .
عاصرنا حرب 1956م ثم حرب 1967م وهزيمتها الشنعاء ثم حرب الإستنزاف على ضفاف القناة بين مصر وإسرائيل ثم ثورة العمل الفدائي الفلسطيني.
ومع أوائل السبعينات بدأ نشاط الإخوان من جديد لكنهم لم يظهروا على مسرح الحرب التالية في عام 1973م . كذلك لم يظهروا على الساحة اللبنانية، التي كانت بؤرة الصراع في المنطقة العربية بين جميع التيارات الحزبية والعقائدية، بما فيها المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية، بعد أن نجحت (الأنظمة العلمانية والمرتدة) في تحجيم القضية الفلسطينية على مراحل فمن قضية إسلامية إلى قضية عربية ثم أخيرا قضية وطنية خاصة بالفلسطينيين أنفسهم ـ وينوب عنهم ياسرعرفات رئيس منظمة التحرير التي أعطاها(القوميون) صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .
وأخيرا في أيام قريبة من وقتنا هذا وقع عرفات وثيقة الإستسلام ورضى أن يكون هو والمنظمة

مجرد قوات أمن لحماية إسرائيل ومركز تلك القوات غزة وأريحا .
غاب الإخوان ـ أو غيبوا ـ عن كل تلك الأحداث طوال تلك المدة وغاب الإسلام معهم .
ولكنهم عادوا في بداية السبعينات كما ذكرنا ، وكما تبدلت معالم المنطقة وأوضاعها السياسية والإقتصادية والفكرية . كذلك تغير الإخوان ... تغيروا كثيرا ...
فليسوا هم أولئك الفرسان الذين قاتلوا في فلسطين ، وليسوا هم أولئك المجاهدين الأبطال على ضفاف القناة ... إنهم قوم آخرون ... جدد في كل شيء ... و في خلقه شؤون .
مع بداية السبعينات كنت في حالة مناقضة تماما لذلك العصر الذهبي لفترة الأشبال . فبعد نكبة الإخوان عام 1954م بدأت فترة مظلمة لكل شعب مصر بعد أن أجبرته الثورة على السير في عكس طريق الإسلام . لقد سافرت في رحلة طويلة داخل بحر الظلمات الذي فرضته الثورة فيما عدا نوبات متقطعة من الإلتزام بالصلاة، ذابت كل الإلتزامات بالإسلام . وحتى قبل أن أبدأ في دراستي الجامعية كنت قد توقفت تماما عن الصلاة والصوم . وحسبت نفسي من يومها أقرب إلى (الماركسية) بحكم صداقات عديدة تكونت في تلك الفترة مع يساريين من مصر .
وكانت اليسارية بتياراتها المختلفة هي (الموضة) الشائعة في مصر بين شبابها المثقف، فالتعليم الرسمي لم يكن يقدم عن الدين سوى شذرات لا رابط بينها ولا تمس جوهر العقيدة الدينية .
وفي الحياة العامة إندثرت الثقافة الدينية فيما عدا ما تنتجه المؤسسة الدينية الرسمية تحت إشراف أجهزة النظام الأمنية . إضافة للممارسات الشعبية الأقرب إلى (الفلكلور) . فكان على طالبي الثقافة أن ينحرفوا يسارا حيث الكتب تملأ المكتبات يقتنيها المقتدرون ، وعلى سور الأزبكية يوجد ما لا يحصى من الكتب المستعملة معروض بأرخص الأسعار . لم يكن صعبا أن يصبح أي متعلم مثقفا يساريا في تلك الظروف . وكانت شعارات الثورة وخطابات الزعيم تملأ الأسماع والعيون ، بل يتنفسها كل فرد طوال يومه وحتى في الكوابيس التي تنتابه أثناء الليل.
كانت هزيمة 1967م هي أقسى الصدمات في حياة جيلنا . وما زالت تداعيات تلك الهزيمة تؤثر في حياتنا وفكرنا كأفراد وكأمة، وستظل كذلك إلى النهاية ، نهاية الصراع وتسوية الحسابات النهائية بين المسلمين واليهود. لقد زلزلت الكارثة كل المفاهيم السائدة في المنطقة،وبدأت الأجيال المعاصرة في البحث من جديد عن هويتها الحقيقية .
من تلك الزاوية كانت هزيمة يونيو 1967م نعمة عظمي على المنطقة العربية لأنها كانت الثغرة التي عادت منهاالشعوب ـ خاصة الشباب ـ إلى الإسلام من جديد.
كانت السبعينات هي بداية العودة المكثفة من جانب الشباب إلى الإسلام ، كانت عودة مبعثها الرئيسي التحدي اليهودي للإسلام على أرض الإسلام وعقر داره.لقد دعمت الصليبية الدولية بكل عنفوانها ذلك التحدي اليهودي وأمدته بحبال القوة والتمكين ، ورأس الرمح لهذا الكيد كله كانت الأنظمة غيرالاسلامية التي حكمت بلاد المسلمين بإسم الوطنية وغيرها من الإدعاءات والصيغ الغربية. فكان من الطبيعي أن يكون الجهاد هو الشعار والأسلوب والأداة لمواجهة هذا التحدى المصيري .
وكان من المفروض أن يكون في الطليعة الإخوان المسلمون ، فهم الركيزة التي إنطلق منها ذلك الإنبعاث الإسلامي الجديد ـ أو حسب الإصطلاح الشائع الصحوة الإسلامية ـ ولكن عوامل عديدة تراكمت على الإخوان وجعلت حركتهم أبطأ وتصورهم أعجز ووسائلهم أدنى من متطلبات مرحلة التحدي . وفورة الحماس المنبعث من ركام الهزيمة التي ألهبت مشاعر الأمة ـ

والشباب خاصة ـ وحفزتهم إلى المواجهة والجهاد .
لقد أصابت عوامل الشيخوخة حركة الإخوان المسلمين ، وحاولوا فرض عجز الشيخوخة وترددها على الإنبعاث الجديد للشباب بدلا من أن يزودوه بحكمة السنين وخلاصة التجارب.
فكان الطلاق النكد بين الإخوان الجدد، وتيار الشباب الإسلامى. فأدان الإخوان حماسة الشباب، وأدان الشباب عجز الإخوان وبدلا من التكامل ساد الشك والقطيعة. وتضاربت الجهود لتضيف عنصرا سلبيا على الساحة الإسلامية المليئة بالسلبيات، والتي تنوء بثقل التحديات المفروضة على التواجد الديني على أراضي العرب والمسلمين .
مضت عدة سنوات على الحرب في أفغانستان وبعد معاملات كثيرة مع الإخوان المسلمين ثم تعاملات أخرى مع الشباب الوافد إلى أفغانستان من مختلف البلاد ومختلف التيارات الإسلامية إتضحت تدريجيا ـ بالنسبة لي ـ الصورة العامة على ساحة العمل الإسلامي .
ولما كانت نتائج تلك المعاملات سلبية في الغالب، فقد خرجت باستنتاج مفاده أن التحدي الأساسي أمام العمل الإسلامي هو التحدي الداخلي، وما لم ينتصر العمل الإسلامي ـ كطليعة للأمة ـ على نفسه وسلبياته الذاتية فلن يستطيع الإنتصار في التحدي الرئيسي على الساحة الخارجية أي التحدي الصليبي ـ اليهودي.
وسوف ترد في ثنايا هذا الكتاب أطراف من تلك التعاملات مع تيارات إسلامية عربية ـ وأفغانية ـ علما بأن القليل منها كان إيجابيا لدرجة كبيرة. وقد يكون ذلك مفيدا في تقييم العمل الإسلامي في تلك الفترة والتعرف على جوانب الضعف والقوة فيه .
أخذتني هزيمة 1967م إلى شاطئ الإسلام من جديد وكان ذلك في عام 1975م. كانت رحلة شاقة، ولكن فرحة العودة كانت رائعة . وبدأت محاولة البحث عن المكونات الإسلامية القديمة.
فالإسلام يعني الإخوان ، والإخوان تعني ا والرسول والقرآن والجهاد والشهادة .
فهكذا تركتهم في تلك الأيام القديمة في الخمسينات .

إسلام المترفين:

كنت أعمل في أبو ظبي وكانت مساجدها نشطة وعامرة بالنشاط الثقافي والمحاضرات والضيوف من بلاد عديدة يلقون المحاضرات الإسلامية. كان ذلك ممتعا لي في ذلك الوقت، ولكنه لم يكن كافيا ، فما أبحث عنه غير موجود . ومناخ دولة الإمارات إجتماعيا هو مناخ تجاري للباحثين عن جمع المال، وليس من مجال لظهور تيارات سياسية أو دينية بأي حال.
حاولت أن أسأل من حولي عن الإخوان والجهاد وفلسطين وكانت الإجابات لا تشفي الغليل.
وبدت لي ساحة العمل الإسلامي خاوية رغم النشاط المسجدي الذي أراه حولي، ورغم الأخبار من مصر عن صحوة فوارة بين الشباب ، وتيارات جديدة تنبت في الجامعات، لا أدري ما علاقتها بالإخوان ولكني لم أتصور إلا كونها إحدى نتاج نشاطهم الجديد في مصر.
كانت فرحة العودة والشباب ورغد العيش تدفعني إلى الإجتهاد، فأطيل المكوث في المساجد وأحضر من المحاضرات ما استطعت، وذهبت إلى الحج مرتين. ولكني ما زلت أشعر بالفراغ وبأن هذا النوع من(إسلام المترفين) كما أسميته لا يصلح لي بحكم ما تعلمته في طفولتي المبكرة..
فأين الجهاد في سبيل ا ؟. وهل يجاهد الإخوان ضد اليهود في فلسطين إنطلاقا من الأردن أو لبنان؟.
وهل يعملون منفردين أو تحت غطاء منظمة أخرى؟ وكيف يمكن أن أعثرعليهم وأعمل معهم ؟.
كنت متأكدا أنهم يعملون ضد اليهود في فلسطين وأنني سأعثر عليهم في مكان ما بطريقة ما

وأعمل معهم في الجهاد .
وحدثت معي عدة مواقف فهمت بعدها أنني مثل أهل الكهف الذين ناموا في كهفهم مئات السنين و كانت الدنيا من حولهم قد تبدلت وهم لا يشعرون. بعد تلك المواقف أدركت أن خريطة العمل الإسلامي أصبحت معقدة ولم تعد بسيطة ومباشرة كما كنت أتخيلها ، كان في ذهني ثلاثة عناصر فقط إسلام ـ إخوان ـ جهاد . ولكن الأحداث أثبتت سذاجة هذا التصور .

الموقف الأول

قامت جماعة التبليغ بزيارة المسجد القريب من بيتي وألقى متحدثوهم مواعظ رقيقة وبسيطة ومؤثرة. ثم قام أميرهم بدعوة الحضور بالخروج معهم في سبيل ا ونشر الدعوة. هزتني الكلمة وكأنها صدمة كهرباء ... أخيرا ... ما أعياني البحث عنه يأتي إلى عندي هكذا ببساطة .. لم أصدق نفسي ولم أنم لعدة ليال ..كنت أفكر في ترتيب أوضاعي تمهيدا للسفر مع الجماعة للجهاد في سبيل ا . وقررت الخروج مع الجماعة وقررت ما سوف أفعله بالنسبة للأسرة والعمل .
وفي الأسبوع التالي عادت الجماعة إلى المسجد ودعوت الأمير وعددا منهم إلى بيتي كي أفهم منه تفاصيل ذلك الخروج في سبيل ا . واكتشفت مؤخرا أنه سياحة واسعة في البلاد لدعوة الناس إلى الإسلام . ورغم عظمة العمل إلا أنني شعرت بالإحباط ، فليس هذا ما أبحث عنه. وشعرت أن الإسم أكبر من حجم العمل ـ على أهميتة ـ وأحزنني أن يطلق إسم الخروج فى سبيل ا على شيء آخر غير القتال في سبيل ا ، وتذكرت قوله تعالى(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) وعدت إلى البحث من جديد .

الموقف الثاني

كان عبد الرحيم زميلا لي في الدراسة الثانوية وقابلته بعد إنقطاع سنوات طويلة وهو يعمل مهندساً طيارا في الإمارات . وكان قد إهتدى إلى الإسلام في وقت مبكر من شبابه ـ سابقا إياي بعدة سنوات ـ كما أنه إجتهد في تحصيل العلوم الشرعية ، فاعتبرته لذاك مرجعية دينية بالنسبة لي. زرته يوما في بيته مهموما أسأله عن الجهاد وكيف السبيل إلى فلسطين أو لبنان، كانت الحرب الأهلية هناك قد بدأت وذبح الكثير من المسلمين، أو إرتريا وكانت أخبار تأتي من هناك عن مسلمين وجهاد .
كان رأيه أن المنظمات الفلسطينية تعتنق الشيوعية فلا يجوز القتال معها ، وفي كل الأماكن الأخرى فإن الرايات عمية وملعون من يقاتل تحت راية عمية. ثم أن إصلاح حال المسلمين يبدأ بإصلاح الفرد المسلم والأسرة المسلمة وبالتالي سوف ينصلح المجتمع ويسود فيه قانون الإسلام ـ ويومها نستطيع أن نجاهد اليهود وغيرهم ـ . ولما كان الجهاد هو ذروة سنام الإسلام ، فإن المجاهد لا بد أن يبلغ ذروة الكمال في تطبيق الإسلام من فرائض وسنن ، وأن يطاع ا تمام الطاعة وتجتنب نواهيه تمام الإجتناب . وإلا فإن أي معصية سوف تؤدي إلى هزيمة ، وأي زيغ في النية سوف يهوي بصاحبها في قاع جهنم رغما عما تكبده من مشقة حيث أن عمله قد أحبط . جادلته بما أملك من حجة : إذا كان هؤلاء راياتهم شيوعية والآخرون رايتهم عمية ، فلماذا لا نتحرك ونضع لأنفسنا راية إسلامية ؟ . وإذا كان تحويل المجتمات يتم بطريقة ميكانيكية من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع إلى النظام الإسلامي ، فلماذا لم يكن الأمر كذلك مع رسولنا (ص) ولماذا تكبد وأصحابه كل تلك المشاق والمعارك والدماء ؟ إذن المسألة ليست تحويلا ميكانيكيا للمجتمع ، بل مسألة صراع بالكلمة والسيف حتى يتم التغيير

المنشود .
أما عن المجاهد وكونه قمة شامخة في دنيا الإسلام فهذا يستحيل تقريبا على كل أو معظم المسلمين. وهذا يعني عمليا إيقاف الجهاد لأن الناس ليسوا في المستوى اللائق وعليهم قضاء فترات أطول ـ قد لا تتسع لها أعمارهم المحدودة ـ للوصول إلى تلك المستويات السامقة التي قد لا يبلغها غير الأنبياء والصديقين. وهذا يعني في واقع الأمر إيقاف الجهاد أو إلغائه، وترك الأمة فريسة لأعدائها . إن هذا المنطق فيه تحايل على إلغاء تلك الفريضة،فبينما يعترف بها ويبجلها نظريا، يضع الشروط الكفيلة بإلغائها عمليا .
أجاب صديقي إجابة شافية وافية لم تدع مجالا لمزيد من النقاش فقال : "أنت تتكلم بالرأي وليس بالدليل الشرعي". ومعنى ذلك أن كل حججي التي إجتهدت في حشدها، تعتبر لاغية وكأنها لم تكن، وهكذا توقف الحوار، وشعرت بمزيد من العزلة. وقد صادفتني بعد ذلك بسنوات: على أرض أفغانستان ـ ومع الشباب العرب تلك المواجهة الغريبة والقاطعة بين الرأي و الدليل الشرعي. وكان أعجبها في معركة جلال آباد ، كما سيأتي ذكرها لاحقا، عندما نصحت بعضهم أن المعركة غير صحيحة عسكريا،فأجاب أنها واجبة شرعا واتهمني بأنني أتكلم بالرأي وليس بالدليل الشرعي.وكانت النتيجة أننا ـ كعرب ـ دفنا في جلال آباد أكبر عدد من الشهداء في أفغانستان .
وما زلت حتى الآن أخسر معظم المعارك بين الرأي و الدليل الشرعي ولم أفهم حتى الآن حاجة الإجراء التكتيكي في ميدان المعركة أو الخطة الإستراتيجية لدى القيادة، إلى دليل شرعي يثبت صحتها، إذا كانت هي نفسها لم تخالف قاعدة شرعية إسلامية معروفة .

الموقف الثالث □

في الخامس عشر من مارس 1978م هاجمت إسرائيل جنوب لبنان ووقعت معارك شديدة بينهم وبين أهل الجنوب والمنظمات الفدائية الفلسطينية هناك . كالعادة كانت خسائر العرب شديدة ، لكنهم هذه المرة أصابوا اليهود وعرقلوا تقدمهم بشكل لم يكن متوقعا، أدى إلى إطالة مدة القتال.وأتاح ذلك فرصة لاشتعال الحماس لدى الشعوب العربية ـ خاصة بعد ما أحدثته زيارة السادات للقدس وتراجعاته الحثيثة أمام اليهود سياسيا.
فتحت مكاتب منظمة التحرير مكاتبها لقبول المتطوعين العرب. وكتب الشيخ أحمد ابن عبدالعزيز مبارك رئيس المحاكم الشرعية في أبو ظبي فتوى شرعية نشرت في صحيفة الإتحاد يبين فيها أن الجهاد إلى جانب الفلسطينيين وضد اليهود أصبح فرض عين على كل مسلم .
كان هذا ما أنتظره وعزمت على الرحيل إلى لبنان للجهاد .
مرة أخرى صديقي عبد الرحيم طالبني بالتريث ، قائلا بأن رأي الشيخ أحمد ليس قطعيا ولا ملزما ، ويجب أن أستفتي المزيد من العلماء . وأن ضيفا سيأتيه، وهو من علماء وزارة الأوقاف، وسوف نسأله . وفعلا جاء الرجل ولكنه طلب مهلة إلى يوم الإثنين مساء ، لأن المشايخ سوف يجتمعون في ذلك اليوم لمناقشة فتوى الشيخ أحمد وإصدار حكمهم في الموضوع . لم أكد أذق طعم النوم ليومين حتى جاءنا الشيخ بالحكم في القضية ... فقال:
لقد إجتمع المشايخ وقرروا أن رأي الشيخ أحمد صحيح وأن الجهاد فرض عين في هذه الحالة. وعليه فمن أراد أن يذهب للجهاد فلا إثم عليه ، ولكن في نفس الوقت فإن الرايات المرفوعة هناك ليست إسلامية ، وهي إما شيوعية أو قومية وعلى هذا فلا يجوز القتال تحت هذه الرايات،

لذلك فمن أراد القعود فلا إثم عليه.
كانت صدمة جديدة ، وحيرة أشد ، كيف يفتينا الشيخ بشيئين متناقضين ومتعارضين في وقت واحد وفي نفس القضية ؟ ... كيف يكون الجهاد فرض عين ثم يترك الخيار لكل شخص، فمن ذهب فلا إثم عليه ومن قعد فلا إثم عليه؟ . لقد وضعوني على مفرق الطريق وطالبوني أن أتصرف كما أرى، فأين الفتوى ؟. وصديقي عبد الرحيم زاد موقفي سوءا برأي جديد أضافه ، فقال : طبقا لمهنتي كمهندس طيار فإنني أعلم أن الطيران الإسرائيلي لديه القدرة على أن يصيب بالصواريخ منتصف الخط الأبيض الذي يقسم مدرج الطائرات . ونحن مأمورون شرعا بالإعداد لقتال العدو فأين هو الإعداد ؟ . وإذا كانت الجيوش العربية جميعها لا تستطيع مواجهة إسرائيل، فماذا يملك الفدائيون؟. إن إسرائيل تمتلك إلى جانب الطائرات المتفوقة ، القنابل الذرية أيضاً. والنتيجة أن علينا شرعا واجب الإعداد حتى نتساوى معهم أو قريبا منهم .
وكانت ليلة عصيبة مرهقة بسبب صديقي ومشايخ الأوقاف. وأخيرا جاء الفرج على يد الشيخ حسن البنا، أقصد الشيخ(عبد البديع صقر) الذي عمل سكرتيرا خاصا للشيخ البنا لمدة عشر سنوات . وكان شخصية محترمة من الجميع ، لا يجامل ، ذو طابع عملي دؤوب، خرج من مصر عام 1954م فارا من إعتقالات عبد الناصر للإخوان ، ورغم أننا ننتمي إلى محافظة واحدة في مصر إلا أنني لم أتعرف عليه إلا عام 1973م في دبي . وكنت أكن له إحتراما كبيرا. تصادف وجوده في المدينة وقت أزمتي تلك فاستشرته فيها، فأشار علي بالذهاب للجهاد بلا تردد وقال: "إذهب يا بني فالجهاد فرض عين، وقاتل مع فتح فربما وجدتبها إسلاميين وإذا قتلت فسوف تبعث على نيتك. ولا تخش بأسا على أولادك فقد رأينا بالتجرب أن أبناء الشهداء يكونون أغنى وأسعد الأبناء" .
أخذت نفسا عميقا وكأن صخرة ثقيلة قد إنزاحت من فوق صدري . وإنفتح أمامي طريق مبارك رائع ما زلت أسير فيه منذ سمعت تلك الكلمات المخلصة من الشيخ الحبيب (رحمه ا).

رحلة سرية إلى لبنان:

مع صديقي إسماعيل، بدأنا الرحلة من أبو ظبي، صوب جنوب لبنان. قررنا السفر إلى بيروت منفردين عن غير طريق منظمة التحرير لذلك لم نسجل أسماءنا في مكتبهم في أبو ظبي.
ظننا أن ذلك سيكون أكثر أمنا كما أننا توقعنا أن يتصرفوا فينا كما يشاءون وقد يرسلوننا إلى منظمة شيوعية فتكون مشكلة ـ وكان كلانا ملتحيا بشكل أنيق وعصري . وأخذ كل منا مبلغا من المال لنشتري سلاحا من بيروت، هكذا قدرنا، فالعاصمة اللبنانية جميع من فيها مسلح ويمكن في تقديرنا شراء سلاح بسهولة. أما التوجه إلى الجنوب فليس من الصعب تدبيره.
وهناك سوف نلتحق مباشرة بمراكز الفدائيين .
كانت تصورات ساذجة، لكن هكذا كنا نفكر، فالتجربة نخوضها لأول مرة على أرض بلد لم نره قبلا مع أناس لا نعلم عنهم شيئا تقريبا. وقد تكررت معنا التصورات الساذجة مرات عديدة في السنوات التالية ، كما رأينا غيرنا يسقط فيها. وربما يفيد أن نورد بعضها في هذا الكتاب، فقد يفيد ذلك الأجيال التالية في عملها أو في تقييم عمل جيلنا في هذا الزمان.
كنا نحترس من أن تعلم السلطات المصرية بأمرنا ـ فالحكومة هناك بدأت مسيرة السلام ، وأصبحت إسرائيل بالنسبة لهم ـ دولة صديقة ـ ، هذا إضافة إلى الحساسية التقليدية للنظام المصري من العمل الجهادي ـ خاصة إذا كان ضد اليهود. وتجربة الإخوان في فلسطين

كانت نموذجا لسياسة الدولة المصرية في كل العهود الملكي أو الثوري، في مجابهة المجاهدين وتصفيتهم .
وكنا نقدر أيضا أن منظمة التحرير إنما هي ألعوبة للأنظمة العربية وأنها مخترقة بكافة أنظمة الإستخبارات في المنطقة، حتى اليهودية منها. وكانت الإغتيالات التي حدثت لقادة المقاومة في بيروت وعمليات الكوماندوز الإسرائيلي ضد قواعد الفدائيين في جنوب لبنان شواهد لا تحتاج إلى توضيح على مدى عمق الإختراقات الأمنية للمنظمة .
لهذا تفادينا الإتصال بمكاتب المنظمة وأردنا الوصول إلى الخط الأول مباشرة . كانت المفاجأة الأولى أن الطائرة التي ركبناها كان معظم ركابها من شباب المتطوعين من الفلسطينيين المقيمين في دولة الإمارات وكثير منهم يعرف إسماعيل، وهو شاب رياضي و كابتن فريق للكرة الطائرة وذو علاقات اجتماعية واسعة ـ وبعضهم عرفني.وهكذا وبصفتنا المصريين الوحيدين على الطائرة وأيضا في كل المتطوعين في هذه الأزمة على حد علمنا ، فقد كنا موضع حفاوة وإهتمام من الجميع وبدلا من التخفي وجدنا أنفسنا فجأة تحت الأضواء .
مرة أخرى على الحدود السورية ـ اللبنانية في منطقة المعمل إحتجزت المخابرات السورية جميع المتطوعين ـ ونحن معهم ـ واصطحبوا الجميع إلى مبنى ضخم لعدة ساعات تم فيها تصوير كل شخص على حدة ، وتحويل (الجوازات) إلى غرفة خاصة لفحصها وتصويرها .
أثار هذا تذمر الشباب ، ونمنا الليلة داخل الباص ونحن جلوس على المقاعد في جو درجة حرارته تحت الصفر، وسط الثلوج . ولم تكن معنا ملابس مناسبة ونحن قادمون من مناطق حارة لا تعرف الشتاء تقريبا .
وهمست في أذن إسماعيل بأننا قد أصبحنا في سجلات المخابرات السورية وهذا لا يبشر بخير ، ومن الأفضل ألا نفكر في زيارة سوريا مرة أخرى . وبالفعل فقد إكتشف إسماعيل بعد عشر سنوات تقريبا بأن إسمينا قد كتبا متتابعين على قائمة واحدة "سوداء" ، وقد أخبره بذلك أقارب زوجته السورية التي تزوجها في وقت لاحق . كان صعبا أن يصدق إسماعيل ذلك في وقتها ومكاتب المنظمة تعمل بحرية في دمشق، والإذاعة السورية لا تمل من الحديث عن الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني . وصلنا دمشق وزرنا مكاتب المنظمة بدون اعتراض من أحد أو حتى تسجيل أسماء أو التقاط صور .
وإلى هذا الوقت لا أدري لماذا وضعت المخابرات السورية اسمينا في القائمة السوداء .
وبعد أربعة عشر عاماً من هذه الواقعة وجدت إسمي أيضا في قائمة سوداء لدى السلطات الباكستانية في أعقاب إنتهاء الجهاد في أفغانستان عام 1992م . ومازلت لا أدري بالضبط الدافع وراء هذا العمل، فلم أرتكب أية جرائم ضد كلا البلدين سوى العبور من أراضيها بطريقة رسمية تماماً للجهاد في الدولة المجاورة ضد اليهود تارة وضد السوفييت والشيوعيين تارة أخرى .
إن الحكومات(العلمانية) و الوطنية ـ لن تتسامح على الإطلاق مع التحرك الجهادي حتى وإن إلتقت مصالحها معه بشكل مؤقت. إن تصفية العمل الجهادي خاصة، والإسلامي عامة، هو قضية مصيرية بالنسبة لتلك الحكومات، وبنفس القدر الذي تشعر به القوى اليهودية والصليبية.
إن هذه الحقيقة على بساطتها تبدو أحيانا مستعصية على أفهام معظم المسلمين . ونشاهد الآن كيف أن مجاهدي كشمير وقطاع من مجاهدي باكستان الذين شاركوا في جهاد أفغانستان مازالوا يعملون بتنسيق كامل مع المخابرات الباكستانية في قضية كشمير ، رغم علمهم بمعاداة حكومة

(بي نظير بوتو) للإسلام بشكل واضح وتصفيتها للتواجد العربي الجهادي في بيشاور وتحطيمها لأفغانستان وشعبها، بدعمها للحرب الأهلية في كابل مع إضطهاد المهاجرين والتضييق عليهم، على الحدود وفي داخل البلاد .
كما نشاهد حاليا خروج الشباب من السعودية للجهاد في البوسنة، تحت إشراف وتشجيع حكومة بلادهم، والتي لا يخفى دورها في مقاومة العمل الإسلامي في أرجاء المعمورة .
إن التسهيلات والإبتسامات التي قد تمنحها هذه الحكومة أو تلك لهذا الفصيل أو ذاك من العمل الإسلامي، ما هي إلا إستدراج حتى يحين الوقت المناسب للذبح عندما تنتهي فترة المصالح العابرة .
لفت نظري في بيروت إتساع العمل الإداري للمنظمة ودقته ، فقد سلمنا وثائق السفر الجوازات في أحد المكاتب التي يعمل بها عدد كبير من الموظفين، كأي هيئة جوازات في دولة، وعندما إنتقلنا إلى الجنوب في وقت لاحق، إكتشفنا أن وثائقنا قد إنتقلت إلى مقر القيادة في صيدا .
كان من الواضح أن لدى المنظمة و فتح، وفرة في الكوادر المؤهلة في الإدارة كما في العمل العسكري أو الثقافي .
كانت المعركة في الجنوب قد هدأت ـ ولكن لم تتوقف ـ ولم يستطع اليهود تجاوز جنوب مدينة صور حيث أوقفتهم المقاومة الفلسطينية. كان الحماس في الذروة . ورغما عن الحماس والتأهيل العالي والإنضباط الواضح في القطاعات التي تعاملنا معها، إلا أنني شعرت أن العمل كان خاويا،لم أشعر بحرارة الإيمان ولا يكاد يظهر للإسلام أثر في كل هذا الخضم من النشاط والحركة. فنادرا ما وجدت مصليا ، لذا حاولوا تعويض هذا النقص بزيادة الصراخ والأناشيد الحماسية .
أما إحتياطاتهم الأمنية فكانت ملموسة، ولعدة مرات تم تصويرنا بحجة إستخراج هويات ـ وهو ما لم يحدث بالمرة. واكتشفوا بالفعل عددا من (العملاء) في دفعتنا ، وأثناء التدريب تم إطلاق النار عليهم في (الأرجل) وخرجوا من بيننا، وقد أخبرنا مدربونا بذلك فيما بعد .
وقد قارنت تلك الصورة التي إنطبعت في ذهني في أول تجربة عملية (للجهاد)، عندما إنتقلت إلى المحطة التالية ـ أفغانستان ـ في العام التالي مباشرة. وكان التناقض بين الصورتين واضحاً. في أفغانستان لمست الإيمان كما لم أعهده قبلا أو تخيلته ـ خاصة في سنواته الثلاث الأولى. أما سوى ذلك فليس هناك شيء، لا كوادر مؤهلة ولا نظام ولا أمنيات.
وظل الجهاد في أفغانستان يعاني من ذلك النقص حتى آخر أيامه .
وفي بيروت ثم في جنوب لبنان وداخل منظمة فتح بحثت عن (الإخوان) فلم أجد لهم أثرا .
وكان بعض الهمس يدور حول أشخاص معدودين كانت لهم ارتباطات إخوانية قديمة. وأكثرهم قد تنازل عنها وانجرف في تيار، اليسارية التقدمية. وقالوا أن مؤسسي فتح بما فيهم (أبو عمار) كانوا إخوانا . وسمعت أن عددا من الكبار في فتح يمارسون الصلاة ، ثم لا شيء أكثر من ذلك ، ولكنهم محسوبون كأنهم تيار إسلامي داخل (فتح)، التي بدورها إتخذت إطاراً فكريا فضفاضا يحوي الجميع ما داموا قد إتخذوا الكفاح المسلح شعارا ومنهجا . لهذا قابلنا الشيوعيين بأنواعهم وكذلك القوميين،ومسلمين سنة وشيعة، ودروزا أيضا ...وهكذا، حتى الجنسيات المتعددة كانت موجودة من دول إسلامية وأوروبية وحتى أمريكية .
ليس هناك إعتبار لديانة أو مذهب فالمهم هو الكفاح المسلح ضد الصهيونية و الإمبريالية ...

فذلك هو الدين الجديد الذي يجمع كل هؤلاء .
كنت أتخيل أنني سأجد في لبنان تواجدا إسلاميا قويا ، فطبيعة المعركة تحتم ذلك، فاليهود يزحفون بجيشهم ويدمرون الجنوب . والموارنة في الداخل يقتلون المسلمين حيث وجدوهم ويمارسون ضدهم أحط أساليب القتل والتعذيب وانتهاك الأعراض . ومع ذلك لا أجد إسلاما أو جهادا ـ ناهيك عن الإخوان المسلمين، لكني أجد فقط ـ الكفاح المسلح ـ !!.
ومع ذلك لم نيأس ، حتى جاء يوم الجمعة ونحن في معسكر التدريب في قرية الدامور. فذهبنا للصلاة في بيت صغير على الشارع العام المواجه لشاطئ البحر ، كان قد تحول إلى مسجد وكانت القرية كلها للموارنة سابقا قبل أن يطردوا منها في الحرب الشعواء الدائرة والمنعدمة الهوية .
كان خطيب الجمعة شاباً لبنانياً بليغ الخطابة ممتلئا حماسا وقوة . نظرت وإسماعيل كل منا إلى الآخر وأعيننا تنطق بالفرح أن قد وجدنا ضالتنا أخيرا. بعد الصلاة أسرعنا إلى خارج المسجد و إنتظرنا حتى إنتهى من الأحاديث الفرعية والأسئلة من جمهور المصلين ، وما أن فرغ حتى أحطنا به وجذبناه برفق بعيدا عن الحاضرين وأمطرناه بوابل من الأسئلة المتلاحقة أين المسلمون ؟ أين الجهاد ؟ أين المعسكرات ؟ كيف نجدكم ؟ هل يمكن أن نجاهد معكم وأين وكيف ؟
رغم صلابة الشاب إلا أن أجوبته أحبطت آمالنا : المسلمون من أهل السنة هم غالبية أهل لبنان هكذا أخبرنا ـ ولكنهم محرومون من السلاح ومن تنظيم أنفسهم والجميع ضدهم حتى (فتح) ، والجيش السوري ، جميع تنظيمات لبنان وفئاته تستمد قوتها من دول عربية أو غربية ما عدا أهل السنة فهم ضائعون ، والسعودية تمد الموارنة بالسلاح والمال ولا تساعد أهل السنة بشيء بل تساعد الآخرين على قتلهم . ومضى يسرد عناصر المأساة التي دمرت آمالنا في أن نجد بغيتنا في لبنان .
تشاورت وإسماعيل في الأمر... فقال: إننا لن نجد ما نريد وعلينا أن نرجع كما أتينا ...
وأجبته بأن علينا أن نبدأ في قتال اليهود ونستمر فيه مهما كان الثمن ، فلو سارت الأمور على هذا المنوال فسوف يأتي اليوم الذي يدخلون فيه علينا بيوتنا ويسحبونا من أعناقنا للذبح . وإذا لم يكن للمسلمين راية فلا بد أن يبدأ العمل لرفع تلك الراية ولنبذل نحن محاولة من طرفنا، فلا بد أن يبدأ أحد في صنع شيء ما .
□ لقد إنتعشت آمالنا في المستقبل عندما شاهدنا الإقبال على الصلاة في معسكر الدامور.
وتزايدالعدد بالتدريج حتى بلغ ربع عدد المتدربين. وأثر في نفوسنا كثيرا قصتنا مع ذلك الفتى الذي كان يجلس يراقبنا أثناء الصلاة لعدة أيام ، ثم جاء على إستحياء كي يقول: أريد أن أصلي معكم ولكني لا أعلم ماذا تقولون في الصلاة . ورغم كونه في حوالي العشرين إلا أنه لم يكن يحفظ أي شيء من القرآن. لقد أحزننا هذا كثيرا ... كيف يمكن أن يصل شاب مسلم إلى هذا السن ولا يحفظ حتى فاتحة الكتاب !! .
بدأ الشاب يتعلم وانضم إلى صفوف المصلين وغمره فرح طفولي وحماس فطري غريب .
فترة الدامور أقنعتني وصديقي بأنه يمكن عمل الكثير في لبنان وحتى في صفوف المقاومة الفلسطينية. وأن غياب العمل الجهادي والدعوى عن هذه الساحة كان كارثة يتحمل الإسلاميون جزءاً منها . ولاحظنا أن كثيرا من شباب المقاومة يزداد شغفهم بالإسلام كلما إقتربت أجواء المعركة مع اليهود. وافتقاد الدعاة المقاتلين في تلك المواضع إنما هو جريمة يتحمل الدعاة وزرها وخسارة فادحة للإسلام وأهله .
قارنت تلك الصورة بما وجدته في أفغانستان فكنت أشعر بالألم وكيف أن المجاهدين الأفغان لم

يكن أحد منهم يهجر الصلاة، من الطفل الصغير إلى الشيخ الطاعن في السن. وكيف أن للإسلام وشعائره قدسية هائلة في النفوس ـ رغم جهلهم بالعربية وبالتالي جهلهم بكثير من أحكام الإسلام . حتى أن الشيوعيين الأفغان ما كانوا يجرؤون على الجهر بآرائهم في الدين على الملأ إلا في حالات نادرة أدت إلى كوارث بالنسبة لهم .
وأدركت إلى أي مدى أصبح الإسلام غريبا في بلاد العرب .
كنت أنوي الإستقرار في لبنان والعمل مع منظمة فتح وإحضار أسرتي إلى الجنوب.
لولا حادث لم يكن في الحسبان أدى إلى إلغاء المشروع والإنسحاب نهائيا من المنطقة .
في صباح أحد الأيام وعلى طعام الإفطار تجمع شباب مجموعتنا على الطعام ، وكنا في مكان لا يبعد كثيرا عن مواقع اليهود في مدينة صور . وفجأة حدثت مشادة بين زميلين فبادر أحدهما بسب الآخر وسب (الرب) .
وجدت نفسي أتصدر أزمة خطيرة وشعرت أن من واجبي أن أقتل هذا الشخص فورا.
وبصعوبة توقفت الأزمة تحت مستوى إطلاق النار، وإعتذر قائد الموقع وكذلك إعتذر(المذنب).
ولكن المشكلة عندي كانت أعمق بكثير من أن ينهيها إعتذار. فما زال كل شيء على حاله، فكما أنني حر في أن أصلي وقت ما أشاء ومعي عدد من الإخوة في الموقع ، فإن هذا الشخص لديه الحرية أيضا أن يسب الرب وقت ما شاء ، ولكني ليس أمامي لأنه متأكد من أنني سوف أقتله في المرة القادمة .
بدأت أفكر في الرحيل وتأكد عزمي عندما علمت أن القيادة تنوي تجميع(الشيوخ) ـ أي المصلين كما يطلقون عليهم ـ ووضعهم في معسكر خاص يفصل بين معسكر فتح ومعسكر تنظيم شيوعي منافس ، أنشئ مؤخرا على مسافة ليست بعيدة .
أدركنا أنها محاولة للتخلص منا ـ نحن الشيوخ ـ بطريقة لطيفة من خلال عمليات تصفية حسابات بين التيارات المتصارعة .
لقد توقفت منذ أيام ـ وبأوامر من (أبو عمار) ـ العمليات ضد القوات اليهودية .
وكانت العمليات الفدائية منذ التقدم اليهودي ، عبارة عن تسلل مجموعات صغيرة خلف خطوط العدو لزرع ألغام على الطرق .
ومع توقف العمليات أغلقت أمامي فرصة القتال ضد اليهود، أما فرصة القتال مع الجيران، من المنظمات الأخرى ، وحتى أعداء الرب من نفس المنظمة فهي فرص متزايدة بمرور الوقت ، لهذا قررت الرحيل .
ولم أدرك أن خبرا قرأته بدون عناية كبيرة كان هو برنامجي المقبل للعام القادم وحتى أربعة عشر عاما وإلى وقت كتابة هذه الأسطر ، كان الخبر على صدر الصفحة الأولى لجريدة (النهار) اللبنانية ، ويقول الخبر أنه في يوم 27 أبريل عام 1978م وقع إنقلاب عسكري في أفغانستان قاده ضباط ماركسيون ، أعلنوا أفغانستان دولة اشتراكية. وأن الضباط الثائرون قتلوا رئيس الجمهورية (السردار محمد داوود) وجميع أفراد عائلته ، وأعلنوا (نور محمد طرقي) رئيس حزب (خلق) الشيوعي رئيسا لجمهورية أفغانستان الديموقراطية الإشتراكية .
وكان (السردار محمد داوود) القتيل قد إنقلب على ابن عمه ملك أفغانستان السابق (ظاهر شاه) أثناء سفره إلى الخارج عام 1973م وأعلن البلاد جمهورية لأول مرة في تاريخها .
لم أهتم كثيرا بالخبر ... لم أتصور أفغانستان أكثر من قرية. وأتذكر ملكها السابق حينما زار مصر عام1960م وألقى خطابا في جامعة القاهرة بصحبة (جمال عبد الناصر)، وكنت

طالبا بالصف الأول الثانوي، وحضر الإحتفال مئات عديدة من طلاب وطالبات الثانوي و الجامعات. وأتذكر أن خطاب الملك لم يكن مثيراً لنا بل كان مملاً للغاية حتى أننا تعمدنا مضايقته ومقاطعته بعد كل جملة بتصفيق حاد لا داعي له فنحن لا نفهم ما يقوله باللغة (الإنجليزية) والترجمة إلى العربية بطيئة وركيكة وكاد يفلت زمام الوقار في الحفل وأن يعجز الملك عن متابعة الخطاب. وتمادينا في الشوشرة عليه وأغرانا به مظهره الذي لا يلائم ملكا بقدر ما يلائم مدير(مصلحة). كان نحيلا وطويلا يرتدي بدلة داكنة أوسع قليلا من مقاسه، حتى أن أحد زملائنا النجباء همس بيننا بأن جلالته قد إستأجر هذه البدلة من عند (المكوجي) ، فسقطنا تحت الكراسي نغالب الضحك ونكتمه بصعوبة.أوشك الموقف على الإنفجار والفوضى. وكان طلاب الثانوي يحتلون الطابق العلوي لقاعة الإحتفالات. سكت الملك قليلا،في إحتجاج مهذب على الهرج في الطابق العلوي ـ فنظرنا نستطلع لماذا سكت فوجدناه ينظر ساهما إلى الطاولة التي أمامه بينما الزعيم ناصر الجالس إلى يمينه يوجه إلينا نظرة نارية ، جعلتنا نرتجف هلعا ونكتم أنفاسنا وليس ضحكاتنا فقط، ونعد الثواني على إنتهاء الحفل ، الذي ما أن إنتهى بعد منتصف الليل، حتى ولينا نعدو إلى بيوتنا ونختار الطرق المجهولة والمتشعبة من حوارى مدينة الجيزة وقد توقعنا أن تطاردنا مخابرات الزعيم وتضعنافي أقبية التعذيب التي لا يجهلها أحد في مصر .

إبتسمت لهذه الذكريات المضحكة لشقاوة المرحلة الثانوية ، وتعجبت لإهتمام الصحيفة بالخبر ووضعه في صفحتها الأولى ، مع صورة للرئيس الجديد (طرقي) بوجهه الشاحب وشعره الأشقر الأشيب وشاربه الكثيف . فأي أهمية لذلك البلد المجهول ذو الإنقلابات المتتابعة ؟ ولم هذا الإهتمام بدولة يستأجر ملكها بدلة من عند (المكوجي) ؟. ملك غير مقنع لأحد ولا يتقن الخطابة حتى أضحكنا وكدنا أن نفقد بسببه مستقبلنا الدراسي ، في ذلك الإحتفال التاريخي لعيد العلم في جامعة القاهرة في تلك السنة الغابرة 1960م .

وكم كنت مخطئا في ذلك الظن، فكم كانت أفغانستان هامة جدا ، على مستوى حياتي الشخصية ـ حتى الآن ـ وعلى المستوى الدولي منذ ذلك الإنقلاب وحتى 27 أبريل1992م حينما انهار النظام الشيوعي هناك .

لأربعة عشر عاماً كاملة كانت أفغانستان حديث العالم بل أنها ،على صغرها وضئالة شأنها في نظري ـ غيرت خريطة العالم السياسية وكانت نقطة البداية لما يعيشه العالم من أحداث في وقتنا الراهن .

عدت إلى أبو ظبي ، وقابلت إسماعيل الذي عاد قبلي بحوالي شهر وجلسنا نتداول في الأمر ونحدد عناصر الموقف كالأتى :

1 ـ العمل في صفوف (فتح) لن يحقق لنا ما نطمح إليه من الجهاد ضد اليهود . ولا بد من أن نبذل مجهودا ونبحث عن طرق لإيجاد هذه الراية .

2 ـ المنظمات الفلسطينية ليست سوى ألعوبة لطمس الطابع الديني للقضية الفلسطينية ، أما الأنظمة العربية فهي الحارس الحقيقي لأمن إسرائيل وصانع إنتصاراتها ومجدها، وعلى ذلك فإن استعادة الطابع الإسلامي لقضية فلسطين سوف يجعل الصدام حتميا مع الأنظمة العربية .

3 ـ الشعوب المسلمة تتعرض للمذابح في كثير من المواقع: فلسطين ـ لبنان ـ الصومال ـ الفلبين ـ الهند الخ . ولن يجدوا حماية من أي جهة دولية أو حكومات إسلامية . وعلى هذا يجب أن نعمل على تجهيز (قوة متحركة) من الشباب الإسلامي المدرب كي يتدخل

لتقديم العون للدفاع عن المسلمين في مواضع الأزمات .
4 ـ (جماعة الإخوان المسلمين) أصابها الوهن لأسباب عديدة ولم تعد قادرة على حمل لواء الجهاد ومواجهة التحديات المفروضة على شعوبنا ، لهذا فإن الأجيال الجديدة بدأت تبحث عن طرق أخرى وتكوين جماعات جديدة قادرة على تحدي التهديد اليهودي للمسلمين . ومع هذا فإن الخبرات القتالية ـ القديمة ـ للإخوان لا غنى عنها في تكوين (القوة الإسلامية) المنشودة
5 ـ لا بد من البحث عن ساحة مناسبة لتجميع الشباب المسلم وتدريبهم وتنظيمهم ثم تحريكهم للعمل في الأماكن المطلوبة وإذا كانت الساحة اللبنانية غير صالحة لهذا العمل ـ ولو أننا ما زلنا نرى فيها إحتمالا ولو صغيرا ـ فلا بد من البحث عن ساحة أخرى . وأن نجد وسيلة لإقناع الإخوان بهذا المشروع والمساهمة فيه بخبراتهم وكوادرهم البشرية التي هي بالتأكيد ـ الوحيدة تقريبا ـ في هذا المجال على الساحة الإسلامية ، ونقصد بهم بقايا مجاهدي 1948م وحرب القناة في 1951م في مصر .
كانت ظروف الإخوان مواتية في ذلك الوقت في معظم دول الخليج واليمن الشمالي ، وصادفوا إتساعا أفقيا ملحوظا داخل مصر . في أبو ظبي كان معلوما أن وزارتي التربية والشؤون الدينية والأوقاف هما رهن تصرف الإخوان والآن وزيري التربية والأوقاف هما من (الإخوان المواطنين) أي أهل البلد . وفي اليمن كانت وزارة التربية أيضا رهن تصرفهم ، أما الأعمال الحرة فقد كان العديد منهم قد وصلوا فيها إلى مراتب متقدمة خاصة أولئك الذين فروا من اعتقالات عبد الناصر عام 1954م .
كان يعمل في أبو ظبي عدد من البارزين في حركة الإخوان من مختلف الجنسيات . حاولنا بشكل مباشر أو غير مباشر وبإستخدام واسطة مناسبة أن نستطلع رأي الإخوان المصريين بالنسبة للجهاد ضد اليهود ، أو لمساعدة المسلمين المنكوبين بالمذابح . وبوجه عام كان الناتج سلبيا رغم الترحيب النظري بالفكرة بل والتأكيد على أن الجهاد هو من صلب منهج الإخوان . وكانت حجتهم في الإحجام عن الحركة هو الخوف من الحكومة أن تنكل بهم قبل أن يستكملوا بنيانهم، خاصة إذا شعروا بمثل هذا التحرك العسكري. أما عن الساحة المصرية والجهاد فيها ضد اليهود والسادات ، فكان اعتراضهم أن الصف الإسلامي غير موحد ، والجماعات أصبحت لا حصر لها ، وأن الإخوان يحاولون توحيد الحركة تحت رايتهم حتى يتمكنوا من الجهاد .
بمثل هذه الأعذار وغيرها فهمنا أنهم غير مستعدين للسير في هذا الطريق . ومع هذا كان لا بد من عمل شيء .
من دائرة الأصدقاء إكتسبنا شخصين متعاطفين مع الفكرة. ولما لم يكن لدينا تصور عملي واضح ولا إمكانية للتنفيذ بدون أن يتبنى الفكرة تنظيم كبير وقوي كالإخوان ، لم يكن ممكنا أن نقنع غير القليلين بالوجاهة الفكرية للموضوع أما التنفيذ العملي ، فقد وقفنا تائهين حتى جاءتنا فجأة الفرصة التي ننتظرها ومن الناحية التي لم نتوقعها بالمرة ... أفغانستان .
□ في المسجد الصغير لسوق أبو ظبي القديم تعرفنا عمليا علي أول الخيوط التي أوصلتنا إلى أفغانستان . كان إمام المسجد شيخا أفغانيا تجاوز السبعين وكان يعمل قاضيا في مدينة هيرات وهو كما قال لنا من السلالة النبوية الشريفة ويدعى (السيد محمد طاهر) . كان وقورا محبوبا، قراءته للقرآن مؤثرة فاجتذبت إلى مسجده كثيرين . أما مؤذن المسجد فهو ولده (السيد أحمد) وهو شاب قوي البنية لطيف المعشر، له أخ وحيد في الثانية عشر يحاول جاهدا العثور على

فرصة لدراسة العلوم الدينية في المدارس المحلية .
كنا نجلس مع الشيخ وإبناه في غرفتهم الضيقة جدا داخل المسجد كي يحدثنا عن أفغانستان وما يجري فيها .
كانت الصحف الغربية ووكالات الأنباء تنقل أطرافا عن الأحداث الدامية في أفغانستان ، وتحذر بأنها (كوبا) جديدة في المنطقة . وكالعادة فإن الصحف العربية ـ والإسلامية ـ بدأت تترجم عنها نفس الكلام وتطلق نفس التحذيرات . وعرفنا أخبار المقاومة الشعبية الأفغانية للنظام الشيوعي الدموي وظهر مصطلح (الجهاد) و(المجاهدون) في صحف الغرب والصحف العربية فإستيقظت كل حواسنا وبدأنا في متابعة الأمر عن كثب ومن كل المصادر الممكنة .
قررت مع صديقي إسماعيل أن الذهاب إلي أفغانستان أصبح ضروريا، فربما يأتي الحل الذي ننتظره من هناك . وتأكدنا من (السيد طاهر) من قيام حركة جهاد قوية يرأسها علماء، يقاتلون ببطولة جيوش الحكومة الماركسية، وأن قرى بأكملها تباد ويدفن، علماء وطلاب علم، أحياء . وأن المجاهدين في حاجة ماسة لكل شيء لمواجهة الآلة العسكرية الحديثة للدولة المدعومة من موسكو.
ذهبنا لزيارة الشيخ طاهر مع عدد من الأصدقاء المهتمين بما يحدث في أفغانستان ، فوجدناه يستضيف وفدا قدم مؤخرا من هناك ، خمسة علماء يرأسهم (مولوي آدم) وهو شيخ نحيف طويل القامة يرتدي نظارة طبية سميكة من النوع الرخيص . كان هو الوحيد من بينهم الذي يستطيع التفاهم بعربية فصيحة لا تخلو من أخطاء .
كانوا جميعا من ولاية باكتيا. كان الوفد جميعا من المجاهدين العلماء وقد شاركوا في معارك الأشهر الماضية . وحدثونا كثيرا عن وقائع القتال وفظائع الحكم الشيوعي ، وقوة الجيش ومعداته الحديثة ، وإنتصاراتهم على الشيوعيين في مواقع كثيرة وأحداث عجيبة صادفتهم في الجهاد.
كان سقوط الشاه في إيران وانتصار "الثورة الإسلامية" سببا كبيرا في ارتفاع المعنويات الإسلامية في كل العالم. وبالنسبة لنا بوجه خاص،فقد شعرنا أن مشروعنا الجهادي ليس خياليا كما يظن البعض. وفي الشهر التالي لسقوط الشاه تعرضت مدينة هيرات الأفغانية لمجزرة هائلة راح ضحيتها ثلاثون ألفا من المسلمين على أيدي القوات الشيوعية التي يدعمها طيران سوفييتي. وكانت أخبار هيرات تصل بالتفصيل إلى (الشيخ طاهر) ونستمعها منه أولا بأول .
بدأ فصل الربيع، وحددت مع إسماعيل موعدا تقريبيا للسفر مع بداية الصيف، وحتى ذلك الوقت كان علينا أن نبحث عدة مشاكل منها توفير مبالغ لشراء أسلحة لنا. في رحلة بيروت السابقة لم نكن مضطرين لشراء السلاح فقد كان متوفرا بكثرة لدى فتح ، أما هؤلاء فأسلحتهم قليلة وقديمة ، وطبقا لما أفادنا به الوفد الأفغاني فإن الأسلحة متوفرة في أسواق المنطقة القبلية في باكستان وهي ملاصقة للحدود الأفغانية .
المشكلة الثانية هي ضرورة إنضمام أشخاص جدد إلينا فلا تبقى(القضية) جامدة ومحصورة في شخصين فقط . المشكلة الثالثة حاجتنا إلى دليل يعبر بنا باكستان ويوصلنا إلى مكان المجاهدين .
بالنسبة للمشكلة الأولى كنا سويا نعاني من أزمة مالية نتيجة لمشاكل في العمل واجهتنا بعد العودة من لبنان . أما المشكلة الثانية فكان أقرب الناس إلينا هما شابان من مصر "بدوي" و جمال، وكلاهما مرتبط عائليا بالذهاب إلى مصر مع الأسرة في الإجازة الصيفية .
ومن المصادفات السعيدة تلك الليلة التي قابلت فيها ذلك الشاب الصعيدي "أحمد المنياوي" في منزل صديقي"أمين نار". كان بينهما صداقة متينة وجمعتهما الجذور "الإخوانية" القديمة

في عائلتيهما . فأحمد هو إبن "الحاج حسني المنياوي" المجاهد القديم في فلسطين والعضو السابق في القسم الخاص بالإخوان .
(الحاج حسنى المنياوى : بدأ الجهاد فى فلسطين قبل إعلان الحرب رسمياً ودخول الجيوش العربية ومتطوعى الإخوان . وقد أصيب بجروح بليغة أثناء الحرب نتيجة إنفجار مصفحة كان قد صنعها بنفسه وهاجم بها مستعمرة يهودية لكن مصفحته اليدويه لم تصمد للنيران اليهوديه. توفى الحاج حسنى بعد وصوله الى مصر بعدة ايام فى مايو 1994 . وعاش هارباً من مصر لكونه مطلوباً بتهمة الجهاد في فلسطين).
وأمين من عائلة إخوانية متأصلة ، خاله الشيخ عبد البديع صقر ، وعمه أحمد نار من العسكريين البارزين في إخوان 1948 ومؤلف كتاب (القتال في الإسلام) وهو إسم غريب في عالم الكتب. (احمد نار : شارك فى حرب فلسطين – إعتقله نظام عبد الناصر . وإنهارت صحته نتيجة التعذيب ومات بعد أيام من خروجه من المعتقل بعفو صحي) .
إكتشفت فيما بعد الصفات التي ربطت كلا الشابين في صداقة قوية، فكلاهما كريم إلى درجة غير عادية ، وكلاهما ذكي ولماح ، وكلاهما جسور مقدام . أما أحمد فكان له ميزة إضافية هي موجات الغضب التي تنتابه فجأة، وعلى كل من حوله وقتها أن يختبئ خلف أقرب ساتر.
ولكنه ما يلبث أن يعود إلى طبيعته ويشعر بالندم . ورغم تلك (الإنفجارات المنياوية) إلا أنه كان الأكثر ـ فيمن عرفت ـ شعورا بالرحمة والعدل .
شعرت أن أحمد يعيش نفس الحالة الشعورية للمسلم التائب العائد حديثا إلى دينه ، تلك الحالة الروحانية العالية ، والحماس للعمل من أجل الإسلام . وكان هذا هو الرباط الذي جمع ثلاثتنا أنا وإسماعيل وأحمد .أما صديقي أمين فكان يعيش حالة إسلامية مستقرة منذ ولادته ، وقد أشرف الشيخ عبد البديع على تربيته لهذا لم تكن لديه نفس الروح المندفعة التي إنتابتنا ، بل حذرني من تكرار الذهاب إلى لبنان وترك عائلتي ، وهددني مازحا بأنه سيمنعني بالقوة ، وكان طويل القامة ضخم الجسم ، ولكنه والحق يقال كان متعاطفا إلى أقصى حد مع (مغامراتي الجهادية) وكان يكثر الدعاء لي والسؤال عن أحوالي.
تحدثنا في جلستنا تلك عن مشروعاتنا ، أمين كان يخطط لإصدار كتيبات صغيرة ومبسطة في أحكام العبادات ، أما أحمد فكان أكثر حركية وكان يفكر في رحلة طويلة فوق جمل يطوف في بلدان آسيا يدعو إلى الإسلام ، وكان مشروعي هو الجهاد ، لأن أمم الكفر تأكلنا كقصعة من ثريد ، وأننا سوف نباد ونذبح كالخراف إذا لم نقاتل. بعد إنتهاء الجلسة ودعنا أمين وخرجت مع أحمد سيرا على الأقدام وتحدثنا في الطريق ، وعرضت عليه السفر معي للجهاد في أفغانستان. إندهش للفكرة ولكوني لم أعرض الأمر على أمين ، ولكن ما هي إلا دقائق معدودة حتى وافق بحماس ، وطلب مهلة شهرين أو ثلاثة حتى يستخرج جواز سفر جديد . لم تكد الدنيا تسعنا ـ أنا وإسماعيل ـ بهذا التقدم. إن رحلتنا إلى أفغانستان قد كسبت عضوا جديدا ، وبعد أن كنا اثنين فقط عند سفرنا إلى لبنان للجهاد عام 1978 م،فها نحن نخرج عام 1979 للجهاد في أفغانستان ونحن ثلاثة .إن(مشروعنا) يتقدم وزاد عدد الأعضاء بنسبة خمسين في المائة مرة واحدة .
أما المشكلة الثالثة ـ من يرافقنا إلى أفغانستان؟ ـ فقد بدأت تحل تدريجيا . فقد سافر إلى هناك (السيد أحمد) إبن الشيخ طاهر بصحبة وفد المجاهدين و عاد بعد عدة أسابيع محملا بمجموعة من الصور الملونة إلتقطها هناك ، ومعه رسائل باللغة العربية من قائد المنطقة التي زارها ويدعى جلال الدين حقاني .
كانت الرسائل تصف الأحوال الصعبة للمجاهدين ، وإنتصاراتهم رغم ذلك ، وتطلب العون والمدد.

أما الصور فكانت تعبر بطريقتها عن نفس المعنى .
ولم أتخيل وأنا أطالع الصور أنني سترابطني يوما ما صداقات قوية مع أصحابها ، وأن كثيرا منهم سوف يستشهدون تباعا . أو أن قائدهم جلال الدين سترابطني به أحداث طويلة وصداقة قوية لسنوات طويلة ، وما زالت مستمرة حتى هذه اللحظة . أو أن تلك الصخور الصلدة والأشجار الخضراء التي تكسو الجبال سوف تترك بصماتها على جسدي وفي أعماق ذاكرتي.
أو أن أفغانستان سوف تتحول من حلم أو أمل، إلى حياة كاملة وتجربة إحتوت حياتي كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها .
كما لم أتخيل أن تلك الوجوه الصلدة التي أشاهدها في الصور أمامي سوف تغير تاريخ العالم كله. وبلا شك أنهم هم أنفسهم لم يتخيلوا ذلك على الإطلاق .
أحضر "السيد أحمد" خطة تفصيلية لمن أراد من العرب الذهاب إلى أفغانستان ـ وكان يعلم نوايانا في هذا الصدد ـ وناقشنا معه الخطة ، فلم يكن منا أحد قد زار باكستان قبلا ، وإتفقنا ضمنا على أن يكون السيد أحمد مرافقنا في هذه الرحلة .
كان أحمد المنياوي يعاني ماليا هو الآخر ، وإستطاع مؤخرا إستخراج جواز سفر ، ولما إقترب موعد السفر الذي كان مقررا أن يكون مع بداية الصيف ، لجأ أحمد إلى صديق له ـ من أبناء الأسرة الحاكمة ـ وشرح له ما يجري في أفغانستان ، وأنه ينوي الذهاب إلى هناك للمساعدة والجهاد . فحصل منه على تبرع صغير كان كافيا أن نضعه في بند التسليح. واتفقنا على أن نترك هذه الأسلحة التي سوف نشتريها بعد عودتنا حتى يستخدمها المجاهدون .
إنتهت جميع المشاكل وتم تحديد يوم السفر بدقة وذهبنا لإخطار السيد أحمد ـ مرافقنا في الرحلة ـ ولكن وجدنا مفاجأة في إنتظارنا ، لقد قرر الشيخ الكبير السيد محمد طاهر أن يصاحبنا بنفسه بدلا عن ولده الشاب ذو الخبرة في الطريق ، وقال الشيخ بإصرار (إنني أيضا أريد الجهاد) وأسقط في يدنا !! .

اللقاء الأول مع أفغانستان:

{بعد الفراغ من ذلك الكتاب عثرت على رسالة قد كتبتها لزوجتي بتاريخ"10يونية 1979 " بعد وصولي إلى أفغانستان. أضع فقرات منها في مقدمة ذلك الفصل إستكمالا للصورة الواقعية للأحداث و الآمال و المشاعر التي كنا نحياها في ذلك الوقت.
وهذه بعض المقتطفات:
...أولا وصلنا إلى كراتشى يوم الخميس" 31-5"حوالى التاسعة مساء ، ووصلنا إلى الفندق بعد مغامرات مضحكة و بقينا في كراتشي يوم الجمعة ثم ركبنا الطائرة يوم السبت ظهراً إلى بيشاور حيث قابلنا بعض الإخوة المجاهديين، وبيتنا معهم . أصطحبونا يوم الأحد صباحا في رحلة صوب قواعد المجاهديين .
...أستمر سيرنا حتي بلدة أسمها" ميرام شاه" بها عائلات المجاهديين المهاجريين من أفغانستان و أستقبلنا المجاهدون هناك بحفاوة شديدة و أكرمونا للغاية و بقينا عندهم يوماً واحدا. و فى اليوم التالى ركبنا السيارة لمدة ساعتين حتى قرية جبلية أسمها "سيبا خيل" وكنا قد لبسنا الملابس المحلية و بدأنا رحلة سيرا على الأقدام بين الجبال لمدة يوم حتي وصلنا قبل المغرب إلى منزل أحد أعيان المنطقة الذى علم بوجود عرب فى القافلة فدعانا للمبيت عنده و أكرمنا كرما شديدا. فى الصباح سرنا لمدة يومين آخرين بين الجبال المليئة بالغابات الضخمة الجميلة . بدأنا المسير و كانت المنطقة تزداد جمالا كلما تقدمنا فى السير. الجبال كثيرة و شاهقة و ينابيع الماء العذب تنبع من كل مكان من الجبال و تسير مثل الأنهار فى الوديان. كان السير شاقا فى مثل هذه الجبال ولكن مناظرها كانت غاية الروعة . وفى الليل وصلنا إلى أول مركز عسكري للمجاهدين وأستقبالنا أستقبالا لا مثيل له و أطلقوا فى الجوى مئات الطلقات من البنادق و المدافع الرشاشة ثم عانقونا و قبلونا، و بعضهم بكى من التأثر.وفى هذا الموقع كان هناك قائد جيش الولاية و أسمها ولاية باكتيا الذى رحب بنا ترحيبا شديدا وبقى معنا فى الموقع لمدة يوم.رأينا فيها الأسلحة الكثيرة الحديثة التى إستولي

عليها المجاهدون. و رأينا الدبابات و المصفحات و السيارات التى حطموها فى الحرب و رأينا بعض جنود و ضباط جيش الحكومة منضمين الى المجاهدين. ثم واصلنا سيرنا بعد قضاء يوم معهم متوجهين للقاء القائد العام للمجاهدين فى هذه الولاية و هو مولانا جلال الدين حقاني. و سرنا يوما بين الجبال و الغابات و ينابيع الماء العذبة. ورغم تعبنا الشديد كان يخيل لى اننا نسير فى الجنة. و أرجو إذا كان لى بقية من العمر أن أحضر أنا وأنت و الأولاد لنعيش أياما فى هذه الجنة التى على الآرض،و ذلك بعد أن يعود حكم الإسلام لهذه البلاد. و على طول الطريق كنا نجد سكان القرى الجبلية فى إنتظار مرورنا، ولا أدرى كيف علموا بأننا سنمر من هذه الأماكن. بعضهم قدم لنا الطعام و الشاى و اللبن. و بعضهم طلب منا أن نمسح بأيدينا على أطفالهم المرضى، و كنا نقف و ندعوا جميعا لهم بالشفاء و النصر على أعداء الدين. و الجميع هنا حتى الان يعاملوننا بكرم لم أرى مثلة فى حياتى، يتسابقون فى خدمتنا و أكرامنا حتى أننا كنا نخجل من أنفسنا. ورغم فقرهم كانوا يوفرون كل راحة لنا.و بعد مسيرة يوم ونصف وصلنا إلى موقع قريب من موقع قائد العام الذى أرسل لنا رسالة كى ننتظرة فى هذا الموقع حتى يحضر لاستقبالنا،فبالأمس أنتصر المجاهدون على الشيوعيين فى معركة كبيرة استولوا فيها على أسلحة كثيرة و أسروا بعد الروس وقتلوهم، و استسلم لهم كثير من الجنود. والقائد العام مشغول فى التجهيز للمعارك القادمة. و غدا أو بعد غد سنستلم الأسلحة الخاصة بنا و نستقر فى الموقع الذى يقرره لنا قائد الجيش إنشاء ا . المجاهدون هنا فى غاية الكرم وقوة العقيدة، وقوة إحتمالهم السير و صعود الجبال لا مثيل لها.

...و أرجو أن تطمئنى عنى من جميع النواحى فأنا سعيد فى مكانى هذا و كأننى فى رحلة الحج، وأدعو ا أن يجعل لك أجرا كبيرا على مساعدتك لى فى أعمال الطاعة.... }

** غمرتني رحلتنا الأولى إلى باكستان بالدهشة ، فلأول مرة أسافر إلى خارج البلاد العربية ، وصديقاي أحمد وإسماعيل لم يكونا أقل دهشة، ولكن رحلاتهما العديدة إلى أوروبا جعلت دهشتهم مشوبة بالإستهجان ، أما مرافقنا الشيخ طاهر فلا يكف لحظة عن تلاوة القرآن والتسبيح إلا في الحالات التي يغلبه فيها النوم .

كثير من معالم الرحلة الأولى لم يكن حدثا عابرا ، بل كانت ثوابت لم تكد تتبدل للتجربة الأفغانية. قبل أن تصل الطائرة إلى مطار كراتشي ، تعددت الإقتراحات حول الخطوات القادمة ، وبحكم تقارب السن ، واختلاف طريقة التفكير إحتدم النقاش بين إسماعيل وأحمد وطرحت مسألة الإمارة وتحول النقاش إلى عناد وإصرار، واضطررت إلى التدخل وتسيير الأمور طوال الرحلة بنوع من التفاهم الجماعي و التراضي الطوعي بدون الخوض في الدروب الخطرة لموضوع الإمارة.

وبدأت التجربة الأفغانية وإنتهت وهي تعاني من مشكلة الإمارة سواء على الجانب الأفغاني أو الجانب العربي. لهذا كانت الفوضى هي أبرز السلبيات التي شابت تلك التجربة .

 في صالة الجمارك إنفجر الغضب المكنون في نفس المنياوي ، وجاء الإنفجار في وجه ضابط الجمارك الذي أراد تحصيل الرسوم على كاميرا فيديو كانت معه.

إنفجر صديقنا بسيل من الشتائم المنتقاة من قاموس أزقة لندن وإنهال بها على رأس الضابط المسكين وبأعلى صوت. فتوقف العمل في الصالة وتجمهر رجال الجمارك والمسافرون وعمت الفوض وحضر مدير قسم الجمارك ، الذي بادره السيد طاهر بجهود وساطة وبلغة فارسية لم يفهم منها الضابط حرفا واحداً ، لكن السمت الوقور للشيخ وقامته المهيبة ولحيته البيضاء مثل كتلة ضخمة من الثلج ، أثرت في المسؤول الذي أنهى المشكلة فورا وسمح لنا بالخروج بدون دفع رسوم أو حتى تفتيش أمتعة . والطريف أن أمتعة صديقنا أحمد كانت تحتوي على عدة أجهزة إرسال لاسلكي صغيرة متنقلة وكان ذلك كفيلا إذا ضبطه رجال الجمارك بأن نتحول من سياح محترمين ، إلى ضيوف في قسم شرطة المطار أو حتى في

سجن كراتشي .
لقد نظر العرب إلى باكستان نظرة دونية ، وتصور الشباب الذي جاء من دوله الأصلية أو المهجر في أوروبا والغرب، أن باكستان دولة بلا أجهزة أمن أو قانون. دفعهم ذلك إلي إقتراف كثير من التجاوزات، وإلي إستبعاد أي إجراء أمني قد تقوم به حكومة باكستان ضدهم مستقبلا.
فانعدم لديهم أي شعور أمني. وقد دفعوا ثمن كل ذلك عندما تغيرت سياسة الدولة في باكستان وقررت توجيه الضربات إلى المجاهدين العرب . كذلك فإن أجهزة الأمن المعادية ـ العربية والصليبية ـ لم تجد صعوبة تذكر في معرفة كل شيء تقريبا عن التحشدات الجهادية للشباب العرب في وسط تسوده الفوضى وإنعدام الحس الأمني .
خرجنا إلى شوارع كراتشي ونحن لا نصدق أننا نجونا من تلك الورطة . وشعرنا بالإعزاز للشيخ طاهر ، وفضله في حل الأزمة . أوقفنا سيارة أجرة وركبنا. أصدر الشيخ طاهر أوامره بالفارسية إلى السائق قائلا: "مسافر خانة".وتصادف أنها هي كذلك بالضبط في اللغة الأوردية.
حاول السائق الحصول على مزيد من المعلومات لكن اختلاف اللغات حال دون ذلك.
ولم نفلح نحن أيضا في إنتزاع أي معلومة إضافية من الشيخ طاهر عن هذه المسافر خانة وموقعها بالنسبة لخريطة كراتشي الشاسعة الأرجاء والتي يقطنها أكثر من إثني عشر مليون من البشر.ولكن اللغة العربية لدى الشيخ أفشلت محاولاتنا وتذرعنا بالصبر على أساس أنه يعلم ما يفعله.
في أعماق المدينة دخلنا أزقة ضيقة ووقف بنا السائق أمام بناية ضيقة المساحة مرتفعة البنيان وأشار بيده على أنها المسافر خانة . كانت الكهرباء مقطوعة والحر شديد وغرف "المسافر خانة" تنبعث منها أضواء خافتة لمصابيح الغاز ، النوافذ متسعة وجلس عليها رجال أنصاف عراة ـ من شدة الحر ـ وهم يخاطبون من الطوابق المرتفعة زملاء لهم في الشارع، وباعة متجولون.
تبادلنا النظرات المندهشة ، ليس لدينا شك في أن هذا المكان مشبوه ، يأوي النشالين ومتعاطي المخدرات وكافة مهن العالم السفلي .
نزلنا في الشارع مع حقائبنا وإندفع نحونا (درزن) من عمال المسافر خانة ـ وظننا لوهلة أننا تعرضنا لهجوم مباغت. أمسكوا بالحقائب وجذبونا من أيدينا نحو الفندق ولكننا تسمرنا بالأرض، ورجوناهم الهدوء، ولكن صديقنا أحمد أنقذنا بواحدة من إنفجاراته الصعيدية، فبهت الرعاع وتوقفوا.
وتحلقنا حول الشيخ طاهر نسأله إذا كان هذا هو المسافر خانة الذي يعنيه ، فقال أنه لا يعرف .
كدنا أن نفقد عقولنا، نحن الآن في وسط هذه التهلكة ويقول لا أعرف!!.
والأدهى أننا فهمنا منه بصعوبة بأنه لم يحضر قبلا إلى كراتشي أو أي مكان آخر في باكستان .
كدنا نسقط من هول المفاجأة ... كيف سيقودنا إذن إلى أفغانستان ؟ وماذا سنفعل ؟.
عثرنا على سيارة أجرة ، وإنتزعنا أنفسنا وحقائبنا من بين الرعاع وطلبنا من السائق الإنطلاق بسرعة .
عثرنا أخيرا على فندق معقول ، وفي الصباح بدأنا في إستجواب الشيخ عن خطته في الرحلة بعد إكتشاف ليلة أمس الذي روعنا ، بأنه لم يأت قبلا إلى هنا . أخرج الشيخ من جيبه ورقة صغيرة في حجم نصف الكف ، بها عنوان في مدينة بيشاور لأحد الدكاكين من منطقة بارة وهذا كل شيء. شعرنا بالعرق البارد يتصبب من أجسامنا وتركنا الشيخ في الفندق وخرجنا نتجول في الشوادع لنتدارس الأمر ، وأيضا خوفا من أن ينفجر صديقنا المنياوي في وجه شيخنا الوقور.
لقد واجه الشباب العرب ـ في السنوات التالية ـ مواقف أشد غرابة وأكثر خطورة، بسبب

القفز في الظلام إلى المجهول . وكثير من تلك القصص إنتهى بمآسي، وكثير منها يصلح للفكاهة.
فبعد حادثتنا بخمس سنوات تقريبا ذهب شاب عربي إلى السفارة الأفغانية في إسلام آباد طالبا تأشيرة دخول إلى أفغانستان ، ولما سأله القنصل عن سبب الزيارة رد عليه الشاب في براءة : "أنا ذاهب للجهاد".فثار القنصل وأمر رجال الأمن في السفارة بطرده شر طردة .
شاب آخر وصل إلى بيشاور وطلب من سائق عربة (الركشا) أن يوصله إلى أفغاستان.
فأخذه إلى موقف باصات في المدينة ينقل الأفغان يوميا عبر ممر خيبر إلى أفغانستان حتى العاصمة كابل ، ونادرا ما تطلب نقطة الحدود على الطرفين إبراز الهويات من الركاب .
وصل صديقنا إلى كابل وقد ظن الجميع أنه من سكانها فقد كان غير ملتح ويرتدى الزي الأوروبي. هبط في محطة الباص في كابل ينظر حوله وإذا الدبابات والعربات المكدسة بالجنود تملأ الطرق وتندفع في كل اتجاه . وقف محملقا لا يدري ما يفعل حتى تقدم منه شيخ أفغاني وقور ـ كان يرافقه في رحلة الباص ـ وسأله بالأفغانية فأجاب الشاب بالعربية ، ولحسن حظه أن الشيخ يعرفها . فسأله الشيخ عن وجهته فأجاب الشاب ببراءة : "أريد المجاهدين فقد جئت للجهاد".إمتقع وجه الشيخ وكاد يسقط من هول الصدمة وإلتفت حوله من الذعر، وسحب الشاب من ذراعه وأخذه بعيدا ، واستضافه في بيته إلى الصباح وشرح له أن كابل هي عاصمة البلاد ويحكمها الشيوعيون والروس وأن عليه أن يغادرها عند الفجر ويعود من حيث أتى . وبمعجزة نجى الشاب من هذا المأزق وعاد إلى بيشاور.
ركبنا الطائرة إلى بيشاور ، كانت مهمتنا الوصول إلى ذلك الدكان في (سوق بارة).
بينما تدور في أذهاننا إحتمالات مبهمة ، ماذا لو كان الدكان مغلقا إلى أجل غير مسمى ، أو أن صاحبه مسافر أو أصيب في حادث ؟ . من هو صاحب الدكان وما صلته بالمجاهدين وكيف سيأخذناإلى هناك ؟. ماذا سنفعل لو سألتنا الشرطة عن سبب وجودنا في بيشاور وماذا نفعل في(بارة) والبلدة كلها كما علمنا مشهورة بتهريب المخدرات والأسلحة ؟ .
بينما نحن واجمون ، كان يجلس في الصف المقابل لنا في الطائرة عدد من الشباب الأوروبي مع رجل عجوز وزوجته وكلهم في حالة من المرح والإنبساط . سألني أحمد عما يمكن أن يفعله هؤلاء في بيشاور ، فأجبته بأنه النشاط الغربي العادي في بلاد المسلمين : التجسس والتخريب . رأيت الغضب والتحفز في ملامحه وخشيت أن يفتعل معركة معهم ، فنصحته بالهدوء . ولما شرع الركاب في مغادرة الطائرة لم يتمالك صديقنا نفسه من أن يتوجه إلي أحد الشباب الغربي ويسأله بإنجليزية طلقة عما ينوي فعله في بيشاور. نظر الشاب بتعالى وأجابه باستخفاف : أنوي صيد السمك . كانت هيئته وإجابته غنية بالدلالات .
لم نكن ندري وقتها أن الغرب سبقنا إلى هنا بعشرات السنين ، وأن التوجيه الحقيقي للأحداث هنا هو في أيديهم ولكن عبر أيادي ـ وطنية ـ كما هي الحال في بلادنا .
لقد كان الغرب في بيشاور يصطاد ، لقد إصطادوا الروس بواسطتنا ـ نحن المسلمين ـ ثم إصطادونا نحن بواسطة السلطات الباكستانية عندما إنتهت فائدتنا بالنسبة لهم .
كانت الهيئة المتعالية والرد المتعجرف للشاب الغربي تلخيصا بليغا للوضع القائم ، بل لتجربتنا المريرة في أفغانستان من أواخر السبعينات حتى أوائل التسعينات .
كانت مهمتنا في (بارة) أسهل مما توقعنا ، إصطحبنا صاحب الدكان إلى قرية صغيرة بين المزارع الواقعة خلف شارع (بارة) ، وأدخلونا غرفة صغيرة في بيت طينى متواضع، وتعرفنا هناك على شخصيات كان لها دور كبير في أحداث السنوات التالية ، مثل حاجي

(دين محمد) الذي كان يشغل منصب نائب (مولوي محمد يونس خالص) قائد حزب إسلامي أفغانستان . وفي وقت لاحق صار دين محمد هو الموجه الحقيقي للحزب . وتعرفنا على أخيه حاجي عبد القدير الذي شغل منصب والي جلال آباد بعد "الفتح"وسقوط النظام الشيوعي.

فى اليوم التالى أحضر لنا حاجي دين محمد ملابس أفغانية لي ولأصدقائي، وتحركت بنا سيارة خاصة صغيرة في إتجاه مدينة ميرانشاه الحدودية في طريق يستغرق حوالي ست ساعات . كنا سبعة محشورون داخل السيارة الصغيرة ، وكان من المفروض علينا ـ العرب الثلاثة ـ ألانتكلم إلا داخل السيارة وهي تتحرك . أما عندما نقف في الطريق لأي سبب فلا كلام ولا حديث .

"قاري محمود" أحد الذين تعرفنا عليهم في الحجرة الطينية في (بارة) إتجه إلى ميرانشاه في أحد الباصات العامة كي يقابلنا هناك ويصاحبنا إلى الداخل كدليل ومترجم .

و"قاري محمود" طالب علم أفغاني ولكنه ذو طابع أزهري واضح ، فهو يحب النكتة ، ذكي ومراوغ .

حدثنا عن أساتذة له من الأزهر ، تلقى منهم العلم في مدرسة (نجم المدارس) في جلال آباد ، أحدهم كان "أزهريا فاسدا" تسير بناته في شوارع المدينة بأزياء فاضحة (مثل الشيوعيين). أما الآخر وإسمه "الشيخ المحلاوي" فكان رجلا صالحا ويظن أنه من الإخوان المسلمين ، حضر إليهم فى المدرسة يوم وقوع الإنقلاب الشيوعي، وتولى طراقى الحكم ، فوجد الطلاب في انتظاره لتلقي الدرس فألقى فيهم موعظة صغيرة وبليغة ، فقال لهم:

(لقد جاءكم إبن الكلاب كما جاءنا إبن الكلاب فماذا تفعلون هنا ؟ اخرجوا إلى الشوارع) .

وبالفعل بدأ طلاب نجم المدارس مظاهراتهم ضد النظام الشيوعي ومنذ ذلك اليوم لم تفتح المدرسة أبوابها . بعد فتح جلال آباد وجدت المدرسة مدمرة تماما ... وحتى أحجارها اختفت. وقد وضع "مولوي خالص" بنفسه حجر الأساس لبناء جديد للمدرسة .

(الشيخ المحلاوى يسجل هنا أول إرتباط جهادى بين العرب وبين جلال آباد تحديداً ، وهى التى شهدت اكبر تورط عسكرى للمتطوعين العرب فى تلك الحرب . كما شهدت جبالها آخر معارك أسامه بن لادن وكانت فى أواخر الحملة الأمريكية على أفغانستان عام 2001 م – أبحث عن تفاصيل اكثر فى كتابنا"صليب فى سماء قندهار).

ما أن وصلنا ميرانشاه حتى أدخلونا أحد بيوت"المهاجرين"الأفغان، وكان فارغا من السكان ومجهزا لنا . ونصحونا بالحيطة لأن المساكن المجاورة هي للمليشيات الحكومية ، والبناء الضخم المقابل هو مقر الحاكم . ومن المحظور تواجد الأجانب في هذه البلدة الحدودية .

والمهاجرون هنا ، هم مجموعة من المجاهدين القدماء الذين فروا من أفغانستان إثر محاولات فاشلة لمقاومة حكم داوود العلماني المتحالف مع حزب (بارشام) الشيوعي .

أعجبنا الجو القروي للمنطقة ، والمسجد المتواضع أمام البيوت وسط ساحة واسعة ، وفي مقابله بركة يصلها الماء عبر جدول صغير ، تستخدم للوضوء ، مع أن الماء فيها ممزوج بالضفادع بحيث يصعب تجنب إغتراف الضفادع مع الماء خاصة في وقت العتمة .

وكان أكثر الناس ترحيبا بنا وفرحا بقدومنا هو شيخ المسجد وهو رجل ضرير ، وسيم الملامح ممتلئ الجسم حسن الصوت بارع في تلاوة القرآن . ولديه عدد من الأطفال يدرسون القرآن في المسجد . كان الجميع ينادونه(قاري سيب)،أي السيد القارئ. قال لنا هذا القاري كلمة لا أنساها إلى الآن ، قال : لقد جئتم إلينا تطبيقا للآية الكريمة(وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر). وما زال (قاري سيب) كلما قابلني حتى الآن يسألني: كيف حال رفقائك أحمد وإسماعيل ؟ .

كنا بالنسبة لهم مثل كائنات هبطت عليهم من الفضاء. وكانت دهشتهم لا توصف أن يأتي إليهم عرب
كانت الدهشة والروحانيات العالية هي سمات رحلتنا الأولى سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة للأفغان
وفي داخل أفغانستان كانت مظاهر الحفاوة عجيبة ، خاصة من سكان القرى.
فما أن وطأت أقدامنا أرض أفغانستان حتى طار الخبر بسرعة كبيرة، كانت بعض القرى مدمرة
وخالية تماما من السكان، وبعض القرى سليمة أو أن الدمار فيها قليل .
القرى التي علمت بأمرنا خرجت تقابلنا عن بكرة أبيها . بعضهم إستقبلنا على بعد مئات
من الأمتار من القرية . وكان أكثر ما أحرجنا هم هؤلاء المرضى أو المصابين الذين طلبوا
منا أن نرقيهم طلبا للشفاء . وخرج الناس بأطفالهم المرضى يطلبون منا أن نقرأ عليهم شيئا
من القرآن . في البداية رفضت بشدة ، ولكن مرافقنا الأفغاني ألح قائلا بأن إمتناعى سوف
يحزنهم كثيرا .
كنت أشعر بالخجل ، فهؤلاء المساكين يحسبوننا من أولياء ا الصالحين ، بينما نحن على حالة
مذرية من ضعف في الدين وقلة في العمل . كنا نراهم أفضل منا حالا بما لا يقارن ، لقد
تحدوا حكومة كافرة مزودة بجيش قوي حديث وتدعمها قوة عظمى . بينما نحن العرب قد
فرطنا في الدين والأرض ، ووقفنا نرتجف أمام حكومات من القش . ورغم ردتها الفاضحة
فقد أكسبها (علماؤنا) صفة الشرعية وأكسبتها قطاعات العمل الإسلامي الكبرى صفة
(أولياء الأمر) . كنا نرى في القروي والراعي والحطاب الأفغاني أكثر علما وأكثر (حركية)
من علمائنا وأبناء (حركتنا الإسلامية) وجهابذتها.
ومن بين كل حالات الترحاب التي لا تحصى ما زلت أذكر ذلك الشيخ الهرم ، كان بدويا مهيب
القامة ذو لحية ضخمة ـ لم تكن لحية أنيقة كالتي ذهبنا بها إليهم ـ قابلناه في أحد الشعاب
ونحن نشرب الماء وقد أعيانا المسير وقت الظهيرة ، كنت مع صديقي أحمد وأحد المجاهدين.
علم الشيخ أننا عرب فهجم علينا يحتضننا . أخذني بين ذراعيه بقوة حتى شعرت بعظامي
تتداخل ، وكان يبكي بحرقة ويتمتم بكلمات فهمت منها :"رسول ا ... الصحابة الكرام ...
الكعبة المشرفة". ولولا الآلام في عظامي لبكيت معه ، وكان في بكائه ينتحب ويتشمم ملابسي
ورأسي بعمق وكأنه يريد أن تلتصق تلك الرائحة في جدران صدره . وكأنه يجد فيها عبق هؤلاء
الصحابة الكرام . كم كنت خجلا من نفسي وقتها . أصر الشيخ على دعوتنا على الطعام وصعدنا
الجبل إلى بيته الصغير . وأخبر الشيخ زوجته العجوز بالخبر المذهل: لدينا ضيوف من العرب.
كادت هي الأخرى أن تطير من الفرح وأمطرت مرافقنا الأفغاني بوابل من الأسئلة فعلمت
أننا قدمنا للجهاد في أفغانستان . لم تكد تصدق ما تسمع . وذهبت مسرعة لتصنع لنا طعاما.
فطيرة ساخنة تسبح في السمن مع طبق من الشهد . وإعتذرت هي وزوجها كثيرا عن أن
طعامهما غير مناسب ، وأننا نريد الذهاب بسرعة ولولا ذلك لذبحا لنا شاة .
خرجنا متأثرين بتلك الحفاوة الصادقة وذلك الكرم العجيب. كنا متفقين أنا وأحمد أن هؤلاء
البسطاء في الجبال هم أفضل منا بكثير وأن إسلامهم أكثر صدقا من إسلامنا ـ نحن العرب.
مشينا عدة مئات من الأمتار ، وقلت لصديقي : إنني أعجب من هذا الشيخ كيف استطاع أن
يتشمم أجسادنا بهذه القوة ، بينما رائحتنا لا تطاق من كثرة العرق والأوساخ التي عليها.
بعد لقاءنا مع ذلك الشيخ صرت لا أستغرب الكرم الأفغاني ولا أتوقع له حدودا. حتى عندما
قال أحد سكان الجبال وهو يودعنا ، وهو يعتذر كالعادة بأن طعامه لم يكن مناسبا وأنه لو كان
يعلم بقدومنا (لذبح لنا أحد أولاده) ، صدقت ما قاله ولم أستبعده بالمرة . وحمدت ا ـ في سري ـ

أنه لم يعلم بقدومنا ، فربما كان فعلها مع علمه بأننا لسنا من آكلي لحوم البشر .*

(فى عام 2001 م رفض الأفغان تسليم أسامة بن لادن إلى أمريكا حتى ولو كانت الحرب هى النتيجة . فهم لايقبلون تسليم ضيفهم لعدوه .. ولا هم يقبلون بتسليم مسلم لكافر . ولولا أخطاء بن لادن ، والعرب معه ، لقاتل الأفغان جميعاً دفاعا عنهم) .

 كنا قد تركنا (السيد محمد طاهر) في ميرانشاه بعد أن إجتمع عليه القوم يقنعونه بعدم المسير، نظرا لمشقة الطريق وخطورته . كان الشيخ المسكين يبكي ويقول أريد أن أشم دخان المعارك حتى أنجو من عذاب النار. فأبكى الحاضرين وإقتنع بصعوبة بالغة بالبقاء ، ثم ودعنا باكيا وقال سأنتظركم هنا ... لن أبرح مكاني حتى تعودوا .

كنا نستبعد أن نراه مرة أخرى . فقد كنا نرجو الشهادة ونتوقعها . كنا نسير في نشاط وسرور، بلا تعب أومشقة كنا نشعر دوما أن أجسادنا فقط هي التي تتحرك على الأرض أما أرواحنا فهي معلقة بين السماء والأرض في إنتظار الإنطلاق المبارك نحو جنات الخلد ... ولكن ذلك للأسف لم يحدث حتى الآن ، ورغم مرور أربعة عشر عاما . إنقضى فيها الجهاد ولم نفز بما نريد.

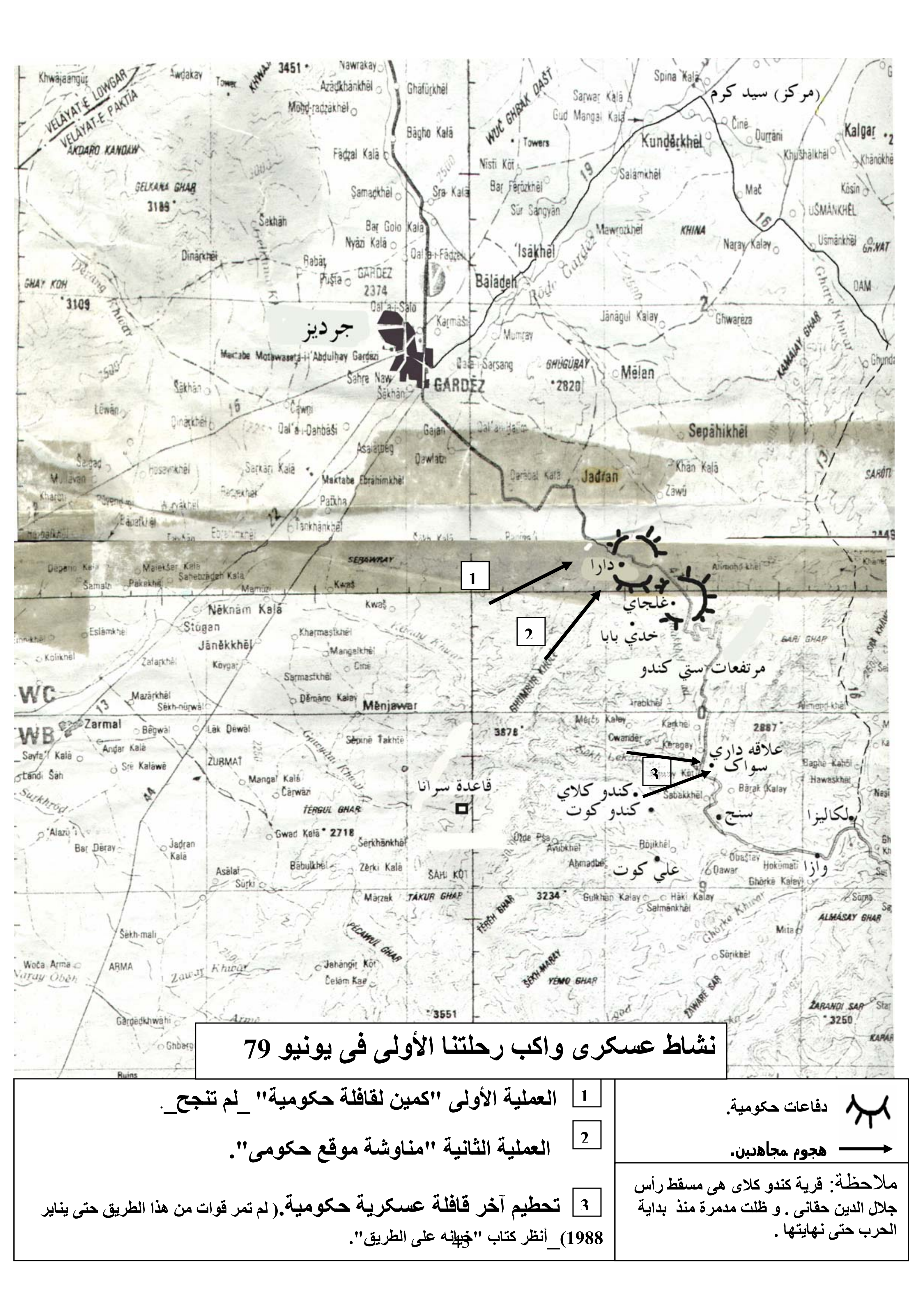
تعليقات على الفصل الثانى :

" قارى محمود " كان من العناصر الفعالة فى حركة طالبان التى ظهرت فى صيف 1994واستولت على كابول فى اكتوبر 1997 . وأطاحت بها الحملة الأمريكية فى نهاية عام 2001م .

وحركة طالبان اطاحت بإدارة (حاجى قدير) والى جلال اباد وقد فر منها قبل دقائق من وصول قوات الحركة إليها قبل اقتحامها كابل بفترة قصيرة .

(أما (عبد الحق) شقيق (دين محمد) و(حاجى قدير) فقد قتلته قوات طالبان فى أعقاب القبض عليه وهو يحاول ترتيب إنقلاب فى جلال آباد لصالح قوات الغزو الأمريكية اثناء أحداث حرب اكتوبر 2001م) .

** توصيف الحكومات بالارتداد ، ليس توصيفاً شرعياً لأن ذلك خارج إختصاص الكاتب . بل هو توصيف سياسى لحكومات تصف أنظمتها بأنها علمانية أى لادينية . وهى بذلك تراجعت عن صفة الاسلامية التى كانت طابع الحكم قبل مرحلة الاستعمار الغربى للبلاد العربية والاسلامية.كماأنها حكومات ترفض أحكام الشريعة،وتعمل على إضعاف الإسلام فى المجتمع وتنصر أعدائه فى الداخل والخارج أما " الارتداد " الدينى فهى حالة يحتاج إثباتها الى علماء دين مختصين ، ذوى علم وتقوى . فأين هم ؟؟. لقد جري تخفيف عبارات (الردة) حتى لا يساء فهم قصد الكاتب ويتهم ، والعياذ با ، بتهمة التطرف أو حتى الإرهاب !!.*



نشاط عسكرى واكب رحلتنا الأولى فى يونيو 79

1 العملية الأولى "كمين لقافلة حكومية" _لم تنجح_.

2 العملية الثانية "مناوشة موقع حكومى".

3 تحطيم آخر قافلة عسكرية حكومية.(لم تمر قوات من هذا الطريق حتى يناير 1988)_ أنظر كتاب "خيانه على الطريق".

دفاعات حكومية.

هجوم مجاهدين.

ملاحظة: قرية كندو كلاى هى مسقط رأس جلال الدين حقانى . و ظلت مدمرة منذ بداية الحرب حتى نهايتها .

الفصل الثالث

الرحلة الأولى: لقاء مع الجهاد

كانت مهمتنا نحن الثلاثة ـ مهمة إعلامية ـ من أحد جوانبها . كنا نريد أن نعلم ماذا يحدث في أفغانستان ، وأن نبلغ ذلك للمسلمين ـ والعرب خاصة ـ . وكنا نرى أن قضية أفغانستان هي قضية إسلام وشعب يجاهد ، فلا بد أن يتواجد المسلمون بأنفسهم وخاصة العرب وبشكل مباشر في أرض الجهاد وأن يبلغوا الأمة من خلفهم بما يحدث ويحشدوا الطاقات اللازمة لتلك المعركة . وفي هذه المرة فإن (الراية) واضحة ولا مجال للإعتراضات التي ظهرت في الحالة اللبنانية / الفلسطينية .

كانت الأوهام قد وصلت بي وبصديقي إسماعيل إلى أن نعتقد بأن أفغانستان قد تشهد ميلاد قوة إسلامية جهادية متحركة تستطيع أن تقاتل حيث تستدعي الحاجة في بلاد المسلمين . وأننا يجب أن نحاول إنشاء هذه القوة .أما أحمد فلم يكن يرى فيها أكثر من فرصة لفعل الخيرات على قدر طاقة كل مسلم لمساعدة الجهاد والمجاهدين والمشاركة بالمال والنفس .

كان التفاوت في الرؤية والأحلام واسعا ، وكذلك تفاوتت قدراتنا على المسير في هذا الدرب الشائك ، كنت أكثر الثلاثة تخيلا لمدى الصعوبات المرتقبة ، ولكن ما رأيته لاحقا في السنوات التالية فاق كل ما توقعته .

حاولنا في البداية تدعيم قدرتنا الإعلامية . كان أحمد أكثرنا عملية في تفكيره وتصرفاته، وكنت وإسماعيل أكثر جنوحا للأحلام البعيدة ـ أو المشاريع الطويلة المدى ـ لهذا كان أحمد أكثر فائدة في مساعدة المجاهدين بشكل مباشر بينما تخلى إسماعيل عن هذا الطريق كلية بعد عامين أو ثلاثة .

استمر أحمد في تقديم ما يمكن تقديمه عمليا وبشكل عقلاني جاد وموزون . بينما بقيت أنا بشيء من طريقة أحمد العملية وبكثير من الأحلام الكبيرة ، حتى إنتهى الجهاد ، وتحولت إلى مطارد ثم بقيت بين الجبال أمارس عملا إعلاميا ـ مستقبليا ـ بكتابة هذه الوريقات .

إستطاع أحمد أن يوفر كاميرا فيديو وكاميرا تصوير عادية وكذلك ثلاث سترات عسكرية أرسلها له أخوه الذي يعيش في لندن وكذلك بعض المال لشراء ثلاث بنادق لتسليحنا الشخصي.

وبالنسبة للعمل الإعلامي فوجئت به وهو يعلمني بأتفاقه مع جار له يعمل محررا في (جريدة الإتحاد) ـ وهي جريدة حكومية واسعة الإنتشار ـ كي يصحبنا هذا الجار في رحلتنا إلى أفغانستان . هذا الصحفي والده عالم دين مشهور يحظى باحترام واسع .

(هو الشيخ حسن أيوب مؤلف كتاب " الفدائية فى الاسلام).

بعد عودتي من لبنان تركت نهائيا العمل الهندسي وتحولت إلى العمل الصحفي . وكنت قد حاولت إحترافه مرتين قبل ذلك ولكن بعد الرحلة اللبنانية إستقر رأيي على اعتبار العمل الصحفى هو الأنسب ممارسته فى ظل مشاريعي المستقبلية. فالكتابة والتصوير، أعمال ممكنة مع الجهاد الذى يدور فى مناطق هامة إخباريا. فعملت فى صحيفة عديمة الإنتشار هي صحيفة الفجر.

فقضيت بها عدة سنوات كانت هي الأجمل في حياتي العملية . فلم أرغب يوما في ترك العمل بها حتى ولو من أجل راتب أفضل ، والسبب هو تلك الروح الطيبة من الصداقة والزمالة مع العاملين بها في كافة الأقسام ـ خاصة قسم سكرتارية التحرير الذي كنت أعمل به

ويرأسه صديق قديم طيب القلب .
نتيجة لذلك فقد كنت أحصل على مدة الإجازة التي تناسبني عند سفري إلى أفغانستان وبدون أية مضايقات إدارية من جانب الجريدة . وفي نفس الوقت كانت المادة الصحفية التي أكتبها أرسلها إلى جريدة الإتحاد كي تنشر بدون وضع الإسم عليها لكوني أعمل في جريدة منافسة.
كنت أفضل أن أكتب عن أفغانستان لجريدة الإتحاد واسعة الإنتشار حتى نحصل على الهدف المنشود من إيقاظ الرأى العام لمساعدة المجاهدين. و لقد نجحنا فى ذلك إلى درجة معقولة .
وقد أوصلني هذا الطريق إلى مصائب ومخاطر لم تكن في الحسبان، كما سنذكر خلال هذا الكتاب.

صحفى رغم أنفه:

عندما عزمنا على السفر إعتذر صديقنا الصحفي . فقررت أن أكون أنا صحفي الرحلة ، مع خشيتي ألا تنشر (الإتحاد) ما أرسله إليها من مواد لكوني لا أعمل في نفس الصحيفة . ولكن (الإتحاد) ولسنوات طويلة ظلت ترحب بكتاباتي . وحتى إنتهت علاقتي بالجريدة نهائيا عام 1990 فإن معظم ما كتبته لهم قد نشر باستثناء مقال كتبته عن وضع الأحزاب الأفغانية ، وكان بمناسبة صورة شهيرة للرئيس الأمريكي (رونالد ريجان) وهو يحتضن، بعطف وحنان، حسناء أفغانية أسموها (ناهد مجددي).
مرة أخرى إمتنعوا عن نشر تحقيق صحفي كنت قد كتبته عن معركة (جاور) عام 1986 وكنت وقتها في قمة التألق (الوظيفي) كمدير لمكتب جريدة الإتحاد في إسلام آباد . ولم أدرك وقتها أن دولة الإمارات على وشك اتخاذ (خطوة رائدة) بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع السوفييت وإن إغلاق مكتبنا في إسلام آباد ، كان عربونا بسيطا ضمن تلك الصفقة .
أما حذف بعض المقاطع من المقالات فكان يتم في مرات قليلة فقط . وقد نعود مرة أخرى للحديث عن هذه التجربة الصحفية ، ولكنها بدأت على أية حال منذ دخولنا أول مركز للمجاهدين قابلناه في رحلتنا الأولى .
وسط غابات الصنوبر الشاهقة في منطقة "أورجون" كانت فقرتنا الأساسية الأولى في الرحلة وهي زيارة مركز القومندان "مطيع ا ".

(مطيع ا : مدرس فيزياء سابق وقائد ميدانى قدير خاض الكثير من المعارك الناجحة استشهد عام1990م فى منطقة خوست بعد عملية عسكرية رائعة . سنذكرها فى موضعها من كتاب (المطار90) من سلسلة ادب المطاريد) .

أرسل القائد وفود إستقبال قابلتنا على مسيرة نصف يوم من المركز . المجموعة الأولى من المستقبلين كان معهم جمل كي يحملوناعليه ـ وكأنه توقع عدم قدرتنا على المسير كل هذه المسافة. رفضنا بإصرار، إظهارا للعزيمة وطمعا في الثواب، فكاد صاحب البعير أن يبكي وقال أن (مطيع ا) سيحزن كثيرا لذلك . فتطوعت لأداء المهمة كنوع من المجاملة ولكنني ندمت على ذلك وقت لا يجدي الندم . فما أن اقتربنا من قمة الجبل حتى أخذ الطريق الترابي في الإنكماش وتزايدت أغصان الصنوبر التي تعترض مسيري وأنا فوق القمة السامقة للبعير الشاب . تلقيت عدة ضربات كادت تطيح بي إلى الوادي السحيق فى اليمين ، أما الجانب الأيسر فهو مغلق تقريبا بسفح الجبل والأشجار النافذة منه بتحد . وأخيرا إعترضني غصن على إرتفاع سنام الجمل تماما . فاضطررت وقتها إلى الإستنجاد بصاحب الجمل الذي أوقفه في اللحظة المناسبة ، وكانت فرصتي حيث إنزلقت على الجانب الأيسر للجمل ، وأصررت على مشاركة إخواني ثواب السير على الأقدام !!.
هبطنا الجبل وأخبرونا ـ كالعادة ـ أن المركز قريب . توقفت للوضوء وسبقني الركب بمسافة

طويلة نوعا ما . وعندما عدت إليهم شاهدت شاحنتين عسكريتين وتجمهرا وحركة حولها .
توقعت أن يكون الركب قد وقع في كمين حكومي . لم يكن معي سلاح والمنطقة مجهولة تماما بالنسبة لي . لم أشاهد أي دلائل على إضطراب كما يقتضي موقف الكمين، حتى لو كان إخواننا إستسلموا ، وهذا مستبعد فبعضهم مسلح . وأخيرا إكتشفت أن الشاحنتين قد جاءتا لاستقبالنا مع لجنة استقبال جديدة ، وأن الشاحنتين هما من الغنائم الحديثة للمجاهدين في معركة تمت منذ أيام فقط في منطقة قريبة منا .
لأول مرة نشاهد الغنائم ، وكنا مندهشين وإنفعالاتنا لا توصف . كنا نقرأ عن الغنائم في الكتب التاريخية ، أيام الغزوات والأيام الزاهرة للمسلمين. درنا حول الشاحنتين ، وكانتا في حالة ممتازة وإلتقطنا لها صورا كثيرة ـ من شدة الفرح ـ منها بعض الصور للشعار الشيوعي على أبوابها الجانبية ، كان شعارا باللون الأحمر ويمثل سنبلتين وبينها كلمة (خلق) أي الشعب ـ كانت الكلمة كريهة لدى الجميع ، وقعها ينذر بالخطر والعداء القاسي .
فقد سمعنا قصصا عن انهار الدماء التي أراقها حزب (خلق) المسيطر على البلاد . وسمعنا شعاراته المليئة بالغطرسة والتحدي مثل(الحكم الأبدي لحزب خلق الذي لا يزول)، وتحقيره العلني والإستفزازي للإسلام كدين وللعلماء وطلاب العلم كأعداء للثورة .
ركبنا إحدى الشاحنتين ونحن لا نكاد نشعر بأنفسنا من فرط السعادة وركب باقي المجاهدين في الصندوق الخلفي وركبت مع زميلاي إلى جانب السائق العجوز الذي لا يمكن أن أنساه .
كان جبليا بكل ما في الكلمة من معنى ، قوي الجسم تجاوز الخمسين ، فاختلط شعر لحيته الضخمة بالكثير من الشيب . سار بنا في طريق بالكاد يصلح للماعز أو الإبل ، فتعرضت السيارة لرجات قوية وكأنها قذائف مدفعية قد أصابتها . وفي كل مرة يضحك من أعماق قلبه ويصيح على إخوانه في الخلف قائلا: "أوه مجاهدينو" .
كان وجهه الطيب يطفح بشرا وسعادة طفولية وكأن هذه الصعاب ليست سوى نكات مرحة.
كنا نضحك لضحكاته . لم ندرك مدى معاناة إخواننا في الخلف سوى في اليوم التالي حينما شاركناهم في الجلوس داخل الصندوق ، وكم ندمنا على ذلك ، ولكن صديقنا أحمد لم يندم بل إنفجر بطريقته الصعيدية ونزل من السيارة غاضبا ، وسبب لنا إحراجا شديدا ، أما مضيفنا مطيع ا فكاد يذوب خجلا واصطحبه معه في المقعد الأمامي إلى جانب سائقنا العجوز الذي توقف عن الصياح خوفا من إنفجار الصديق الغاضب .
وصلنا إلى مركز مطيع ا للمرة الأولى بعد صلاة المغرب وفي العتمة شاهدنا صفين طويلين من رجال الجبال المجاهدين ونحن نمر بينهم في شعب ضيق جدا بين الجبال حتى أن بعضهم تسلق جوانب الجبل حتى يفسح لنا الطريق وما كدنا نتوسط الصفين حتى إنطلاق شلال من النيران بعضه آلي ، وكان الصوت مضخما في ذلك المكان الضيق . أصابنا بالذهول لبرهة قصيرة ، وقفز إلى ذهني ذلك المأزق التاريخي للمماليك في مذبحة القلعة الشهيرة في مصر.
إستقبلنا مطيع ا بالعناق الحار وطلب من رجاله وقف إطلاق النار فوصل الأمر إليهم بصعوبة وسط ضجيج النيران .
كانت ليلتنا الأولى بين المجاهدين لا تنسى . صلينا معهم العشاء خلف قائدهم مطيع ا . كان محبوبا ومطاعا من الجميع ، هكذا شعرنا من خلال التعامل الدائر في المعسكر . وكان نشطا بشكل ملحوظ ، حاد النظرات ذو صوت مبحوح خفيض . ملامحه تنطق بالذكاء والحيوية .
تحلقنا حول طعام العشاء المكون كالعادة من الشاي الأخضر والخبز اليابس ، وذلك الشيء

السكري المدعو (جر) وهو كتل يابسة من عسل القصب أو البنجر . كان ذلك الطعام يصيبني دائما بحالة من الهبوط المعنوي . ولم آكله قط إلا تفاديا للهلاك جوعا.
ولم يكن الحال كذلك بالنسبة للمجاهدين ، فقد كانوا يقبلون عليه بشوق كما كنا نقبل قديما في مصر على أكل الفول المدمس .
كان لدى مطيع ا أخبارا سارة لنا ، فمنذ أيام قليلة إستطاع رجاله تحطيم قوة للعدو حاولت الهجوم على مراكزهم في عمق الجبال ، وغنموا منها الكثير من الأسلحة والذخائر وعدد من الشاحنات الجديدة ومنها تلك التي ركبناها اليوم إضافة إلى عدد من أجهزة اللاسلكي، ورشاشات ثقيلة .
كان من بين المجاهدين بعض الجنود وضباط الصف الذين فروا من الجيش والتحقوا بالمجاهدين وجميعهم من الناطقين باللغة الفارسية التي يعرفها قليلون فقط من سكان تلك المناطق من البشتون .
كان في المركز مدفعين من عيار76مليمتر جبلي كلاهما بدون أجهزة تصويب . في الصباح أطلق لنا مطيع ا قذيفة واحدة كتجربة ، على أحد الجبال البعيدة . وكان التصويب يعتمد فقط على "التخمين"حاولوا النظر من خلال ماسورة المدفع ولكن أحدا لم يشاهد سوى السماء الزرقاء. ولأول مرة نشاهد إطلاقا قريبا لأحد المدافع ،ولكن لسوء الحظ لم نشاهد أين سقطت القذيفة. وبالتخمين قدروا أنها عبرت الجبل حيث لا يوجد سوى القوات الحكومية على أية حال.
وفي الصباح كان هناك درس في إستخدام المدفع يلقيه صف ضابط إنضم إلى المجاهدين حديثا.
مضينا مع مطيع ا لمشاهدة جزء من الغنائم حيث ما زالوا يجمعونها تمهيدا للتقسيم.
كانت خيمتان قد كدستا بأنواع الأسلحة والذخائر وأجهزة اللاسلكي . وما لبث أن حضر عدد من المجاهدين كل منهم يحمل قدر طاقته من بنادق الكلاشنكوف كي يضعها مع باقي الغنائم. كان ذلك مذهلا لنا بكل معنى الكلمة. إلتقطنا الكثير من الصور وإذا بهدير محرك طائرة يخترق السكون، مازالت بعيدة ولكنها تدور حول المكان ، وهذا عمل غير ودي وينذر بالشر وإن كنا لم نكن ندرك مدى الشر الكامن خلف هذا الصوت فلم نحضرغارة جوية فوق رؤوسنا حتى الآن وإن كنا شاهدنا قصفا جويا لعدة قرى بعيدة عنا ونحن في الطريق إلى هنا .
إنطلقت دفعة طلقات من رشاش ثقيل فوق القمة القريبة ، إنه الدفاع الجوي للمجاهدين بدأ في العمل فصعدنا كي نستطلع الأمر، ونلتقط بعض الصور . الطائرة لم تهاجم موقعنا ولكنني فزت بأول لقطة لي في الرحلة وكانت ناجحة لدرجة أنها إستخدت مرات كثيرة في جريدة الإتحاد وهي تمثل مجاهدا أفغانيا في زيه التقليدي وعمامته الضخمة يجلس في ثقة خلف مدفع رشاش ثقيل مضاد للطائرات.
لاحظنا في كل مرة نستخدم فيها الكاميرا، ذلك الشغف الطفولي لدى الأفغان كي يظهروا في الصور. واكتشفنا بعد ذلك أن التنافس على الظهور والزعامة سمة أخرى خطيرة في الشخصية الأفغانية . تلك الشخصية التي إستغرق إكتشافها عدة سنوات ـ من جانبي على الأقل ـ حتى أدركت إلى حد ما مكوناتها الأساسية . ومع ذلك فوجئت بعد (الفتح) وسيطرة (المجاهدين) على البلاد أن هناك سمات لم أكن أدركها حتى تلك اللحظة المتأخرة من ناحية الخلق والطباع. كانت هناك الكثير من نقاط التشابه ـ من وجهة نظرنا ـ بين الأفغان والعرب القدامى وأن أبرز ما يختلفون فيه عن العرب الجدد هو رفضهم للذل وحبهم للدين

وقبولهم السريع بخيار الموت إذا كانت حريتهم مهددة أو إسلامهم في خطر.
 في اليوم التالي إصطحبنا مطيع ا إلى موقع المعركة الأخيرة حتى إذا ما وصلنا إلى وادي متسع نسبيا يتوسطه جدول ماء شاهدنا ثلاث مدرعات محترقة ، وتقدمنا مطيع ا على حذر وطالبنا بالإحتراس من الألغام ، شعرت بالعرق البارد يتصبب من جسدي . وأردت أن أسأله كيف نحترس من الألغام؟. وإذا هو يقدم الإجابة عمليا قبل أن أتكلم ، فقد كان يقفز بخفة الغزال فوق الصخور والنتوءات الحجرية وكذلك فعل باقي المجاهدين ، فقلدناهم ـ أنا وأصدقائى ـ بشيء من النجاح وكثير من الخوف .
كانت الألغام التي إستخدموها مصنعة محليا ومكونة من عدة أصابع من الديناميت مع صاعق كهربائي وبطارية صغيرة ، أما مفتاح الدائرة فهو قطعتين من الكرتون ينطبقان عند المرور فوقهما فتنفجر الشحنة . كانت تركيبة خطيرة وغير متقنة وقد يتسبب مرور كلب أو ماعز فوقها في تفجير اللغم. وعلى أية حال فقد إنفجرت عدة مصفحات، وكان ذلك كافياً كى تنهار معنويات القوة المهاجمة وتستسلم بعد وقت قصير من فتح النيران عليها من جانب المجاهدين .
وكانت هذه هي المرة الأولى التي نتعرف فيها على مشكلة الألغام التي أضحت من معضلات الحرب الأفغانية ، وسوف تستمر كذلك لمدة ألف عام ـ حسب تقديرات الأمم المتحدة .
واختلفت التقديرات في عدد الألغام التي تخلفت في باطن الأرض بعد الحرب فهي عشرة ملايين في أحد التقديرات ومائة مليون في تقديرات أخرى .
إذا كان هناك شعار غير الكفر يمكن إطلاقه على نظام (طرقي)الشيوعي فهذا الشعار هوالحماقة.
كانت الحماقة هي السمة البارزة لتصرفات طرقي وحزبه الشيوعي (خلق) في كافة المجالات سواء في سياسته الداخلية أو سياسته العسكرية . فقد ركبهم الغرور وأفرطوا في الثقة بأنفسهم فاستخدموا القوة بإفراط زائد فتألب الشعب ضدهم ـ هذا إلى جانب عدائهم العلني للإسلام وقد إرتكبوا عسكريا مغامرات طائشة أودت بقطعات كبيرة من الجيش حتى كاد النظام أن يسقط لولا تدخل السوفييت .
ومن مظاهر تلك الحماقات الحملات العسكرية(الثقيلة) في أعماق المناطق الجبلية . فقد قام قادة طرقي العسكريين ـ ومعهم مجموعة من الحمقى السوفييت ـ بتجريد حملات كبيرة من قوات المشاة المدعومة بالدبابات والمدافع الثقيلة والطائرات النفاثة ضد قواعد المجاهدين في الأعماق الوعرة للجبال . وكانت النتائج مأساوية على يد مجاهدين يتميزون بالإيمان والتصميم ويقاتلون بشراسة. وقد أدت تلك الحملات الحمقاء إلى تزويد المجاهدين بثروات هائلة من الأسلحة والعتاد.
كان لدى(طرقى) في ذلك الوقت خمسة آلاف "خبير عسكري" سوفييتي يعملون في مختلف قيادات الجيش الأفغاني حتى مستوى الفصائل . ويشاركون في توجيه وقيادة معظم الحملات ضد المجاهدين . وكان واضحا منذ بداية الحرب وحتى نهايتها ـ باستثناء فترات قليلة ـ أن السوفييت يؤمنون بعقيدة عسكرية تعتمد كليا أو إلى درجة عالية جداً بالضخامة.. ضخامة المعدات وضخامة الأعداد المستخدمة من الجنود والآليات .
لقد أثبتت الحرب الأفغانية بأن الجندي المؤمن هو السلاح الحاسم في الحرب وليست الضخامة أو التكنولوجيا .فقد خسر النظام الشيوعي الحرب في مجال المعنويات حينما لم يتجاوب

الشعب مع الشعارات الشيوعية بل قرر مواجهتها بالسلاح ومهما كانت النتائج المترتبة على هذا القرار .
أما القوات السوفييتية فلم تكن تبرهن طوال مدة الحرب عن معنويات عالية أو إيمان حقيقي بهدف الحرب أي حماية نظام شيوعي صديق ضد تدخل أجنبي ـ لقد ماتت الشيوعية في نفوس الجنود السوفييت قبل أن يحضروا إلى أفغانستان ، ثم ماتت أمام أعينهم في أفغانستان رغم كل ما فعلته دولتهم من مجهودات خارقة لإبقائها على قيد الحياة . لذلك عندما عاد هؤلاء الجنود إلى بلادهم محبطين مهزومين إنهارت الشيوعية في الإتحاد السوفييتي . فالجيش الاحمر ـ عماد الدولة وحامي النظام ـ قد أيقن بأنه يحمي جسدا ميتا عفا عليه الزمن .
غادرنا مركز مطيع الله في منطقة زيروك بالأرجون . وتوجهنا حسب برنامج مضيفنا صوب مركز مولوي جلال الدين حقاني في (سيرانا) . قالوا لنا أنه عالم دين وقائد عسكري شجاع ومشهور كما أنه الرجل الثاني في جماعة مولوي يونس خالص(حزب إسلامي) .
إضطررنا للإلتفاف مسافة طويلة في الجبال الصنوبرية للتحرك من زيروك إلى سيرانا تفاديا لمدينة نكا) أو ـ (نقا) بالعربية ـ وكانت حكومة طراقي مازالت تحتفظ فيها بحامية قوية . قبل أن نبلغ سيرانا بعدة كيلومترات طلبوا منا البقاء إلى أن يتم إخطار حقاني المتواجد خارج سيرانا والمشتبك في معركة مع القوات الشيوعية .
إنتظرنا يوما كاملا حتى جاءنا الإذن بالتوجه لمقابلة حقاني الذي إستقبلنا مع عشرين من رجاله المسلحين وسط منطقة كثيرة الأشجار في وادي بين جبلين . لم يطلقوا النيران كما حدث في معسكر مطيع الله ، والأكثر من ذلك أن حقاني أمرهم بالبقاء قريبا من الأشجار بعيدا عن ضوء الشمس . كان واضحا أن الموقف متوتر وأنهم يتوقعون قصفا بالطائرات على منطقتهم في أعقاب معارك الأيام الماضية التي علمنا أنهم قد ربحوها بجدارة .
تجمهر حولنا المجاهدون بأسلحتهم القديمة وتزايد عددهم تدريجيا . طلب مني حقاني أن ألقي فيهم كلمة ، وكم كان ذلك محرجا . فقد كنت أستصغر شأني إلى جانب هؤلاء الرجال كما أنني لست خطيبا . جلس الرجال على الأرض وبنادقهم في أيديهم يترقبون كلمتنا فيهم ، فألقيت فيهم كلمة قصيرة أذكر أنني قلت فيها : إن راية الجهاد التي رفعت في بدر قد وصلت إلى أيديكم ، وهي أمانة كبيرة وشرف عظيم لكم ، وأن أمة الإسلام تنظر إليكم وقد رفعتم هذه الراية بعد أن طال إنتظارها أن ترفع ، بل أن العالم ينظر إلى نتيجة هذه المعركة الدائرة على أرض أفغانستان بين الإسلام والشيوعية ... . أذكر أنني أنهيت الكلمة بالآية الكريمة :
(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .
تولى جلال الدين حقاني شرح الكلمة باستفاضة ثم دعانا إلى الصعود إلى بيت في أعلى التل القريب حتى نستكمل الحديث .
شرح لنا حقاني بالتفصيل الوضع في أفغانستان وفي منطقتهم ـ محافظة باكتيا ـ والوضع بين المنظمات الجهادية وإحتياجات المجاهدين . وأخيرا نتائج القتال الذي دار في اليومين الماضيين حيث حققوا إنتصارا كبيرا. ودعانا لرؤية آثار المعركة على الطريق العام على مسافة ليست كبيرة .
ما زلت أتذكر الزيارة لموقع المعركة على الطريق الواصل بين مدينتي جارديز وخوست على مسافة ليست بعيدة كثيرا عن جارديز عاصمة الولاية ، ولكن تفصلها عنها سلاسل جبال (ساتي كندو) الشاهقة. ((ساتى كندو) : وتعنى الجبل القاتل فى لغة الباشتو) .

كان الطريق يتلوى بين القمم الجبلية . لقد وقعت القافلة المتوجهة نحو خوست في كمين قاس ...
كانت آثاره المدمرة واضحة . أكثر من عشرين شاحنة إحترقت تماما وجثث السائقين و
معاونيهم قد تحولت إلى تماثيل بشعة من الفحم الذي تبرز منه عظام آدمية بيضاء إضافة إلى
أكثر من عشر مصفحات محترقة ، وقد سقطت جثث الجنود خلف مزاغل إطلاق النار و
بعضهم إحترق داخل المصفحة أو على أسفلت الطريق العام .
جثة أخرى لعسكري ـ أو ضابط ـ زحف إلى خارج الطريق وأسند ظهره إلى صخرة ومات
تحتها ، لقد تعفن الجسد وأصبح أسودا مثل الفحم بينما إنكشفت عظام الجمجمة واليدان فوق
البطن وعظام الفك مفتوحة عن إستغاثة يائسة . عدد آخر من المدرعات ترك الطريق العام
ونزل إلى الوادي الصخري المجاور حيث يسير نهر شمل بمياة قليلة لكنها شديدة الإندفاع .
فتعطلت بين الصخور وغرزت فيها العجلات والجنازير ، وهكذا ضاعت عدة دبابات في
الوادي أيضا . وفوق الجسر منظر غريب آخر ، مصفحتان إقتحمتا الحاجزالحديدي كي تسقط
في الوادي من إرتفاع ثلاثة أمتار تقريبا ، وكأن السائقين فوجئوا بالكمين فقرروا الفرار
بهذه الطريقة ، والأغلب أنهم قتلوا. من المناظر الغريبة أيضا ، إحدى ناقلات الجنود وقد
إخترقت طلقة الحديد السميك المجاور لمزغل إطلاق النار فقتل الجندي وسقط فى مكانه.
نظرنا إلى المكان الذي جاءت منه تلك الطلقة الغريبة ، وكيف إستطاعت اختراق حديد بتلك
السماكة ، وهذا غير ممكن إلا بطلقة ـ أو قذيفة ـ مضادة للدروع وهو الشيء الذي لا يمتلكه
المجاهدون في ذلك الوقت . كان في الإتجاه المقابل للمزغل جبل صلد مرتفع لم تحدث من
جهته أية عملية إطلاق لأن الكمين كله جاء من جهة واحدة عبر الوادي حيث تشرف عدة تلال
متفاوتة الإرتفاع أما الجانب المقابل فهو جبل مرتفع لا يتيح للقوة أية فرصة للإختباء، فكأنها تقف
أمام حائط كي يطلق عليها المجاهدون النار من الجهة المقابلة، فسحقت القوة وهي في وضع سيء.
إكتملت الصورة بكثير من الجثث التي تحللت وأصبحت أشبه بالرماد المحترق وقد تناثرت فوق
الطرق وكأنها كتل بارزة من الإسفلت ، وقد تجمعت الكلاب حولها تنهش منها ما تشاء ، بينما
جلست كلاب أخرى متكاسلة على جانبي الطريق وقد أصابتها التخمة . وفي وسط هذه اللوحة
المأساوية وجدت كتابا ضخما وقد تلوثت صفحاته المصقولة بالدماء ، لقد كان ديوان شعر
باللغة الروسية ، مزينا برسومات رومانسية غير متقنة لضباط وجنود مع فتيات جميلات
حولهم العديد من الزهور والأشجار وزجاجات الخمر والطيور . خمنت أن الديوان كله يتحدث
عن ضباط وجنود ذهبوا إلى الجبهة للقتال وتركوا خلفهم الأهل والعشيقات ومتع الحياة .
أضافت الدماء التي لطخت الصفحات خاتمة مأساوية لحياة إنسان فقد حياته على أرض غريبة ،
لقد قتل وهو يطلق النار على الأبرياء بينما يقرأ أشعارا الغزل ولوعة الفراق ـ كمثل نيرون
الذي أحرق روما وهو يغني أشعارا ـ . لقد سقط الجندي الروسي ـ ولا ندري أين جثته وسط
هذا الحشد المتفحم ، فقد حياته بلا معنى . وبعد يوم وفاته بإحدى عشر سنة تقريبا سقطت
الشيوعية وإنهارت دولة السوفييت فوق نفس الجبال في أفغانستان .
تصاعدت وتيرة الأحداث في المنطقة بعد معركة الطريق. وإرتفعت المعنويات بشكل غير
متوقع ، فوصلت وفود من المجاهدين من المحافظات المجاورة خاصة(غزني) تطلب المعاونة
خاصة من الأسلحة المضادة للدروع (آر بي جي) . كما أن القوات الحكومية في جرديز
بدأت في التذمر ضد قياداتها ، وفجأة وصل أحد عشر ضابطا من رتب متوسطة فروا من
الخدمة وأفادوا بأنهم كانوا يرتبون لعملية تسليم كبيرة مع قواتهم ، وأوشكت الخطة أن تنجح

لكن الإستخبارات الحكومية (خاد) تنبهت للأمر فاضطر الضباط إلى الفرار بسرعة قبل القبض عليهم وإعدامهم .
جلسنا مع الضباط وكانوا من أسلحة مختلفة . ورسموا لنا صورة عن الأوضاع داخل الجيش، وفي صفوف النظام في كابل وأوحت الصورة بأن النظام يتآكل بسرعة غير عادية .
وقد كانت تلك الصورة صحيحة إلى حد كبير فما أن جاء شهر ديسمبر من نفس العام حتى إضطر السوفييت إلي إقحام الجيش الأحمر للسيطرة على البلاد ومنع إنهيار الشيوعية في أرض مجاورة لهم خاصة وأن البديل سيكون هو الإسلام .
كانت الضربات التي تلقتها القوات الحكومية في أمثال ذلك الكمين على الطريق العام (جرديز ـ خوست) قد فاقمت الوضع داخل صفوف الضباط ، وانقسموا بين ضباط عاديين وآخرين منتمون إلى حزب (خلق) الحاكم المدعومين بمستشارين سوفييت وهم أصحاب القرار الحقيقي داخل الجيش. أما الغارات الحمقاء التي قررها السوفييت وأتباعهم من ضباط خلق فقد إنتهت بكوارث مأساوية بين جبال مناسبة تماما لتدمير الجيوش وعلى أيدي رجال تدفعهم حماسة دينية غير عادية .
ومع هذا ظهرت بين المجاهدين قضية الحاجة إلي التدريب بشكل ملموس ، فغاية تدريب المجاهدين آنذاك كان البنادق القديمة وبعض الأسلحة الخفيفة التي غنموها حديثا ، وما سوى ذلك كان لا بد أن يتلقوا عليه دروسا تعليمية من الجنود والضباط المنضمين إليهم . وهؤلاء العسكريون كانوا نادرا ما يمكث أحدهم فترات طويلة بين المجاهدين .
بالنسبة للدبابات والمصفحات ، كان المجاهدون يسلبون منها ما يمكن حمله ثم تحرق الدبابة .
وعندما وصل الضباط من جرديز أرسلهم حقاني إلى الطريق لمحاولة إصلاح شيء من الدبابات المدمرة ولكنهم عادوا والأسى يغمرهم ، فلم يعد هناك ما يمكن الإستفادة منه .
ومع هذا فلم يمكث الضباط طويلا وغادروا إلى باكستان للعودة مرة أخرى إلى مناطقهم أن لاستدعاء أسرهم حتى لا يتعرضوا لبطش السلطات .
وكانت قصة المجاهدين مع القاذف الصاروخي المضاد للدروع(آر بي جي) قصة طريفة ، فلم يكن لديهم أي علم بوجود مثل هذا النوع من الأسلحة أصلا . وفي أحد كمائنهم على نفس الطريق "جرديز/ خوست" هاجموا قافلة من المشاة المنقولة بالشاحنات وخلفها عدد من المدرعات وقطع المدفعية . تشتت القافلة وفر أكثر المشاة وبقيت المدرعات والدبابات تطلق نيران أسلحتها الرشاشة والثقيلة وتجمد الموقف عند هذا الحد ولم يستطع المجاهدون جمع الغنائم أو إخلاء الجرحى والشهداء . وشاهدوا جنديا يحمل هذا السلاح العجيب فسألوه عنه فقال لهم إنه" ضد الدبابة"(وهكذا صار إسمه لدى المجاهدين لفترة طويلة قبل أن يتعلموا إسمه الأصلي).
فطلبوا منه إطلاق النار على إحدي الدبابات ولكنه خاف أن يتقدم، واكتفى بشرح الطريقة لأحد المجاهدين، الذي تناول السلاح وتقدم وأطلق قذيفته الأولى المضادة للدروع في تاريخ حياته العسكرية بل وفي تاريخ المحافظة كلها . فطار برج الدبابة ولم يكن ذلك هو المفاجأة الوحيدة بل المفاجأة الأكبر هي أن كل أطقم الدبابات والمصفحات قفزوا منها رافعين أيديهم إلى الأعلى ، واتضح أن خوفهم من الآر بي جي أكبر من خوف المجاهدين من الدبابات.
ومنذ ذلك التاريخ دخل هذا السلاح العجيب سجل الخدمة العسكرية لدى المجاهدين.
وفي الحقيقة أنهم أبدعوا في إستخدامه طوال مدة الحرب واستخدموه حتى ضد طائرات الهيلوكبتر.

وكان يخيف الطائرات المنخفضة .
واكتشفنا متأخرين ـ بعد نهاية الحرب ـ أن المجاهدين كانوا يرفضون إستخدام منظار التصويب الخاص بهذا السلاح . كنا نظن في البداية أنهم لا يمتلكونه، وفي الواقع فإن المنظار يقفز كثيرا بإمكانات ذلك السلاح وقيمته في المعارك وقدرته الفائقة على الإصابة.
وكان بعض الأفغان يضحكون لرؤيتهم أحدا من العرب وهو يستخدم المنظار ولما سألناهم عن السبب قالوا أن المنظار هو فقط لضعاف البصر. ومع البحث والإستفسارعلمنا بعد سنوات أن المخابرات الباكستانية أثناء تدريبها للأفغان على قطع المدفعية كانت ترفض تدريبهم على إستخدام مناظير التصويب .
لذا كانت مدفعية المجاهدين في الغالب الأعم هي لمجرد التهويش والتطفيش مع وجود إستثناءات محدودة في أواخر مدة الحرب. أما عن تكتيكات إستخدام المدفعية فكانت متخلفة للغاية وشبه منعدمة فيما عدا ما يقدمه الضباط الباكستانيون من مشورات فنية لرجال المدفعية الأفغان، وهي مشورات ضارة أكثر منها نافعة ـ والهدف منها زيادة إعتماد المجاهدين على إمدادات الذخائر القادمة من باكستان وعلى المشورات الضارة لرجال الإستخبارات العسكرية الباكستانية الذين حرصوا على إبقاء الفعالية العسكرية للمجاهدين على مستوى منخفض لا يتطور حفاظا على المصالح الأميركية الباكستانية في توجيه الدفة السياسية للصراع بما يتوافق مع حدود التنافس ـ المحكوم بدقة بين أمريكا والسوفييت .
كان التدريب أحد جوانب المشكلة العسكرية لدى المجاهدين طوال مدة الحرب ، وكان أيضا وثيق الصلة بالجانب السياسي للقضية كلها. وفي سنوات الحرب التالية عندما ظهر العنصر العربي على مسرح الأحداث سوف نرى جوانب هذه المشكلة لديهم أيضا .

ماهو مذهبك؟

في تلك الأيام أتذكر كثيرا الوفد الذي قدم من ولاية غزني برئاسة ذلك المولوي الشاب، الذي يتفجر قوة وعزيمة . قابلته في تلك الأيام حال وصوله إلي مركز "سرانا" وهو مازال يلهث من صعود الجبل. سألني بعربية فصيحة: هل أنت عربي ؟
... وعلمت منه أنهم يسكنون في مناطق ريفية مفتوحة ويعانون بشدة من الدبابات وأنه قدم يطلب المعونة من مولوي جلال الدين، فقد علم أن لديهم "ضد الدبابة" ويريد واحدا منها على الأقل . فلما سألته عن مشكلة الطائرات ، قال أنهم لا يبالون بها كثيرا ، فالطائرة "الجت" أي النفاثة ـ ترمي قنابلها وترحل ، أما الدبابة فإن الجيش يدخل بها إلي وسط البيوت ، وينتهك الحرمات ويستبيح الدماء بدون أن نملك له دفعا .
ولما سألته متعجبا من عدم خشيتهم من الطيران كانت تفسيراته أشد غرابة . فقد كان يجلس علي ظهر البيت مع أمه العجوز ، وفجأة وصلت الطائرات وبدأت ترمي قنابلها فوق القرية ، فلما أراد أن يجري إلى الأسفل للإحتماء من القصف وبخته أمه العجوز قائلة : أنت مولوي تحفظ كتاب ا وتخاف من كافر ؟. فشعر بالخجل والندم وبقي معها حتى إنتهي القصف ثم نزل كي يساعد في إسعاف الجرحى ونقل جثث الشهداء .
كانت قصة الأم غريبة بالنسبة لي ، ولكن أمثال تلك المواقف كانت حقيقة ، من نساء ورجال وكان ذلك أحد الجوانب الخفية للأسطورة الأفغانية .
ولما سألت المولوي عن برنامجه الجهادي وما هي غايته ، كانت إجابته التي ترن في أذني

الآن (سنقاتل الشيوعيين حتى نفتح بخارى وسمرقند) .
بحلقت في وجهه مندهشا... كيف تذكر هذا الجبلي تلك الأسماء التي ترقد في غياهب التاريخ الإسلامي ؟ كيف يجرؤ ؟ .. لقد نفذت كلماته في أعماقي وشعرت كأنها نبوءة قادمة لا محالة ، وإن كانت فوق كل خيال وتصور .
كم كانت نبوءة ذلك الشاب المولوي صادقة وأنا أرى أمامي الآن مجاهدين من بلاد الطاجيك وبلاد الأوزبك يتدربون(فى معسكر الفاروق) ، ويقاتلون لدحر الشيوعية المتبقية في بلادهم .
إن بخارى وسمرقند باتت على قاب قوسين أو أدنى .
ولكن إلى أي مدى خذلنا الأفغان ؟ وبالتحديد قياداتهم التي خانت شعبها بل خانت قضية الإسلام في الأرض .
تلك الصلابة وذلك الإقدام والتعالي الإيماني كانت دروسا لا تقدر بثمن ، وكنا نحن الذين تربينا في أجواء الذل والقهر والإستخزاء أشد ما يكون حاجة إلى أن نتلقاها على أيدي هؤلاء الأساتذة .
ثم فاجأني المولوي الشاب بسؤال لم أدرك خطورته إلا بعد سنوات عدة ، فقال لي :(ما هو مذهبك ؟) . ..كانت مفاجأة أخرى ، فلأول مرة يوجه لي هذا السؤال ،وحتى تلك اللحظة لم أكن أدري تحديدا ما هو مذهبي ، بل لم يكن لذلك أدنى أهمية لدي .
وتذكرت أن مصر يغلب عليها المذهب الشافعي ، فاستنتجت أنني لا بد أن أكون شافعيا كذلك .
فأخبرت الرجل أنني شافعي المذهب . ولكنه واصل السؤال : ماذا تعرف عن محمد بن عبد الوهاب ؟ .
وقد تصادف أنني أحضرت معي كتابا جامعا لمؤلفات ابن عبد الوهاب ، وقد أعجبتني كثيرا خاصة وأن ما كنت أسمعه عنه كان شديد العداء له ولحركته ، ولكنني عندما بدأت في قراءة كتبه أعجبني أسلوبه ومنهجه . وبكل سذاجة بدأت أعدد مزايا إبن عبد الوهاب أمام المولوي الشاب . وبعد عدة سنوات أدركت لماذا لم أر هذا المولوي إطلاقا بعد ذلك وكان هذا هو حديثي الأول والأخير معه . وبعد سنوات أخرى أدركت مدى العداء الشديد الذي يكنه أحناف أفغانستان ـ وهو المذهب الوحيد هنا تقريبا ـ للشيخ إبن عبد الوهاب .
وبعد الجلاء السوفييتي وتفجير الخلافات بين الأفغان والعرب المجاهدين ، كان الخلاف المذهبي والعداء بين "الوهابية" و"الأحناف" هي الراية المقيتة لذلك الخلاف الذي أشعلته أمريكا في حملة طويلة لمطاردة المجاهدين العرب واستئصالهم من منطقة وسط وجنوب آسيا .
الورقة "الشيعية" كانت هي الأخرى ورقة رابحة في اليد الأمريكية البارعة واستفادت منها على إمتداد العالم الإسلامي كله ومن ضمنه المنطقة الأفغانية . وقد إنساق المسلمون على الساحة الأفغانية وراء المستنقعات العفنة التي حفرتها أمريكا بسواعد حلفائها ـ أو أتباعها ـ من الدول (الإسلامية) والحركات الإسلامية التي إنساقت ـ بدوافع مختلفة خلف ركب الفتنة ـ وقد غطت العيون والقلوب ستائر الجهل أو التعصب أو المنفعة المادية ـ أو جميعها ـ وكانت أفغانستان ساحة خصبة لكل ذلك .
كانت الثورة الإسلامية الإيرانية حدث العالم في ذلك الوقت، بينما أفغانستان تخوض في بحارالدماء بعيدا عن الأعين والأبصار . وأذكر أنني جلست مع صديقي إسماعيل لتسجيل رسالة صوتية من الشيخ جلال الدين حقاني. وجهنا سؤلاً له عن الثورة الإيرانية و الإمام الخميني.
وكان رده طيبا ومرحبا ، ولم نجد نحن حرجا من توزيع الرسالة بعد عودتنا إلي أبو ظبي.
وكانت الثورة في إيران قد وصلت إلى السلطة منذ أشهر قليلة وسط ترحيب شعبي هائل علي

مستوى الرأي العام الإسلامى .
وبعد سنوات كم تغيرت الصورة وأصبح الطعن فى الأمام الخميني وتكفير الشيعة "فرض عين" على كل مسلم. وعندما تنامى الدور السعودي ـ العلني ـ في أفغانستان سمعت عام 1986م، من بعض أنصارها المذهبيين ـ أقصد السلفيين ـ أن أخطر الأخطار على مستقبل أفغانستان هم الشيعة الأفغان وليس الإحتلال السوفييتي .
وعلى قدر ما أدهشني الطرح وهو من شاب إسلامي مرموق في الوسط (المهرجاني) وأوساط الندوات والمؤتمرات شرقا وغرباً ،على قدر ما فشلت في إقناعه بأهمية تأجيل ذلك الخطر الداهم و التعامل معه، إلى ما بعدالجلاءالسوفييتي !! ولكنه نظر إلي متشككا . فمن المفروض ـفي رأيه ـ أن كل مسلم صحيح العقيدة لايتردد في تأييد طرحه ذلك على طول الخط .
وفي نفس العام قابلت آخرا من نفس المدرسة وينتمي إلى الشمال الإفريقي ـ ترك الجهاد في أفغانستان وأخذ يدعو غيره إلى ذلك ـ وبالطبع دعاني أيضا، فسألته عن السبب فقال لي بأن المذهب الحنفي يحتوي على ما لا يقل عن عشرة مسائل يخالف فيها ـ عن سبق إصرار وترصد ـ السنة النبوية المشرفة . إعتذرت له بكوني غير عالم حتى أحكم على (إنحرافات) أبي حنيفة ولكنني سأصدق ما يقوله بلا مناقشة بأن لدى "أبو حنيفة" عشر مسائل يخالف فيها السنة النبويه عن عمد ولكنني متأكد ـ في حدود علمي ـ أن بابرك كارمل رئيس النظام الشيوعي في كابل لا يوافق الشرع أو السنة في مسألة واحدة . فأيهما أولى بأن يحكم أفغانستان ؟ شرع "أبو حنيفة" أم شرع ماركس ؟ .
بالطبع لم يعجبه القول ولم أره بعد ذلك إلا مرة واحدة بعد إنسحاب الروس وقد إنحصر معسكر المسلمين في نظره إلى أشخاص قلائل، هو بالطبع على رأسهم .
الجانب الحنفي لم يقصر في رد التحية بأحسن منها فموقف معظم العلماء عندهم أكثر تشدداً إزاء الوهابية منهم إزاء الشيعة . فالأولى كفر والثانية بدعة . أما المودودية، نسبة إلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند، فهو يلحق بإبن عبد الوهات من حيث الدرجة في الحكم .
تميز الجانب الأفغاني بضبط النفس ، ثم عبر عن نفسه بدرجة معقولة من الوضوح بعد معركة جلال آباد . ثم بكثير من الوضوح بعد سقوط النظام الشيوعي في كابل حيث تجلت المواقف الحقيقية لقادة الأحزاب "الجهادية" ، سواء مواقفهم الإعتقادية أم السياسية ، وجميعها كانت معاكسة بشكل كلي لما كان معلنا في سنوات المحنة و "الجهاد المقدس" .
وفي قندهار أطلقها أحد العلماء بأن قتل وهابي واحد أكثر أجرا عند ا من قتل ثلاثة عشر روسيا (بالتحديد) !! . سمعت تلك الفتوى عام 1989 ـ عام جلال آباد ـ والمدهش أنني سمعتها منذ شهرين (يوليو1994) عندما أوقفنا أحد(المجاهدين) التابعين لبرهان الدين رباني رئيس الدولة ـ وكان يظننا من الطاجيك ـ ولكنه إعتذر قائلا : لقد ظننتكم عربا وهابيون ... وكم أتمنى من ا أن أقتل أحدهم فذلك أعظم أجرا وثوابا من قتل ثلاثة عشر روسيا!!.مرة أخرى نفس التسعيرة التي وضعت في قندهار.والعجيب أن لدى معظم العوام هنا في أفغانستان ـ أن كل عربي وهابي ـ وليس كل وهابي عربي ـ لأن هناك بعض الأفغان قد تحولوا إلى الوهابية وتلك قصة أخرى .
كانت زيارتنا الأولي مثل البذرة التي تحوي كل الخصائص الوراثية للنبات القادم من أحشائها. ولم أتبين ذلك بوضوح إلا على مراحل . وفي الوقت الراهن أعتقد أن الوضوح هو في

أقصى درجاته بعدما إكتملت التجربة وظهر جليا كل ـ أو معظم ـ ما كان خافيا أو غامضا غير مفهوم بالنسبة لنا .

الأخطاء والمزايا جميعها كانت موجودة ، على جانبنا نحن العرب ـ ولو كمجموعة بسيطة كمجموعتنا الثلاثية ـ ولكن معظم سمات التواجد العربي اللاحق و ملامحه الرئيسية تواجدت فينا من ضعف التأهيل الديني والسياسي والعسكري لمواجهة عظيمة بهذا الحجم بين الإسلام، الذي يمثله أفراد مندفعون غير مؤهلين، ومن خلفهم أمة تائهة ضائعة مستعبدة مستباحة الحرمات .

وتواجدت فينا الأحلام الهائلة ـ الهلامية ـ غير محددة العالم ، ولا ندري لها كيفية للتنفيذ على أرض الواقع . تلك الأحلام تعكس مدى جهلنا بواقع العالم بل واقعنا نحن . ولعل ذلك الجهل كان أحد أسباب جرأتنا في الحركة . إنها شجاعة الجهل التي أدهشت كثيرين، وجلبت لنا الكثير من المشاكل والإتهامات والتشكيك وقادتنا إلى الصدام مع الأقوياء. والذي أدهشنا أكثر من أي شيء آخر أو أول صدام وأقساه على نفوسنا جاء من تلك الجهة الإسلامية التي حاولنا التعلق بها كما يتعلق الغريق بقشة وسط موج هائج . وأقصد بها جماعة الإخوان المسلمين التي لاقينا منها أشد العنت طوال عملنا في قضية أفغانستان . ثم لاحقتنا بعض (بركاتها) عندما حاولنا ـ هذه الأيام ـ الإنتقال للعمل في قضية طاجيكستان .

لقد أحيت فينا (التجربة الأفغانية) الكثير من الآمال وأوضحت لنا وأنارت الكثير من السبل العملية وزودتنا فيها بشيء من البصيرة والخبرة ، لكنها أيضا أطاحت بآمال وأحلام أخرى كثيرة أولها كان جماعة (الإخوان المسلمين)، وآخرها تلك الآمال الساذجة في دولة على وشك الظهور في أفغانستان تحكم على نهج النبوة، على أيدي خلفاء راشدين !! .

وبين هذه وتلك تقع أحلام أخرى خاصة بتجميع "أمة الإسلام" خلف قضية ما أو زعامة ما. ورغم أن قناعاتنا مازالت على أن السعي نحو تلك الوحدة إنما هوفريضة دينية إلا أن قناعتنا حاليا هي أن ذلك هو المستحيل الثامن إلا أن يتغمدنا ا برحمته، لأن تلك الوحدة ظهر لنا بالدليل العملي أنها فوق قدرة البشر أجمعين (لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن ا ألف بينهم) . إنها معجزة إلهية بحتة وإن كان السعي الإنساني إليها ضرورة دينية كما أسلفنا رغم يقيننا بالعجز أمام تلك المهمة .

وما أشبه ذلك بالقتال ضد جيوش جرارة حديثة ومتفوقة في كل شيء ـ ما عدا الإيمان ـ وهذا ما رأيناه ولمسناه بالحواس (الستة) في أفغانستان أنها مهمة مستحيلة بالمقياس البشري ولكنها تحققت أمام أعيننا في أفغانستان ، وما أظن أن بني إسرائل مع نبي ا موسى كانوا أشد دهشة منا وهم يشاهدون بأم أعينهم معجزة شق البحر وإبتلاع الموج لأقوى طواغيت الكفر وجنوده.

إذن وحدة الأمة هي (المعجزة المنتظرة) ـ كما أظن ـ ويأتي بها ا عندما يرى سبحانه أن عباده قد تهيأوا لاستقبالها بما هو أهل له من طاعة وإنقياد وتذلل إلى ا ـ من دون العباد .

 لقد أظهرت التجربة الأفغانية ـ من وجهة نظري ـ مدى ضعف بنية العمل الإسلامي الطليعي المتمثل في الجماعات. وكم أن تلك الجماعات بعيدة عن الأهداف المعلنة لها بل و مناقضة لها في أكثر الأوقات. وكم أن الفردالمسلم المنتمي للجماعات ـ أو الملتزم وغير المنتمي ـ ما زال بعيدا عن المستوى المطلوب . باختصار لم ألاحظ في تلك التجربة أن لدينا الآن الفرد المسلم الحقيقى الذي يمثل هذا الدين والذي يمكن له أن يقابل النماذج البشرية الكفرية المدججة بأسباب القوة المادية .

إن قوانا الروحية والأخلاقية لم يتم شحذها. فما زلنا ملوثين إلى درجة خطيرة بالمثل والخلق

الجاهلي.ومهزومين داخليا ـ مهما علا صراخنا بعكس ذلك ـ أمام حضارة الغرب الملحدة . من السهل إنحرافنا أو شرائنا أو تسخيرنا لمشيئتهم ومخططاتهم بعلم منا أو بجهل . وما حركتنا في أفغانستان ثم البوسنة إلا أمثلة لهذه السيطرة (الطاغوتية) وتحكمها عن بعد أو عن قرب بأفضل تحرك إسلامي في العصر الحديث ألا وهو التحرك الجهادي . هذا التحرك الذي برز وتنامى فى أفغانستان، ولم تتبلور له قيادة أو أسلوب عمل أو أدوات تنظيمية أو فكر واضح المعالم ومتكامل ويغطى مجالات الحركة المطلوبة، عسكرياً وسياسياً فى ظل مفاهيم شرعية واضحة ومنضبطة .

هذا كله لم يحدث في أفغانستان ، وحتى الآن لم يحدث في أي مكان آخر حسب علمي لا في البوسنة ولا طاجيكستان ولا مصر ولا حتى الجزائر رغم التقدم الكبير للعمل الجهادي بها حتى لحظة كتابة هذه السطور . فقد أثبتت أفغانستان أن العبرة بالنتائج النهائية للعمل الجهادي وليس بمقدار التقدم العسكري لهذا العمل في مرحلة من المراحل . وتعلمنا من أفغانستان أن الصراخ الجهادي مهما علا وثقب الآذان وهز الجدران لا يعني بأي حال أننا أمام عمل جهادي صحيح أو قيادة إسلامية مخلصة . وكثيرا ما تتناقض حدة الصراخ مع درجة الإخلاص .

وإلا لكان الشعب الروسي أكثر الشعوب إيمانا بالشيوعية، وإلا لكان القادة الأفغان والمنظمات الجهادية في أفغانستان أكثر إلتزاما بأبسط أحكام الإسلام وأقل خضوعا للدول الخارجية الكبيرة منها والصغيرة ، من أمريكا وحتى باكستان مرورا بالسعودية وإيران وحتى أوزبكستان وطاجيكستان المحكومتان بنظم شيوعية حتى الآن . ولكن نفوذها داخل أفغانستان (الإسلامية) (المجاهدة) أكثر من النفوذ العملي لأبي حنيفة رضي ا عنه .

كان من أخطائنا البارزة ذلك الخطأ في تقييم الشخصية الأفغانية ، وتلك الشخصيات التي قابلناها في رحلتنا الأولى حينما كان الجهاد في أنقى صوره قد أسرتنا مثالياتها من بطولة وإيمان وتضحية وتقشف وحماس ... إلخ، فعممنا ذلك على كل الأفغان ، وتصورنا المجاهد الأفغاني في صورة أقرب للملائكة . وأعترف أنني كنت الأكثر مغالاة في ذلك الجانب من صديقاي أحمد وإسماعيل . وقد كانت أول مرة أغضب فيها على صديقي المنياوي هي تلك المرة التي إتهم فيها أحد المجاهدين بسرقة بعض متاعه ـ وإن كان قد صرح بذلك سرا بيني وبينه ـ وغضبت لكونه إتهم مجاهدا بالسرقة، ومرة أخرى إتهم آخر بالكذب. وكان تقييمه النهائي للأفغان (إنهم قوم يستحيل معاشرتهم).. أحزنني وأغضبني هذا التقييم القاسي،

ولكن السنوات أثبتت أن هناك الكثير من السراق والكاذبين بل والمنافقين كانوا دوما في صفوف المجاهدين وبنسبة متزايدة مع الزمن. ساعد على ذلك ظروف خاصة يمر بها المجتمع الأفغاني إضافة إلي ملابسات القضية الأفغانية والتداخلات الخارجية فيها .

وليس الشعب الأفغاني منفردا بتلك العيوب ، مع كونه يجمع مزايا أخرى نادرة يصعب العثور عليها في أكثر الشعوب الإسلامية الأخرى .

لقد كان صديقنا الصعيدي أكثر خبرة بالناس. ساعدته في ذلك ظروفه الشخصية التي سادها الإضطراب فترة الصبا التي نضجت فيها شخصيته مبكرا . أما أنا فكنت أقرب إلي تكوين (طالب الجامعة) المثالي قليل التجربة . أما صديقي إسماعيل فهو المثقف الذي إكتسب تجربة في العمل السياسي الجامعي فيما بعد مرحلة عبد الناصر . لذلك وبعد زيارته الأولى إلى أفغانستان كان رأيه أن الأفغان أقل من مستوى طموحاتنا والدور الذي نحلم أن يلعبوه على المسرح الإسلامي والدولي. وكان أيضا صادقا فيما ذهب إليه ، وكنت أوافقه على رأيه ولكنني

كنت مصرا على أنهم سوف يفعلون الكثير للإسلام ولمشروعنا الجهادي أيضا ـ رغم بساطتهم السياسية ـ على حد تعبير إسماعيل بعد زيارته الأولى .
ثم تابع كل منا تجربته من مسار مختلف وزاوية مغايرة فزاد التباين بين وجهات النظر ـ منذ العام الأول ـ فبينما ذهبت مع أحمد إلى جبهة القتال ، عاد إسماعيل إلى بيشاور بعد أن تورمت ركبتاه المصابتان منذ عهده الرياضي الحافل ، وهناك التقى مع جماعة "حكمتيار" وهم مثقفون نشطون يختلفون كثيرا عن مجاهدي الجبهة الذين هم رجال من الصخر أو أشد، ولا يكاد يكون لهم دراية بعالم السياسة المعقد والغامض .
كون إسماعيل رأيا بأن حكمتيار قد يكون الأقدر على القيادة وأن كوادره لا بأس بها لو وجدت الفرصة والإمكانات ، وخالفته بشدة في ذلك بعد ما رأيت وسمعت في الجبهات ثم في بيشاور من جهات معارضة لحكمتيار. فقد كان رأيي أن حكمتيار مشروع كارثة .
وللأسف فإن علاقاتي قد توترت مع إسماعيل لفترة نتيجة إصرار كل منا على وجهة نظره .
وإنتهى الأمر بإسماعيل إلى ترك العمل في القضية الأفغانية تماما . بينما أكملتها إلى الرمق الأخير ، وأبقي أحمد على نوع من الإرتباط المرن والفاعل وحرص على عدم الغرق في بحارها كما فعلت . ولكنه ظل مفيدا حتى اللحظة الأخيرة للقضية .
وأثبتت الأحداث أن كلانا ـ أنا وإسماعيل ـ كان على شيء من الحق . فالرجل "حكمتيار" كان نشطا وذكيا وحادا، ويمتلك أفضل تنظيمات الأفغان نشاطا وحركية. ولكن كل ذلك كان يتحرك في إتجاه الكارثة ومكرسا بالكامل لمصلحة قوة خارجية ـ هي باكستان ـ ومصالحها وتوجهاتها السياسية أكثر من إرتباطه بقضية إسلامية أو حتى وطنية على أرض أفغانستان .
وقد إتضحت لي هذه الصورة بدون إلتباس في أواسط الثمانينات عندما بدأت أتلمس عن قرب في إسلام آباد أثناء عملي الصحفي ،الآلية الدولية التي تحرك الصراع داخل أفغانستان .
* حتى أخطاء العمل العسكري كانت بذورها واضحة في تلك الزيارة . وأبرزها مشكلة القيادة وتبعثرها وعدم الإجماع على قيادة واحدة حتى داخل المنطقة الواحدة . ثم مشكلة التدريب على الأسلحة الحديثة والتكتيكات العسكرية المناسبة . أما الإستراتيجية الشاملة للعمل العسكري فلا تسأل عنها حتى نهاية الحرب .
ومشكلة الغنائم كانت معضلة بقدر ما كانت مأساة وتستحق أن نفرد لها حديثا مفصلا . ولكنها معضلة ظهرت وإستمرت وتفاقمت منذ اللحظة الأولى حتى اللحظة الأخيرة للقضية الأفغانية . وكانت نتائجها مأساوية على مسيرة الجهاد كما سنتحدث لاحقا .
وعلى الجانب العربي ، فقد كان ثلاثتنا مشروعا لتواجد عسكري عربي دائم وطليعة لذلك المشروع الطموح والهلامي لقوة إسلامية ضاربة ومتحركة .
وكان من مشاكلنا التدريب والتسليح والتمويل والقيادة ثم الإتصال "بالأمة الإسلامية" التي نطمح إلى إيقاظها والدفاع عنها ـ كل ذلك دفعة واحدة بدون أن ندري إجابة لأي سؤال يبدأ بكلمة (كيف ؟) .
كانت تلك مشاكلنا ـ أو الجزء الهام منها ـ وقد ظلت مشاكل أيضا للتواجد العربي طوال فترة عمله في القضية الأفغانية . وقد ذكرنا من قبل أن مشكلتنا المبكرة في عدم وجود قيادة لنا أو رؤية موحدة لنفس الحدث الذي نعايشه والقضية التي نعمل لها ، ولا حتى إدراك كافى لهذه القضية وأبعادها السياسية أو مستلزماتها العسكرية من وجهة نظر إحترافية فما نحن إلا هواة

عديمي الخبرة إضافة إلى سذاجتنا في تناول الحدث والتعامل معه أو في فهمه وتحليله .
لقد قفزنا ببساطة إلى المجهول كي نتعلم . فهل تعلمنا ؟ ... أرجو أن نكون قد تعلمنا قليلا .
....
إنتهت فترة إنتظارنا في (سرانا) بعد وصول أسلحتنا التي اتفقنا مع (مطيع ا) على شرائها وإرسالها بعد توزيع الغنائم . إستلمت وصديقي أحمد بندقيتين من طراز كلاشنكوف مع مخزنين من الذخيرة لكل واحدة .كان إسماعيل قد غادر منذ فترة يعاني من الآلام المبرحة في ركبتيه ـ وأخذ معه كمية من الأفلام التي تم تصويرها وتقرير صحفي عن أهم ما شاهدناه إضافة إلى بعض الأخبار. وكانت تلك أول مساهماتي الصحفية الميدانية في قضية أفغانستان .
كان يوم الخميس عندما ودعنا حقاني وأرسل معنا أحد رجاله كي يصطحبنا إلى الخط الأول حيث مركز مولوي عبد الرحمن في (دارا) ، وهي قرية كبيرة تقع على الطريق الرئيسي في بدايته تقريبا ـ المتوجه صوب خوست . تلى (دارا) قرية أخرى إلى الجنوب تسمى (غلجاي) ثم تبدأ مرتفعات (ستي كندو) الرهيبة والتي تكسوها غابات الصنوبر.
قضينا ليلة الجمعة قريبا من قمة جبل يشرف على دارا من جهة الغرب وعلى بعد عدة كيلومترات منها. ذلك البيت المكون من غرفة واحدة ويديره مجاهد في منتصف العمر مع إبن له، كمركز متوسط بين القيادة الخلفية في (سرانا) وبين البؤر المتقدمة حول سياج المدينة الخارجي . توافد علي البيت حوالي عشرة مجاهدين آخرين قرروا المبيت حتى الصباح حيث يواصلون المسير إلى مواقع مختلفة . وقد أكرمنا مدير المنزل بدجاجة كاملة ، إحتفالا بالمجاهدين القادمين من عربستان. ولم تكن تلك هي المناسبة الأولى أو الأخيرة ـ التي إكتشفنا فيها أن لحم الدجاج الأفغاني غير قابل للأكل فهو قاس جدا وغير قابل للطهو مهما طالت المدة وتعالت النيران.
مع أول ضوء شرعنا في نزول الجبل مع الدليل ، وكانت رحلة سهلة لكونها تنحدر إلى أسفل ، وأدهشنا وجود كتل ثلجية في أخاديد تلك الجبال الشاهقة ، ونحن في شهر يونيو . وصلنا إلى أحد الشعاب المتسعة نسبيا والذي يشبه مجرى نهر جاف غير أن جدول ماء رائق وغزير نسبيا يتخلله من المنتصف . على الجانبين أجراف ترتفع عدة أمتار ، وقد حفر المجاهدون على مسافات متباعدة بعض الحفر الأفقية في محازاة مستوى الأرض إلى داخل الجرف ، وقد ظهر لنا فيما بعد أهمية هذا الإجراء البدائي في الوقاية من نيران المدفعية والطائرات ، وقد لمسنا ذلك بعد وقت يسير في نفس المنطقة .
إنحرفنا يمينا إلى شعب أضيق يمر به مجرى مائي أصغر . وبعد حوالي خمسين مترا بدأت تظهر علامات لا تخطئ بأن هناك بشرا يسكنون المكان . هناك عمائم منشورة على سفوح التلال الشرقية كي تجف ، فاليوم الجمعة وقد شاهدنا أفراد من المجاهدين منهمكين في غسل ملابسهم . تلك العمائم تبلغ الواحدة منها عشرة أمتار تقريبا في الطول ومترا ونصف المتر في العرض وقد نشرت في ضوء الشمس متتابعة فبدت كعلم ضخم متعدد الألوان. فهناك الأبيض والذهبي والأسود والأخضر . كانت مظاهرة فلكلورية جميلة لكني شعرت بالخطر فأي طائرة تمر بمكنها تمييز المركز بسهولة . ولم نكد نسير إلا قليلا حتى رأينا عرضا آخر عبارة عن عدد من الآنية المستخدمة في الطبخ وأباريق الشاي وعلب السمن الفارغة وقد نثرت على جانب الوادي تحت أشعة الشمس وقد أعطت إشارات لا يخطئها عاقل بأن هناك

مركزا للمجاهدين في ذلك الوادي .
تعرفنا على"مولوي عبد الرحمن" قائد المركز وهو شاب فارع الطول وقوي البنية لا تنقصه روح الدعابة مع إبتسامة ساخرة لا تكاد تفارق وجهه ، يضع نظارة طبية منذ فقد إحدى عينيه في معركة مع الشيوعيين منذ أشهر قليلة . كان مشهورا بشجاعته ومواقفه الفاصلة مع رجال الحكومة في جرديز. وتعرفنا أيضا على مولوي "محمد سرور جان" وهو خال مولوي عبد الرحمن رغم تقاربهما في العمر. وهو يتكلم العربية لدرجة تكفي لأن يكون مترجمنا الخاص منذ لحظة إنضمامنا إلى المعسكر وحتى عودتنا إلى ميرانشاه مرة أخرى . وكلا الرجلين مازال حيا إلى الآن ضمن مجموعة قليلة من أفراد ذلك الجيل الأول الذي فجر الجهاد وشارك فيه حتى لحظات النصر الأخيرة ... ومعظم هذا الجيل قد لاقى حتفه على طريق الجهاد.
بإنضمامنا إلى المركز صار عدد المجاهدين إثنا عشر شخصا ثلثهم تقريبا من جنود الجيش الذين إنضموا للمجاهدين . ضحك مولوي عبد الرحمن قائلا : ما أغرب هذا المركز عندنا إثنا عشر مجاهدا يتكلمون أربع لغات !! .
تنبهت إلى تلك الحقيقة التى تختزن حقائق أعمق وأخطر ، وهي إنصهار تلك القوميات المختلفة تحت راية الجهاد منذ ذلك الوقت المبكر . كان هناك البشتون ، أهل المنطقة، والعرب ـ أنا وصديقي أحمد ـ ثم الفرس والأوزبك من جنود الحكومة المنضمين إلى المجاهدين .
ذكرني ذلك الموقف الإسلامي الرائع والبسيط في مركز مولوي عبد الرحمن، بذلك العفن الذي تديره أمريكا الآن فى أفغانستان لإثارة النعرات القومية والنزاعات المسلحة بين القوميات . ومنذ الفتح وحتى الآن والحرب دائرة بواسطة (التنظيمات الجهادية) التي تديرها أمريكا ودول المنطقة لإزالة آثار الجهاد من أفغانستان وعودة النتن الجاهلي ... إن الجهاد ضد الشيوعية ولإعادة الإسلام إلى أفغانستان كان نموذجا عمليا ناجحا لمشكلة القوميات في آسيا الوسطى الإسلامية ، وبدون ذلك لا مستقبل لتلك المنطقة الحيوية غير الصراعات الدامية التي لا تنتهي، أو أن تتوحد مرة أخرى تحت قهر الروس الدموي . لهذا تبذل أمريكا ونظامها الدولي حاليا أقصى الجهود في سبيل منع الحركة الجهادية من الإنتقال إلى طاجيكستان التي بدأ فيها القتال بين المسلمين والشيوعيين على أسس قبلية وعرقية في البداية ثم على أساس ديني لاحقا. وتشارك أمريكا في ذلك المجهود ، المنظمات (الجهادية) النافذة والتي تتولى أو تشارك في السلطة حاليا داخل كابل. وقد أبدى عدد قليل من القادة الإسلاميين الشباب إقتناعهم بأن الحل الوحيد لمشاكل القوميات في بلادهم داخل آسيا الوسطى هو الحل الجهادي الإسلامي، الذي يزيل الفوارق بين الأجناس ويجعل التقوى والعمل الصالح والجهاد هما أساس التفاضل بين الناس.

لقاء حار مع الطيران:

بعد الترحيب وجلسة الشاي التقليدية ، بدأنا مع مولوي عبد الرحمن ، الهواية العربية التقليدية التي لم تبارح العرب في أفغانستان ، ألا وهي هواية إسداء النصح والتوجيه الديني والإرشاد ... وصولا إلى إقتراح الخطط العسكرية الناجعة التي تنبع أفكارها غالبا من أفلام السينما الأمريكية ومسلسلات التلفزيون .
كان ذلك الدور (التعليمي) للعرب غير متقن بل ممجوجا في أكثر الأحوال. فلا النصح الديني كان مبنيا على معلومات دينية دقيقة ومؤصلة ، ولا النصح العسكري صادر عن خبرة ودراسة. ومع هذا فإن ما مارسناه من نصح مع مولوي عبدالرحمن كان معقولا في ظني.

فقد حدثناه في شأن (كرنفال)العمائم المنشورة على سفح الجبل والأوعية المعدنية المتناثرة في الشعب.
ضحك مولوي عبد الرحمن على إستحياء قائلا بأن المجاهدين لا يبالون عادة بمثل هذه الأشياء، وأصدر بعض الأوامر لإصلاح الخلل كنوع من المجاملة لنا . وقمنا لمساعدة المجاههدين في إخفاء تلك الإعلانات الفاضحة عن الموقع، وكانوا يفعلون ذلك بلا اقتناع . وتناقلوا بالطبع فيما بينهم ـ وكما حدث معنا كثيرا في سنوات تالية ـ مقولة هازئة بأن (العرب خائفون) .
مرت طائرة مرتفعة عدة مرات فوق الموقع ، ولم نكن إنتهينا من عملنا لأن بعض المجاهدين لم تجف عمائمهم بعد . وضحك بعضهم وأشاروا إلي الطائرات قائلين ، إنها مرتفعة جدا ولا يمكن لها أن تشاهد مثل هذه الأشياء الصغيرة . لقد أدهشني ـ طوال مدة الحرب ـ إستخفاف المجاهدين بالطائرات النفاثة ولم يكن الحال كذلك مع طائرات الهيلوكبتر كما لمسنا ذلك أيضا منذ زيارتنا الأولى تلك .
كان تقديرنا لخطورة الطائرات كبيرا ويرجع ذلك إلي تراثنا العربي العسكري مع إسرائيل ، ذلك التراث المخزي الذي ضخم من دور الطيران وأهميته لتغطية التآمر الرسمي العربي.
رغم أن دور الطيران في الأساس هو دور هام في الحروب خاصة بعد دروس الحرب العالمية الثانية التى أفادت بأن الحرب الحديثة يتم كسبها أو خسارتها فى السماء . أى أن السيطرة على السماء هي المقدمة للسيطرة على أرض المعركة . لقد إكتشفنا لاحقا ذلك الإستثناءالهام لكون حرب العصابات لا تسري عليها نفس القاعدة بشكل كامل .
فالجبال والأشجار وقلة الكثافة البشرية للمقاتلين وقلة عتادهم ومرونة حركتهم ، تجعل الطائرات القاذفة والمقاتلة (النفاثة) أو الجت كما يسميها الأفغان قليلة الفعالية بشكل ملحوظ وإن كان تأثيرها النفسي على الأهالي كبيرا لبشاعة الضرر الذي تلحقه بقراهم ومدنهم .
أما الهيلوكبتر فقد أثبتت مرة أخرى في أفغانستان ـ بعد أن أثبتت قبل ذلك في فيتنام ـ أنها السلاح الجوي الأمثل للتأثير على قوات المجاهدين .
على أية حال فإن الطائرات إحترمت ضيافتنا والإجازة الأسبوعية للمجاهدين ، واكتفت بعدة دورات فوق المنطقة ، ولكنها منذ صباح السبت تصرفت بشكل غير لائق بالمرة .
فلم نكد نرفع أكواب شاي الصباح حتى صبحتنا أول غارة جوية ونحن مازلنا جلوسا نتبادل البسمات والأحاديث المشوقة،حين فاجأتنا الطائرات المنقضة على مركزنا الصغير.
ساد الإضطراب والفوضى، وتركنا كل شيء وبدأ كل منا يفكر بأقدامه لتقوده إلى أي حفرة .
كان وقتا عصيبا لم نواجه مثله من قبل .
ومرت الدقائق كأنها ساعات طوال والإنفجارات تتلاحق في كل مكان من حولنا .
إنتهت الغارة فجأة كما بدأت فجأة . وساد صمت رهيب وإبتعد هدير الطائرات . زففت الخبر السار إلى صديقي أحمد المستلقى إلى جانبي في حفرة شقها السيل في سفح الجبل، وقلت له بصوت خافت (لقد ذهبوا) وكأنني خشيت أن تسمعني الطائرات . جهزت نفسي لسماع أخبار سيئة ورؤية مناظر فاجعة ، فلا بد أن هناك إصابات وقتلى بعد أن تساقطت فوق رؤوسنا مئات من القنابل الصغيرة المليئة بأشرطة من رقائق الألومنيوم التي تتناثر مثل الشفرات القاطعة المشتعلة.
تنادى المجاهدون وكل منهم يخرج من مكان غير متوقع والكل يضحك وكأنها نكتة مرحة.
وكان نفس الشيء يحدث أعقاب كل الغارات التي شاهدتها فيما بعد.
لقد كانت الضحكات إعتذارا مهذبا عن الإختباء والهلع الذي أصاب الشخص لحظة المحنة الجوية.

لم يصب أي أحد وهذا ما أدهشني ما عدا شاب واحد قد أدمت أذنه اليمنى شظية من الألومنيوم المشتعل فأصابته بخدش صغير.
تولى صديقي أحمد علاجه بما يحمله من أدوات إسعاف أولية وكانت تلك أحد مآثره العملية الرائعة . لم نكن نحن أصحاب المشاريع الإستراتيجية الكبيرة نفكر في إصطحاب قطعة من الشاش إلى موقع القتال. لقد كانت أدوات الإسعاف التي حملها المنياوي معه مصدر سعادة للمجاهدين وتجمعوا حولها ينظرون إليها وإلى أحمد وهو يعالج الخدش وكأنهم يشاهدون جراحة معقدة في القلب.
وظن بعضهم أن صديقي إنما هو طبيب نادر المثال، هذا على عادة الأفغان في المبالغة.
سادت البهجة والمرح في صفوف مركزنا بعد النجاة من هذه الغارة المفاجأة والعنيفة ، وأعد المجاهدون طعام الغداء والذى يتكون من "الثريد" بشكل ثابت ويومى. وتحلقنا حول القصعة نتناول الطعام ـ غير الشهي بطبيعته ـ ولكننا نتناوله بسعادة وشوق كأننا نستقبل حياة جديدة .
لم يستمر ذلك طويلا فقد باغتنا العدو مرة أخرى بغارة مفاجئة وعنيفة كسابقتها.
تكرر المشهد وتبخرت البهجة . وأطلقنا العنان لأرجلنا وإرتميت وصاحبي في ذات الحفرة .
ومرت السنوات الطوال والقنابل تتساقط على جانبي حفرتنا وعلى طول المعسكر حتى نهاية الشعب ، وتحولت التلال المحيطة إلى دخان وأتربة ونيران . مرة أخرى، لا إصابات ولا خدوش .
ولكنني لم أستطع إستعادة حالتي المرحة إلا بعد وقت طويل نسبيا ، أي قرب صلاة العصر.
ولم أكد أفعل حتى عادت الطائرات مرة ثالثة لتكرر معنا نفس المشهد البائس ، ومرت سنوات أخرى من الرعب وإنتهى المشهد ولكن هذه المرة لدينا جريح ، إنه نفس الشاب الذي أصيبت أذنه في الصباح . هذه المرة أصابته شظية ألومنيوم في سطح قدمه اليمنى فمزقت النعال وحفرت شقا طويلا في الجلد بعمق عدة مليمترات .
لقد نزف كثيرا من الدماء، وتمكن أحمد من إيقاف النزيف وتضميد الجرح، والشاب يضحك مع زملائه ويتبادل النكات حول مغامرات هذا اليوم مع الطائرات وكيف أنه المصاب الوحيد في غارتين. كانت مشكلته الحقيقية ليس مع الجروح ولكن مع النعال الذي تلف وكيف يتحرك فوق الصخور والأشواك بقدم جريحة وبلا نعال؟.
بعد صلاة المغرب تجمعنا حول بقايا من الخبز اليابس بدون شاي ، فأحداث اليوم لم تترك مجالا لغير ذلك ، ودارت الهمسات حول شكوك بوجود جاسوس في المعسكر أو قريبا منه أبلغ "الحكومة" بمكان المركز وتواجد العرب فيه. ولكنني ضحكت وقلت لهم أن مهرجان العمائم كان كافيا لاجتذاب سلاح الطيران الشيوعي بأكمله، ولعل ما حدث اليوم يكون درسا في الحذر.
لم يقصف الطيران هذا الشعب مرة أخرى وإكتفى بقصف مناطق قريبة منه ، فقد كان منطقيا ألا يحاول مخلوق أن يقترب من ذلك الوادي مرة أخرى بعد كل تلك القنابل التي أحرقته وأحرقت الجبال المحيطة به . كان ذلك هو الحساب المنطقي لأي رجل عسكري ، ولكنه كان غير صحيح، وكم كان مخطئا ذلك التفكير المنطقي في معظم أوقات الحرب الأفغانية.
لقد كان منطق العمل لدى المجاهدين هو مخالفة كل منطق وذلك لأسباب تتعلق بالشخصية الأفغانية العنيدة وغير المبالية بالمخاطر. كان من المستحيل تقريبا على أي قائد عسكري يواجههم أن يتنبأ بأفعالهم أو ردود أفعالهم إزاء أي عمل . وكانت تلك من ميزات المجاهدين الهامة جدا في عملهم وإن كانت غير مقصودة بالمرة بل غريزية تماما .
وفي ظني أن الغريزة القتالية هي خير أستاذ لرجال حرب العصابات ـ خاصة في مرحلتها الأولى ـ والغرائز لدى الرجل البعيد عن الحضارة هي أقوى منها لدى رجل آخر نشأ في

وسط المدينة . لذلك فإن الشعوب "البدائية" أفضل أداء في حروب العصابات من الشعوب المتحضرة . ولكن تلك الحرب في مراحلها التالية والأكثر تعقيدا، لإحتياجها أكثر وأكثر لمزيد من الأسلحة المتقدمة وما يلزمها من تكتيكات قتالية معقدة نسبيا ، في تلك المراحل تكون البدائية والعشوائية كارثة بكل معنى الكلمة . ولا بد من توافر قيادات وكوادر عالية المستوى لتولي زمام تلك الحرب ، هذا بالإضافة إلي الأسلحة المتقدمة والتدريب اللازم لاستخدامها على أرض المعركة .

بقينا عدة أيام في نفس المنطقة ، تلقينا فيها العديد من قذائف الهاونات الثقيلة أطلقها العدو كنوع من الإحتياط لتأمين المنطقة. وشاهدنا أيضا غارة جوية من هيلوكبتر عسكرية ضد مكان يبعد عنا حوالي كيلومتر واحد ، وأدهشني مدى إنزعاج المجاهدين ورهبتهم من تلك الطائرة اليتيمة والبعيدة عنا، وهم المشهورون بالإستهزاء بالمخاطر خاصة إذا كانت بعيدة في الزمان أو المكان. ولكنهم حكوا لي قصصا عجيبة عن قدراتها وأهما أنها (دبابة طائرة) لا تتأثر بطلقات أسلحتهم ـ وكانت تلك المعلومة جديدة بالنسبة لي كما أنها صحيحة أيضا ـ والخاصية الأخرى قدرتها على البقاء في الجو لفترة طويلة تفتش وتنقب وتطلق نيران رشاشات ثقيلة وقنابل متنوعة .

وفي الواقع فإن طائرات الهيلوكبتر الروسية من طراز (مى ـ 24) كانت من أفضل أسلحتهم فاعلية في حرب أفغانستان ، ولكنها فقدت جزء من هيبتها بعد أن تزايدت عدد قطع الرشاشات الثقيلة المضادة للطائرات في أيدي المجاهدين . وذلك عن طريق الغنائم أو المساعدات الخارجية التي تزايدت بعد تدويل الأزمة بالتدخل الأمريكي . وقد هبطت تلك الهيبة إلى أدنى مستوياتها بعد إدخال صاروخ (ستنجر) الأمريكي المضاد للطائرات إلى ساحة المعركة في أواخر عام 1986 .

ومع هذا ظلت تلك الطائرات محتفظة بتفوقها في المناطق المنبسطة خاصة في شمال أفغانستان وأجزاء من الجنوب خاصة الجنوب الغربي الصحراوي .

وهبوط فاعلية الطيران كان في ظني جزء من هبوط فاعلية القوات الشيوعية بشكل عام، سواء الروسية أو الأفغانية،والفجوة الواسعة بينهم وبين المجاهدين في المجال المعنوي.

لقد أفرط الشيوعيون ـ روسا كانوا أو أفغانا ـ في الإعتماد على سلاح الجو لتعويض عجزهم على الأرض وهبوط معنويات جنود المشاة لديهم . ومع مرور الوقت كان ذلك الإعتماد يتزايد ولا يتناقص حتى خرجت بنتيجة شاركني فيها الكثير من المجاهدين ، بأن الضربات الجوية كلما تكاثرت في العدد وزادت في العنف كلما كان ذلك دليلا على تدني معنويات الخصم ، أو قرب إنهياره.

وبالفعل فإن الغارات المكثفة والعنيفة ، كما كانت مقدمة لهجوم واسع أحيانا فقد كانت إشارة إلى قرب إنسحاب أو إستسلام وشيك للقوات الشيوعية فى أوقات أخرى .

وبعد إتمام الإنسحاب السوفييتي من أفغانستان(في 15 فبراير 1989) أضاف الشيوعيون إلى سلاح الجو طائرات جديدة أبرزها "ميج 29" مع تعزيز أعداد الطائرات "سوخوي 25" وهي أيضا من أفضل القطع التي أثبتت فعالية في أفغانستان . وقد تضاعفت الأنواع الجديدة من القنابل التي تلقى من الجو ، وأبرزها القنابل العنقودية ، والقنابل الموجهة (الذكية) وقنابل ضد المغارات.

والأبرز من هذا كله سلاح الصواريخ التي كان نجمها بلا منازع صاروخ (سكود بي) الذي إستهلك منه عدة آلاف على مدى الثلاث سنوات الأخيرة من الحرب،أى منذ الإنسحاب السوفيتي وحتى سقوط النظام الشيوعي في كابل .

إذن فقد تعزز سلاح الجو كثيرا كما ونوعا ، ودخل سلاح الصواريخ بغزارة لم يسبق لها مثيل

خاصة في أمثال تلك الحروب . وأظن أن تلك الإجراءات لم تفد كثيرا على المستوى العسكري مع كونها قفزت بالتكلفة الإجمالية للحرب ، وخاصة التكلفة السنوية لفترة السنوات الثلاث الأخيرة . فقد قدرت مصادر باكستانية ثمن صاروخ (سكود بي) بمبلغ مليون دولار.

وتفيد شواهد عديدة أن دول الخليج (العربي) قد تكفلت بتمول نفقات الحرب على الجانب الشيوعي ودفعت لموسكو تكلفة صفقات السلاح في السنوات الثلاث الأخيرة منها .

ورغم المجهود الجوي الكاسح، بالطائرات ثم بالصواريخ، إنتهت الحرب بهزيمة شاملة للشيوعيين.

وعلى هذا فلا يمكن الزعم بأن لسلاح الطيران قيمة حاسمة في معارك العصابات في كافة مراحلها، وقد ثبت ذلك في أفغانستان . كما أن السيادة الجوية ليست حاسمة كذلك حتى في المعارك التقليدية وقد ثبت ذلك في حرب "العراق / إيران" فقد استطاعت إيران الصمود طوال السنوات الثمانية التي إستغرقتها الحرب بدون سلاح جوي تقريبا.

ومع هذا كله لا يمكن المجادلة في أهمية الدور الذي يقوم به سلاح الطيران في أي حرب تقليدية كانت أو غير تقليدية.

وعلى المجاهدين أن يعتبروه عدوا رئيسيا وخطيرا ويبذلوا غاية العناية في التخطيط لمواجهة تأثيراته السيئة معنويا أولا - و ماديا ثانيا.

والهيلوكبتر بلا شك هي العدو الأول لرجال العصابات. وماديا فإن الصاروخ المضاد للطائرات و الذي يطلق من الكتف هو أفضل علاج ضدها ظهر حتى الآن . ولكون أن هذا العلاج صعب جدا توفيره في معظم الحالات فسوف تظل المواجهة الأساسية للخطر القادم من الجو هو القدرة المعنوية للمجاهدين والإجراءات الوقائية السلبية ضد الطيران ، مع محاولة ضرب هذه الطائرات في حالة جثومها على الأرض سواء في المطارات والقواعد الجوية أو قرب خطوط القتال أثناء العمليات وقد حدث ذلك في أفغانستان أيضا.

وقد يتصور البعض متأثرا بالدعاية التجارية والسياسية الأمريكية بأن صاروخ "ستنجر" كان هو السلاح الحاسم الذي مكن المجاهدين من النصر ، وهذا كذب فاضح روجته آلة الدعاية والأكاذيب الأمريكية. وقد ساعدهم المجاهدون على ذلك من حيث لا يدرون بإذاعة أرقام مبالغ فيها كثيرا عن إصابات لحقت بطائرات العدو بواسطة تلك الصواريخ .

والواقع أن ما قامت به أمريكا بالنسبة لصواريخ "ستنجر" استهدف غرضين رئيسيين

<u>الأول :</u>

- سرقة النصر الذي تحقق على أيدي المسلمين والإستحواذ على نتائجه المادية والمعنوية وحرمان المجاهدين من كل فضل ، ثم إدانتهم وتدمير قضيتهم بعد ذلك وهو ما حدث فعلا .

<u>الثاني :</u>

- ترويج السلاح الأمريكي تجارياً عبر حملة دعاية وإستغلال قضية كانت في قمة الإهتمام العالمي شعبيا ورسميا لأكثر من عشر سنوات. وغني عن الذكر أن تجارة السلاح تأتي على قمة الموارد بالنسبة للخزينة الأمريكية ، بعد تجارة المخدرات الدولية و تجارة النفط .

إن أي سلاح مهما كان حديثا وفعالا لا يمكن له أن يحل محل المعنويات المنهارة والعزائم الخائرة .

إن التدريب والسلاح الحديث والإداريات الجيدة من طعام وملبس وغيرها كلها عوامل تحسن الوضع المعنوي للجندي أو المجاهد، ولكنها أشياء عابرة ومؤقتة والشيء الأساسي في أي حرب هو ذلك الإعتقاد والإيمان الذي يدفع الشخص كي يبذل كل ما يملك في ساحة القتال، ذلك هو

السلاح الحاسم الحقيقي في كل حرب منذ بداية الخليقة وحتى قيام الساعة .

....

في مركز مولوي عبد الرحمن، في تلك الأيام الأولى من بدايات صيف 1979 ، كنت وصديقي أحمد نمتلك نصف عدد البنادق الآلية في المعسكر . ومع الآخرين سبعة بنادق إنجليزية قديمة. (السيد أحمد) رامي الهاون ـ السلاح الرئيسي للجماعة ـ كان بلا سلاح شخصي .

إن قيمة القنابل التي ألقتها طائرات العدو على مركزنا في غارتها الأولى تفوق في قيمتها المادية جميع محتويات المركز من سلاح وذخائر وطعام وألبسة . وهذا وجه آخر للإستنزاف الذي واجه الروس . ولا بد من إدراك أن سلاح الجو مكلف جدا من الناحية المادية. ومن علامات نجاح المجاهدين هو إرغام سلاح الجو على العمل المستمر لاستنزاف عدوهم اقتصاديا ونفسيا . وفي ظني أن أكثر الطيارين الشيوعيين الذين شاركوا في الحرب الأفغانية قد تم تحويلهم ـ أو تحويل من بقي على الحياة منهم ـ إلى مستشفيات الأمراض العقلية .

لقد إستهلكت القيادة الشيوعية طياريها بجنون. وفي الواقع لم يكن هناك أكثر أمنا من الطيارين أثناء العمليات ، فتحملوا مزيدا من العبء نيابة عن زملائهم الذين يلاقون الهلاك على الأرض. أصبح مركزنا تحت ضغط مستمر من نيران العدو الأرضية ، ودوريات الطيران التي لا تكف عن الزمجرة فوقنا والقصف قريبا منا . فقرر "مولوي عبد الرحمن" ترك المركز وخرج في رحلة إستطلاع إستغرقت يومين إنتخب فيها موقعا جديدا . ثم جاء إلى المعسكر وأرسل بعد ذلك بعض الرجال لحفر مغارة في الموقع الجديد. وكانت تلك هي المغارة الأولى التي نشاهدها في الخط الأول في أفغانستان ، وربما كان مولوي عبد الرحمن هو صاحب الفكرة الأولى في هذا المضمار على مستوى البلاد كلها . لقد كان الرجل يتمتع بموهبة تكتيكية مشهود بها ، إلى جانب صلابته العقائدية التي أكدتها المواقف الصعبة .

لقد كانت المغارة بسيطة وساذجة التصميم ولكنها أدت دورا في حماية تلك العصبة الصغيرة كما أنها كانت مدخلا لبداية (فن الحفر) الذي تطور إلى أشكال ممتازة ومحكمة في مرات كثيرة.

وقد كان للحفر دور بارز في معركتين هامتين على مستوى الحرب الأفغانية وهما معركة خوست ومعركة جاجى وهو ما سنذكره في الفصول التالية بإذن ا .

في معركة جاجي الشهيرة، وهي أول عمل عسكري كبير يقدم العرب به أنفسهم على الساحة الأفغانية كانت عمليات الحفر التي قام بها أبو عبد ا (أسامة بن لادن) بغرض تدعيم مراكز المجاهدين الدفاعية ، كانت عمليات الحفر هذه سببا رئيسيا من أسباب نشوب تلك المعركة. أما في خوست فكانت عمليات الحفر أحد الأسباب الهامة في نجاح عمليات العرب ضد مطار خوست (**عامى 1990 و 1991**)،ثم فتح المدينة.

وقد لاحظنا أن عمليات الحفر سواء كانت لإنشاء مغارات أو خنادق هي من أشق الأعمال على نفس المجاهدين ـ أفغانا وعربا ـ وقليلا ما فعلوها بأنفسهم . فقد كانت من الأعمال المخصصة للأسرى أو الجنود الفارين من خدمة الجيش، حيث يسخرهم المجاهدون لقضاء فترة تجنيد إجبارية في مراكزهم لخدمة المراكز أو لحفر الخنادق والمغارات .

ولم تلبث أن ظهرت فرق المحترفين لأعمال الحفريات وكانت أشبه بشركات مقاولات مصغرة تقوم بالحفر على نظام المقاولة بالقطعة . وأكثر تلك الفرق كانت من أبناء ولاية (وردك) الذين برعوا في ذلك الفن ، إلى جانب تنظيم أعمالهم الإدارية وشئونهم العمالية حتى كونوا ما يشبه جيش الحفريات، المكون من مجموعات معظمهم من الأقارب. وجميع المجموعات متعارفة

فيما بينها ومتعاونة أيضا .
وفي أيام فتح مدينة خوست ، وقبل العمليات بأيام فلتت أعصاب نجيب ا وئيس النظام الشيوعي ووجه حديثا مباشرا إلى تلك المجموعات العاملة في حفريات المجاهدين في خوست وقال لهم :
(إن غاراتنا الجوية على مواقع الأشرار في خوست لم تعد تجدي بسبب تلك المغارات القوية التىحفرها (أبناء الجرذان) من ولاية وردك . وإني أدعوا هؤلاءإلى ترك عملهم في خوست والإنضمام إلينا وسوف ندفع لهم ما يشاءون من الأموال).
ولعلنا ندرك ماذا يعني تحييد قدرة سلاح جو متطور بواسطة عمل بدائي غير مكاف مثل حفر بعض مغارات في الجبل . وماذا يعني السيطرة على مرتفعات ومضائق هامة بواسطة عدد من الخنادق الجيدة . إن الطرف الأضعف عسكريا في حاجة دوما إلي مزيد من الحفريات وقد قال الحكيم الصيني(صن تسو) منذ أكثرمن ألفي عام:إذا كنت ضعيفا فأحفر عميقا في باطن الأرض وعندما تصبح قويا إهجم من أعلى كأنك عقاب .
ويمكننا القول بأن الحفريات تعيد جزءا من التوازن المفقود بين الضعيف والقوي . وكان في أفغانستان برهان جديد لتلك الحقيقة القديمة جدا .
....

مع السـ ـ ـلاح الثقـ ـيل:

لقاءاتنا الأولى مع السلاح الثقيل لا تنسى . وهو ثقيل بالنسبة لإمكانات النقل والقوة العضلية لدي المجاهدين ، وليس بالعرف العسكري التقليدي الذي لم تكن له قيمة كبيرة في أفغانستان .
كانت أول أسلحة شاهدناها قيد الإستعمال هي الأسلحة المضادة للطائرات. وكان أولها في مركز مطيع ا في (زيروك) وقد شاهدناه في حالة (تطفيش) لطائرات نفاثة متسكعة قرب المعسكر. وكان مدفعا روسيا من الغنائم عيار14.5مم ويشتهر بين المجاهدين باسم (زيكوياك).
وقام العسكريون الأفغان الفارين بتدريب إخوانهم المجاهدين على استخدامه .
وكذلك الحال بالنسبة لباقي الأسلحة التي سوف نذكرها هنا حيث أن باكستان لم تكن قد قررت التدخل بعد ، أقصد لم تكن الأوامر الأمريكية قد صدرت إليها كي تفعل ذلك . أما في مركز (سرانا) فقد شاهدنا مدفعا مضادا للطائرات وهو رشاش بلجيكي الصنع عيار 12.67مم صنع خصيصا للمملكة الأفغانية حسب ما كتب عليه بالإنجليزية وسنة الصنع كانت 1941 .
كانت قدرة المدفع عمليا هي إطلاق رصاصتين ، أما الثالثة فإنها تحشر في الماسورة ويحتاج الأمر إلى عملية صناعية لاستخراجها وتستغرق العملية عشر دقائق إذا كانت ميسرة .
ولقد شاهدنا (بادشاه) وهو المجاهد المسؤول عن الدفاع الجوي في سيرانا وهو يشتبك عدة مرات مع الطائرات تحت هذه الظروف . وبالطبع كنا حريصين جدا على أن لا نكون إلى جانبه في أمثال تلك الإشتباكات، خاصة وأنه يمضي معظم وقت الإشتباك وهو يخرج الطلقة المحشورة في مدفعه ، ومن جهة ثانية فإنه رفض رفضا قاطعا إستخدام موقع جهزناه للمدفع وأحطناه بالصخور وغصون الأشجار للحماية والتمويه، ويبدو أنه إعتبر ذلك إنتقاصا من شجاعته .
لقد استشهد "بادشاه" في معركة جاور . وهو الرجل الوحيد الذي رأيته في حياتي ولم يكن للخوف مكان في قلبه. لقد إنهار النظام الشيوعي في كابل في ديسمبر 1979 ولم يكن في كل ولاية باكتيا الإستراتيجية سوى هذان المدفعان للعمل ضد سلاح الجو الشيوعي المكدس بالطائرات الحديثة . وربما كان ذلك ردا على أمريكا التي تزعم أن إنتصار المسلمين في

أفغانستان إنما كان بفضل صواريخ (ستنجر) التي دفعت عنهم الطيران السوفييتي وحيدت دوره.
كان السلاح الثالث الذي شاهدناه في حالة إشتباك هو (هاون السيد أحمد) وقد مر علينا إسم "السيد أحمد" رامي الهاون في مجموعة مولوي عبد الرحمن. وعلى يد الرجلين تلقيت بعض الدروس التي أفادتني طول مدة الحرب . كما أنها ظلت مستخدمة بين المجاهدين على نطاق واسع .
أول هذه الدروس تأخير وقت الإشتباك إلى قرب غروب الشمس حتى لا يعطي الطيران فرصة في التدخل ضده . الدرس الثاني كان إختيار الأهداف ... فقد كان (سيد أحمد) يتناقش مسبقا مع قائده (عبد الرحمن) في تحديد الأهداف التي سيوجه إليها نيرانه أثناد العملية.
الدرس الثالث كان إقتصاد الذخيرة ، فقد كان لكل هدف طلقة واحدة ولم نسمع يوما أن (سيدأحمد) قد أخطأها .
بقي أن نعرف أن (سيد أحمد) كان مختصا في سلاح الهاون أثناء خدمته في الجيش الأفغاني وقبل أن يفر من وحدته ويلحق بالمجاهدين . وقد أخذ معه سلاحة (الهاون عيار82مم) وظل يستخدمه أثناء إلتحاقه بالجهاد . والغريب أنه يقصف وحدته العسكرية المستحكمة في قرية (دارا) . ومن هذا نفهم لماذا لم يكن يخطئ الهدف أبدا فهو إلى جانب مهارته الفنية يحفظ تماما مواقع الأهداف ومسافاتها . ونفهم أيضا لماذا يناقش إختيار الأهداف مع قائده وكان يصر على عدم قصف خيام الجنود ، وكان دائما يقول:" إنهم ليسوا شيوعيين وقد كنت بالأمس واحدا منهم ، وكلهم ينتظر الفرصة للإلتحاق بإخوانه المجاهدين ولكن الضباط الشيوعيين يحرسونهم جيدا ويقتلون فورا كل من يشكون في نواياه من الجنود" .
لقد ظل المجاهدون طوال مدة الحرب يفرقون بين الجندي الأفغاني المغلوب على أمره وبين الضابط الشيوعي الذي يأمره ويتحكم فيه بل ويستعبده .
وكل هؤلاء الجنود تقريبا كانوا من مزارعي الأرض في مناطق أفغانستان الناطقة بالفارسية .
وكان ذلك ضمن مخطط إشعال الكراهية بين القوميات التي يتركب منها المجتمع الأفغاني ، فالجنود والضباط في كل قومية يقاتلون في مناطق القوميات الأخرى . أما الضباط الشيوعيون (الحزبيون) فإنهم يقاتلون في كل مكان لأنهم يكرهون الجميع . لقد إستشهد (السيد أحمد) بعد ذلك بعدة أشهر بواسطة قذيفة مدفعية من العدو هبطت لتأخذ أحمد فقط ولم تعقبها قنابل أخرى.
ما زلت أعتقد أن ذلك الشاب هو نموذج للمجاهد المثالي خلقا وعملا . وكونه من السادة ـ أي سلالة تنتهي إلى الرسول صلى ا عليه وسلم ـ هو أمر لا أرفضه أو أقبله من أي شخص بسبب صعوبة الإثبات أو النفي في معظم الحالات . ولكن (سيد أحمد) كان سيدا نبيلا بكل معاني الكلمة . كان هادئا دمث الطباع محبوبا من الجميع متواضعا . يتصرف بثقة من تعود على السيادة والقيادة . هذا عن أخلاقه أما مهنيا فلم أر مثله في أفغانستان،من عرب أو عجم ، شخصا يعشق سلاحه ويهتم به كما تهتم الأم بطفلها الرضيع . لقد حفر مغارة خاصة صغيرة لمدفعه وذخائره القليلة . أما بطانيته التي ينام عليها فكان يخصصها لتغطية ماسورة المدفع التي ينظفها يوميا من الأتربة ، عدا التنظيف الحتمي بعد الإشتباك والرماية ، وأثناء التحرك بالسلاح إذا أمطرت السماء فكان يتخلى عن ردائه "الباتّو" كي يلف به الماسورة حتى لا تطالها الأمطار، أما هو فلن يصدأ إذا تبلل جسده بالمطر ولفحته الرياح.
عن إستخدام الهاون فقد رأيت قلة من الأفغان وبعضا من العرب، إستخدموا هذا السلاح بدقة مدهشة كانت مؤثرة جدا في نتائج الإشتباكات مع العدو. وأذكر منهم "خان ولي" ذلك المجاهد

الذي تحول إلى أسطورة ودخل اسمه في الأهازيج الشعبية وهو من جماعة جلال الدين حقاني،
وقد بترت قدمه وما زال حيا يرزق. ومن العرب رأيب يحيى المصري وأبوهمام الصعيدي *
وكان لهما مآثر لا تحصى على الهاون وبعض قطع المدفعية الأخري.
وكلاهما مازال حيا يرزق أيضا . وسوف يرد ذكرهما عند الحديث عن حملة فتح مدينة خوست.

***يحى المصرى:** *ناسك يقيم فى الخط الأول شهوراً لا يخرج منه إلا بالقوة ليحصل على الراحة . من أبرع العرب فى استخدام الهاون والمدافع عديمة الإرتداد. تزوج وأقام فى كابول حتى دهمته الحرب الامريكية . ومصيره مجهول .*

همام الصعيدى: ***له مواصفات يحى مضافا اليها موهبة محارب العصابات المغرم بالمراوغة التكتيكية – بعد نهاية الحرب اعتقل فى الامارات وتم تسليمه الى مصر . ومصيره مجهول . ترك فى افغانستان زوجة وطفلة فى التاسعة مصيرها مجهول .يحى وهمام شاركا فى حملة فتح مدينة خوست ضمن قوة عربية مهمتها منع العدو من الاستفادة من مطار المدينة الذى كان شريان الاتصال الوحيد مع الخارج – تكللت العملية بالنجاح رغم خطورتها الاستثنائية .***

وبالنسبة لدور المدفعية في حرب أفغانستان من طرف المجاهدين، ذكرنا تلك القيود التي فرضتها
عليهم باكستان بهدف التحكم في وتيرة الحرب الأفغانية بما يتفق مع المصالح الأمريكية أساسا،
وتنافس أمريكا مع السوفييت على الأرض الأفغانية لبسط مزيد من النفوذعلى الإقليم كله الذي
تعتبر أفغانستان بموقعها الإستراتيجي مفتاحه الأساسي .
كان قليل من المجاهدين يستطيعون إستخدام قطع المدفعية بكفاءة.أما صيانة قطع المدفعية
وحتى نظافتها فكانت مأساوية . ومن ناحية تكتيك إستخدام المدفعية فكان شبه منعدم باستثناء
التكتيكات الرديئة والفاسدة التي كان ينصح بها ضباط الإستخبارات الباكستانية عندما بدأ عهدهم
المظلم في الجهاد على أرض أفغانستان .
إن حرب العصابات في مرحلتها الأولى ، لا يحتاج فيها المجاهدون إلى إستخدام الأسلحة الثقيلة ،
وبالذات قطع المدفعية والدبابات وذلك لصعوبة نقلها وصعوبة الحصول على الذخائر اللازمة
أو أطقم التشغيل من الفنيين أو الدفاع عنها ضد هجمات العدو المتفوق والمجهز جيدا بالمعدات
الحديثة. فأهم متطلبات المجاهدين في مرحلتهم الأولى هي حرية الحركة وسرعة المناورة،
والضرب والإختفاء السريع وتفادي التطويق والإبادة من جانب قوات العدو.
وإذا كان من الممكن بسهولة نسبية الحصول على كميات كافية من الأسلحة بأنواعها من أيدي
العدو، فإن الحصول على الذخائر لتلك الأسلحة أشد صعوبة. وطول مدة الحرب تبقى مشكلة
الحصول على الذخائر الكافية هي مشكلة عسيرة الحل . لهذا من الضروري للمجاهدين إستخدام
ذخائرهم بحكمة بالغة وتخطيط عملياتهم بعناية بحيث يحصلون من عدوهم على أكبر قدر
من الذخائر .
وقد رأينا في أفغانستان كيف تحكمت أمريكا ـ بمساعدة عملائها من باكستانيين وعرب ـ أن
تسيطر على أحزاب الجهاد وذلك بواسطة التحكم في كميات الأسلحة ونوعها ونسب توزيعها
بين الأحزاب، وعلى مختلف المحافظات الأفغانية، بما يضمن شراء ولاء التنظيمات والزعامات
السياسية وحتى تمكنوا من السيطرة على كثير من القيادات العسكرية في الجبهات(القادة الميدانيين).
وتحكموا إلى درجة كبيرة في مسار الحرب وتوجيه العمليات .
وعلى الجانب السياسي صادروا مسار القضية الأفغانية سياسيا لمصالح أمريكا في المنطقة والعالم.
وعن طريق قطع إمداد الذخائر أو تقليله أو زيادته أو إدخال أنواع بعينها وحجب أنواع أخرى
تحكموا إلي درجة مفجعة في العمل العسكري .
ولا ننسى بالطبع تدخل ضباط الإستخبارات العسكرية في العمل العسكري الميداني وتحكمهم
فيه وكانوا هم المشرفين على توزيع المعونات العسكرية والمالية على التنظيمات والقيادات

الميدانية حتى صاروا في وقت من الأوقات ولفترة طويلة حتى نهاية الحرب هم الطرف الأقوى في قيادة العمل العسكري وتوجيهه. ومع ذلك لم تكن تلك السيطرة تامة بل تمكن المجاهدون المخلصون أحيانا من النفاذ خارج هذا الطوق الشيطاني وتحقيق بعض الضربات الخطيرة بنتائجها العسكرية والسياسية وذلك أسفر في نهاية المطاف عن سقوط النظام الشيوعي على عكس الإرادة الأمريكية والباكستانية والعملاء العرب الآخرين .

وفي مرحلة حرب العصابات الثانية ثم مرحلتها النهائية الثالثة تبرز أهمية الأسلحة الثقيلة وتشتد الحاجة إليها وإلى ذخائرها وإلى تكتيكات مناسبة لاستخدامها في العمليات . ومع هذا فإن الهاون عيار 82مم أثبت في أفغانستان وفي مرحلة حرب العصابات الأولية أنه سلاح مؤثر ومرن وعظيم الفعالية ، وكان (السيد أحمد) أول من أثبت لنا ذلك . ورغم أن العدو كان يمتلك عشرات من الأسلحة الثقيلة التي شاركت في الرد على (السيد أحمد) إلا أن الذعر الذي ركب ضباط العدو دفعهم إلى طلب مساندة الطيران في كل مرة . في البداية إستخدموا الطائرات النفاثة ثم تحولوا إلى الهيلوكبتر . ودفع ذلك (السيد أحمد) وقائده (عبد الرحمن) إلي إختيار اللحظات القاتلة قبل الغروب لتوجيه ضرباتهم في الوقت الميت الذي لا يستطيع الطيران أن يكون فيه فعالا .

لقد كان الهاون المتوسط 82مم والهاونات الثقيلة120مم والشهيرب (الغرناي) شديد الفعالية لدي العدو وأوقعت إصابات كثيرة بالمجاهدين خاصة في القصف العشوائي علي مراكزهم الثابتة أو التي تم إكتشافها ، أو في حالات هجوم المجاهدين بأعداد كبيرة وغير مرتبة في تقدمها مما يسهل إصابتها بالهاونات. وكل هذه الحالات تعتبر أخطاء تكتيكية للمجاهدين.

ولكنها تكررت كثيرا حتى لحظات الحرب الأخيرة .

فلم يطبق المجاهدون تكتيكات المشاة بشكل جيد . وسبب لهم ذلك خسائر ثقيلة في الأرواح وأجهضت الكثير من مشاريع هجومهم على العدو .

ونشير هنا إلى الدور الكبير الذي تلعبه تضاريس الأرض الجبلية إلى جانب المجاهدين في حالتين ، الأولى حالة إختيار مكان مناسب للرماية على العدو بواسطة قطع المدفعية عامة والهاونات خاصة ، وحتى بدون حفريات أو تحصينات ، وهي الأعمال التي ينفر منها المجاهدون كما ذكرنا . والحالة الثانية توفير حماية من القصف المعاكس من جانب العدو سواء بالمدفعية أو الهاونات خاصة أو الطيران . فقد تنفجر القنابل قريبا جدا من المجاهدين بما يعتبر إصابات مباشرة مؤكدة ولكن إختلاف منسوب الأرض إرتفاعا أو إنخفاضا يذهب بتأثير الإنفجار والشظايا. ورغم أن الهاون الثقيل "الغرناي" أبعد مدى وأكبر عيارا إلا أنه أثبت أنه سلاح معوق ولم يكن مجديا بشكل عام لدى المجاهدين ـ وليس لدى الحكومة التي كانت تستخدمه بفعالية وكفاءة ـ والسبب أنه سلاح ثقيل تصعب المناورة به . كما أن قذائفه قليلة لدي المجاهدين سواء من الغنائم أو من الإمدادات (المبرمجة) التي تأتي بها الإستخبارات الباكستانية . وظل الهاون82مم الوسط نجما بين أيدي المجاهدين حتى نهاية الحرب . وهذا السبب الذي دفع أمريكا إلى إرسال كميات كبيرة من ذخائر هذا المدفع إلى المجاهدين كان من بينها الكثير من القذائف المفخخة والتي أودت بحياة العشرات من خيرة المجاهدين العرب والأفغان وهو ما سيأتي ذكره في موضع آخر .

وخلاصة القول أن هذا المدفع هو سلاح فعال في حرب الجبال وفي جميع مراحلها سواء

على جانب المجاهدين أو إلى جانب جيوش أعدائهم.
تمكن المجاهدون في أواخر مرحلتهم الأولى من حرب العصابات من الحصول على قطع مدفعية ثقيلة ، وبعض الدبابات وأتاح لهم ذلك ـ مستفيدين من طبيعة الأرض الجبلية الوعرة وسيطرتهم عليها بإحكام في بعض المناطق خاصة في باكتيا ـ من توجيه ضربات مدفعية في العمق إلي المدن.وأدى ذلك إلي نتائج بعضها إيجابي وبعضها سلبي.
فقد إهتزت هيبة الحكومة المبنية على قدرتها على الدفاع عن السكان وإدعائاتها بالقضاء على (الأشرار) المجاهدين ، وأجبرتها على القيام بحملات عسكرية لتدمير تلك المدافع والمجموعات العاملة عليها. وكانت تلك الحملات باهظة التكاليف تافهة النتائج ، وينتج عنها غالبا وقوع الكثير من الأسرى والغنائم وتسليح المجاهدين بالمزيد من المعدات الثقيلة .
أما نتائجها السلبية فكانت عدم دقة الرمايات والتي تصيب غالبا بيوت المدنيين. ونتج عن ذلك مشاعر معادية للمجاهدين ، وتزايد تيار الهجرة. وكلا العاملين أضعف العمل الجهادي داخل المدن، وكان ذلك من أبرز سلبيات العمل الجهادي في أفغانستان .إذ كانت للحكومة على المدن خاصة الرئيسية منها ـ سيطرة شبه كاملة ، وكانت العمليات الداخلية فيها قليلة وتنتهي فى الغالب بخسائر فادحة للمجاهدين القائمين عليها سواء بالإعتقال أو القتل .
ودفع ذلك المجاهدين إلى الإعتماد أكثر وأكثر على القصف البعيد . حتى خلت المدن الهامة من السكان إلا من المتعاونين تماما مع العدو ، أو المستفيدين ماديا من الوضع القائم أو عديمي الحيلة الذين لا يستطيعون سبيلا، إذ توفر لهم الإقامة في المدن المأوى والطعام اللذان تساعد الحكومة في توفرها لضمان ولاء السكان . لذلك كانت شبكات التجسس الحكومية في تلك المدن رهيبة من حيث الكثافة والدقة . وقد صدرت الحكومة ما لا يحصى من الجواسيس إلى المناطق التي يسيطر عليها المجاهدون . بل واخترقت معظم المجموعات العاملة عسكريا بواسطة هؤلاء الوافدين من المدن للتطوع فيها، بل حيدت آلافا من سكان المناطق الجبلية.
أما في بيشاور حيث التكدس غير المنضبط لمكاتب المجاهدين ومئات الآلاف من المهاجرين من شتى أرجاء البلاد.فكانت مرتعاًخصباً ومجالاً خطيرا إمتدت إليه حرب الإستخبارات وأحرز فيه الشيوعيون ـ الروس والأفغان ـ إنتصارات مخيفة .

15 طلقة فى سبيل ا

لم تعد الحرب كما كانت في قديم الزمان يوم كان القتال رجلا لرجل ، فالأسلحة الحديثة جعلت الناس يتقاتلون بدون أن يرى بعضهم بعضا في معظم الأحوال . وإذا كنت مجاهدا في إحدى حروب العصابات فإنك سوف تعاني كثيرا من ذلك الوضع . فأنت سوف تتعرض كثيرا للمهالك بدون أن تتاح لك الفرصة لمشاهدة وجه عدوك أو تتاح لك الفرصة كي تعامله بالمثل إلا عندما تتقدم بك الحرب إلى مراحلها التالية وتقع في حوزتك بعض الأسلحة الثقيلة ومع هذا فسوف تعاني حتى نهاية حربك المظفرة بإذن ا من ذلك الشعور بالعجز والإحباط الذي ينتابك من وقت لآخر من جراء قصف الطيران المفاجئ بغاراته العنيفة بدون أن تملك لها دفعا، أو قصفا مدفعيا أو صاروخيا لا تدري ماذا تفعل إزاءه سوى أن تتوارى في أية حفرة أو كومة من الصخور . وإذا لم تصب أو يصب أحد إخوانك فإنك لا تلبث أن تشعر بالفرح والأمل وبأنك سوف تنتصر رغم كل شيء . أما إذا أصيب أحد إخوانك أو قتل فسوف ينتابك

شيء من الحزن والوهن يستمر معك فترة على قدر قوة إرتباطك بالمصاب وعلى قدر إمتصاصك للصدمات وهي إمكانية تختلف من شخص إلى آخر.
ولكن عند زوال الحالة فسوف يكون عسيرا عليك للغاية أن تتخلي عن تلك الحرب حتى تقتل مثل زميلك أو تنتصر على عدوك والأغلب أنك سوف تشهد ساعة الإنتصارلأن نسبة عدد الشهداء إلى إجمالي عدد المجاهدين طوال الحرب يعتبر نسبة قليلة على عكس ما يتصور البعض.
ولو كان الشهداء في أمة الإسلام هم هؤلاء الذين يسقطون في ساحة القتال فقط لكان عدد الشهداء في هذه الأمة قليلا ـ كما أخبر الرسول صلى ا عليه وسلم .
عليك إذن التحلي بالصبر فهو الصفة الأولى في المقاتل المنتصر والحرب صبر ساعة كما قال رسولنا الكريم صلوات ا وسلامه عليه .
في البداية ، بأسلحتك البدائية ذات المدى القصير لا بد أن تبذل مجهودا كبيرا حتى يصبح العدو في مرمى نيرانك لتقتله. أما هو فيستطيع قتلك وهو على بعد عشرات بل مئات الكيلومترات.
لقد تعرضت مع زميلي أحمد للقتل مرات عديدة قبل أن نطلق طلقاتنا الأولى والقليلة في سبيل ا .
وكان علينا أن نصبر أكثر وأكثر على نيران العدو المضادة التي لا تتناسب مطلقا مع طلقاتنا لا من حيث العدد أو من حيث العيار، ولا من حيث المدة التي إستغرقها الإطلاق.
في رحلتنا الأولى تلك أطلق كل منا خمسةعشر طلقة فقط على وجه التقريب فى عمليتين مختلفتين.
في العملية الأولى أطلق كل منا عشر طلقات فقط وعلي مدى نصف دقيقة فقط ، ورد علينا العدو بالهاونات ثم بالمدفعية الثقيلة ثم بالهيلوكبتر ثم بالطائرات النفاثة وعلى مدي ثمان ساعات!!.
وفي المرة الثانية أطلق كل منا خمس طلقات ورد علينا العدو بكل ما يمتلك من أسلحة رشاشة خفيفة ومتوسطة ثم بالهاونات من العيارات المتوسطة والثقيلة وعلى مدى ثلاث ساعات فقط.
وهذه ملاحظة أخرى ثابتة على طول مدة الحرب في الأغلبية العظمى من الحالات.
وهي عدم التناسب بين الفعل من جانب المجاهدين ورد الفعل من جانب العدو . والسبب الأساسي في ذلك هو حالة الرعب التي تنتاب العدو، وهي حالة يصعب تفسيرها ماديا أو حتى باستخدام علم النفس . وقد دار مؤخرا حديث بيني وبين أحد إخواننا العرب(المطاريد) من حولنا وكان الحديث حول ما جاء من نصرة ا للمسلمين في غزوة بدر حيث كلف ا الملائكة (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) ، وهذا هو تنكيل الملائكة بالكفار أثناء الغزوة . أما التنكيل الإلهي فجاء في قوله تعالى (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) .
إن إلقاء الرعب في قلوب الكافرين هو من عمل ا سبحانه وتعالى المباشر وليس من مهام الملائكة. ولقد رأينا في أفغانستان ـ ورأى قبلنا المجاهدون منذ بدر حتى الآن، وسيرى المجاهدون القادمون بعدنا ـ ذلك التأثير الساحق والمدمر للرعب الذي يقذفه ا في قلوب الكافرين قبل وأثناء وبعد المعركة . ومهما قلت إصاباتهم أو كثرت.
إن النصرة الحقيقية للمسلمين على الكافرين تأتي بعاملين :
1 ـ الصبر من جانب المجاهدين وهذا هو مهمتهم الأولى والتحدي الأكبر أمامهم.
2 ـ الرعب الذي يلقيه ا في قلوب الكافرين فيعصف بهم ويدمر بنيانهم .
وكلا العاملين مرتبط بالآخر طرديا فكلما زاد صبر المجاهدين تزايدت كمية الرعب التي تزلزل قلوب الكفارين . وكلما تزلزات صفوف الكافرين زاد صبر المؤمنين .
والصبر شاق جدا على النفس ، الصبر على المشقة والأخطار وطول النزال ، وترقب ساعة

النصر ، وكثرة المصائب في الأموال والأنفس والثمرات .
وهذا كله لا شيء بجانب الصبر على النصر نفسه.وهذا ما رأيناه في أفغانستان، فمعظم الأبطال الذين صمدوا السنوات الطوال وكانوا أساطير في البطولة والثبات والصبر ، عندما فتحت المدن والأمصار وأقبلت الدنيا طاروا إليها وركبوا إليها كل مركب ولو على أنهار من دماء إخوانهم.
ولو بارتكاب المعاصي والمحرمات والكبائر، ولو بنكران العهود وممالأة الكفار، وهجران المسلمين والأنصار والإنقلاب عليهم. كما حدث بين العرب المجاهدين وقادة الأحزاب وأعوانهم عندما جحدوا إخوانهم العرب وتنكروا لهم وظاهروا عليهم اليهود وأهل الصليب .
هناك نوع ثالث من الصبر ـ أعتقد أن زمانه قد إنتهى ـ وهو الصبر على المجاهدين الأفغان عند العمل معهم . لهذا الصبر أوجه كثيرة، لكن ما يعنينا هذا هو الجانب القتالي للعمل.
فرغما عن أية خطة ومهما كان القائد متمكنا من عمله فإن الجماعة من المجاهدين ما أن تتحرك نحوالهدف حتى يتحكم بها (العقل الجماعي)، ورغم عدم معرفتي الدقيقة بمعنى هذا المصطلح، ولكنني أحاول عن طريقه أن أتفادى مصطلحا آخر وهو (روح القطيع) لأنه قد يعطي دلالات غير مقصودة.(أنظر الكتاب الثالث من سلسلة آدب المطاريد : معركة جلال آباد، أو، حرب المعيز) .
في العام الأول لم نشاهد جهاز لاسلكي واحد قيد الإستخدام رغم أن عددا منها كان من ضمن الغنائم . ولكن الوضع تحسن كثيرا بعد تدويل القضية وبالذات عندما تكثف التواجد العربي، وللعرب الفضل الأكبر في تزويد المجموعات القتالية من الأفغان بأعداد كبيرة من أجهزة اللاسلكي الصغيرة. وأدى ذلك بالطبع إلى تحسين درجة السيطرة على المجموعات بواسطة قيادتها وإن كانت درجة السيطرة ظلت أقل من المستوى المطلوب . أي أن (العقل الجماعي) ظل متواجدا رغم خفوت حدته .
كان لقاؤنا الأول مع (العقل الجماعي) غير سار بالمرة . فقد فوجئنا في عصر أحد الأيام بخروج جميع أفراد معسكرنا بدون سابق إنذار ، وحتى بدون أن يخبروني وصديقي، يتحركهم صوب قرية دارا. تعجبنا من الأمر وخرجنا من شعبنا الصغير لنستطلع الأمر فوجدنا أعدادا كبيرة من المجاهدين لا ندري من أين أتوا وإلي أين يسيرون وجميعهم متوجه بالخطوة السريعة نحو قرية دارا. تعرف علينا أحد الشباب وكان يتكلم العربية بصعوبة وأشار بسبابته في إتجاه القرية وقال (جنك شروع) أي أن الحرب سوف تبدأ . توقفت وصديقي في إرتباك:
ماذا ينبغي أن نفعل؟ إذا تحركنا معهم كان تحركنا بلا أمر، مع أناس لا نعرفهم نحو هدف لا ندري ما هو . وإن نحن بقينا في المعسكر كان منظرنا مخزيا فقد سار الجميع نحو "الجنك" وقعدنا نحن من الخوالف . قررنا المسير مع (العقل الجماعي) وما هي إلا بضع مئات من الخطوات صوب القرية وسط تجمع ذكرني بنفرة الحجيج في أيام التشريق،حتى لعلع رشاش ثقيل يصب حممه بين صفوفنا بطلقات متفجرة ، إنفجرت إثنتان منها على مسافة ليست بعيدة عن قدمي اليمني ، لم أدر تماما أين يوجد ذلك الرشاش ولكن إرتميت إلى الجانب الأيسر محتميا ببعض الصخور .
نظرت حولي فإذا الجميع قد إختفوا يحتمون بالصخور. جاء صديقنا الجديد وأشار إلينا أن نتبعه وصعد بنا تلا صغيرا ثم إنحدر إلى مكان حصين بين صخور ضخمة وعنده نبع ماء.
توالت إنفجارات قذائف هاون العدو ، ونحن نسأل صديقنا عما يجب أن نفعله وعما ينوي المجاهدون فعله ولكنه لم يجب بشيء يفيد . إستمر الحال كذلك حتى غروب الشمس وتوافد على موقعنا حوالي عشرين مجاهدا فصلينا المغرب جماعة ثم عدنا إلى مركزنا والجميع

يتسامر ويضحك ونحن نتساءل في بلاهة : ماذا حدث ؟ ... ماذا حدث ؟ ... فرد علينا الزملاء ببساطة: (جنك جنك) ! ! .
سألني صديقي : هل فهمت شيئا ؟ فأجبته بأنني مثل الأطرش في الزفة.
واستمرت تلك المعاناة عدة سنوات، حتى قررنا أن نعمل بصورة شبه مستقلة.بل أن بعض العرب عملوا في مراحل لاحقة بصورة مستقلة تماما ولكن علي مستوى الإشتباكات المحدودة.
ولهذا قصص أخرى ...
 في مركزنا الجديد كنا في موقع يهدد مدخل دارا من الشمال حيث الطريق القادمة إليها من عاصمة الولاية جارديزالواقعةعلى مسافة خمسة عشر كيلومترا تقريبا . وكان موقعنا الجديد أكثر خطورة على الحامية العسكرية بالقرية لأنه يهدد طريقها الرئيسي للإمداد والحركة . وهذا ما بدأ به مولوي عبد الرحمن علي إثر تلقيه معلومات تفيد أن قافلة إمدادات عسكرية في طريقها من جارديز إلى دارا،وأن القافلة قد تحمل معها أموالا كرواتب لأفراد القوة وضباطها.
وكان موعد تحرك القوة هو اليوم التالي عصرا أو صباح اليوم الذي يليه .
تحركت مجموعتنا بسرعة في صباح اليوم المحدد على أمل أن تكمن للقافلة القادمة عصرا . وصحبتنا مجموعة أخرى من المجاهدين كانوا على مسافة غير بعيدة فإنضموا معنا في نفس البرنامج . ركبنا سلسلة التلال المشرفة على الطريق والتي تبعد عنه حوالي مائتي متر، فوجئت بأن مولوي عبد الرحمن قد وضع مدفعا قصير السبطانة بشكل مبالغ فيه ويتحرك على عجلات من خشب صغيرة جدا وله ساتر من الحديد لحماية الرامي . كان مظهر المدفع غريبا وبدائيا . سألت عن وظيفته فقالوا أنه (ضد الدبابة) . لم أر في حياتي مثل ذلك المدفع لا قبل ذلك الوقت ولا بعده، ومازال بالنسبة لي يمثل لغزا عسكريا يستعصي على الفهم .
لم تحضر القافلة واضطررنا لقضاء ليلة عل الصخور في البرد القارس. في الصباح إصطحبنا "مولوي محمد سرور" مترجمنا في المركز إلى مواضع جديدة وأبلغنا بأن الأوامر تقضي بعدم إطلاق النار إلا عند سماع طلقات مولوي عبد الرحمن الذي تقدم صوب الشارع العام للهجوم على القافلة من مكان قريب بينما نقوم نحن وآخرون بالإسناد ومنع عساكر الحكومة من تطويق الجماعة المتقدمة . في حوالي التاسعة مرت شاحنتان عسكريتان ـ أظن الآن أنهما كانتا لجس النبض ـ وسمعنا طلقة ثم طلقة أخرى وتساءلنا هل هي طلقات القائد أم لا. ولما لم نجد إجابة أطلقنا على الشاحنتين وأطلق آخرون ولكنهما إستمرتا في المسير حتى وصلا القرية وظل الموقف لنصف ساعة في هدوء قاتل، ونحن لا ندري ماذا بعد.على أية حال قضينا باقي النهار حتى غروب الشمس تحت نيران لا ترحم من جانب العدو شاركت فيها جميع صنوف الأسلحة. وكان لقاؤنا الأول مع الهيلوكبتر التي زنقتنا في حفرة عميقة تتوسطها صخرة عالية وقد شك الطيار في الموضع وظل يحوم فوقه عدة دقائق بينما أنا وزميلي قد فقدنا النطق. أما مولوي سرور فقد وضع طرف عمامته البيضاء ليخفي بها نصف وجهه ويطالع بعينيه مسار الهيلوكبتر العنيدة . لم أتمالك نفسي من الضحك لأني تصورت أن طاقم الهيلوكبتر يحمل معه صورة مولوي سرور للبحث عنه، بينما هو تحت الصخرة يضع قناعا على وجهه ليختفي عنهم . وعندما أخبرته عن سبب ضحكي إنفجر هوالآخر ضاحكا بصفاء نفس عجيب .
وما أن إبتعدت الهيلوكبتر لتصب نيرانها على تل قريب ،حتي أطلقنا العنان لأرجلنا النفاثة، فهبطنا إلى مجرى جدول بجانبه جرف عال إختبئنا تحته باقي النهار لنحتمي من نيران النفاثات التي حضرت الإحتفال، ونيران مدفعيات العدو التي لم تهدأ إلا بعد أن غربت الشمس.

وكان أشق الأعمال علينا هو أداء الصلوات في ظل تلك الكربات والمحن ، أما عن الطعام فقد نسيناه حتى وصلنا إلى المعسكر.
كان الجميع بخير وفرحنا بعودة مولوي عبد الرحمن الذي سرت إشاعة بيننا وقت الظهيرة بأنه قد حوصر. وكان الخبر غير صحيح كالعادة. كما أن الطلقات التي سمعناها وقررنا على إثرها(دخول المعركة) لم يكن مصدرها مولوي عبد الرحمن، ولا يدري أحد مصدرها.
وقد قتل مجاهد من أحد المجموعات التي هرعت نحو مكان القصف كي تقدم المساعدة .
أما المجموعة الأخرى التي تحركت معنا فقد أصيب أحدهم بجروح سطحية وإن كان ثوبه قد تغطى بالدم ، ولكنه كان بصحة جيدة ومرحا طول الوقت. وإنتهت بذلك أول تجربة قتالية جهادية لنا كأعضاء عاملين ، وكان ذلك الكمين هو الأول بالنسبة لنا .
لم يحقق الكمين الهدف منه وهو إعتراض قافلة العدو ، ولكن نجاتنا كانت معجزة حقيقية بعد أطنان القنابل التي إنهالت فوق رؤوسنا.وفي كل مرة كانت النجاة هي الإنجاز الأكبر بالنسبة لنا حتى إنتهت الحرب على هذا الحال رغم أن كمائن أخرى كثيرة كانت أكثر نجاحا من حيث إيذاء العدو.
□تناقص عدد المجاهدين في المنطقة فجأة . بسبب إقتراب شهر رمضان وبسبب رغبة بعضهم في حضور موسم حصاد القمح . وهذه إحدى القواعد التي ظلت ثابتة طول حرب أفغانستان ، فإنه يمكن تأجيل كل شيء عند المجاهدين حتى الحرب ولكن المواسم والمناسبات الدينية فلا يمكن تأجيلها، ولا بد من قضائها مع الأهل . وكانت لتلك القاعدة آثار مأساوية لا تحصى ، فقد كانت تلك المناسبات هي مواعيد ثابتة أيضا للقوات الشيوعية كي تسترد ما فقدته أو أن تتوسع في مناطقها. وغالبا ما كانت تنجح في مسعاها ... ولكن بشئ من الصبر وبعض الشهداء والجرحى كان المجاهدون يستعيدون ما فقدوه!!.
قرر مولوي عبد الرحمن أن يهاجم العدو قبل أن يهاجمه العدو . وكنت خطته بسيطة ولكنها آتت ثمارها . فقد أمر كل مجاهد أن يصعد منفردا على أحد التلال المشرفة على المواقع الحكومية في "دارا" ثم يرمي على الجنود خمسة طلقات ـ لا تزيد ـ وأن تبدأ العملية في وقت واحد قبل الغروب بنصف ساعة .
تم تنفيذ العملية بنجاح ، ومعيار النجاح هنا هو ردع العدو عن الهجوم . وبالفعل لم يحاول أن يستغل فترة رمضان وعيد الفطر في توسيع نطاق دفاعاته أو التسلل إلي المنطقة وتلغيمها إلى آخر مشاريعه التخريبية . بالطبع شاركت مع صديقي المنياوي في تلك العملية ومعنا دليل من المجاهدين فكنا بذلك أكثر مواقع الرماية عددا. وقد تنبه العدو إلى ذلك بالطبع ، فكانت نيران رشاشاته تزأر من فوق رؤوسنا تماما، وكنا نطلق نيراننا من خط الأفق فوق الجبل، وقد ساعد ذلك العدو كثيرا على التسديد الدقيق علينا ، ولكن ا سلم ، ولم نكد نفرغ من طلقاتنا المقررة ونتراجع قليلا إلى الخاف ونتبادل الإبتسامات حتى بدأت قذائف الهاون تتساقط فوق القمة ، وكالعادة في مثل تلك المواقف المحرجة ، تركنا لأرجلنا العنان كي تتصرف بما يلزم.
وصلنا إلي صخرة ضخمة في مجرى سيل ضيق إرتمينا تحتها وتوافد إلينا آخرون من إخواننا.
لقد عاد الجميع سالمين وتوارت الشمس في المغيب ، وظهر لنا هلال شهر شعبان فوقف الجميع يدعون ا ويطلبون النصر ، وبكى آخرون من التأثر . تمنيت وقتها ألا أغادر ذلك المكان وألا يتحرك الهلال من موضعه ، فلم يسبق لي أن رأيته بذلك الجمال .
هكذا كانت طلقاتنا الأولى في سبيل ا ، وكنت قد إنتظرت سنوات طوال، بل عمري كله كي أطلقها. وكنت أظنها سوف تطلق في فلسطين ، فشاء ا أن تكون في أفغانستان ، ولم نكن

نتصور أن تؤثر كلا القضيتين على الأخرى بهذا الشكل ، وخاصة في تكوين الشباب المسلم في العالم العربي.
خمسة عشر طلقة فقط ؟ ... كنت وصديقي نتساءل بدهشة . بعد كل هذا العناء لم نطلق سوى هذا العدد القليل من الطلقات، ولم يكتب لنا أن نشاهد ونشارك في نصر كبير على العدو.
وفي مقابل كل طلقة نطلقها تلقينا من العدو مئات القنابل وآلاف الرصاصات.
وتخيلنا أننا نتلقى من الضربات أكثر مما نوجهه للعدو. لم نستسلم للإحباط ، وما أكثر دوافعه التي قابلتنا في هذا الطريق منذ ذلك الوقت وحتى الآن.
تذكر صديقي حديثا شريفا يقول (من قاتل في سبيل ا فواق ناقة وجبت له الجنة) ، وأخذ يغزي نفسه قائلا : الحمد فقد قاتلت فواق ناقة .
أما الخمسة عشر طلقة فلم تكن قليلة كما تصورنا ... بل كان عددا مبالغا فيه بالنسبة لمعايير ذلك الوقت ، حيث كان المجاهد يأخذ بندقيته الإنجليزية القديمة وعشر طلقات، ويقضي على ذلك عدة أشهر في غارات وكمائن، وقد يستشهد أو يعود محملا بالغنائم . لقد كان ذلك الجيل الأول يدعو ا ويبكي قبل أن يضغط الزناد ليخرج طلقة على العدو لأنه يعلم أن عدد طلقاته قليل جدا، وقد لا يجد فرصة لتعويض ذخائره ومواصلة الجهاد. ويوم الكمين الأول أطلقت وزميلي عشرين طلقة من إجمالي مائة وعشرين طلقة كانت معنا في أربعة مخازن. بينما لم يطلق أكثر المجاهدين ولا طلقة واحدة، والذين أطلقوا لم يستخدموا أكثر من طلقتين ، وما كان معي وزميلي من ذخائر كان أكثر مما يمتلكه معسكرنا كله. ويساوي إستهلاك عدة أشهر من العمليات لهذه المجموعة النشطة ذات الشهرة والمرهوبة الجانب لدى قوات الحكومة.
وهذا جانب آخر من السلبيات العربية في أفغانستان ، ألا وهو الإسراف في كل شيء تقريبا ، الذخائر ، الطعام ، المهمات ، النصائح والإرشادات بمناسبة وبدون مناسبة ... إلخ .
هذا إلى جانب أوجه الإسراف التقليدية مثل الإسراف في الخلافات والإسراف في التشدد في الأحكام الفقهية والإسراف في الجدال والإسراف في تكوين الجماعات والإنشقاق عليها .
ضروب الإسراف تلك كانت طافية على السطح فطغت على الصورة العربية ولكن ذلك لا يعني أن الجميع قد غرقوا في نفس المستنقع بنفس الدرجة .
ولا أنسى قصة ذلك الأفغاني الذي قابلناه على الحدود الباكستانية يبيع بقرته ويشتري بثمنها طلقات لبندقيته الإنجليزية ثم يتوجه إلى الجهاد، وقد وهبني وصديقي مائة روبية من ثمن البقرة. وقد وجدنا حرجا شديدا في قبول الهدية النقدية لولا أن مرافقنا مولوي محمد سرور قال أن قبولها واجب في الأعراف المحلية فقبلناها .
إن البقرة في تلك المناطق الجبلية الفقيرة ثروة ومصدر رزق ولقمة عيش ، وإستبدالها بطلقات بندقية هو عمل غني بالدلالات . ويبرر الحرص الشديد من جانب المجاهدين في إستخدام طلقاتهم.
لقد تغيرت تلك الصورة المشرقة كما تغيرت كثير من الصور بعدما أوغلت القضية في التدويل وتعاظم الدور الباكستاني الذي كان رأس رمح أمريكي للعمل ضد الإسلام في أفغانستان .
لقد أصبحت الذخائر مجانية ومتوفرة بشكل جنوني ـ بالنسبة لما كان في مقدور المجاهدين أن يوفروه بجهودهم الذاتية وأموالهم في الأيام الأولى للجهاد ـ أي أيام الإخلاص والإيمان الصافي والممارسة الحقيقية الرائعة لمعاني الفداء والتوكل على ا والبذل للأرواح والأموال في سبيل ا ودفاعا عن دين ا .
إنزوت تلك المعاني وذبلت وكانت تندثر تدريجيا ولم يبق منها في أيام الحرب الأخيرة إلا

شذرات شاحبة وأفراد قلائل تخلفوا عن ركب الجشع والمتاجرة بالدماء بل المتاجرة بدين ا ، والجري وراء الدنيا والمال والسلاح الذي فتحت خزائنه،أمريكا وحلفائها على إختلاف أصنافهم .
لقد كان الهدف الأول لتوزيع الذخائر والأسلحة في أفغانستان ـ وهي السياسة التي وضعتها أمريكا وطبقتها المخابرات الباكستانية ـ تهدف قبل كل شيء إلى تدمير الدافع العقائدي للقتال وتحويله إلى تنافس على الأموال والأسلحة والزعامات التي تقوم على كثرة ما يمتلكه ويتحكم فيه الزعيم من أموال وأسلحة تأتيه بأوامر أمريكية عبر قنوات باكستانية ـ وكثير من الأموال بل معظمها فيما بعد ـ كانت تأتي بأوامر أمريكية عبر قنوات سعودية بعدما استطاعت حكومة المملكة تكوين قنواتها وأدواتها الخاصة للعمل على الساحة الأفغانية. وبعد أن كان الجهاد مجالا للبذل والعطاء أصبح مجالا للأخذ . فتوافد على ساحة الجهاد،التي لم يكن يجرؤ أحد على الإقتراب منها سوى الأفذاذ المخلصون ، توافد عليها الصعاليك وقطاع الطرق والمنافقون من كل حدب وصوب وهدفهم (الجهاد) ولكن ليس في سبيل ا بل في سبيل الحصول على أسلحة وأموال وعتاد من يد ضباط الإستخبارات الباكستانية الذين تنامى نفوذهم في سنوات التدويل حتى فاق نفوذ رؤساء القبائل.بل أن رؤساء القبائل كانوا يتسابقون في التزلف إليهم للحصول على ما في أيديهم من مساعدات أمريكية.
وتدريجيا تحولت الحرب إلى مصدر رزق لعشرات الألوف من الحثالة لم يتورع أكثرهم من اللعب على كافة الحبال، فتارة ينتمي لهذا التنظيم الجهادي وتارة إلى التنظيم الآخر وثالثة ينضم إلى الحكومة .
وفي كل الأحوال فإن له إنتماء علني، وعدة انتماءات سرية لتنظيمات أو حكومات .
وكان القادة الجهاديين الكبار من زعماء الأحزاب ـ أو التنظيمات المسماة بالجهادية ـ هم أبرع وأسوأ من لعب تلك اللعبة القذرة. وظلوا مع هذا يرفعون راية الإسلام والجهاد ويتاجرون بها. وما زالوا كذلك فى مرحلة الفتنة الحالية التي يلعبونها لحساب نفس الجهات ويقبضون من نفس السادة الذين مولوهم في مرحلة (الجهاد)، أي أمريكا وعملائها في باكستان والسعودية.
في أيام التدويل لاحظنا الإسراف الشديد في إستخدام الذخائر وبدون أدنى ضرورة.
بل ظهرت حالات سرقة الذخائر وبيعها في الأسواق . حتى أن بعض قيادات الأحزاب مارست ذلك بلا خجل.
فباعت أسلحة وذخائر قبل أن تدخل إلى أفغانستان أي فور إستلامها من باكستان من مخازن الإستخبارات في إسلام آباد وبيشاور وكويتا، وغيرها من الأماكن الثانوية .
بعض الأحزاب برر ذلك بحاجته للمال وأن العرب لا يتبرعون لهم بل يتبرعون للأحزاب الأصولية ـ سوف نتكلم فيما بعد عن تلك التقسيمات المأساوية المضحكة ـ وللحقيقة فإن قيادات الأحزاب الغنية ـ الأصولية ـ التي إنهالت عليها التبرعات الشعبية من الخليج لم تكن بحاجة لبيع الأسلحة والذخائر في الأسواق ، ولكن رجال الصفوف الخلفية في القيادة وحتى قادة الجبهات الصغار ـ معظمهم ـ كانوا دوما في حاجة لبيع مثل هذه الأشياء للإرتقاء إلى مستوى قادة الصف الأول الذين إرتقوا في معيشتهم إلي مستوى معيشة المسؤولين الباكستانيين.
وامتلكوا الفيلات والسيارات الغالية وعشرات الحرس ومخصصات عالية تصرفها لهم باكستان كمخصصات إعاشة للقادة. وهي مخصصات تضمن (تليينهم) وسحبهم بعيدا عن معاناة شعوبهم وأحكام دينهم. وقد نجحوا في ذلك أيما نجاح. وتجدر الإشارة إلى تفشي حالات منطقية من الفساد في أوساط المخابرات الباكستانية العسكرية (آي إس آي) والذين كانوا

مكلفين بمهام توزيع الأسلحة. وكالعادة كان معظمهم مرتشون، فالرشوة تقليد قومي في الطبقة البيروقراطية الباكستانية بجميع مستوياتهم العليا والسفلى. وقد تقاسم هؤلاء نسبة من عوائد بيع المهمات العسكرية من أسلحة وذخائر مع قيادات الأحزاب والقيادات الميدانية داخل أفغانستان ـ حتى أن بعضهم أشرف على بناء مخازن عبارة عن مغارات ضخمة في أفغانستان لتخزين تلك المسروقات ثم طرحها للبيع في الأسواق القبلية وتقاسم الربح مع قيادات أفغانية"جهادية"
وفي نهاية الحرب قام هؤلاء بخدعة أخرى إذ طلبوا من بعض القيادات إعادة تسليم ما عندهم من ذخائر وأسلحة كانوا قد إستلموها سابقا وبقيت لديهم حتى إنتهت الحرب. وإنتهى ذلك بمساومات تجارية ودفع كمية من الأموال لهؤلاء الضباط العظام من المخابرات العسكرية الباكستانية.
ومع كل مخازيهم لم يستح هؤلاء كما لم يستح سادتهم الأمريكان من الإدعاء بأنهم أبطال فتح كابل وتحرير أفغانستان.
وقد أصدر أحدهم* كتابين حول هذا المعنى، وقد صوروا مخازيهم في صورة بطولات، وصادروا بطولات القلة التي ظلت مخلصة في أفغانستان وما أجراه ا من فتوحات على أيديهم على أنها إنجازات المرتشين من خدم الصليبية الأمريكية .

* (هو العميد محمد يوسف الذى تولى قسم افغانستان فى المخابرات الباكستانية فيما بين 79-1986م.ثم أصدر كتابين هما: المجاهد الصامت و فخ الدب وهو الكتاب الأهم . وسوف نناقش لاحقا بعض ما جاء فيه).

كما مر علينا فإن مشكلة الذخائر أعقد من مشكلة السلاح . والحصول على كليهما ممكن وضروري أثناء المعارك ومن أيدي جنود العدو . هذه إحدى القواعد الجوهرية للحروب الجهادية ـ حروب العصابات ـ . وكما لاحظنا أيضا فإن الحصول على الذخائر يتم بوتيرة أقل من الحصول على السلاح . لذا لزم العمل بحكمة في إستهلاكها. وهذا يأتي من دقة التخطيط ورفع مستوى تدريب الأفراد . ومن دقة التخطيط عدم مهاجمة أهداف عقيمة ، أي تستهلك ذخائر بدون أمل في الحصول على غنائم، ما لم تكن هذه الأهداف ذات قيمة حيوية في ذاتها مثل إغتيال قيادات العدو ، أو تدمير منشآت ذات قيمة عالية للمجهود العسكري كالجسور والمطارات. وكثيرا ما يكون الحصول على الذخائر هو الهدف من العملية العسكرية.

....

مخاطر الأرض الصديقة

تجمع كتب العصابات علي أهمية الأرض الصديقة ـ خارج الحدود ـ والتي توفر لرجال العصابات خلفية إدارية آمنة وإمدادا منتظما من السلاح والطعام . والذي لم أجده مذكورا في أي من تلك المراجع هو أن لتلك الأرض الصديقة سلبيات وربما آثارا مهلكة على حرب العصابات .
فحرب العصابات لا يمكنها أن تتخطى النظام السياسي القائم على الأرض الصديقة ، أو تتجاهل مصالحه الحيوية ، ولا أن تتأخر عن سداد الفواتير سواء حدث نصر أو تمت تسوية أو إنحدرت الحركة . في كل الحالات هناك دين واجب السداد ولا يمكن الإفلات منه .
تلك قاعدة جوهرية ومنطقية ، وكم كنا كمسلمين في غفلة وتعام بل وبلاهة عندما تخيلنا أنها غير موجودة في الحالة الأفغانية .
وقد دفع الأفغان ويدفعون حتى الآن الفواتير الواجب سدادها لباكستان ، خادم الصليبية الأمريكية في المنطقة. كما يسددون الآن أيضا الفواتير للسيد الأمريكي في البيت الأبيض الذي يدير العالم عبر مؤسسته المسماة زورا وبهتانا بالأمم المتحدة . ومؤسسات تلك(الأمم)

هي الأقوى نفوذا في أفغانستان حاليا من كل المنظمات وجميع الشخصيات مهما كان مركزها.
فالحرب الأهلية في أفغانستان تدار أولا وأخيرا من البيت الأبيض مع سلسلة من القنوات الرسمية المشهورة أوالمهتمه، من هيئة الأمم وحكومة باكستان وإيران والسعودية وحتى الحكومات الورقية في طاجيكستان وأوزبكستان .
ولكن بدون الأرض الصديقة من أين للمجاهدين بالذخائر ؟ .
كما ذكرنا فإن الأرض الصديقة هي في الواقع أرض سيطرة وهيمنة علي الحركة ـ سواء حرب عصابات أو حرب عقائدية جهادية . ولا بد أن يكون هناك تطابقا في أهداف الأرض الصديقة وأهداف الحركة الجهادية . فلا يمكن أن ترتكز حركة جهادية على أرض صديقة غير جهادية ـ علمانية أو إشتراكية أو ديمقراطية..إلخ.
والذي حدث في أفغانستان هو أن الحركة الجهادية كانت هكذا بالإسم فقط ـ علي مستويات القيادة ـ التي كانت في حقيقتها قيادات متطابقة تماما مع الوضع السياسي في الأرض الصديقة (باكستان) ، التي كانت وما زالت ذات حكومة تضع نفسها في خدمة (الصليب الأمريكي) وكانت نشأتها بفعل وتخطيط الصليب البريطاني الذي كان يحتل الهند ـ التي كانت مسلمة لعدة قرون قبل الإحتلال الصليبي البريطاني لها .
باختصار فإن قيادات الأحزاب المسماة جهادية والتي تمركزت في باكستان كانت ـ جميعها ـ بحكم تاريخها والأمر الواقع لها ، قيادات عميلة تضع نفسها بالكلية في خدمة (الصليب الأمريكي) وتخدع المسلمين وتخدع شعبها بشعارات الإسلام التي كان من الواضح أنها أول من يخالفها في التطبيق . ولكن المسلمين تعاموا وكذبوا أعينهم وآذانهم وطمسوا عقولهم بأنفسهم وتمنوا الأوهام أن تكون حقائق حتى سطعت شمس الحقيقة من وراء ستائر الكذب الكثيفة.
فمنذ أن فتحت كابل، لم يكن خافيا على ذي عينين، أي قيادات كانت تقود الشعب المسلم المجاهد في أفغانستان، وإلى أي مدى أودت غفلتنا، نحن أنصار الجهاد، بمستقبل الجهاد في أفغانستان ومنطقة وسط آسيا بل والعالم .
وأتحنا الفرصة لعدونا الصليبي كي يسخرنا لخدمة مصالحه بل وللإضرار بمصالحنا الإسلامية.
لقد ساعدنا بدمائنا وأموالنا، الصليبية الأمريكية على تحقيق أهدافها الحيوية على مستوى العالم حتى صارت الحاكم الأوحد له . وألحقنا الضرر بمصالح المسلمين والإسلام وساعدنا أمريكا واليهود على إلحاق الضرر بسمعة الإسلام وسمعة الجهاد وإلصاق الصفات القبيحة بالمجاهدين والمسلمين عامة .
لا يعني ذلك قطعا بأن تلك هي كل الحصيلة الختامية لجهاد أربعة عشر عاما في أفغانستان.
ومشاركة عربية طويلة في هذا الجهاد مع دماء ما لا يقل عن خمسمائة شاب عربي.
هناك الجانب المضيء والمشرق لهذا الجهاد ولذلك مواضع أخرى .
وما يهمنا الآن هو ضرورة إستقلال العمل الجهادي عن الأراضي المحيطة به ـ مهما بدت صديقة ـ ومهما حاولت التزلف أو تقديم التسهيلات التي تشبه جرعات المواد المخدرة .
ثم ما تلبث قيادات الحركة أن تتعود عليها حتى يصعب التخلي عنها ثم ترضخ للشروط وتتحول إلى تابع ذليل لهؤلاء الأصدقاء،إلا إذا كان هناك بالفعل تطابقا عقائديا/سياسيا معهم.
* الغنائم من أهم الأبواب الشرعية لتحقيق إستقلال العمل الجهادي.وهو المدخل الشرعي والعملي لتفادي السقوط في فخ "الأصدقاء" من عملاء "الصليب السياسى".
الأحكام الشرعية في الغنائم لم يتم تطبيقها في أفغانستان ، هذا بشكل عام . ولكن حدث كثيرا أن تم توزيع الغنائم بشكل صحيح بين أفراد مجموعة ما. ولكن المجموعات المختلفة كان

يحكمها قانون الإغتصاب والغلول . فلكل مجموعة الحرية في أخذ ما تستطيع بالكيفية المتاحة.
فتحول مسرح الجهاد إلى ساحة لتصارع الذئاب البشرية .
لقد بدأت تلك المشكلة منذ اللحظة الأولى وتنامت حتي وصلت قمتها المأساوية بنهاية الفتح وسقوط النظام الشيوعي .
من المعلوم أن القبلية نظام قوي عميق الجذور في أعماق تاريخ الشعب الأفغاني.
ولتلك القبلية قوانينها التي تأثرت كثيرا بالإسلام ولكن مازالت لها أعراف وقوانين مخالفة للتعاليم الإسلامية، منها على سبيل المثال ما يختص بحقوق المرأة ، ومنها ما يتعلق بالمعاملات مع الآخرين.
فالمجتمع الأفغاني شديد الحرص على الأعراض عظيم الغيرة
عليها ، وهذا شيء إيجابي يتفق مع الإسلام ولكنه من جهة أخرى لا يعطي المرأة حقوقها التي كفلها الإسلام في الميراث والمهر والموافقة على إختيار الزوج .
أما معاملة الغير فإن العادات القبلية القديمة هى قطع الطريق والسلب والنهب وعدوان القوي على الضعيف والبعد عن روح العدل والإنصاف إذا كان الظلم والبغي ممكنا ...
لقد كانت النظرة العامة إلى الغنائم على أنها نوع من النهب المباح شرعا . وهنا تحركت شهوة السلب والسطو في الروح القبلية ،ظهرت برداء إسلامي شرعي، فصارت أكثر خطورة.
لقد نتج عن ذلك مئات الصدامات وفشلت عشرات المعارك، ولكن الأهم من ذلك كله هو ضياع هذا المورد الشرعي الهام لتمويل الجهاد .وسقوط الحركة الجهادية نفسها في يد الممولين من أصدقاء الصليبية الأمريكية من باكستانيين وعرب الحكومات.
بالتدريج بدأ نوع من التخصص الوظيفي ، فالبعض يقاتل ـ إذا كان يرى ذلك ضروريا ـ وآخرون يخطفون الغنائم في الوقت المناسب. وحتى لا يوصم الصنف الأخير بالنفاق وهو مصطلح شرعي كان شائعا في ذلك الوقت لوصف هؤلاء من (الجنس الثالث) بين المجاهدين والكفار (الشيوعيين)، وكان وصفا مستقذرا، كان الحل أن إنضم هؤلاء (الخطافة) إلى منظمات جهادية كانت تكفي لاستيعاب كل ما هو متاح من أمثال هؤلاء .
كان عدد المنظمات دائما في إزدياد وإستيعابها لأي صنف وجنس من الناس ليس له ضوابط سوى التنافس الحزبي والشخصى والقبلي العرقي وجميع الخبائث والأنتان الأخرى .
كان هناك دوما في كل تنظيم أناس يقاتلون في سبيل ا وفيه أيضا عدد أكبر من الخطافة .
وهناك من يمارس كلا العملين حسب الأحوال والظروف. وهذه الحالة هى التي أثارت دهشتنا أكثر من سابقتيها .
وفي الجبهة تجد كل تنظيم يتهم التنظيم الأخر بأنه ترك الجهاد وتخصص في (الخطف) أي الغلول . وهذا غير صحيح لأن الصفوف كانت دوما مختلطة كما ذكرنا والأصناف الثلاثة كانت متواجدة دائما في كل تنظيم ، مع إختلاف نسبة التركيب من منطقة إلى أخرى. فقد يغلب الصلاح على مجموعات تنظيم معين في منطقة محددة ، وقد لا يكون الأمر كذلك في منطقة أخرى ربما كانت قريبة من الأولى .
أول ما لمسنا مشكلة الغنائم كان من خلال موقف فكاهي بين رجلين تخطى كل منهما الستين، وهما أصدقاء طفولة.
ولكنهما إختلفا على غنيمة كانت صندوق ذخائر صغير.عندما لقيناهما في قرية جبلية عاد مجاهدوها من معركة مع قوات الحكومة ، فقدوا فيها ثلاث شهداء منهم رئيس القرية الذي كان

يقود المجموعة، وأحد الشهداء الثلاثة حطم ضابط شيوعيرأسه بحجر عندما عثر عليه جريحا.
كانت القرية تلملم أحزانها ، ولكن الصديقان العجوزان ظلا يبحثان مشكلة صندوق الذخيرة .
بعد أن رحبا بنا قصا علينا قصة الخلاف، وهي أنهما في أثناء المعركة الأخيرة شاهدا صندوق الذخيرة الحديدي ساقطا قرب شاحنة مشتعلة،وكان هناك ضابط يرمي نيرانا شديدة من رشاش يحمله. واتفق الصديقان على خطة ، الأول يناوش الضابط بالنيران والثاني يتسلل ويخطف الصندوق . وبالفعل نفذ الصديقان الخطة بنجاح كامل . ولكنهما ولعدة أيام لم يستطيعا الإتفاق على ملكية الصندوق . فالذي تسلل وخطف الصندوق إدعى ملكيته لأنه هو الذي خاطر بحياته وأحضر الصندوق.أما صديقه فأراد التقسيم مناصفة لأنه يرى أن تغطيته لصديقه كانت أساسية في الحصول علي الصندوق ولولاها لما استطاع أن يتقدم ، ولو حاول التقدم بدون تغطية لكان الآن في عداد الشهداء .
الطريف أنهما كانا يتقابلان بعد صلاة الفجر كل يوم ، كعادتهما منذ عشرات السنين، ولا يفترقان إلابعد صلاة العشاء والذهاب إلى النوم . وطوال الوقت يبحثان نفس الموضوع،وبدون أدنى بادرة غضب أو ملل أو حدة. وكلما أتيحت لهما فرصة توسيع المناقشة وإشتراك آخرين فإنهما يرحبان بذلك ويبدأ كل منهما في سرد حجته ولم يحدث أبدا أنهما قبلا أي حكم . فدائما أحدهما يقبل والآخر يرفض . حتى تركناهما على هذا الحال . ولا أدري الآن وبعد مرور خمسة عشر عاماً على ذلك الحادث هل إتفقا أم لا؟.والأرجح عندي أنهما ما زالا يديران نفس النقاش،هذا إذا كانا من الأحياء .
ولما كانت رحلتنا وسط مجموعات تنتمي إلى زعامة مولوي يونس خالص وحزبه "حزب إسلامي" فقد استمعنا إلى شكاوى وإتهامات للمجموعات المجاورة لهما وهي مجموعات تنتمي لحزب إسلامي "حكمتيار" وحزب "محاز مللي" للسيد أحمد جيلاني شيخ الطريقة الجيلانية في أفغانستان.
وكانت المشكلة هي سرقة الغنائم بدون الإشتراك الفعلي في المعارك .
وقد ظننا خطأً بأن تلك المنظمات متخصصة في الغلول، ولم يكن ذلك صحيحا كما ذكرنا آنفا .
وكما ذكرت لقاءنا الأول مع مصيبة الغلول فمن المفيد أن أذكر اللقاء الأخير معه.
وكان ذلك عندما إستسلمت مدينة جارديز في أبريل 1992 م.
عندما شاع خبر مفاوضات التسليم بين حامية المدينة والمجاهدين بدأت قوافل من الشاحنات و"التراكتورات" و"البيكابات" وكل وسائل النقل الممكنة تتوافد علي الطرقات المؤدية إلى المدينة ورابطت على مسافة أمان مناسبة ، واستمر ذلك أياما متوالية رغم الأمطار والسيول وبعض قذائف المدفعية والألغام التي أودت بحياة البعض ودمرت مركباتهم. إلا أن ذلك لم يفل في عضد (قوافل الغلول) كما أطلقنا عليها وقتها. جميع تلك المركبات قدمت عبر الحدود الباكستانية، ويقودها مهاجرون أفغان ،وهم الأكثرية، أو رجال قبائل الباتان التي تعيش في المناطق الباكستانية .
ولما كانت مدينة خوست التي تم فتحها منذ عام تقريبا (في 31 مارس 1991م) وكانت أكبر تجربة غلول في أفغانستان منذ بداية الحرب حتى وقتها آنذاك ، فقد صارت هناك خبرة فى الغلول الجماعي للمدن واستقرت أعراف لتنظيم العملية بأقل قدر من المشاكل والصدامات .
وأهم قاعدة هى أن تصطحب كل جماعة غلول مجموعة من أعلام أي حزب من الأحزاب (الجهادية) مع صور زعيم ذلك الحزب. وفور دخول المدينة يبدأ سباق مع الزمن في رفع الأعلام ولصق الصور على المقار العسكرية والمخازن والمرافق والمباني الحكومية وحتى على الدكاكين المغلقة والدبابات وراجمات الصواريخ والمطارات . والجميل هو ذلك التعاون

في الإحترام الجماعي لتلك الأعلام والملصقات، بدون أي تدقيق فيمن رفعها وجدية إنتمائه للتنظيم الذي يرفع علمه ويلصق صورة زعيمه .
والطريف أن الأحزاب قد إستفادت هي الأخرى من (فتوحات الغلول) تلك. فعند محاولة إنشاء سلطات جديدة داخل المدن (المحررة) كانت الصلاحيات الأكثر تفوض لذلك الحزب الذي إرتفعت له رايات أكبر ولصقت لزعيمه صور أكثر أثناء موجة الغلول أو (فتح الغلول) الذي تم للمدينة المنكوبة في جميع الأحوال .
القسم الأعظم من مكتسبات الغلول ، بعد أن سقط النظام الشيوعي ـ وقبل ذلك أيضا ـ وجدت طريقها إلى خارج الحدود "باكستان" كي تباع هناك . وبذلك نزحت معظم ممتلكات الدولة الأفغانية وتحولت إلى باكستان كي تباع هناك (خردة) بالكيلو . عشرات من الدبابات الصالحة والمعطلة والمدمرة تم تقطيعها بأنابيب لحام "الأكسى/ أسيتلين" وتحولت إلى قطع صغيرة تم شحنها على السيارات أو حتى الجمال كي تباع بالكيلو في أسواق ضخمة للخردة علي الحدود الباكستانية . أيضا حطام العشرات من الطائرات وبعضها كان قابلا للإصلاح قد بيعت بنفس الطريقة. وكذلك منصات إطلاق الصواريخ الثقيلة بأنواعها.
رغم أن تلك المهمات العسكرية المتطورة بها أجزاء من معادن ثمينة مثل الذهب والفضة والبلاتين وبكميات تشكل ثروة ضخمة، ولا يفهم ذلك غير الأذكياء من التجار الباكستانيين .
لا داعي للقول أن ذلك النشاط إمتد حتى إلى الكابلات تحت الأرض وفوق الأبراج والأبراج نفسها بالطبع . وهكذا ساهم الغلول بدوره الفعال في إتمام الأجهاز على أفغانستان كي تصبح عن حق ، قاعا صفصفا.
وعلى الفور بدأت الحرب الأهلية بين الإخوة الأصوليين في كابل وكل فريق معه حلفاءه من الرفاق الماركسيين لإحراق الحطام المتبقي من حرب الأربع عشر عاما ضد الشيوعية .
تم ذلك النزح والتخريب في أضخم حملة غلول في التاريخ الإسلامي القديم والحديث وهي الحملة التي رافقت سقوط النظام الشيوعي .
وقبل أن نترك الغلول ومشاهداتي في جارديز أذكر موقفين أحدهما أضحكني حتى البكاء، أقصد حتى طفرت الدموع من عيني. والثاني أصابني بالفزع وكان يؤدي إلى معركة مع أبطال الغلول .
المشهد الأول: كنا في عصر اليوم الأول لفتح المدينة وإنفعالاتي يصعب حصرها، إذ ثارت ذكريات تلك السنوات الطويلة وذكريات الطلقات الأولى في سبيل ا التي كانت في جبال جرديز ، وهاهي لحظة الفتح بكل جلالها وقد لوثتها تلك الأدران التي أراها. بل أن أفغانستان تبدو كأنها تنحدر إلى هاوية لا قرار لها . وهو شعور أضاع بهجة النصر وغمرني بكآبة .
في عصر اليوم الأول كانت عمليات وضع اليد ورفع الأعلام ولصق الصور قد شارفت نهايتها وأثناء تجوالنا في أطراف المدينة شاهدنا مولد كهرباء ضخم مركب عليه هيكل ذو عجلات كي يسهل نقله من مكان إلى آخر ولم نشاهد عليه علما ولا صورة فلم نصدق أعيننا واقتربنا منه حتى نتأكد من صحة تلك المعجزة. وسرعان ما اتضح لنا الأمر ، فإن (المجاهد) الذي سيطر على تلك (الغنيمة) كان قد إستنزف ما يمتلكه من أعلام وصور وخاف إذا هو ترك تلك الغنيمة أن يغتصبها آخر . وبسرعة تفتق ذهنه عن حل عبقري ، فإلتقط عصا من الأرض وفك تكة سرواله وهي بيضاء اللون ـ من حسن الحظ ـ وهو نفس لون علم تنظيمه المفضل ، وربط التكة بطرف العصا ورشقها على فتحة في أعلى المولد، وبهذا صار من ممتلكات

التنظيم ذو العلم الأبيض.
كان محرجا بعض الشيء أن يعود المجاهد إلي زملائه وهو ممسك سرواله بيديه حتى لا يسقط على الأرض ، ولكن ما هي إلا سويعات حتى عاد مع إخوانه المجاهدين وقد وضع تكة جديدة في سرواله وأحضر علما جديدا للمواد الكهربائي .
لقد أضحكني حتى البكاء ذلك المشهد النادر من الكوميديا المأساوية.
المشهد الثاني: لم يكن لطيفا إلى تلك الدرجة.الزمان: اليوم الأول لفتح جرديز.
قرب الغروب بدأت عملية تحطيم أقفال دكاكين المدينة في شارعها الرئيسي. وهو العمل الذي حاول المجاهدون منعه ولكنهم فشلوا لأن كل شيء في المدينة كان قد تم نهبه فلماذا لا تنهب الدكاكين ؟ . بدأت كل عصابة تتقدم بوسيلتها للنقل وتقف أمام الدكان المعني ويقف عدد من المسلحين حول الدكان وإلي جانب السيارة لمنع أي إعتداء على حقوقهم. ويتم كسر أقفال المحل ونقل الموجودات إلي السيارة ويمضون بها ويحضرون أخرى . ومن حسن الحظ أن معظم تجار المدينة كانوا قد أفرغوا محتويات محلاتهم . ولكن عددا قليلا منهم كانوا على إرتباط بقادة المجاهدين المحاصرين للمدينة، ويعملون في نقل الأخبار إليهم بشكل منتظم . وفي صباح يوم التسليم وحتى قبل ذلك أخذ هؤلاء التجار المتعاونون رسائل من القادة البارزين المجاهدين تضمن سلامة ممتلكاتهم ومحلاتهم في المدينة ، وتطلب من جميع المجاهدين إحترام ذلك العهد.
وكنا في الشارع الرئيسي للمدينة عندما حصل أحدهم، وهو صاحب صيدلية كبيرة على رسالة ضمان من جانب قائد كبير كنا على صلة وثيقة به.
وما كاد القائد يتحرك إلى مكان آخر حتى بدأت عمليات (الغلول المسلح) وهجمت عصابة غلول على تلك الصيدلية بينما صاحبها واقف إلي جانبها ومعه الرسالة حتى يحمي أمواله.
ولكنهم جذبوه بعيدا مع التهديد،وكسروا أبواب الصيدلية وحملوا صناديق الدواء والرجل يتوسل ويعرض عليهم الرسالة، ثم يعرض عليهم مكافأة مالية، على أن يتركوا الدواء. ولكن ذلك كله لم ينفع ، فتقدمنا إلى رئيس العصابة، وكنا ثلاثة أو أربعة من العرب ومعنا مترجم أفغاني، وأفهمنا الزعيم أننا كنا حاضرين عندما حصل صاحب الصيدلية على ضمان لممتلكاته من جانب ذلك القائد الكبير .
فما كان من رئيس العصابة إلا أن خطا إلى الخلف خطوة واسعة وأفرغ مخزن رشاشه من فوق رؤوسنا مباشرة حتى أضطررنا إلي الإنحناء قليلا ، وهو يصيح بوحشية والزبد يتطاير من شدقيه : (ا أكبر ... جهاد في سبيل ا ... زنده باد إسلام).
ولثوان خطر لي أن أطلق عليه النار وأقتله.كان من السهل القضاءعلى عصابته تماما، فقد كان لنا في لحظتها داخل المدينة مجموعة كبيرة من العرب في أفضل أحوالهم التسليحية والمعنوية، وكانوا يتجهزون منذ أشهر لخوض القتال لفتح المدينة .
ومن فضل ا أني تمالكت أعصابي في ذلك الموقف البائس وإلا لنشبت فتنة ضخمة ضاع فيها المئات داخل المدينة حيث الجميع متوجس من الجميع ، وعمليات السطو تمر بتوازن حرج إذا إختل فقد يودي بالجميع .
إنسحبنا بسرعة تفاديا لأي إستفزاز آخر. وعدنا إلى المنازل التي نسكنها، وهي غنائم مؤقتة لنا وإحتسينا الشاي كي نبتلع حسرتنا ونتسلى بكرنفال الإنتصار،وليل أضاءته منذ الغروب الطلقات و القذائف والصواريخ من كل نوع و صنف وهي تغطي كامل سماء المدينة حتى الفجر.
وهي ذخائر كانت في تقديري أكثر من كل ما أنفقه المجاهدون في معاركهم الحقيقية .

العـ ـ ـ ـ ـ ودة

إنتهت زيارتنا للخط الأول . لم نحضر معارك كبيرة ولكننا قاتلنا في سبيل ا فواق ناقة، وذلك كان عزاؤنا.

شعرنا بالحزن ونحن نودع ؤلئك الأبطال في جبال جرديز ، ونحن متأكدون أنهم خير منا، بل خير البشر في هذا الزمان. تحركنا نحو مركز"سيرانا" تمهيدا لرحيلنا إلى خارج أفغانستان ومشاعر مدهشة تنتابنا. لقد إكتشفنا عالما بأسره لا يعلم عنه أحد غيرنا، ولا بد أن نبلغ الآخرين أن الأفغان أروع مما تصورنا قبل مجيئنا، لقد أسرنا حب هؤلاء الرجال وتعلقت قلوبنا بهم .

والأروع من هذا كله هو إكتشاف عالم (الجهاد في سبيل ا) ، ذلك العالم القدسي الذي كان حلما يؤرق نومنا ويشغل صحونا ، وأتعبنا البحث عنه ، حتى وجدناه أخيرا واقعا حيا يتحرك، ولم نكد نتخيل أن دخلنا هذا العالم بكل نورانيته، كي نبلغ إخواننا من خلفنا.

وتصورنا كم ستكون فرحة المسلمين وتسابقهم نحو ذلك الباب من أبواب الرحمة إلى ذروة سنام الإسلام .

وأخذت أفكر ... هل بدأنا الدخول في عالم العزة وترك تلك الذلة والمسكنة التي خلعها اليهود عن كواهلهم وألبسوها لنا ـ ليس بأيديهم ـ بل بأيدي المرتدين والمنافقين وأشباه المسلمين ؟ .

هل أوشكت فكرتنا الطموحة أن ترى النور ، هل تظهر تلك القوة الإسلامية من الشباب المجاهد الفدائي كي يقدم العون للمسلمين المظلومين أينما كانوا ؟ .

هل إقتربت ساعة لقائنا فى فلسطين ، في معركة نرى أنها المعركة الأم ، والغاية المثلى من قتالنا في سبيل ا ؟.

عدنا إلى (سرانا) لنجد إشاعة غريبة تقول بأن "وزير الدفاع"من "عربستان" في طريقه إلى سرانا قادما من أورجون كي يبحث إحتياجات المجاهدين حتي يرسلها إليهم .

لم نصدق تلك الشائعة فلا الدول العربية يمكن أن تساعد ولا وزير دفاع يحضر بنفسه إلى هنا. في العالم العربي، مهام وزير الدفاع معلومة جيدا فهو يجلس على كرسيه في وزارة الدفاع كي يحمي طاغوتا أكبر يجلس على كرسي أضخم في قصر الرئاسة. وأعداء النظام هم دائما داخل حدود الدولة وليس خارجها .

تبدلت الإشاعة ليصبح المرشح للقدوم هو وزير خارجية عربي . وأخيرا جاء الخبر الأكيد بوصول موفد من طرف(مطيع ا) ليخبرنا أن صحفيا من جريدة الإتحاد وهو(سمير عبد المطلب) وبرفقته مصور، قد زارا مركز المجاهدين في (زيروك) وتجولا في المنطقة، وكان في نيتهما الحضور إلى سرانا لولا ضيق الوقت والإرهاق الذي أصابهما. وقد أحضرا معهما أعداد من الصحيفة ، نشر بها جميع الأخبار والتعليقات والصور التي أرسلناها. أثار ذلك من موجة فرح وتفاؤل عارمة في جبال باكتيا وتحلق العشرات حول أعداد الصحيفة يشاهدون صور إخوانهم وهم يضحكون ويحاول بعضهم ترجمه الكلام المنشور .

أما نحن فقد شعرنا بسعادة بالغة أن نجح ذلك الجزء الهام من عملنا ، ووصل جزء من رسالتنا إلى المسلمين ، وها هم المجاهدون أصبح صوتهم مسموعا وإتصالهم مباشر مع العالم العربي ، ومنطقة الخليج الغنية التي يمكن أن توفر لهم ما يحتاجون . وها هي قضية جهادية تطرق أسماع المسلمين بشكل مباشر وقوي وبلا واسطة من الإعلام الغربي .

لقد كسب المجاهدون صحيفة عربية قوية هي الإتحاد ، وصوتا صحفيا جريئا ونشيطا هو

صوت الصحفي (سمير عبد المطلب) الذي كان من أعمدة الجريدة ونجومها آنذاك.
لم نتصور أن قضية أفغانستان سوف تصبح القضية الأولى في الإعلام الدولي ـ ومن ثم العربي ـ لأكثر من عشر سنوات ، عقد الثمانينات كله ـ وذلك بعد دخولها كقضية في صراع تنافسي بين الكتلتين وأحد الموضوعات الرئيسية للحرب الباردة بينهما. أو بالأحرى واحدة من أهم الحروب بالوكالة ، وهي الحروب التي شاعت على مسرح العلاقات الدولية فيما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور السلاح النووي الذي جعل الحرب المباشرة بين الدول الكبرى أمرا صعبا للغاية بل قالوا أنه مستحيل ولا أظنه كذلك .
لقد كان المجهود الإعلامي المناصر للقضية الأفغانية مجهودا غير عادي ، ولم تظفر به أية قضية إسلامية قبلا . ولكنه ظل إجمالا يخدم المصالح الأمريكية في القضية أكثر من خدمة العمل الإسلامي. وكانت مصطلحات الإسلام والجهاد من أكثر المصطلحات التي إبتذلها الإعلام المساند للقضية الأفغانية ، كما إبتذلها السياسيون الأفغان ومنظماتهم (الجهادية) التي كانت ـ كمنظمات ـ أبعد ما يمكن عن هذه الصفة .
في طريق العودة، وأمامنا عدة أيام من المسير الشاق، كنا نشعر أننا أكثر نشاطا وإنشراحا من يوم قدومنا . كنا نراها رحلة ناجحة حققنا فيها أهدافا هامة . ولكن ذلك الأفغاني الشاب نغص علينا صفاءنا بينما نحن نشتري بعض البسكويت اليابس من أول دكان صادفناه في عودتنا بعد أكثر من يوم من المسير . وكان مولوي محمد سرور يرافقنا في العودة كمترجم وحارس ودليل . وكنا قد تركنا سلاحنا وقسما من ملابسنا النافعة وأدوية صديقنا المنياوي للمجاهدين . ذلك الشاب الأفغاني عندما علم قصتنا أثناء تجاذبه أطراف الحديث مع مرافقنا ، إنبرى غاضبا مستنكرا قدومنا للجهاد في أفغانستان بينما تركنا فلسطين بلا جهاد . كان في كلامه منطق معقول وبه أيضا جهل بواقع الحال في فلسطين وما حولها من ممالك العرب حسب قول الأفغان.
ولكن وجهة نظره تلك وجدت طريقها إلى ساحة الجدال العربية بين التيار الإسلامي المؤيد للجهاد في أفغانستان ، والتيارات الأخرى المعارضة ـ ليس فقط لفكرة الجهاد بل لفكرة الإسلام نفسها. فالتيارات المعارضة ،خاصة بعد تدويل القضية الأفغانية ، ترى في حماس التيار الإسلامي وإنخراطه للعمل ، وربما القتال في أفغانستان ، دليلا جديدا علي قصر نظر التيار الإسلامي ـ في أبسط الحالات ـ أوعمالته للغرب ومعاداته للتقدمية ، وهو الإتهام المحبب إلى نفوسهم . فكانوا دوما يعملون على ترويجه بتشجيع الكتلتين الإشتراكية والرأسمالية على حد سواء. وعندما سقط الإتحاد السوفييتي في أفغانستان إنضم العلمانيون والتقدميون والإشتراكيون العرب إلى أعدائهم في المعسكر الرأسمالي للقتال تحت رايته ضد الإسلام الذي أسموه أصولية وضد الجهاد الذي أسموه إرهابا وتطرفا .
لقد أثبتت ذلك الجذور الواحدة للرأسمالية والإشتراكية والمنبع الواحد للتيارات الناجمة عنهما والتي تتفق جميعها في كراهية الإسلام ومحاربة أتباعه .
وحتى وقتنا الراهن مازال يحلو لبعض العرب، وبعض الآخرين من دول "إسلامية" وغير إسلامية من موظفي الإعلام الصليبي يحلو لهم ترسيخ تهمة باطلة بالمتطوعين العرب في الجهاد الأفغاني والذين أطلقوا عليهم لفظ (الأفغان العرب) بأنهم عملاء للولايات المتحدة. وأنها هي التي جلبتهم إلي أفغانستان ودربتهم وسلحتهم ثم أدخلتهم إلي الساحة الأفغانية ليقاتلوا السوفييت نيابة عنها . ولا يحتاج إثبات كذب هذه المقولة إلي مجهود كبير. وحتى لم يكلف

أصحاب ذلك الإفتراء أنفسهم مجرد إختراع أوتلفيق أي شواهد تثبت صحته .
كانوا فى حاجة إلى تشويه تلك الظاهرة النادرة، أي ظاهرة التجمع الجهادي العربي الضخم علي أرض أفغانستان، وما نتج عنه من آثار بعيدة المدى في العالم العربي والإسلامي.
وكانت حاجة الصليبية الدولية ماسة لتشويه تلك الحركة الجهادية ـ العالمية ـ غير القومية وغير الوطنية. ولا يتعارض ذلك مع الإعتراف أن القوى الصليبية واليهودية قد إستفادت ببراعة من نتائج تحرك المجاهدين العرب ـ والأفغان أيضا ـ بل واستطاعت توجيه تلك الحركة في المسارات التي توافق خططها أو على الأقل لا تعرقلها. وقد نجحت في ذلك إلي درجة كبيرة ،ومع هذا فقد كان لها حوادث فشل خطيرة كماسنذكر لاحقا. لقد إستفادت القوى الصليبية واليهودية من سيطرتها غير المباشرة على التحرك العربي والإسلامي الجهادي في القضية الأفغانية وخاصة على أرض القتال. ولكن على المدى البعيد وكما تثبت الأحداث حتى هذه اللحظة بأن المكاسب الإسلامية غير المنظورة كانت من الضخامة والخطورة بما لم يخطر ببال المخططين اليهود والصليبيين .
وحتى الآن ... وفي المناطق الأفغانية الصديقة القليلة التي مازالت تحترم العرب أو تهادنهم حتى حين ، خاصة تلك التي خاضوا فيها معارك عنيفة إلى جانب إخوانهم المجاهدين ، من وقت لآخر يسمع أحد من هؤلاء القلة من العرب المنسيين في أفغانستان من أحد هؤلاء الأفغان الغيورين على وطنهم عبارة كهذه : (رفيج إنت إيش يسوي هون ... جهاد ختم ليش أنت ما يروخ بلاد ؟).
والسؤال يصعب الإجابة عليه لأن عبرات الحسرة تختنق داخل الصدر .

#عند عودتنا إستقبلنا الأصدقاء والمعارف بمثل الدهشة التي أستقبل بها رواد الفضاء الذين عادوا من سطح القمر. أو كما أستقبل المستكشفون القدماء بعد عودتهم من بحر الظلمات وجزر (واق الواق) . الدهشة كانت القاسم المشترك لمشاعر ومواقف الذين علموا برحلتنا . بعضهم ثارت لديه مشاعر وحوافز حركة وآمال عريضة للعمل الإسلامي. وآخرون أكثر حرصا وذكاءا تشككوا في الأمر كله، وأن وراءه مؤامرة ما يدبرها أعداء الإسلام. وللأسف كان أكثر هذا التيار من (الدعاة) و (الحركيين) و (أبناء الحركة الإسلامية)، إختر ما شئت من مسميات براقة. كان التعاطف والتفاعل مع الرحلة وما ندعو إليه من مساعدة المجاهدين في مواجهة الشيوعية ، هو الوجه الغالب لردود الفعل. وبدأ التجاوب يتنامى ببطء لكن باضطراد. خاصة وأن تلك النغمة كان مسموحا بها آنذاك في منطقة الخليج بل وكانت موضع ترحيب لكونها تتماشى مع مزاج السادة الأمريكان ـ وهذا هو الأهم ـ إضافة إلي كونها تضفي الصبغة الدينية على أوضاع الحكم ذات التوجه العملي المعاكس للإتجاه الإسلامي في حقيقة الأمر.
كان مسموحا بالكلام عن مساعدة المهاجرين والمجاهدين الأفغان. أما الكلام عن (الجهاد بالنفس) فكان يدور في همس وتكتم . وحتى عندما بلغ الحماس أوجه في أواسط الثمانينات كان الذهاب إلى أفغانستان للجهاد محاطا ببعض المنغصات فقد تعرض بعض من أعرفهم ممن ذهبوا إلى أفغانستان إلى الطرد من أعمالهم الحكومية ـ خاصة ؤلئك الذين كانوا يعملون في وزارة الدفاع في الإمارات ،وبعضهم تمكن من العودة إلى عمله بواساطات وبعضهم فقد عمله وترك البلاد .
كان هناك هامش لا بأس به من أجل الدعوة لمساندة الأفغان إنسانيا من منطلق إسلامي وليس

عسكرى . لقد كانت جريدة الإتحاد منبرا هاما ساهمنا بمجهودنا المتواضع في كسبه إلى جانب تلك القضية . ثم توسعنا في الإتصال بالرموز الإسلامية في البلاد بدءا بمشايخ وزارة الأوقاف الذين تحمس بعضهم معنا ـ وكيف لا ـ وهناك ضوء أخضر لا تخطئه الأعين الكليلة .

وقد ساهم بعضهم بفعالية في الدعوة لمساندة الأفغان في جهادهم .وإتصلنا بعدد محدود من ؤلئك (العلماء) الذين كانت لهم مكانة دينية وشعبية وأهمهم الشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك رئيس دائرة القضاء الشرعي في أبو ظبي . كذلك الشيخ محمد المحمود في الشارقة وكان ذو نفوذ وإحترام على المستويات الرسمية والشعبية .

ولما كانت تحرياتنا قد دلت على وجود أجهزة إذاعية قديمة لدى إمارة الشارقة بعد أن جددت الإمارة معدات إذاعتها فقد سافرنا إلي الشيخ المحمود بعد عودتنا وقصصنا عليه جانبا من رحلتنا وإحتياجات المجاهدين إلى إذاعة توضح الحقائق للشعب الأفغاني وترفع معنوياته الإسلامية. وافق الرجل على أن يبذل مساعيه لدى المسؤولين للإفراج عن الأجهزة القديمة لصالح المجاهدين الأفغان . وقد فعل الرجل ما وعد به لكن مساعيه في هذا الإتجاه لم تكلل بالنجاح ولكنها على أية حال فتحت أبوابا واسعة من التعاطف والمساندة في إمارة الشارقة للمجاهدين الأفغان .

لقد عقدنا عشرات من الجلسات الخاصة مع المهتمين بالأمور العامة للمسلمين. وأكثرهم من خلصاء العاملين والحركيين في البلد. وكان لا بد من كتابة تقرير عن رحلتنا لنقل تلك الصورة إلى نطاق أوسع من المهتمين داخل وخارج الإمارات وقد توليت مهمة كتابة التقرير بصفتي "صحفي الرحلة" . وقمنا بتوزيعه على الجهات التي يمكننا الوصول إليها من فئة المهتمين بمثل تلك الشؤون . وكان الأهم من ذلك كله أننا أرسلنا ذلك التقرير مع عضو من أعضاء بعثتنا الأفغانية وهو صديقنا إسماعيل الذي أخذ التقرير وسلمه يدا بيد للمرشد العام للإخوان المسلمين في القاهرة "الأستاذ عمر التلمسانى" .

وكانت تلك من أجرأ الخطوات التي إتخذناها منذ بدأت سلسلة طموحاتنا ومشاريعنا الإسلامية . وكنا نعقد آمالا واسعة على حركة الإخوان أن تتولى هي قيادة عمل إسلامي جهادي على أرض أفغانستان ، وذلك بحكم تاريخها الحركي وقدراتها القيادية والتنظيمية وحتى العسكرية ـ على قدر تصورنا آنذاك .

وقد إنتهى بنا ذلك التصور الساذج إلى كارثة في العلاقة مع الإخوان أنفسهم أدت إلي عداء سافر ثم تحريض قيادات الأفغان المحسوبة على التيار الإخواني كي يزيحونا من الميدان.

وحرضوا أحدهم ـ بل كبيرهم ـ آنذاك (سياف) ضدى عندما بدأت الكتابة المباشرة إلي جريدة الإتحاد، من وجهة نظر لا تتوافق مع الرؤية والمصالح الإخوانية وكان ذلك عام 1985 كما سيرد ذكره لاحقا .

ورغم الإستقبال المهذب من جانب الشيخ التلمساني ـ رحمه ا ـ لصديقنا إسماعيل إلا أن رد فعله كان متحفظا بل جافا، فلم يناقش معه التقرير واكتفى بجملة واحدة لم يزد عليها حيث قال : (جزاكم ا خيرا ... إن لدينا مصادرنا الخاصة التي تمدنا بتفاصيل ما يحدث في أفغانستان. ومنذ سنوات طويلة).

خرج إسماعيل مبهوتا بل مصدوما. وقالها لنا بصراحة أن أمله قد خاب تماما في الإخوان...ولا أمل لديه فيهم .

لقد إنتقل إلينا الشعور بالصدمة ، وتوالت تلك الصدمات حتى إنتهت بعداوة وقطيعة .

وللحق فإن صديقنا المنياوي لم يفاجأ كثيرا فقد كانت آراؤه مستقاة من والده (الحاج حسني المنياوي) الذي سبق لنا ذكر ماضيه الإخواني والجهادي، والذي كان يرى في الإخوان المعاصرين أنهم (متاجرون بالإسلام) .
كان الرجل حاد الطبع مع الجميع لهذا لم أعر آرائه أهمية كبيرة في بداية الأمر. ولكن ذلك التقييم السلبي للإخوان المعاصرين وأنهم منحرفون عن مفهوم الإخوان كما وضعه المؤسس الأول للحركة الشيخ حسن البنا ، كان أيضا رأي عدد من قدماء المجاهدين من (الصقور) خاصة مقاتلي فلسطين والقناة .
مسؤولي الإخوان في أبو ظبي ودبي أوضحوا الدور الذي إختاره الإخوان لأنفسهم إزاء قضية أفغانستان ، وهو المساعدة في جمع الأموال والمعونات (الإنسانية) ... أما الدور العسكري فهو غير وارد . وقد أضاف أحدهم ـ على غير العادة ـ بأن دخول المجال العسكري سوف يعرضهم لمخاطر جسيمة في مصر والمنطقة العربية ويكفي ما لحقهم من جراء التوجهات العسكرية في الجماعة وما جره ذلك عليها من مصائب .
قرأت الآن التقرير الذي كتبته عن رحلتنا الأولى إلي أفغانستان وفي ظني ـ الآن ـ أنه كان أهم الأعمال التي قمنا بها بعد عودتنا . والأخطر أنه سجل بصمات تلك المرحلة ـ وهذه من مآثر الكلمة المكتوبة إذ تصبح مثل الحفريات التي تحفظ بداخلها تاريخا مضى لمن أراد أن يبحث ويفحص ويستنتج . وهكذا أفعل الآن بعد حوالي أربعة عشر عاما من كتابته.
ونظرا لخطورة محتواه ـ رغم بساطة العرض والأسلوب ـ إلا أن القضايا التي أثارها ظلت محور إهتمام وصراع طوال فترة إشتعال القضية الأفغانية منذ أن بدأت جهادا في أبريل عام 1978 حتى تحولت إلى فتنة سوداء منتنة في أبريل 1992م. وقضايا أخرى إحتواها التقرير مازالت موضع جدال وخلاف بعد إكتمال المرحلة الأفغانية وظهور نتائجها .
وفي مناسبات أخرى ـ غالبا بعد تطورات هامة في مسار القضية الأفغانية ـ كتبت عدة تقارير أخرى كنا نوزعها باليد على المهتمين والأصدقاء . وأكثرها كان يرسل إلي جماعة الإخوان المسلمين بناء على إصرار بعض إخواننا ـ وكانوا من قدماء الإخوان ـ الذين رأوا في ذلك إبراء للذمة وإقامة للحجة . وحتى نوضح لهم ما قد يكون قد خفي عليهم.
وللحقيقة فإن بعض كبار الإخوان المقيمين في الإمارات أو الذين وفدوا إليها وإجتمعنا بهم ، لمناقشة أوضاع أفغانستان وتقديم مقترحاتنا لإصلاح الإعوجاج في مسيرة الجهاد، والأعمال المثلى التي ينبغي علينا ـ كأنصار عرب ـ أن نقوم بها كي نساهم في إنجاح ذلك الجهاد ـ قد اقتنع وتحمس. وطالبنا آخرون بمزيد من تلك الكتابات لمناقشاتها داخل الجماعة. وهكذا رأت بعض تلك التقارير النور بناء على نصائح هؤلاء المخلصين .
ولما كانت كل هذه التقارير تقف موقفا غير ودي من (زعماء بيشاور) خاصة المنتمين لتيار الإخوان، فقد وجدت تلك التقارير طريقها إليهم مع تعيين مصدرها والتحريض ضده.
وقد كلفني ذلك الكثير وما زال .
كانت وسائل النشر مفتوحة على الغارب بالنسبة لقضية أفغانستان وكنت أجد صدرا رحباً في صحيفه الإتحاد الذين قابلوا ما أكتبه عن أفغانستان بتقدير يشكرون عليه ، وكانوا على علم بصلاتي المباشرة بالقيادات الأفغانية وبالجهاد الدائر في أفغانستان ـ وعلى هذا الأساس كان تقديرهم الواضح لما أكتبه . ومكثت أكتب لهم من آن إلي آخر منذ رحلتنا الأولى وحتى عام 1985 حين عملت معهم مديرا لمكتب الجريدة في إسلام آباد .

كان للتقارير الشعبية التي أكتبها لدائرة المهتمين ـ بما فيهم الإخوان ـ أحد ظواهر تلك الفترة.
وكانت تتناول الجوانب التى يصعب الإعلان عنها في وسائل الإعلام الإسلامية التابعة في مجملها لحركة الإخوان أو للسيطرة الحكومية المكشوفة .
وبعد تحول (الجهاد المقدس) إلى (فتنة ملعونة) على أيدي القادة الأفغان وعلى رأسهم المنتمين إلى حركة الإخوان. أو الأصوليون كما خدعنا الإعلام الغربي وأطلق عليهم هذا المسمى العدائي.
بعد هذا التحول (التاريخي) أو المأساوي، تحولت مع قلة من العرب المنسيين داخل أفغانستان إلى مجموعة من "المطاريد" أي الخارجين علي القانون والمطلوبين للعدالة الدوليةوللنظام الدولي الجديد .
كان لي بعض الكتابات التي لا يمكن ـ ليس فقط نشرها ـ بل ولا حتى عرضها إلا على دائرة قليلة من الأصدقاء المقربين ، كان ذلك تطورا آخرا في إنتاجي (الأدبي
) ، أطلقت عليه أدب
المطاريد . وهو يتناول القضايا العملية للحركة الجهادية ، من القتال وحتي التمويل مرورا بالتنظيم والإعلام والعمل السياسي . وهي موضوعات ليست شعبية داخل الحركة الجهادية نفسها ، بل متهمة في بعض الأحيان ، ومكروهة في معظم الحالات ، أما خارج الوسط الجهادي نفسه فهى موضوعات كفيلة باستجلاب حكم واحد بالإعدام ـ على الأقل ـ عن كل سطريحتويه البحث .
وفي المرحلة الواقعة ما بين مرحلة التقارير الشعبية إلى مرحلة أدب المطاريد كانت هناك فترة أخرى بدأت عام 1987 حيث كتبت عدة تقارير عسكرية خاصة ببعض العمليات التي قام بها إخواننا من المجاهدين العرب، عدد من تلك العمليات حضرته معهم، إما بشكل هامشي جدا أو أساسي أى من بدايته إلى نهايته .
هذه التقارير بأنواعها ـ إلى جانب ما كتبته من تقارير لصحفية للإتحاد وغيرها ـ تصلح أن تكون بصمة لا بأس بدقة وضوحها للوضع الأفغاني العام في تلك الحقبة الحساسة من التاريخ الإسلامي المعاصر ـ كما أنها تحمل بصمة تزيد وضوحا عددا من الجوانب الهامة للنشاط العربي الجهادي الذي رافق التجربة الأفغانية .
وكما ذكرت سابقا ، بأنني على درجة من الطموح ـ من بقايا الطموحات العظيمة السابقة ـ تجعلني أتوقع بأن تكون تلك القصاصات وما تحويه من عناصر ، وما أنوي أن أضيفه إلي ذلك كله من ثرثرة ، أطمح إلى أن يكون في ذلك الركام شيء من الفائدة لأجيال لاحقة ـ هذا إذا لم تكن تنوي الإستمرار في إرتكاب نفس الأخطاء التي إرتكبها من سبقوهم.وأيضا إذا تغيرت تلك السمة التي تطبع التيار الإسلامي عامة والجهادي خاصة وهي سمة عدم القراءة وعدم الكتابة في المواضيع العملية للنشاط القتالي للمسلمين . إنها بلا شك نوع من الأمية السائدة في أوساطنا حالياوإن كانت قد بدأت تنقشع ببطء شديد . وإلي هؤلاء الذين في بطن الغيب الذين قد يهدرون أوقاتهم بقراءة مثل هذه الثرثرات، نناقش سويا في ثنايا هذا الكتاب عددا من تلك الكتابات (غير القانونية) بعرف عصرنا الحاضر .
ونبدأ بالتقرير الأول ، وفي البداية نورد نصه الحرفي ، الذي ينقل بإيجاز ،صورة فوتوغرافية، عما شاهدناه وسمعناه أو قرأناه في ذلك الوقت حول موضوع البحث.
ثم نناقش بعد ذلك القضايا التي إحتواها وكيف تطورت، وأيضا السلبيات والأخطاء التي إحتواها التقرير والأسباب التي أدت إلي ذلك .
:::: ::::: :::::: :::::: ::::::

التقرير الأول عن الرحلة الأولى

مقـ ـ ـدمة

في هذا التقرير سنحاول بإذن ا أن نلخص الوضع القائم في أفغانستان، وحقيقة القتال الدائر فوق أراضي هذه الدولة المسلمة، وأطراف هذا القتال وأبعاده. وقد إعتمدنا في بحثنا هذا على زيارتنا التي قمنا بها إلى مواقع القتال حيث وفقنا ا إلى لقاء المجاهدين والإشتراك معهم في القتال والتعرف على أحوالهم عن قرب في أحد أهم مناطق القتال الدائر هناك وهي ولاية باكتيا حيث قابلنا هناك كثيرا من الشخصيات القيادية، ومجاهدين من مختلف الولايات الأفغانية ورجال الأحزاب الإسلامية المختلفة .

وإذا كانت زيارتنا ومقابلاتنا في مواقع الجهاد هي مصدرنا الرئيسي في هذا البحث فإن تقارير الصحف الأجنبية التي أرسلت بواسطة مندوبيها في كابول تمثل مصدرا آخرا حيث لا يتيسر عادة للمسلمين الدخوال إلى هذه العاصمة لتقصي الوضع هناك . اللهم بعض الرسائل التي يرسلها المجاهدون هناك للقيادة العامة في جلال آباد عند مولانا محمد يونس خالص (1) المصدر الثالث والآخير هو ما ذكرته تقارير الصحف الغربية نفسها ونسبته إلى مصادر أجهزة المخابرات الغربية (2) .

بـ ـ ـداية الصـ ـ ـراع

بدأ التسال الشيوعي في أفغانستان منذ حوالي خمسين عاما . وبدأ هينا متسللا حيث أن أهل هذه البلاد عرفوا منذ الفتح الإسلامي بشدة تمسكهم بالإسلام وإعتزازهم به ودفاعهم عنه بالأموال و الأنفس . وقد مارس الحكام الروس ضغوطا مختلفة على حكام أفغانستان لكي يغضوا الطرف عن هذا التسال الجديد وقد نجحوا في ذلك بدرجات مختلفة . وسار المد الشيوعي في خط متعرج ولكنه صاعد إلى أعلى مستشر في مرافق الدولة الحساسة .

حتى كان عهد الملك ظاهر شاه الذي سهل للشيوعيين التسال إلى جهاز الإعلام وجهاز التعليم ثم القوات المسلحة وفتح الإتحاد السوفييتي أبواب البعثات التعليمية على مصراعيها حتى أنه قدم في أحد السنوات عددا من البعثات التعليمية لخريجي الجامعات الأفغانية أكثر من مجموع طلبة هذه الجامعات !! .

في عهد الملك ظاهر شاه كانت فترة ذهبية للشيوعيين مكنوا لأنفسهم فيها في كافة المرافق الحيوية في البلاد. وإنتهت تلك الفترة بانقلاب عسكري قام به محمد داوود خان إبن عم ظاهر شاه ونصب نفسه رئيسا للدولة الأفغانية،واعتمد في تثبيت دعائم حكمه على الإتحاد السوفييتي في الخارج والشيوعيين في الداخل،ومكن للنفوذ الشيوعي أن يستشري ويحكم قبضته تماما على كافة المرافق الحيوية في البلاد بما فيها الجيش. وإنتهت تلك الفترة بانقلاب شيوعي صريح قام به نور محمد تراقي رئيس حزب خلق الشيوعي الذي أعلن أفغانستان صراحة دولة ديمقراطية شعبية تحكمها العقيدة الشيوعية وأعلن برامجه الإقتصادية التي أممت الملكيات الزراعية والصناعية والعقارية وبرامجه التعليمية التي اعتمدت الماركسية اللينينية مذهبا فكريا وأعلنت الحرب على القرآن والسنة وحاربت الدين الإسلامي وقامت أجهزة السلطة على الفور بإلقاء القبض على علماء الدين وقتلهم وتعذيبهم وسجن طلبة المدارس الدينية وتعقب الأفراد المعروفين بتمسكهم بالدين الإسلامي وهي قائمة طويلة تشمل أكثر من 90% من مجموع الشعب الأفغاني. ونشط أعضاء حزب خلق في الهجوم مباشرة على العقيدة الإسلامية وحرقوا القرآن وداسوه بالأقدام

علنا في شوارع المدن والقرى ـ تحت حماية الجيش بالطبع ـ ونادوابالحرية الجنسية وإلغاء الحجاب الإسلامي للمرأة كمطلب عاجل وسريع (3) .

رد الفعل الإسلامي

منذ اللحظات الأولى للتحرك الشيوعي في أفغانستان، أي منذ حوالي خمسين عاما تحرك بعض علماء المسلمين لشرح العقيدة الشيوعية وبيان زيفها وكفرها وتحذير الأفغان من الإنخداع بها. بل وطالبوا السلطة بمصادرة حرية نشر مبادئها الكافرة في البلاد. ولكن للأسف لا السلطة إستجابت لمطلبهم ولا الشعب في أغلبه قدر خطورة هذه الأفكار الشيوعية على مستقبله معتمدا على شدة تمسك أهل البلاد بدين الإسلام .

ولكن هذه المواجهة إشتدت في أيام محمد داوود وحدثت صدامات دامية داخل المدارس والكليات والجامعة بين الطلبة المسلمين وهم الأغلبية وبين الطلبة الشيوعيين الأقل عددا والأكثر تنظيما. وكانت النصرة دائما للطلبة المسلمين حتى تتدخل السلطة لنصرة الطلبة الشيوعيين وتلقي زعماء الطلبة المسلمين في السجن أو تفصلهم من الكليات والمدارس .

وإستمر الحال كذلك بل وإزداد حدة نظرا لتوسع المد الشيوعي وزيادة نصرة أجهزة الحكم لذلك التيار الفاسد. ودفع ذلك الوضع الشاذ عددا من علماء المسلمين وعلى رأسهم الزعيم الإسلامي محمد يونس خالص إلى إعلان الجهاد على حكم داوود خان الذي مكن الروس والشيوعيين في بلاد الإسلام ومهد لعقيدة الكفر وناصرها على دين الإسلام .

وبدأ العلماء وأنصارهم ـ وكان العدد قليلا جدا ـ بدأوا الجهاد من ولاية باكتيا وولاية ننجرهار مسقط رأس محمد يونس خالص . وبدأت هجمات على مراكز الشرطة والجيش ولاقت نجاحا في بداية الأمر ولكن إستجابة الشعب لهم كانت ضعيفة وظروف الجهاد كانت غاية في الصعوبة كما أن "داوود خان" لوح لهم بمغريات مادية لو أنهم توقفوا عن المعارضة المسلحة وتحت وطأة هذه الظروف إنسلخ بعضهم عن الجهاد وإختاروا المناصب الحكومية الكبيرة في حكومة "داوود خان" وبقي محمد يونس خالص في الساحة بمفرده ومعه قلة من العلماء وطلبة العلم فإضطر إلى اللجوء إلى باكستان ليدعوا إلى فكرة الجهاد ويحشد الأنصار من حوله حتى شاء ا أن تكون نهاية حكم داوود خان على يد أصدقائه الشيوعيين الذين إستولى زعيمهم تراقي على السلطة بإنقلاب عسكري أزاحه عن الحكم .

وعلى الفور إجتمع محمد يونس خالص مع أنصاره وقرروا دخول أفغانستان وبدء الجهاد فورا ضد حكم الشيوعي الجديد ووجه نداءا إلي جميع العلماء وزعماء الجماعات الإسلامية باللحاق به وتنظيم صفوف المسلمين للجهاد . وبدأ محمد يونس وجماعته الجهاد في اليوم الثالث لإنقلاب تراقي .

إنقسامات في الصف الإسلامي

عقب الإنقلاب الشيوعي بدأت مطاردة عنيفة للمسلمين وخاصة العلماء ورؤساء الجماعات الإسلامية وطلبة العلم وكل من كان له نشاط إسلامي قل أم كثر . وكانت التصفيات الجسدية تتم بصورة من الوحشية دفعت الآلاف إلى الهجرة إلى باكستان فرارا بدينهم وحياتهم واكتظت سجون الشيوعيين بآلاف أخرى ممن فشلوا في الهرب .

وكان من المتوقع أن يكون رد فعل رؤساء الأحزاب الإسلامية هو إعلان الجهاد واللحاق بمحمد يونس وإخوانه ولكن من المؤسف أنهم فشلوا في الإتفاق على رأي وبدأوا سلسلة من

الشقاق لم تتوقف حتى الآن . (4)
فعقب الهجرة رأت الزعامات بأن الجهاد ضد الحكم الشيوعي الآن يعد نوعا من الجنون والإنتحار نظرا للفارق الشاسع في العدد والعدة بين المجاهدين والجيش المدعوم بقوة الروس.
فلا بد حسب رأيهم من الإنتظار وتركيز الجهد على جمع الأموال من دول الإسلام لإعداد جيش مكتمل بالعدد والعتاد بما يماثل الجيش الحكومي ثم يبدأ الجهاد بعد ذلك .(5)
وتبنى هذا الرأي جميع الأحزاب الإسلامية فيما عدا محمد يونس خالص وجماعته الذين تلقوا إنتقادات مريرة من باقي الجماعات الذين وصفوا محمد يونس بالتهور وعدم المسئولية. وأضاف بعضهم لهذا الرأي رأيا آخر مفاده أن الجهاد ضد تراقي لا ينبغي أن يكون إسلاميا خالصا، بمعنى أنه يمكن أن يشمل كافة الإتجاهات المعارضة لحكم تراقي ولو كانت هذه الإتجاهات إقليمية قومية أو إشتراكية أو حتى شيوعية موالية للصين ومعارضة للإتجاه الشيوعي السوفييتي الذي يتبناه تراقي.
وأصحاب هذا الرأي دافعوا عن رأيهم هذا بأنه الأكثر عصرية والأكثر تقبلا من العالم الخارجي والدول الغربية بالذات .(6)
وأضاف بعضهم إلي أن المناداة بعودة ظاهر شاه ملكا تستميل الغرب إليهم أكثر ويكون أقرب لجذب التعاطف الدولي إليهم .
وهكذا أصبح منهجهم كالتالي :
1 ـ المناداة بعودة ظاهر شاه ملكا .
2 ـ إنشاء جبهة مع كل القوى السياسية المعارضة لنظام تراقي بما فيهاالقوميين والشيوعيين.
3 ـ التركيز على جمع الأموال من الدول الإسلامية وإنشاء جيش تقليدي يواجه جيش السلطة.
وكانت هذه البنود الثلاثة سببا في إفشال كافة الجهود التي بذلت لتوحيد هذه الجماعات مع جماعة محمد يونس خالص الذي أبدى إستعداده لحل جماعته والإنضمام تحت لواء أي جماعة تقرر النزول إلى ميدان المعركة ضد الشيوعية (7) على أساس إسلامي خالص وواضح ومعلن **وأن تتخلى تلك الجماعات عن تلك البنود الثلاثة على أساس** :
1 ـ أن ظاهر شاه هو الذي مكن للشيوعية من السيطرة، وساق البلاد إلى ما هي فيه من فتنة وحرب فكيف ننادي به ملكا مرة أخرى ؟ .
2 ـ إنشاء جبهة مع قوى سياسية على أساس غير إسلامي لا يعتبر جهادا لأن مفهوم الجهاد في الإسلام هو القتال لإعلاء كلمة ا وأن يكون الحكم لشرع ا فكيف نجاهد مع الشيوعيين ضد الشيوعيين بهدف أن يكون الحكم بعد الحرب مناصفة بين الإسلام والشيوعية . فهل يعقل هذا، وهل هو جائز شرعا ؟ .. بالطبع لا.
3 ـ التركيز على جمع الأموال أولا غير صحيح وغير جائز، لأن الجهاد أصبح فرض عين علي كل مسلم في تلك البلاد، وأن الواجب القيام به فورا بكل ما هو في مقدورنا واستطاعتنا من سلاح ومال وعتاد ومصداقا لقول ا تعالي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو ا وعدوكم) . فالعبرة إذن ببذل الجهد والإستطاعة ثم الإعتماد على ا بعد ذلك فما النصر إلا من عند ا (إن تنصروا ا ينصركم ويثبت أقدامكم) .
هذا وقد بذلت جهود لتوحيد هذه الجماعات من جانب شخصيات إسلامية كبيرة ولكن كل محاولة كان يعقبها مزيدا من التفتت والإنقسام .
<u>جهاد في الجبال ... وجهاد في بيشاور</u> (8)

ذهب مولانا محمد يونس خالص في اليوم الثالث من إستيلاء تراقي على السلطة إلي ولاية ننجرهار مسقط رأسه وجمع حوله العلماء والشباب ورجال القبائل وكافة فئات المسلمين وبدأ حربا لا هوادة فيها في تلك المنطقة الجبلية .
وتوجه نائبه الأول مولانا جلال الدين حقاني إلي مسقط رأسه في ولاية باكتيا الشهيرة بمناطقها الجبلية الوعرة حيث بايعه رؤساء القبائل هناك أميرا للولاية من طرف محمد يونس خالص زعيم الحزب الإسلامي وحشد حقاني خلفه كل قادر على حمل السلاح في الولاية .
كما أرسل محمد يونس خالص بعض أتباعه إلي ولاية كونر لحشد المسلمين هناك وبدء الجهاد ضد قوات تراقي . وقد صادفت قوات المجاهدين بقيادة محمد يونس خالص نجاحا باهرا في السنة الأولى التي بدأ فيها الجهاد وتم تحرير معظم أراضي هذه الولايات الثلاث وصار الحكم فيها إسلاميا والقيادة فيها لمحمد يونس خالص رئيس الحزب الإسلامي .
كما إنتشر الجهاد في كافة الولايات الأفغانية حتى الملاصق منها لحدود الإتحاد السوفييتي .
وحتي كابول نفسها لم تخل من مصادمات مسلحة .
ولكن طبيعة القتال كانت تختلف،فالمناطق الجبلية سيطرت عليها قوات محمد يونس خالص سيطرة تامة وذلك في ولايتي ننجرهار وباكتيا ولم يتبق للحكومة في تلك المناطق إلا المدن الرئيسية تحميها قوات كبيرة من الجيش وسلاح الطيران الذي ركز جهوده في قصف قوات المجاهدين الذي نجحوا في تكوين قوات فدائية في مراكز قوية منتشرة بين الجبال واستغلوا الأسلحة الثقيلة التي غنموها في إحكام الحصار(9) حول تلك الحاميات وقصفها بالمدافع والإشتباك مع سلاح الجو.
وهكذا بدأ قتال مرير وغير متكافئ في ولايتي ننجرهار وباكتيا ولكن الإيمان كان هوالمنتصر.
وما زال فى هذا القتال دائرا . وتمكن محمد يونس خالص وجلال الدين حقاني من تحرير معظم أراضي هاتين الولايتين خلال العام الأول من الجهاد،وإمتد نشاطهما ليشمل دعم عمليات القتال في الولايات المجاورة، وإمداد زعماء المجاهدين فيها بالسلاح والرجال، وتزويدهم بالخبرات التنظيمية والعسكرية(10) وذلك بغض النظر عن أي إنتماء حزبي أو قومي و بإعتبار أخوة الإسلام التي تربط جميع المسلمين على هذه الأرض. وهكذا تبلورت قيادة الحزب الإسلامي للقتال وكان لتواجد زعمائه في وسط المعركة أثر كبير في دفع المجاهدين وتنظيم صفوفهم ورفع روحهم المعنوية .وجد المسلمون في ننجرهار وباكتيا وكونر وغزني وغيرها وجدوا قيادات مخلصة متفانية تخوض القتال بنفسها، فالتفوا حولها رافعين جميعا راية الإسلام فلا أحزاب ولا قوميات .
وحتى ضباط الجيش المسلمين والمعارضين لحكم تراقي الشيوعي نسقوا مع قيادات محمد يونس خالص، مجموعة من الإنتفاضات في كثير من المواقع أدت إلى قتل كثير من المستشارين الروس وضباط حزب خلق الحاكم وأدت إلى إرباك قيادات الجيش. وخسرت الحكومة كثيرامن المواقع والمعارك نتيجة لهذا التنسيق. وانضم عشرات من الضباط مع جنودهم وكامل أسلحتهم إلى المجاهدين وما زالت تلك الإتصالات والتنسيق جار حتى الآن بين الضباط المسلين والقيادة العسكرية لمحمد يونس خالص وما الإنتفاضات العسكرية الأخيرة في كابول إلا من نتائج هذا التنسيق .
ولولا وجود تلك القيادات الإسلامية المخلصة داخل ميدان القتال لما أمكن إحراز هذه الإنتصارات الكبيرة في هذا الوقت القليل (11) .
وكنتيجة لهذه الإنتصارات الباهرة إمتدت حركة المقاومة الإسلامية لتشمل معظم ولايات أفغانستان، بما فيها تلك الولايات المجاورة لحدود الإتحاد السوفييتي وبدأت فيها عمليات

الإغتيال لأعضاء حزب خلق وإلقاء القنابل على معسكرات الجيش ومنازل الشيوعيين والمستشارين الروس . واستمر القتال على هذا المنوال في الولايات غير الجبلية والتي لا تساعد طبيعتها علي حرب عصابات كبيرة ومنظمة، كما في ولايتي ننجرهار وباكتيا التي تطور القتال فيها ليصبح هجوما مركزا علي محاور ثلاث هدفها كابول العاصمة. وبالمقابل ركز الجيش معظم قواته لصد هذا الزحف وحماية العاصمة. وتم الإتصال بين قادة المجاهدين في مختلف الولايات وبين مركز قيادة محمد يونس خالص، وأعربوا له عن إتفاقهم معه في الهدف الأساسي من شن هذه الحرب وهو إقامة حكم إسلامي كامل يشمل أفغانستان كلها يكون دستوره هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وبايعوا محمد يونس زعيما لهم، وأعربوا عن تخليهم عن كافة الزعامات التي إرتضت لنفسها الفرار من ميدان الجهاد والجلوس في بيشاور لإصدار البيانات وممارسة عمل إعلامي مكثف لترسم لنفسها دور الزعامة المجاهدة (12) .

وكان ذلك هو فعلا واقع الزعامات الإسلامية في بيشاور. فقد جمع الزعماء من حولهم عددا كبيرا من الأنصار والمثقفين وباشروا في إصدار الكتيبات والبيانات العسكرية وأرسلوا الوفود لتطوف بالعالم الإسلامي، وكل وفد يقدم نفسه بأنه القائد الفعلي للجهاد في أفغانستان وأنه الوحيدالذي يتحمل التبعات على كتفه . وقد حقق بعضهم نجاحات كبيرة في هذا المجال وأصبحت لهم قدم راسخة في مجال الدعاية والإعلان عن بضاعتهم الفاسدة (13) .

وهكذا بدأت جماعات بيشاور (الجهاد المضاد) أو (الجهاد المعاكس) . وتكونت جماعات من نمط جديد من (المجاهدين) عبارة عن عصابات لخطف الغنائم ليس إلا وتنسب نفسها لهذا الحزب أو ذاك من أحزاب القاعدين في بيشاور، وكانت تلك أقسى ضربة مؤلمة لحركة الجهاد و المجاهدين منذ بدء الحرب في أفغانستان، إذ إنشقت الصفوف التي وحدتها كلمة التوحيد وظهرت جماعات خطف الغنائم تحوم حول مواقع القتال حيث ينهمك إخوانهم في حصار وضرب الحاميات الحكومية لأسابيع وشهور، حتي إذا جاءت اللحظة الحاسمة وإستسلمت الحامية إنقضوا بسرعه البرق واختطفوا الغنائم ليصبح قانون الغنيمة لمن أخذها أول تصدع يصيب صفوف المجاهدين ويهدد بحدوث الحرب فيما بينهم، لولا قدرة أمراء محمد يونس خالص علي كبح زمام جنودهم .وأصبح الهم الأساسي لقيادة محمد يونس خالص هي الخروج من هذا المأزق و إعادة الوحدة بين المجاهدين . ولكن زعماء بيشاور ما زالوا يسخرون مواردهم المالية الضخمة في تكريس هذا الإنفصام وتوسيع شقته إرضاء لنوازع شخصية وأهداف غير إسلامية (14) .

الوضع العسكري والوضع الإقتصادي

بالنسبة لمناطق القتال الرئيسية، فإن الوضع العسكري للمجاهدين يعتبر جيد، والمبادرة العسكرية في يدهم رغم الفارق الهائل في المعدات بينهم وبين الجيش الحكومي، حيث يلتزم الجيس الآن بموقف الدفاع فيركز قواته في مناطق استراتيجية حول المدن الرئيسية التي تعترض طرق زحف المجاهدين نحو العاصمة. وكان دافع الإيمان المطلق بالله وإعتقادهم بأن قتالهم إنما هو لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الإسلام ضد الكفر والإلحاد هو أخطر سلاح يعمل في جانب المجاهدين ويكسبهم الطابع الهجومى فى الحرب، رغم عدم التكافؤ الواضح فى نوعية وكمية الأسلحة لدى الطرفين ـ يقابل ذلك إنهيار المعنويات لدى قوات الحكومة وتحينها الفرصة للفرار للإنضمام للمجاهدين وأحيانا إلي قتل المستشارين الروس وضباط حزب خلق والإنضمام إلي إخوانهم المسلمين .

ومن جانب آخر فإن الحرب الأفغانية دخلت مرحلة جديدة أطلق عليها بعض المحللين مرحلة

الهجوم الإستراتيجي وهي مرحلة إجتياح المدن الحصينة . وهي مرحلة تستلزم كما وفيرا من الأسلحة الثقيلة(وهي متوفرة إلى حد ما) وكماً وفيرا من الذخائر لتلك الأسلحة (وهي غير متوفرة لأسباب مالية) .ومثل ذلك الهجوم يستلزم أسلحة فعالة للدفاع الجوي، وهذا غير متوفر لدى المجاهدين بالقدر الكافي (15) .

ومن هنا فإن المجاهدين في حاجة ماسة إلى تدعيم أسلحتهم المضادة للدبابات وأسلحتهم المضادة للطائرات وذلك كمطلب أساسي لتطويرهجومهم علي القلاع الحكومية والتصدي لسلاح الجو الشيوعي الذي يدعمه الروس بشكل مكثف في الأشهر الأخيرة .

وتلك المرحلة من الحرب بدأت منذ أشهر قليلة وتقدم المجاهدين فيها يسير ببطء شديد، لنقص المعدات اللازمة من ناحية ومن الآثار السلبية لعملية (الجهاد المعاكس) من ناحية أخرى ، وللصعوبات الإقتصادة من ناحية ثالثة . فمن المعلوم أن الفئة الإسلامية المحاربة هي أكثر الفئات فقرا وأقلها شهرة في العالم الإسلامي وأكثرها تعرضا للتشهير والهجوم (16) من جماعات (الجهاد المعاكس) في بيشاور، التي إستقطبت معظم مصادر المساعدة والعون وتفننت في وسائل الدعاية وجلب الأموال . والأموال المتوفرة لدى جماعة محمد يونس خالص تكفي بالكاد لدفع الحرب في معدلها الحالي البطيء وليس لها قدرة على شراء ذخائر بالكثافة المطلوبة . كما أن الوضع الغذائي للمجاهدين سيء للغاية ويقتصر غذائهم على الشاي والخبز الأسود ونادرا ما يزيد الطعام عن ذلك (17) .

بالإضافة إلي أن القصف الجوي وإنقطاع الطرق أدى إلى إختناق إقتصادي شبه كامل في الأراضي المحررة، يدفع الأهالي إلى النزوح إلى باكستان وهذا الوضع إذا استمر مع قدوم شهور الشتاء القاسية يهدد بأن تفرغ الولايات المحررة من السكان ويسهل على الحكومة أن تنشر قواتها وتستولي على أرض خالية من السكان (18) .

وكإجراء وقائي لذلك تسعى قيادة محمد يونس خالص إلي تخزين مؤن تكفي الأهالي وتكفي المجاهدين لفصل الشتاء، وذخائر لتموين العمليات العسكرية في الشتاء. وإذا كانت الموارد المالية للجماعة لا تكفي مطالبها اليومية فكيف بالتخزين لفصل كامل ؟ (19) .

الموقف الروسى

لا يبدو أن الروس عازمون على التقليل من دعمهم لنظام تراقي ولن يتخلوا عن مكاسبهم التي حققوها في أفغانستان .

وقد أشار مراسل صحيفة الجارديان البريطانية في تقرير له من كابول، بأن القدرات العسكرية السوفييتية والخبراء العسكريين السوفييت يدافعون عن العاصمة كابول، وأن المقاتلات السوفييتية كانت تقوم بقصف القوات العسكرية التي تمردت أخيرا في العاصمة. وأشار المراسل إلى أن جميع الدلائل تبين أن الروس لن يتخلوا أبدا عن أفغانستان على الرغم من عزلة حكومة تراقي وضعف الإجراءات الأمنية وتزايد النقمة الشعبية ضد السوفييت (20) .

وقد علل تمسك السوفييت بالسيطرة على أفغانستان بالأسباب التالية :

1 ـ الأطماع التقليدية للسوفييت في أفغانستان .

2 ـ خطر حدوث ثورة إسلامية في جنوب الإتحاد السوفييتي، إذا ظهر للمسلمين هناك أن تحرر إخوانهم في أفغانستان قد دحر القدرات العسكرية بالسوفييتية . وذكر المراسل أن الإتحاد السوفييتي أرسل عددا من الجنرالات الكبار لتقييم الوضع العسكري في أفغانستان بقيادة القومسيار السياسي للجيش السوفييتي في شهر أبريل الماضي. ومنذ ذلك الحين تدفقت كميات

هائلة من الأسلحة الروسية وتحولت أفغانستان إلى ترسانة أسلحة ضخمة (21) .
ونحن نضيف إلى تلك المعلومات حقائق أخرى خطيرة تكشف لقيادة المجاهدين في ولاية باكتيا.
وهي أن عناصر شيوعية وعلى صلة بحزب ذو الفقار علي بوتو كانت تشتري الأسلحة الثقيلة التي تعرض للبيع في منطقة وزيرستان والتي غنمها الأهالي من قوات الجيش وكانوا يعرضون أثمانا خيالية مقابل تلك الأسلحة. وكانت العادة أن تقوم جماعة محمد يونس بإعادة شراء هذه الأسلحة لاستخدامها في القتال (22). وقد تم إعتقال هؤلاء الأشخاص والتحقيق معهم.
وعلم أن لهم صلات بالشيوعيين في باكستان، وكذلك حزب بوتو وحزب خلق الحاكم في أفغانستان.
وهكذا تمتد خيوط المؤامرة الروسية إلى المحطة القادمة وهي باكستان، سعيا نحو وصول القوات الروسية إلي المحيط الهندي ثم ... الجزيرة العربية . وقد أخطر المجاهدون حكومة باكستان بالمعلومات التي وصلتهم (23) .

موقف باكستان من الحرب

لا شك أن الحكومة الباكستانية تشعر بالقلق الشديد من إمتداد النفوذ الروسي إلى أفغانستان ليقف إلى حدودها مباشرة، بل ويهدد بشكل سافر بإشعال فتنة في باكستان، تنتهي بإستيلاء الشيوعيين على البلاد أوعلى جزء منها يعبر منه الروس إلي المحيط الهندي عبر أفغانستان وباكستان، لتبدأ مرحلة الغزو الأخيرة في جزيرة العرب حيث الصراع الدولي من أجل النفط. ولكن الحكومة الباكستانية أصرت على إبراز أنها لا ترغب في التدخل في الصراع الدائر وهي بالفعل لا تقدم للمجاهدين مساعدات من أي نوع ،وهذا يثير المرارة في نفوس المجاهدين(24).حتى مساعدات باكستان للمهاجرين فإنها مقصورة على المهاجرين القدماءالذين فروا قبل الحرب، وهي مساعدات لا تكاد تسد رمقهم، والبيوت والخيام تعطيها الحكومة الباكستانية لهم هى بالإيجار الشهري(25).
وقد منعت الحكومة الباكستانية الجنود الفارين من جيش تراقي أن يدخلوا البلاد كلاجئين.
ويحكي المجاهدون قصة حدثت منذ شهور عن طيار أفغاني يدعى عبدالرحمن فر بطائرته ولجأ إلى باكستان فقامت الحكومة الباكستانية بإعادته وطائرته إلى سلطات كابول ليتم إعدامه هناك فور وصوله (26) .
ويشعر المجاهدون أن موقف الحكومة الباكستانية يتسم بالتقصير والسلبية .

موقف البلاد الإسلامية والعربية

لا شك أن جهاد الأفغانيين يحظى بتعاطف إسلامي كبير .
ولكنه تعاطف في أغلبه سلبي ما عدا إيران التي تقدم بعض المساعدات للاجئين على أرضها وتقدم دعما إعلاميا لقضية أفغانستان، ويقال أنها تقدم بعض السلاح للمجاهدين في ولاية هيرات المجاورة لها (27) . أما على ساحة القتال الفعلي فالدعم الوحيد الذي وصل المجاهدين كان من دولة الإمارات عن طريق وفد أرسله محمد يونس خالص لجمع التبرعات من المساجد وكان هذا المال هو الدعم الإسلامي الوحيد الذي وصل إلى المجاهدين الحقيقيين غير مبلغ المليون روبية الذي وصل إليهم أخيرا من الإمارات. أما الأموال الطائلة التي جمعت في السعودية وباقي دول الخليج فقد ذهبت بالكامل إلى جماعات (الجهاد المعاكس) لتستخدم في شق صفوف المجاهدين وتحويل طائفة منهم إلى خاطفي غنائم .
وقد قدمت الحكومات الإسلامية أوجه الدعم في الإتجاه الخاطئ حتى الآن ويرجع ذلك إلى الإنشقاق القائم في صفوف الحركة الإسلامية وإلى عدم إعطاء الحكومات والهيئات الإسلامية قضية الجهاد ضد الشيوعية في أفغانستان قدرا كافيا من الإهتمام والتقصي واتخاذ الموقف

القوي والحاسم تجاه هذه القضية الخطيرة التي تهدد أمن هذه ادول وعقيدتها جميعا (28) .

ما هو الحل ؟؟

في الوقت الذي يركز الروس جهودهم لتعزيز قبضتهم على تلك البلاد المسلمة نجد أن المجاهدين في مواقع القتال يقفون بمفردهم وقد تخلي عنهم إخوانهم المسلمون وشغلتهم أمور دنياهم عن أمور دينهم . وأخذت أحزاب القاعدين في بيشاور في عرقلة الجهاد وتضليل الرأي العام الإسلامي، وإنساق المسلمون في تأييد هذا أو مساعدة ذاك بلا تحقيق ولا تدقيق وهم يحسبون أنهم بهذا يحسنون صنعا. في الوقت الذي تستخدم فيه أموالهم لشق صفوف المسلمين وإفساد ذات البين، بين المجاهدين ولدعم طائفة إستمرأت القعود عن الجهاد وجمع الأموال بدون وجه حق.

إذا ما هو الحل ؟ ... ما هو الحل حتى نتحرك الآن قبل أن يدهمنا الشيوعيون في بيوتنا ... وقبل أن نجد تراقي آخر فيما بيننا يمزق القرآن ويستبيح حرمات المسلمين ويطلق النار علي صدر من يعترض ؟ . الحل فيما نرى سهل وميسور إذا خلصت النية تعالى. وفي مقدور دولة واحدة من دول الخليج أن تقدم دعاما فعالا وقويا ولن يكون باهظ التكلفة .

والدعم الآن أفضل لأن المجاهدين ما زالوا رغم كل شيء في الوضع الأقوى والوضع المهاجم. هذا الدعم يكون فعالا إذا وضع في مكانه المناسب ووصل إلى الأيدي الطاهرة التي تقاتل وتستشهد وليس في بطونها إلا كسرات من الخبز الجاف. ومن واقع ما طلبه قائد المجاهدين في ولاية باكتيا فإن المطلوب هو:

أولا : دعم مالي لشراء أغذية للمجاهدين فكثيرا منهم يضطر إلى ترك الجهاد للسعي وراء لقمة عيشه وعيش أولاده ومن بقى منهم للجهاد لا يجد طعاما إلا بشق الأنفس .

ثانيا : أسلحة وذخائر مضادة للدبابات وأسلحة وذخائر مضادة للطائرات أو أموال كافية لشراء اللازم منها .

ثالثا : محطة إرسال إذاعي لتحقيق الإتصال بين المجاهدين في كافة الولايات ولنشر أنباء الجهاد على أبناء الشعب وشرح حقيقة ما يجري لأفراد الجيش للتأثير على معنوياته .

رابعا : بذل رعاية كافية لأسر المجاهدين والشهداء الذين هاجروا إلى باكستان والذين يعيشون علي الكفاف ولا يجدون الملبس أو الطعام . ولا يستطيع رجالهم السعي وراء الرزق بسبب إنشغالهم بالجهاد .

هذا ما يطلبه المجاهدون من إخوانهم المسلمين . وهذا هو نصيبنا نحن من حصة الجهاد وفرضيته على دولنا التي لديها المال.. فرض عين كالصلاة والصوم . وعليها القيام به بقوة وعزم وإخلاص النية وخدمة دين ا .

وقد طلب بعض أنصار محمد يونس خالص أن يذهب الرجل بنفسه إلى دول الخليج لشرح القضية ويأتي بالأموال، فرفض وقال لهم : إن إعتمادي علي ا وحده وهو الذي وعدنا بقوله (ومن يتق ا يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

هذا وقد أفادت آخر الأنباء التي وردت من طرف المجاهدين أن ثلاثة من الأحزاب الإسلامية قد إنضمت تحت زعامة محمد يونس خالص وبقيت الآن جماعتان فقط تعمل بشكل منفرد وهما جماعة قلب الدين (الحزب الإسلامي) وجماعة السيد أحمد الجيلاني ومعروف عن قلب الدين شدة طموحه الشخصى وإلتفاف عدد من المتعلمين حوله وله مكاتب سياسية فعالة في باكستان، لذا فهو الأكثر شعبية لدى الرأي العام الإسلامي في الخارج وتمكن من جمع أموال

هائلة من منطقة الخليج والسعودية يقوم بإستخدامها على نفقات أعوانه حيث تمكن من تجنيد بعض جماعات البحث عن الغنائم .
وقد أفادت أنباء المجاهدين عن تقدم محسوس في القتال بعد إتحاد الجماعات الإسلامية ونرجو ا تعالى أن يجمع كلمة المسلمين وأن ينصر المجاهدين ويرد عنا كيد الملحدين إنه على كل شيء قدير .
(كتب فى يوليو 1979م) .
****

<u>وندخل الآن إلى تعليقات على التقرير السابق</u>

(1) مولوي محمد يونس خالص :

مولوي يونس خالص كان من الأسماء اللامعة كقائد ميداني ورئيس تنظيم جهادي هو الحزب الإسلامي. وأسباب بريقه في ذلك الوقت كونه عالم وقائد ميداني ورئيس تنظيم جهادي. إضافة إلى ماضيه الحركي في أوساط العلماء وشباب الجامعة والمدارس، من خلال كتاباته الصحفية وتدريسه في مدرسة دينية شهيرة في جلال آباد وهي مدرسة نجم المدارس التي أزالها الشيوعيون من الوجود عام 1978 وأعاد هو وضع حجر أساسها بعد الفتح عام 1992 .
إضافة إلى ذلك فقد كانت منطقة نشاطه "جلال آباد" من أهم المقاطعات لكونها ولاية حدودية مع باكستان ويخترقها أهم طريق دولي يربط أفغانستان مع باكستان والمحيط الهندي . وقد صادف التوفيق عمليات خالص العسكرية ، وتحالفه مع جلال الدين حقاني في ولاية باكتيا الهامة ونجاحات حقاني هناك التي أضيفت إلى رصيد خالص وتنظمه ، وكون الرجلين من العلماء المجاهدين والناجحين فقد تهافت عليهما العلماء من شاكلتهما طالبين منهما العون والمساعدة .
ومن عام 1978 حتى عام 1980 كان ذلك التيار (العلمائي) ـ أو المولوية ـ كما أطلق عليهم قادة أحزاب بيشاور ـ تصغيرا لشأنهم ـ كان ذلك التيار هو المرشح لتولي زمام قيادة الجهاد. باعتباره القيادة الدينية الطبيعية للشعب الأفغاني ـ خارج المدن ـ وكما سنرى لاحقا من تطورات الجهاد في السنوات التالية، مرحلة تدويل القضية،وهي نفسها مرحلة السعى لتدمير الجهاد كفكرة ونشاط ديني قتالي ـ وتحويله إلى عمل قتالي ذو أهداف سياسية لادينية .
في تلك المراحل تم إضعاف يونس خالص وحزبه وصار مثل باقي الأحزاب الأخرى .
وخالص نفسه إنكمش داخل الحزب ليتحول إلى مجرد رمز وأب روحي. وأدار الحزب نيابة عنه الإخوة الثلاثة : دين محمد ـ عبد الحق ـ عبد القدير. وهم من أسرة غنية في جلال آباد مشهورة بمقاومة الشيوعيين وتتمتع بسمعة طيبة وروح إسلامية واضحة . ثلاثتهم من النشطين الأذكياء ، وكانت قيادة دين محمد للحزب هي الأوضح ، وعبد الحق تخصص في إدارة عمليات في كابل ، وعبد القدير كان له نشاطه الإقتصادي غير المشروع في غالبه وكان على صلة طيبة بالقبائل (شيعة وسنة) وبعصابات الإجرام والتهريب. وساعده ذلك كثيرا في إستخدام منطقة الحدود لصالح حركة المجاهدين ، ولصالحه الخاص في نفس الوقت. وقد أصبح (حاجي قدير) كما يسمونه الآن ، أصبح واليا لمحافظة جلال آباد ـ كما أنه يعتبر حاليا الحليف الأول للسياسة الأمريكية ومشاريع الأمم المتحدة في المنطقة ـ وأول من إتخذ خطوات عملية معادية للمجاهدين العرب حسب طلبات أمريكا ـ ولكنه لم يتمادى في ذلك كثيرا.
لكن ما فعله كان كافيا لإفهام العرب أن لا مكان لهم بعد الآن في أفغانستان عامة وجلال آباد

خاصة ، ولذلك حديث آخر .
لقد ركزت أمريكا على إستبعاد القيادات الدينية عن جهاد أفغانستان ، لأنهم تيار عميق الجذور يستمد قوته العملية من إحترام وخضوع الناس لهم .
وفضلت أمريكا كالعادة دائما إستخدام تيارات سياسية وقيادات لا تتمتع بمصادر قوة داخل أراضيها بل تعتمد كليا على تلك المصادر التي تأتيهم من الخارج . وعلى هذا تم اعتماد تيارات وأشخاص هامشيين وهم تيار الإخوان المسلمين ، وهو تيار هامشي جدا في المجتمع الأفغاني بل متهم ـ دينيا ـ ومكروه إجتماعيا ومحصور في شريحة رقيقة للغاية من مثقفي كابل خاصة. أما الشخصيات التي حملت الدعوة الإخوانية ومثلتها في القيادات الأفغانية فكانوا برهان الدين رباني ، قلب الدين حكمتيار ، ثم سياف بعد الإفراج عنه في مطلع عام 1980 على يد القوات الروسية .
ولا يتمتع أي منهم بثقل قبائلي قوي ، فهم من أسر وقبائل ضعيفة وينتمون إلى تيار منبوذ ومتهم دينيا على المستوى الشعبي .
ومن المفارقات أن يكون التيار الإخواني في أفغانستان هو الأكثر طواعية وخدمة للسياسة الأمريكية في القضية . ولاقى تأييدا مطلقا من الإمتداد الدولي للإخوان المسلمين ونسختها الباكستانية (الجماعة الإسلامية) . وتم ذلك التعاون(الأمريكي/ الإخواني) بحرص شديد وتحت ستار مناورات تضليلية حتى لا يظهر ذلك التعاون، بل ظهرت صورة مخالفة تماما عبارة عن إشتباكات لسانية بين أمريكا والتيار(الأصولي الأفغاني) يقصدون تيار الإخوان.
ولكن الصورة ظهرت جلية مثل ضوء الشمس عندما تم (الفتح) وسيطرت الأصولية الإخوانية على الحكم في كابل وبدأت برنامج الحرب الأهلية غير المقدسة مع برنامج التضييق على العرب المجاهدين ودفعهم خارج أفغانستان ثم حصار أي عمل جهادي في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى. وقد نجحوا، خاصة برهان الدين رباني رئيس الدولة وسياف ذراعه الأيمن ، في تدجين حزب النهضة الطاجيكي ودفعه قصرا وغواية إلى التسليم لمخططات أمريكا والأمم المتحدة وترك السلاح ودخول دهاليز التآمر السياسي .
أما التيار الثاني في أحزاب المجاهدين الأفغان فكان ذلك التيار الغربي ـ أو المعتدل ـ وهو متحالف علنا بلا مواربة مع الغرب ويرى فيه الحليف الطبيعي في مواجهة السوفييت ، ولا غنى عن مساعدته العسكرية والسياسية والمالية لمواصلة الضغط على السوفييت ودفعهم إلى الإنسحاب أو حل وسط مشترك يضمن مصالح الكتلتين في أفغانستان . وقد مثل ذلك التيار السيد أحمد جيلاني ـ وهو أقوى رموز التيار الغربي ـ وصبغة ا مجددي ثم محمد نبي محمدي .
وجيلاني كان مرشحا لدور أكثر نشاطا في أفغانستان لارتكازه على زعامة تاريخية لطريقة صوفية شهيرة وقوية في عدة ولايات أفغانية . لكن الرجل غير مؤهل لأى دور ميداني ، ويصلح فقط للقيادة السياسية في المنفى لكونه غربي حتى النخاع في فكره وحياته الخاصة .
للرجل مصدر قوة داخلي متمثل في أتباع طريقته وله علاقات قوية مع بريطانيا حيث تعيش إبنته تحت الأضواء حياة الأميرات. ولكلا السببين لم يكن يحظى بثقة أمريكية كبيرة .
أما مجددي الذي ينتمي لعائلة دينية شهيرة لكنها غير قوية وهو نفسه عصبي ومهتز الأعصاب لذا كان دوره هو الآخر محدود ميدانيا . وكذلك حزبه كان هامشيا في القتال .
أما محمد نبي محمدي وهو عالم ديني كان على صلة طيبة بالملك ظاهر شاه ، دخل معترك

الأحزاب في محاولة توفيقية بين حكمتيار وربانى حيث كونا إتحادا جديدا برئاسة محمدي، الضعيف، ثم تمردا عليه وتركاه ولكنه إستمر في رئاسة الحل الوسط أو التنظيم الجديد المسمى حركة "إنقلاب إسلامي" . وكان الرجل رغم طيبته خاملا ضعيفا، ترك إدارة حزبه لإبنه الأكبر أحمد الذي كان فاسدا ذو بطانة شيطانية من أصدقائه الشباب. وتصرف أحمد في الحزب كأحد ممتلكات العائلة . فأضعف الحزب كثيرا خاصة بعدما إنفصل عن الحزب قوته المحركة، مولوي نصر ا منصور وكون تنظيما منشقا تحت نفس الإسم . لكن منصور ضعف تماما عام 1986 بعد فترة بريق ونشاط عندما قررت أمريكا تجميده إثر تصريحات غير ودية ألقاها في أمريكا أثناء رحلته هناك .

هكذا كان خالص أملا حقيقيا في زعامة إسلامية صحيحة للجهاد في أفغانستان. ولكنه أمل إنتهى مبكرا ولم يكد يشعر به أحد خاصة من العرب (الحركيين) ، الذين حددت حركتهم ونظرتهم للواقع السياسي الأفغانى الدعايات الصاخبة (للإخوان الدوليين) الذين صوروا التيار الإخواني في أفغانستان أنه القيادة المنشودة والتي تنافس في صفاتها الإسلامية الصحابة رضوان ا عليهم هذا إذا لم تتفوق عليهم في صفات عديدة .

وقد ساعدت أمريكا وحلفاؤها العرب في الترويج لذاك التيار عبر الهجوم عليه ،وهو أسلوب غير مباشر في التروج أصبح شهيراً في المنطقة العربية والإسلامية .

وهكذا فإن التيار الجهادي العربي المناصر للأفغان قد وقع بكامله تقريبا في حبائل إخوان أفغانستان وقياداتهم الفاسدة ـ إن لم نقل الخائنة وهو الوصف الأكثر دقة .

وكان التعصب لهؤلاء القادة على أشده بحيث كان مستحيلا الوقوف في وجه ذلك التيار أو انتقاده.

وقد زاد الطين بلة وقوف الشيخ عبد ا عزام رحمه ا إلى جانب هذا التيار القيادي الفاسد .

ورغم أنه إكتشف حقيقتهم منذ عام 1986 على الأقل ، وكان قد وصلته آراء معارضة للقيادات الأفغانية الخائنة ـ وهو وصف يشمل الجميع الأصوليين والغربيين المعتدلين على السواء . وكان الإخواني العتيد (أبو أسامة) عبد العزيز علي ـ أول من نادى بذلك الرأي منذ عام 1979 بل وطالب بإعدامهم إذا لم يتوحدوا على رأي قائد واحد، وتعيين زعيم جديد للجهاد.

وكنت محسوبا مع التيار المعارض للقيادات الأفغانية الفاسدة ـالخائنة ـ منذ مقالات بدأت في نشرها في الإتحاد عام 1986 تكلمت فيها عن أخطاء فادحة داخل تلك المنظمات .

الشيخ عبد ا كان هو الأثقل وزنا والرمز البارز والمؤثر للعمل العربي الجهادي، حتى أنه كان مشروعا لقائد إسلامي عالمي يتخطى حدود النظرة القطرية والعمل الوطني الإسلامي، وذلك في ظني على الأقل .

موقف الشيخ عبد ا عزام حتى لحظاته الأخيرة في المساندة العلنية غير المحدودة للقادة الأفغان (الأصوليين) كان من أكبر أخطائه العملية على الساحة الأفغانية. فقد رمى بثقله في الإتجاه الخاطئ. وكان لذلك آثاره السلبية جدا على أفغانستان والمجاهدين العرب. وظهر ذلك واضحا بعد وفاة الشيخ عبد ا ،ثم كان أكثر وضوحا من ضوء الشمس عندما جاء الفتح الذي تحول على أيدي الأصوليين الأفغان وإخوانهم المعتدلين إلى كارثة إسلامية .

وذلك بدون أن نجحد الإيجابيات التي تحققت على الساحة الأفغانية والتي جاءت رغما عن الجميع سواء السوفييت أو الأمريكان أو عملائهما من عجم وعرب من أفراد وحكومات وتنظيمات إسلامية وجهادية .

نعود إلى الشيخ خالص ونكرر أنه كان مشروعا قياديا إسلاميا مجهضا على ساحة أفغانستان .

ويلاحظ في تقريرنا الأول الوقوع إلى حد ما في المبالغات الحزبية ـ وهو نفس الخطأ الذي تكرر على إمتداد الحقبة الأفغانية ـ فكل عربي كان يقع في حبال أحد التنظيمات ويقبل بلا مناقشة وجهات النظر السائدة داخل دوائر وقيادات ذلك الحزب ـ وهي كما إتضح وجهات نظر بعيدة في مجملها عن الحقيقة غير منصفة للآخرين ، تبالغ كثيرا في أهميتها ، وتنسب إلى نفسها وإلى زعاماتها أمجادا ومآثرا زائفة في معظمها .

في تقريرنا الأول ـ عندما أقرأه الآن:

أشعر أن مولوي خالص كان مسيطرا تقريبا على الموقف القتالي (الجهادي) داخل أفغانستان ، وأنه محل إجماع وموافقة الشعب كله بمختلف فئاته ، وهذا غير صحيح وفيه الكثير من المبالغة. فأقصى ما يمكن قوله عن وضع مولوي خالص في ذلك الوقت المبكر للجهاد أنه كان شيئا هاما ـ أو هاما جدا ـ ولكنه مع ذلك لم يكن أكثر من مشروع قيادة يقود مشروعا تنظيميا للجهاد في أفغانستان. وأن التحديات أمامه كانت خطيرة وجسيمة ليس فقط من الدولة التي يقاومها أو حلفائها السوفييت، بل الأخطر كان المقاومة الإسلامية نفسها والمتمثله بالقادة الإسلاميين من إخوان و معتدلين وباكستان التي كانت تحتضنهم ـ في أحضان الموت ـ وتشرف على حركتهم. وكانت، كأي دولة تحتضن حركة معارضة لا ترغب إطلاقا في رؤية تيار مستقل عن إرادتها أو قيادة مستقلة في قرارها من بين هؤلاء الأفغان اللاجئين على أراضيها .

إن إجراءات التحجيم ضد غير المرغوب فيهم كانت مستمرة طوال حركة الجهاد وحتى آخر لحظاته. وهي إجراءات عديدة تبدأ بالرشوة وتنتهي بالإغتيال وتمر بالحصار الإقتصادي وتلويث السمعة وإطلاق الإشاعات .

وقد مورست كل تلك (المهارات) ضد خالص وحقاني ومنصور ومئات غيرهم . قلة نادرة هي التي تمكنت من الإفلات من ذلك العنكبوت الشيطاني . والجميع قد أصابتهم سهامه وأثرت فيهم لدرجة أو أخرى .

<u>(2)- الصحافة الغربية وأجهزة المخابرات</u>

ترتبط الصحافة في الغرب إرتباطا وثيقا مع أجهزة المخابرات سواء بالتوظيف المباشر أو بالتعاون المتفاهم . وفي كل الأحوال لا يمكن لتلك الصحف أن تخالف المصالح العليا لبلادها ، بدون إعتبار توافق أو تعارض تلك المصالح مع العدل والحق . وتعارض تلك الصحف أحيانا مع حكوماتها ينبع من صراع المصالح بين التكتلات الإقتصادية الكبرى داخل تلك المجتمعات وليس من أي دافع أخلاقي . ولكنها دوما تغطي نفسها بدعاوى أخلاقية ولا تظهر ذلك الجانب المادي الفظ الذي يشكل حقيقة مواقفها على الدوام . تماما كما يشكل حقيقة المواقف السياسية والعسكرية للغرب الصليبي .

لقد أظهر الغرب وصحافته التأييد للأفغان طبقا لمصالحه الخاصة ، وكان دوما معاديا للإسلام وقضايا المسلمين . صحف الغرب دأبت دوما على ترويج معلومات تسربها إليها أجهزة المخابرات، وأيضا مواقف ووجهات نظر تخدم مصالح دول الغرب .

في بداية الحرب الأفغانية كانت صحف الغرب تستقي أهم معلوماتها من أجهزة إستخبارات بلادها . وكانت تشير أحيانا إلى المصدر الإستخبارى .

في مرحلة تدويل القضية الأفغانية أنشأت الولايات المتحدة مراكز إعلامية تابعة لسفارتها في العاصمة الباكستانية إسلام آباد وفي مدينة بيشاورالحدودية، المركز الإداري والسياسي للمجاهدين الأفغان .

تلك المراكز خاصة مركز العاصمة كان محطة أساسية لجميع المراسلين الأجانب المقيمين في باكستان أو الوافدين إليها بغرض تغطية بعض الأحداث الأفغانية .
وكان (إجتماع الثلاثاء) الذي يعقده مركز إسلام آباد ثروة معلوماتية يدعى إليها الغربيون والصحفيون الأصدقاء من الغرب والشرق. وكان إتفاقا بين المركز الإعلامي الأمريكي ومريديه أنه عند إستخدام المعلومات التي يقدمها إليهم أن يشار إليها بعبارة "صرح مصدر دبلوماسي غربي في إسلام آباد"، رغم أن المصدر هو إستخبارى.ومراجعة تقارير صحافة الغرب ووكالات الأنباء لتلك الفترة توضح مدى المجهود الإعلامي الذي مارسته الإستخبارات الأمريكية ومدى تعاون صحافة الغرب معها في ذلك المجهود .
ومن المحزن هو ذلك التهافت من جانب الأفغان على إستجلاب واسترضاء الصحفيين الغربيين وكشف كل ما لديهم أمام هؤلاء الصليبيين. وبعد الفتح تحول الغرب خاصة الولايات المتحدة وأممها المتحدة إلى قبلة الأفغان ، وموضع رجاء الشعب بشكل عام . وللأسف فإن الإساءة إلى المجاهدين العرب كان ضمن الثمن المدفوع لقاء هذا الإسترضاء.
****

(3) اشتهر الشيوعيون في كل مكان باعتماد أسلوب التصفية الدموية لخصومهم ، بهدف الوصول إلي دولة إيديولوجية خالصة لا ينافس الماركسية فيها مذهب آخر . وقد عانى الأفغان من الأسلوب الذي مورس ضدهم بطريقة منهجية وبأحدث الأساليب والأسلحة، حتى أن تعداد القتلي والمشردين (المهاجرين) فاق ثلث مجموع السكان . هذا غير المعاقين والأيتام ناهيك عن القتلى المتساقطين يوميا حتى الآن بسبب الألغام التي تقدر بأكثر من عشرة ملايين لغم على الأقل . وقفزت بعض التقديران بهذا الرقم إلى مائة مليون لغم .
وحسب تقارير الأمم المتحدة فإن ذلك سوف يستمر لزمن قادم مقداره مائة وخمسون قرنا فقط!! .
ومع كل ذلك الإجرام فإن القادة الجهاديين من الأصوليين ، قد تحالفوا(في سبيل الحصول على حكم مدينة كابل فقط) مع الشيوعيين الأفغان في الجيش والإستخبارات . وتحالفوا معهم في شن حرب أهلية تدمر أفغانستان وأهلها وعقائدها .
وكانت فكرة المصالحة الإسلامية الشيوعية في أفغانستان هي محور المشروع الأمريكي الذي سانده السوفييت عند وصول جورباتشوف إلى الحكم . وبداية ما علمناه عن ذلك كان ذلك التفاهم بين (أسد بانشير) أحمد شاه مسعود وجيش الإحتلال السوفييتي في أعقاب حملات السوفييت على بانشير والتي على أساسها إشتهرت أسطورة مسعود التي نفخها الإعلام الغربي ـ والفرنسي بالذات ـ لدرجة تصورنا أنها حقيقة ولم نفق على زيفها إلا في وقت متأخر جدا .
وكانت هناك مقترحات بتكوين حكومة إسلامية شيوعية مشتركة يشترك فيها الزعيم الشيوعي القوي بابرك كارمل رئيس جمهورية أفغانستان الإشتراكية آنذاك ، مع الزعيم الإسلامي الشاب الأصولي المتطرف !!! قلب الدين حكمتيار . ثم حاول حكمتيار تنفيذ نفس الفكرة بمساعدة الإستخبارات الباكستانية عام 1990 عن طريق مسرحية فشلت لحسن الحظ وكانت تقتضي أن يقوم رئيس أركان الجيش الأفغاني ـ وهو ماركسي متعصب ـ اشتهر بمجازره الدامية ضد المدنيين الأفغان وهو الجنرال شاه نواز تناي الذي كان من المفترض أن يقوم بانقلاب ضد حكم (نجيب ا) رئيس الجمهورية ثم يعلن تشكيل مجلس ثوري إسلامي ليحكم البلاد مناصفة بالإشتراك مع حكمتيار . فالفكرة قديمة وعليها دارت كل مشاريع الأمم المتحدة لوقف القتال وتشكيل حكومة محايدة أو مشتركة تجمع رموز الإسلام والشيوعية معا . ومن الطريف أن

الإخوان المسلمين الدوليين بذلوا مساهيهم في هذا السبيل وتوالت وفودهم لإقناع قادة المجاهدين الأصوليين بقبول مبدأ المشاركة وعدم الإصرار على الإنفراد بالحكم أو إبراز الشعارات الإسلامية التي تخيف الغرب وتغضبه . لقد كان من أبرز الوجوه الإخوانية في هذا المضمار هو عدنان سعد الدين ، الذي ساهم بجهوده القيادية في تدمير "الحركة الجهادية" في سوريا ، وبيعها لصالح النظام العراقي . ولم يكن عدنان هو الوجه الوحيد فقد تعددت الوجوه والإنتماءات القطرية وكان الهدف واحدا وهو الإنصياع للغرب وتقاسم السلطة مع الشيوعيين .
الآن ونحن في خريف 1994 ، تتكرر نفس المهزلة في طاجيكستان ، ونفس الوجوه الكالحة تدفع بقيادة (حزب النهضة) الطاجيكية نحو ترك السلاح ومقاسمة السلطة مع الشيوعيين تحت إشراف الأمم المتحدة وأمريكا والسوفييت . ونسجل هنا أن مجاهدي أفغانستان خاصة قياداتهم الأصولية برهان الدين رباني رئيس الدولة حاليا ومسعود قائد جيشه وسياف رئيس الوزراء الفعلي والمخطط الحقيقي للمهازل السياسية الأفغانية ، هم القوى الدافعة الرئيسية لإحباط الجهاد في طاجيكستان وتدجين المنطقة وحراستها ضد (التطرف والأصولية)، حسب المصطلحات الأمريكية، أي وقف حركة الجهاد وتكبيل المسلمين وفتح بلادهم أمام تيارات الكفر والإلحاد والزحف اليهودي عليها .

....

الدين والعرض والمال والقبيلة ثوابت لا يقبل الأفغاني المساس بها ودون ذلك الموت . وكما ذكرنا فإن محمد نور طراقي المنظر الشيوعي ورئيس أول نظام شيوعي في البلاد لم يكن سوى شخص أحمق ولا يتمتع بمزايا رجل الدولة . فقد أصيب بغرور القوة والثقة المطلقة فيها كوسيلة لتطبيق الإيديولوجيا على أرض الواقع مهما كانت العقبات ، فأفرط طراقي في إستخدام القوة وأصابه العمى فوطأت قدماه كل (المحرمات) الأفغانية: الدين والعرض والمال والقبيلة.
فتحدى الدين بفظاظة وأعلن إلغاءه هكذا بقرار وقتل العلماء وطلاب العلم في مجازر هوجاء رهيبة، ودخل ساحة الأعراض بغباء فأعلن (تحرير المرأة) وضمان حقوقها بالقانون وقوة البندقية.
فأصبح من حق المرأة أن تختار شريك حياتها وتذهب به إلى أقرب قسم شرطة كي يحرر لهم (محضر زواج)، مثل أي محضر لحادثة سير، وينتهي الأمر . وأي إعتراض من الأهل فإنه يحل فورا بفوهة الرشاش .
ويمكن تصور مدى الجرح الذي أصاب كرامة الأفغان بمثل ذلك القانون.
* ولقد أدركت عمق ذلك الألم من حادث عاصرته في شهر رمضان (**عام 1406هـ 1986م**) .
وكان البطل شاب أفغاني إسمه درويش، وكان من الشجعان المعدودين .
ولكنه كان دائم الصمت نادر الإبتسام لا يجد ذاته إلا في المعارك الحامية فيتحول إلى شعلة من نار وعاصفة قتالية ، وما سوى ذلك فهو هادئ وحزين .
في مدينة ميرانشاه الحدودية وفي أحد أيام رمضان ، إذ المدينة الصغيرة تتحول إلى ساحة قتال و تنتشر الطلقات في كل مكان وتغلق الدكاكين ، ويهرع كل إنسان إلى داخل بيته . وكان ذلك حدثا عاديا جدا ، ولكن ليس في شهر رمضان. في الليل علمنا أن درويش قد قتل شخصا في السوق .
راعنا الخبر لما نعرفه من دماثة طبعه وهدوئه.لقد فر درويش إلى الحدود الأفغانية وألقت سلطات المدينة القبض على أخيه فاروق كرهينة حتى يسلم درويش نفسه "للعدالة" .
لكن الحادث أقنع الجميع بأن "العدالة" كانت فيما فعله درويش . وتدخلت القبائل لدى الحكومة فألغت القضية وأفرج عن فاروق. والسبب هو أن درويش قد قتل زوج زوجته !! .

فقبل الإنقلاب الشيوعي كان درويش قد عقد قرانه على فتاة من قريته ، ونظرا لضيق ذات اليد فقد تأخر في أخذها إلى عش الزوجية حيث كان منهمكا في العمل لتجميع بعض المال .
ولكن أم زوجته لم تكن راضية عن درويش . وحدث الإنقلاب الشيوعي وصدرت قوانين تحرير المرأة ولم تتأخر حماة درويش عن إصطحاب ابنتها إلى قسم الشرطة وعقد قرانها على موظف شيوعي محترم يعمل في المدينة ، وأصبح درويش نفسه مطاردا بتهمة معاداة النظام الثوري.إنقضى على ذلك الحادث ثمان سنوات وأنجبت زوجة درويش ثلاث أبناء من زوجها الشيوعي. ولكن الزوج وجد نفسه واقعا في دوامة من الصراع السياسي حيث كان ينتمي إلى حزب خلق الذي قام بالثورة . ولكن التدخل السوفييتي نقل السلطة إلى الجناح الشيوعي الآخر (بارشام). ودار صراع حاد ودموى بين الفريقين، إضطر الزوج إلى الفرار نحو الحدود الباكستانية مع زوجته وأبنائه الثلاثة حيث وجد رشاش درويش في إنتظاره كي يثأر لكرامته التي أصيبت بجرح بالغ أضج مضاجع درويش ثمان سنوات طوال .
المال : أحد المحرمات الرئيسية لدى الأفغان، فمن أجله يفعل أي شيء وللمحافظة عليه يفعل أشياء أكثر . لم ندرك خطورة عنصر المال لدى الأفغان إلا بعد مرور سنوات طويلة من التعامل.
وظهر كم هو جوهري ذلك العنصر الخطير بحيث يمكن من خلاله، وبشيء من حسن السياسة، إنتهاك باقي المحرمات.
فمثلا إذا تم إعطاء الدين والعلماء إحتراما شكليا ، وتركت العادات الإجتماعية فيما يتعلق بالنساء والأعراف القبلية على حالها لسنن التطور التدريجي، فإنه بالمال يمكن تسخير الكثير من الأفغان في سلب المعاني الحقيقية للدين والأعراض وحتى القبيلة ، خاصة إذا كانت قبيلة أخرى غير قبيلة الشخص نفسه . وبالمال يمكن تحريك البعض نحو الإستيلاء غصبا على مال الآخرين ـ وهذا نشاط عادي في المجتمع الأفغاني ـ فقطع الطريق والقتل وسائل شائعة للحصول على المال ، سواء مال الضحية نفسها أو مال مدفوع من محرض خارجي .
وعندما عدل الشيوعيون سياستهم وتنبهوا إلى أخطاء البداية البائسة لنظامهم، بدأت شلالات الأموال تنهمر لشراء الأفراد والقبائل ، وكانت النتائج مدهشة ، ولو أن تلك السياسة بدأت مبكرا منذ بداية النظام ، لكانت النقود أشد فعالية وتأثيرا من الطلقات والقنابل . ولكن الوقت كان قد فات على تدارك التصدعات التي إنتهت بانهيار النظام .

(فى حملتهم على أفغانستان عام 2001م إستفاد الأمريكان من تلك الملاحظة و أشتروا تحالف الشمال المناوئ لطالبان بمبلغ 5 ملايين دولار فقط، و حتى نهاية الحملة و سقوط حكومة طالبان بلغت الرشاوى المدفوعة 70 مليون دولار، ولم يخسر الأمريكان فى الحرب سوى 21قتيلا حسب زعمهم . راجع كتاب صليب فى سماء قندهار للمؤلف).

ولكن المال والبراعة السياسية التي أبداها الشيوعيون الأفغان علي المستوى الداخلي والخارجي علي السواء ـ وذلك بالطبع بمساندة السوفييت ثم الأمريكان فيما بعد ـ أدت تلك البراعة السياسية الممزوجة بالعنف العسكري المتصاعد أدت إلى إطالة عمر النظام أربعة عشر عاما كاملة .
وسوف نتكلم لاحقا عن نظام الإستخبارات الأفغاني (خاد) وفعاليته ودوره الكبير في تلك الحرب .
وكيف إخترق ليس جميع الأحزاب الجهادية، بل أن كل بيت في أفغانستان كاد ألا يخلو من جاسوس للدولة ـ حسب ما صرح لي بعض قادة المجاهدين الميدانيين وأيد ذلك شواهد لا تحصى.
لهذا فمن الخطر أن نعتمد في حساباتنا على أن لدينا بعض الشعوب أو المجتمعات الصلبة المحافظة.
فهذه صفات نسبية يسهل تغييرها حتى ولو أقتضى ذلك سنوات طويلة ، فقد كان لنا مثل تلك

المجتمعات في مصر والشام والعراق فأين هي الآن ؟ . فالدول الصليبية لديها الخبرة الكافية والسياسات الملائمة لإحداث تغييرات عميقة في أمثال تلك المجتمعات ولديها ما يكفي من الأموال لتنفيذها وهي أموالنا في نهاية المطاف ولكننا نشنق بها.
وكم أدهشني أن ألاحظ أن الشيوعيين قد نجحوا في إحداث إختراق لأخطر المحرمات الأفغانية فبعد فتح مدينة خوست (31 / 3 / 1991) إستولى المجاهدون على أطنان من الأوراق الحكومية ، كمية ضخمة منها لجهاز المخابرات (الخاد) .في بعض هذه الأوراق كانت المفاجأة الكبرى.
فقد إحتوت أحد ملفات الخاد على أسماء عدد من بنات المدرسة الثانوية في المدينة تطوعن لقضاء عدة أيام في الخطوط الدفاعية الأولى للمدينة بهدف "الترفيه" عن الضباط والجنود.
وهن بنات لرجال أذاقوا المجاهدين الأمرين وعرقلوا أعمالهم في كل مجال وكان بعضهم واضح الإرتباط بالحكومة الشيوعية ويعمل ضمن قوة الميليشيات.
وبعد فتح خوست توجه حقاني وآخرون لاستكمال عملهم بالضغط على مدينة جارديز بهدف فتحها قبل شتاء نفس العام. لكن هؤلاء المنافقون إختلقوا مشاكل كثيرة خاصة بالغنائم والسيطرة على الأراضي المفتوحة. وقطعوا الطريق على المجاهدين بسبب تلك الخلافات المصطنعة.
وأخبرني حقاني وقتها أنه سوف يلفت نظرهم إلى محتويات وثائق "الخاد".
لا أدري ماذا حدث من تطورات في ذلك الموضوع لكن الذي شاهدته أن تلك المشكلات إنتهت فجأة بدون سبب ظاهر . ولكنني خمنت وقتها أن ذلك كان ببركة ملفات "الخاد" ، إن كان فيها شيء من البركة.
(4) الخلاف والشقاق سمات ثابتة في القادة الأفغان . ومن الملفت للنظر ذلك التشابه الكبيرإلي حد التطابق بين هؤلاء القادة الأفغان (الجهاديين) وقادة الأنظمة العربية من نواحي جوهرية منها :
أ ـ كثرة الخلافات الشخصية وعمقها ، وتغطيتها دائما بدعاوى عقائدية أو أخلاقية لا أساس لها في الواقع .
ب ـالتحول من الخلاف الشديد الذي يصل إلي حد الإقتتال المسلح بين الأعوان في الداخل إلى التحالف الكامل المفاجئ . ثم الإنتقال بعد فترة غير طويلة إلي الخلاف والإقتتال مرة أخرى .
جـ ـ نفس التقسيمات المتناقضة بين معتدلين وثوريين في العالم العربي . أو مسلمين معتدلين ومسلمين أصوليين في أفغانستان . وكلا المعسكرين لا يفترق عن الآخر إلا من حيث لون اللافتة التي يرفعها .
د ـ بعد اكتمال التجربة وأداء الدور المطلوب، يتضح أن كلا المعسكرين المعتدل والثوري أو المعتدل والأصولي، كلاهما مكمل للآخر في أداء البرنامج الصليبي في المنطقة .والمفاجأة الأكثر مدعاة للدهشة هي أن الثوري أو الأصولي كان الأكثر ضلوعا في خدمة الصليبية ، على عكس ما كان يتوقع (العوام) أو (المغفلون) الذين هم الجمهور المسلم بكل أسف .
والنتيجة التي يمكن إستخراجها، أنه لم يكن هناك أصلا لا معتدلين ولا ثوريين أصوليين، بل كان هناك عملاء يؤدون أدوارا مرسومة ويلبسون الأقنعة المناسبة لتضليل الجمهور المسلم حسب مزاجية ذلك الجمهور وثقافته . فهو إن كان جمهورا متغربا (مودرن) فالثورية تناسبه أكثر ،أما إذا كان جمهورا محافظا منعزلا نسبيا عن مؤثرات الحضارة فالأصولية والعنتريات ذات الصبغة الإسلامية تكون أكثر مناسبة له.
هـ ـ صفة عدم الحياء والإعتماد أكثر من اللازم على سذاجة الجمهور الإسلامي وضعف ذاكرته صفة تجمع قادة الأنظمة العربية مع قادة المنظمات الأفغانية ، فالذي كان ثوريا إشتراكيا

تحول فجأة إلي معسكر الإمبريالية وربيبتها إسرائيل حسب مصطلحات ذلك المعسكر .
والذي كان معتدلا صار أكثر إعتدالا وغربيا أكثر من الغرب وإسرائيليا أكثر من اليهود .
وفي أفغانستان مثلا ، ما أن إنسحب السوفييت **(في 15 فبراير 1989)**، حتى تبدلت كثير من المواقف حتى أن سياف كبير الأصولية، الذي شبهته صحافة الإخوان "الإسلامية بعمر بن الخطاب، كبيرهم ذاك كان يضغط على الدكتور عبد ا عزام حتى لا يتطرق في خطبه في بيشاور إلي موضوع الجهاد بإعتبار أن القضية الآن تحولت إلي مشاكل داخل الأسرة الأفغانية !!، وظل في العلن ينادي بضرورة الحسم العسكري !! . ولكنه عندما وصل إلى كرسي السلطة في كابل مع إخوانه من الأصوليين تحت زعامة المعتدلين الذين مثلهم مجددي رئيس الدولة حينئذ ، حتى دفع سياف بذراعه الأيمن (محمد ياسر) معبود الجماهير الإسلامية في بلاد العرب ، أن يطلب من ممثلي هيئات الإغاثة العرب والمجاهدين العرب إحترام قوانين الدولة واستخدام أوراق رسمية وتأشيرات في أثناء حركتهم داخل أفغانستان . وأشار بتواضع جم أنه قد تنازل بالإجتماع معهم والتبسط في الحديث، في حين أنهم في بلادهم لا يستطيعون مجرد رؤية وزير مثله !!.
و ـ السياسة في الحالتين لا صلة لها بأي مبدأ أو شرع، ولكن المصلحة هي التي تحدد التوجه السياسي. فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة بل مصالح دائمة .
فلا الثورية ولا الإشتراكية ولا الإسلام مبادئ أزلية لدى هؤلاء ولكنها المصلحة هي التي تحدد نوع المبدأ الملائم في كل فترة زمنية على حدة .
فالإشتراكي قد يتحول إلي مسلم إذا إستدعت الضرورة ـ وهكذا رأينا صدام حسين يعلن الجهاد عندما إفترسه الغرب في حرب تحرير الكويت عام 1991 ـ والمسلم يتحول إلي حليف قوي للماركسية والمرتدين إذا إستدعت الضرورات ذلك ـ أو صدرت إليه الأوامر من الجهات العليا التي تسيطر عليه ـ وهكذا رأينا أصوليين مثل حكمتيار وسياف وبرهان الدين رباني يتحالفون مع قادة الشيوعية التاريخيين والعسكريين من أجل التمسك بالسلطة أو محاولة الوصول إليها .
ذلك النوع من المشاكل داخل الحركة الجهادية الأفغانية في منشئها ليس خاصية ذاتية لتلك الحركة ، بل أن نفس تلك المشاكل قد إعترضت مسيرة الحركات ـ أو المحاولات الجهادية ـ في المنطقة العربية بعد ذلك بعدة سنوات .

....

(5) القضايا العملية تتعلق بمسائل عدة:

مثل القيادة ، وتنظيم العمل الجهادي وقواته العاملة ، ومشاكل التمويل.
هذا كله مدخل ضروري لدخول العملية العسكرية نفسها . وبداية تناولها يكون برسم سياسة العمليات أو "الإستراتيجية" العسكرية التي يزمعون تطبيقها على إتساع رقعة البلاد طوال فترة القتال . ويرافقها في نفس الوقت وضع استراتيجية العمل السياسي ومراحله المتزامنة مع مراحل الإستراتيجية العسكرية . هذه السياسات الإستراتيجية هي مسئولية القيادة العليا .
ومن مسئوليات تلك القيادة أيضا مهام أخرى لا تقل خطورة مثل مراقبة الإلتزام بالخط العقائدي (الإيديولوجي) من جانب الحركة ككل ومن جانب جميع القيادات .
وأيضا مراقبة البناء التنظيمي ورعايته وتجديده وتطويره والمحافظة على فعاليته .والسياسة المالية للحركة هي من مسئوليات القيادة وهو عمل لا يقل خطورة عن غيره من أعمال القيادة ويرتبط بعمق بكل ما سواه من سياسات عملية وعقائدية . فهو يرتبط بالخط العسكري ،

والتوجهات السياسية ، والخط الإعتقادي للحركة الجهادية .
وغني عن الذكر أن قيادة الجهاد في أفغانستان كانت مقسمة إلى قيادات متناحرة . وكل منها كانت صنفا متدنيا للقيادة . فقد مارست فقط صلاحية (الوكيل) عن القوى الصليبية التي لا تستطيع أن تتحرك مباشرة فوق الأرض الأفغانية أو أن تتعامل مباشرة مع الشعب الأفغاني، لذا فقد كانت في حاجة ماسة إلى (وسيط) أو (وكيل) أو (عميل) سمه ما شئت ، حتي ينوب عنها في الإتصال والحركة في المحيط الأفغاني. وبالتالي فإن كل مهام القيادة العليا والتي تحدثنا عنها قد أنيطت بالكامل للقوى الصليبية أمريكا) وأعوانها (باكستان ـ السعودية) .
تلك القضايا العملية مازالت بلا إجابات شافية على النطاق الإسلامي كله ـ حتى الآن ـ والحركات الإسلامية عامة والجهادية خاصة تعيش أزمة فكر وأزمة قيادة . وبالتالي فإن كل القضايا الهامة ـ العملية خاصة ـ مازالت معلقة . وكل تجاربنا الجهادية العربية بدأت وهي لا تدري بأنها مطالبة بالإجابة على مثل تلك المعضلات. بل أن تلك المعضلات من المفترض حلها قبل الشروع في العمل الجهادي .
فالحركات العربية الإسلامية تعاني ما تعانى منه الحركة الأفغانية من خلاف نظري حول الجهاد ذاته، وحول مشروعية بدئه لمقاومة حكومة مرتدة . فتلك الحكومات مازالت تمثل أولياء الأمر والشرعية لدي معظم الحركة الإسلامية العربية ـ خاصة الإخوان المسلمين ـ باعتبارها الجسم الرئيسي للحركة الإسلامية هناك . أما عند الإتفاق على شرعية البدء بالجهاد فتبدأ عندها المشاكل العملية والإختلافات حول طرق حلها .
وفي ظني أن حركة الجهاد في أفغانستان لم تعترضها مشكلة شرعية البدء بالجهاد في مواجهة حكومة مرتدة ، وذلك نتيجة لأخطاء حكومة نور محمد طرقي وعملها المباشر الفظ لإستئصال الإسلام، بدلا من الإلتفاف حوله وتفريغه من محتواه والإحتفاظ بهيكله فارغا (محنطا) كما هو حادث في البلاد العربية والبلاد الواقعة بشكل عام تحت هيمنة الغرب الصليبي ، وهو الأكثر ذكاء وخبرة في مقاومة الإسلام .
....

(6) الإعداد للجهاد يتحول غالبا إلى حيلة لإلغائه عمليا مع الإعتراف به شكليا .

فما هو الإعداد ؟ وما هي درجته ؟ . هذه مسائل خلافية قد تؤدي كما قلنا إلي إلغاء الجهاد عمليا . وإختلال الموازين المادية بين المسلمين وأعدائهم يشجع على تقوية التيار المنادي بتأجيل الجهاد حتى يتم الإعداد . وعمليا فإن التأجيل سوف يستمر إلي الأبد . هناك في المقابل دعوة البدء بما هو متاح ماديا في مصلحة المسلمين ، فالتأجيل (الأزلي) للجهاد سوف يعطي الفرصة للقوى المضادة للإسلام كي تقيم أمرا واقعا متينا وتضرب حتى الإمكانات القليلة المتوفرة في أيدي المسلمين كي يبدأوا بها الجهاد .
والبدء الفوري للجهاد يحمل في طياته مخاطر تجاهل المشاكل العملية ـ وهذا ما حدث في جهاد أفغانستان ـ ورغم النجاحات العسكرية التي يصادفها المجاهدون إلا أنه مع الوقت وتدريجيا يفقدون السيطرة على زمام الأمور وتزداد صعوبة إمكانية علاج المشاكل العملية . وهكذا يصاب العمل العسكري بنكسة وتكون الهزيمة أو أن تنبري قوى أخرى باستثمار نجاحاته والإستحواذ على نتائج تضحيات المسلمين ودمائهم. وهذا ما حدث أيضا في أفغانستان.
وفي واقع الحال فإن قرار الجهاد ينبغي أن يسبق الشروع الفعلي في الجهاد بوقت كاف حتى

توضع أساسيات النشاط العملي وقواعد وتصورات العمل المقبل وإستعدادته .
والذي يحدث للمسلمين سابقا وحاليا ـ خلال تجارب هذا القرن على الأقل ـ أنهم يقررون الجهاد فقط عندما يبدأ السكين الكافر في قطع الرقاب المسلمة . عندها فقط يقرر (البعض) أن يجاهدوا ـ وتقرر الأكثرية قرارات أخرى تتراوح بين الفرار أو الإستسلام أو ـ وهذه مهنة جديدة ـ إستثمار الوضع برمته لمصلحتها الخاصة فتركب موجة الجهاد وتتاجر بها في بازار السياسة الدولية وفي بازار العمل الإسلامي الملتزم . حدث ذلك أمام أعيننا وتحت أنوفنا مرتين على الأقل ، مرة في سوريا و"تجربتها الجهادية" المأساوية ، ومرة ثانية خلال نفس العقد في الثمانينات في أفغانستان صاحبة أكبر التجارب الجهادية في القرن العشرين .
وقد نضيف حتى لا تختلط الأمور بأن الإخوان المسلمين هم أصحاب (الفضل) التجاري في الحالتين المأسويتين .
لقد إعترض الإخوان على مبدأ شروع الجهاد في سوريا ولكنه بدأ رغما عنهم . وبرشاقة بارعة قفزوا فوق ظهره وباعوه لأنظمة المنطقة وقبضوا الثمن وتم تدمير الجهاد .
وفي أفغانستان إعترضوا على بدء الجهاد قبل إعداد طويل المدى يركز علي جمع الأموال والإتصالات السياسية الخارجية، في حين أن لتلك القضايا أهمية هامشية بالنسبة لقضايا الإعداد الأخرى وعلي رأسها المسائل التنظيمية والعسكرية وتحديد الخطط الإستراتيجية الخاصة بأفرع العمل الأساسية خاصة الفرعين السياسي والعسكري ثم النشاط التمويلي للحركة.
ومرة أخرى فشلوا في السيطرة على زمام الأمور وبدأ الجهاد على يد العلماء وأفراد الشعب الغيورين . فقرر الإخوان إستثمار الحركة والقفز فوق ظهرها والنزول إلي ساحة المزاد الدولي و قبض الثمن . وتم بيع الجهاد للأيدي الإقليمية الملوثة في باكستان والسعودية ومنها إلى اليد الأمريكية التي تولت بنفسها تسيير الدفة وقيادة المعركة وإستثمار نتائج (الجهاد الإسلامي) في أفغانستان فكانت أكبر خدعة مأساوية سقط فيها المسلمون خلال هذا القرن .

(7)الشروط الثلاثة التي وضعها المعتدلون لبدء الجهاد كان محورها هو استجلاب رضى الغرب
للحصول على معونته ـ ولم يكن الغرب وقتها قد قرر إستثمار الوضع الأفغاني في خارج نطاق الحرب الإعلامية بين الكتلتين . وقد رحب الغرب بالمعتدلين كأدوات متواضعة في ذلك المجال الإعلامي . ورحبت بهم بالتالي الأنظمة الموالية لأمريكا في العالم العربي وفازوا منها ببعض الدعم المالي والإعلامي .
ولحسن الحظ أن هذا التوجه المعتدل لم يرق لحاكم باكستان الجنرال ضياء الحق . فقد رأى فيه تجاهلا لمصالح باكستان وأمنها المهدد . وإعتبر أن المعتدلين قد تجاوزوه وتعاملوا مباشرة مع الغرب والدول العربية النفطية ، وفي ذلك تهميش مخل بدوره في منطقة سيادته ـ باكستان ـ وفي خلفيته المقلقة ـ أفغانستان ـ . لذلك سادت علاقات الجفاء والريبة بين ضياء الحق و المعتدلين ، وإزداد قربا من المتشددن خاصة حكمتيار في الدرجة الأولى ثم برهان الدين في الدرجة الثانية أما سياف ـ وهو محسوب على المتطرفين ـ فظل ضياء الحق يعتبره ورقة سعودية لذلك لم يعره إنتباها كبيرا.
وما زالت السياسة الإسلامية لجماعات العمل الإسلامي والجهادي ما زالت غير مستقرة إزاء الغرب بقيادة أمريكا متأرجحة بين عاملي المصلحة ـ التي تستدعي التصالح والتفاهم السلمي (جماعة الإخوان)، وبين التجاهل التام وقرار التصادم ـ الذي لا يدعمه برنامج تصادمي

مناسب (جماعات الجهاد ـ بعد عام 93).
لم تكن الجماعات المعتدلة على إستعداد للتنازل عن أساسيات عملها الثلاثة ، وإستمرت كذلك حتى آخر لحظة من الحرب . وشعرت شخصيا تجاههم بشيء من التقدير لهذا الثبات وتلك "الإستقامة" وإن كانت على باطل . وكذلك لهول الإنحراف والمراوغة التي أظهرها المتشددون الذين رفعوا شعارات إسلامية قوية للغاية ، وفي اللحظة المناسبة أظهروا حقيقتهم المخالفة تماما لشعاراتهم المعلنة منذ سنوات.

....

(8) جهاد في الجبال ... وجهاد في بيشاور . وبدلا عن بيشاور يمكن وضع إسم أي مدينة أخرى ، أما الجبال فيمكن تركها هكذا بلا تعريف . وهكذا تحصل على عنوان دائم لحالة الإنقسام القاتل بين القيادات الميدانية في الجبال والقيادات الإنتهازية "غالبا" والمقيمين في المدن خارج الحدود .
وعانى المسلمون وغيرهم من تلك الظاهرة . في الجزائر كان هناك مجاهدون في الأوراس وقيادات إنتهازية تجوب العواصم من القاهرة إلى تونس إلى باريس . وفاز الإنتهازيون على أشلاء ودماء شعبهم وتولوا السلطة وأعادوا البلاد إلى سلطان الصليبية مرة أخرى. كما كان هناك (مجاهدون) في حماة ودمشق وحلب وقادة إنتهازيون في عمان وبغداد والرياض .
ودارت الحلقة حتى وصلت أفغانستان فكان المجاهدون في جبال الهندوكوش والخونة والإنتهازيون في بيشاور يبيعون ويشترون، لكي تكون نتيجة أربعة عشر عاما من القتال هى خروج السوفييت من أفغانستان ودخول الولايات المتحدة وأممها المتحدة كقوة سيادة لا تنازع داخل أفغانستان الممزقة والمحروقة بالحرب الأهلية .
وكما ذكرنا ورغم روعة القدوة وإنكار الذات والشجاعة الإيمانية لدى قيادات الجبال ـ في الأغلب ـ فإن القيادات المحلية مهما كانت رائعة لا يمكن أن تحل محل القيادة العليا التي تقود العمل الجهادي بأجمعه، فلكل قيادة دورها . فالقيادة الميدانية هي غالبا قيادة تكتيكية خاصة بالتعامل مع الأحداث اليومية المتلاحقة ، والقيادة العامة ـ العليا ـ تختص أكثر بنواحي التخطيط والعمل الإستراتيجي مع إهتمام أقل بالنواحي التكتيكية، إلا فيما يتعلق فقط بربط العمل التكتيكي الميداني مع الخطة العامة وتصورها الإستراتيجي . وليس هناك ما يمنع ـ بل أن ذلك ضروري ـ من أن تكون القيادة العليا هي قيادة ميدانية مقيمة في نفس ميدان المعركة . وإذا لم يحدث ذلك لسبب أو لآخر فإننا سنواجه تكرارا لنفس القاعدة ونواجه الإنفصام المشئوم بين قيادات الجبل الميدانية وقيادة المدينة الإنتهازية ،أو على أحسن الأحوال التي سوف تصبح كذلك بعد وقت قصير .
ونرى أنه في حال إرغام القيادة العامة على النزوح والهجرة خارج مناطق الجهاد لسبب أو آخر مثل الإصابة أو المطاردة البوليسية ، فلا بد أن تخلي محلها لقيادة أخرى ميدانية وتتحول هي مباشرة إلى العمل خلف الحدود في مهام معاونة تحددها لهم القيادة الجديدة للجهاد.
وفي حالات نادرة تكون قيادات الخارج مجرد رمز تجتمع حوله حركة المقاومة ، وتكون مرجعها الديني أو مخططها الإستراتيجي وموجهها الفكري . ويظل الجانب الميداني وصلاحياته الواسعة باقيا بالكامل في أيدي قيادة ميدانية بديلة .

....

(9) ـ لم يكن الحصار محكما في ذلك الوقت حول أي مدينة أفغانية . ويجب ملاحظة

تركيب قوات المجاهدين وقدرتها على شن عمليات عصابات محدودة ، وعدم قدرتها على خوض عمليات واسعة أقرب لعمليات الحرب التقليدية . وقد ظل حالها كذلك لسنوات طويلة ـ مع استثناءات محدودة ـ ولكن الذي حدث منذ أواسط عام 1979 هو إتساع نطاق الفرار من الجيش وإلتحاق وحدات كبيرة منه بالمجاهدين في الجبال . تلك الوحدات العسكرية أضافت كثيرا إلى الميزان العسكري للمجاهدين وأحرجت موقف الحكومة الشيوعية ودفاعاتها حول عدة مدن منها العاصمة. ولو كان المجاهدون في حالة تنظيمية أفضل لإستطاعوا إنهاء النظام قبل تدخل السوفييت في ديسمبر 1979 . ولكنهم لم يستطيعوا إستيعاب القوات المنضمة إليهم .
وكما ذكرنا فإن معظم الضباط غادروا أفغانستان نهائيا ، بينما بقي الجنود فترات أطول قليلا في خدمة المجاهدين ، وهي خدمة بالمعنى الحرفي ـ مثل الطبخ والغسيل وحفر المغارات والخنادق . وتوجهت أنظار المجاهدين في الغالب ، نحو الإستيلاء على الأسلحة والذخائر التي تحملها القوات المنضمة إليهم وتوزيعها كغنائم ، سواء تم ذلك بحق أو بغير وجه حق . والنتيجة أن تلك القوات العسكرية فقدت تأثيرها نتيجة تلك السياسة ولم تستخدم ـ إلا بدرجة بسيطة ـ في الضغط عسكريا على النظام . ونضيف أيضا عنصر الثقة والكراهية. فقد كان رجال الجبال يكرهون الضباط العسكريين بشكل خاص ويشكون في إنتماءاتهم العقائدية وأنهم شيوعيون . أما الجنود (العسكر) فقد كانوا غرباء عن المناطق التي يقاتلون فيها .
فكانوا محتقرين وينظر إليهم نظرة دونية . ولتلك الحالات إستثناءات عديدة مثل ضباط تحولوا إلي قيادات ميدانية ممتازة أو عسكر تحولوا إلى مجاهدين من الطراز الأول ، سواء في مناطقهم الأصلية أو في المناطق التي إنضموا فيها إلى المجاهدين ، وبقي بعضهم هناك لسنوات وبعضم أستشهد بعيدا عن موطنه بعد تاريخ جهادي حافل .

....

(10) **في ذلك الوقت كان التعاون بين المجاهدين في أعلى درجاته** ـ مع وجود إستثناءات أو أخطاء وهذا شيء طبيعي ـ وإن كان ذلك التعاون في حجم متواضع بسبب محدودية الإمكانات المادية أو الخبرات المتوفرة . ولكن في حدود الإمكانات المتاحة فقد كانت المعنويات عالية والتعاون رائعا .

....

(11) **التواجد الميداني للقيادة له تأثير معنوي ضخم ، يؤثر إيجابيا في نتائج المعارك .**
وأصعب الفترات بالنسبة للحركة الجهادية هو فترتها الأولى ، التي تعتمد أساسا على معنويات المجاهدين وتماسك القيادة والمثل الذي تضربه بنفسها على أرض المعركة . لقد ثبتت الحركة الجهادية في أفغانستان بفضل قيادات كبيرة بارزة ضربت المثال في الشجاعة والتضحية والثبات ، ودفعت الثمن غاليا من دمائها . وهذه قاعدة لا تتبدل في جميع معارك الحق والباطل . وهي معارك لا يصلح لقياداتها رجال الفنادق والرحلات السياحية أونجوم الصحافة والإعلام .

....

(12)(13) **القيادات الأفغانية الكبيرة فرت من ميدان المعركة إلى بيشاور** وبدأت تاريخها الجهادي بالتسول الدولي والوقوف على أبواب المسئولين هنا وهناك ، والبحث في الدهاليز عن صفقة يقومون فيها بدور (الوكيل المعتمد) في أحد حلقات الحرب الباردة أوالحروب بالوكالة.
لقد رحبت بهم باكستان لإستخدامهم ضد جارتها اللدود أفغانستان ولكن في نطاق الضغوط السياسية ليس إلا . ومن الطبيعي أن تنسج الإستخبارات الباكستانية خيوطها حول تلك

التجمعات النازحة إلي أراضيها ـ وخاصة التجمعات السياسية النشطة ـ . ومنذ عام 1973 وعملية اللجوء السياسي الواسعة من الأفغان النشطين إسلاميا إلى أراضي باكستان ـ في عهد ذو الفقار علي بوتو (العلمانى اليسارى) ـ فقد إحتضنتهم إحتضان الموت ومن يومها والحركة الإسلامية الأفغانية النشطة وهي مخترقة لدرجة خطيرة بالإستخبارات الباكستانية .
وأكثر رموزها الشهيرة والناشطة هم من رواد تلك الأجهزة الشيطانية ، منذ عهد داوود وحتى الآن عهد (الدولة الإسلامية) في أفغانستان .
ولا يحتاج المسلم إلى ذكاء كبير حتى يضع إفتراضا ـ ولو مجرد إفتراض ـ بأن النشطاء الإسلاميين في حال لجوئهم سياسيا إلى دول خارجية معادية لهم عقائدياً سوف تجرى محاولة تجنيدهم أو السيطرة عليهم أو توجيههم من قبل أجهزة استخبارات تلك الدولة .
والمخلصون الذي سيرفضون ذلك، فإنهم إما أن يتم تجميد حركتهم وزجهم في زوايا النسيان وربما تلفق لهم القضايا ويزجون في أعماق السجون أو يتم طردهم ... وأخيرا قد يتم قتلهم في حوادث لا يعلم أبدا فاعلها .
في البداية ساعدت الحكومة الباكستانية معارضي حكم (طراقي) وأعطتهم مساعدات مالية وإفتتحت له مكاتبا متواضعة في بيشاور وإسلام آباد العاصمة . وساعدتهم في إصدار نشرات وكتيبات دعائية ضد النظام الأفغاني ، ووجهت مسار رحلاتهم الخارجية إلى الغرب والدول العربية لجلب المساعدات المالية والسياسية ، وإحراج نظام كابول عالميا . كانت تلك هي الأهداف الباكستانية ولم يكن من مصلحة باكستان ـ ضياء الحق ـ القيام بأي تصعيد عسكري داخل الأرض الأفغانية نتيجة لعوامل كثيرة داخلية وخارجية .
فتصعيد المواجهة مع نظام كابل العدواني المدعوم مباشرة من السوفييت ، سوف يضع باكستان بين فكي كماشة رهيبة: بين الهند والسوفييت .
لهذا كانت باكستان معارضة تماما لأي عمل عسكري (جهادي) داخل أفغانستان .
وبذلت وسعها لحظر حركة الأسلحة عبر الحدود أو أي مظهر يمكن أن تشم منه كابل ،والسوفييت، رائحة مساعدة باكستانية للمجاهدين . وكان المجاهدون يعانون كثيرا في تهريب طلقات قليلة أو كميات تافهة من المتفجرات عبر الحدود من باكستان إلي أفغانستان، وشكلوا من أجل ذلك جماعات خاصة بالتهريب .
ولم تغير باكستان موقفها إلا بأوامر أمريكية عندما غيرت أمريكا موقفها من الحرب الأفغانية وقررت إستثمارها . ولا بد أن نشير إلى أن علاقة أمريكا مع ضياء الحق كانت غير مريحة طوال الأزمة الأفغانية ـ حتى قتلته في النهاية كما سيأتي ذكره لاحقا .
....

(14) (... ولكن زعماء بيشاور ما زالوا يسخرون مواردهم المالية الضخمة في تكريس هذا الإنفصام إرضاء لنوازع شخصية وأهداف غير إسلامية) .

الموارد المالية المشار إليها كانت ضخمة بمعايير عام 1979م وظروفه ولكنها لم تكن كذلك مقارنة بمرحلة تدويل الأزمة وزحف المليارات إلى خزائن قادة المنظمات .
أما الأهداف غير الإسلامية الواردة ، فكانت تعني الأطماع الشخصية التي لا تبالي بمصالح المسلمين. ولم يكن في ذهني إطلاقا ـ في ذلك الوقت ـ تلك الصورة المرعبة التي وصفتها سابقا لضلوع تلك القيادات الأفغانية في مخططات الصليبية الدولية . وأنهم خدعة كبيرة تورط فيها المسلمون . ويرجع ذلك لقلة خبرتنا في ذلك الوقت بأمثال تلك القضايا وأمثال هؤلاء الزعماء

الذين لم نتصور وجودهم أصلا في الوسط الإسلامي الجهادي .
وقد ظهر لنا أثناء وبعد الحرب الأفغانية أن الوسط الإسلامي (الملتزم) و (الجهادي) هم
أكثر الأوساط عرضة وإستهدافا لإختراقات القوى الكافرة وأجهزة تجسسها . ويزيد الطين بلة، السذاجة السياسية المفرطة لجمهور تلك الحركات الإسلامية ، والعاطفية الشديدة التي تغمر أجواءه، بحيث يسهل على أي نصاب مبتدئ أن يهيج المشاعر ويسحب خلفة الألوف من الشباب إلى حيث الهاوية المجهزة بعناية بالإتفاق بينه وبين قوى التجسس الكافرة .
ليس ذلك دعوة لرفع الثقة وإنتشار التوجس والشكوك بين الإخوة ، ولكنه دعوة لزيادة الوعي وإلى مزيد من الوضوح وروح محاسبة المسؤولين ومناقشتهم - وليس الإنسياق الأعمى خلف كل ناعق. ودعوة إلى الإهتمام بالموضوع السياسي والتفقه فيه لأنه ملاك الحركة - أي حركة - والمسيطر عليها.
وخوض السياسة بلا علم بأصولها هو كمن يلقي بنفسه إلى البحر الهائج بغية أن يتعلم السباحة.أيضا ترك السياسة للقيادة تقرر فيها ما تشاء بدعوى أنها تعلم كل شيء، وأن ما لديها علم لا يتوفر لدى الأخرين ، وأن خبرتها بالأمور لا يرقى إليها خبرة الأتباع من الشباب حديثي السن عديمي الخبرة ، كل ذلك يؤدي إلى الهاوية وقد ثبت ذلك مرارا من تجارب المسلمين القريبة والبعيدة .
لا بد أن يشارك الجميع في الموضوع السياسي للحركة الإسلامية - والجهادية - ولا يترك ذلك للصفوة كي تحتكره كما إحتكر السحرة في القديم علوم الشعوذة حتى يسيطروا بها على جمهور الشعب فيقودوه كقطيع من الخراف لخدمة الفرعون .
إن السياسة هي فقه الواقع ، وهو جزء مكمل وحيوي لفقه شرائع الدين . وبدونهما معا لا تكتمل الذهنية الإسلامية ،بل تظل عرجاء عاجزة مضللة يسهل خداعها وتسخيرها حتى لخدمة الكفار - كما حدث معنا في أفغانستان والبوسنة وغيرها .
والذي حدث في أفغانستان كان مأساة . فقد شاهدنا عددا من الأفاقين عملاء الإستخبارات وقد تم تعيينهم من قبل تلك الأجهزة زعماء لأكبر حركة جهاد إسلامي في هذا القرن ،هذا أحد جوانب المهزلة الكبرى.ثم رأينا أكبر تنظيم إسلامي حركي في العالم يصفق ويزمر ويطبل في أكبر حملة تضليل للرأي العام الإسلامي بهدف ترويج تلك الزعامات (الجاسوسية) وتقديمها إلى المسلمين كأفضل قيادات إسلامية ظهرت منذ عشرات السنين . بل قارنوهم بالصحابة رضوان ا عليهم(فهذا يشبه عمرا وذاك يشبه أبا بكر). هذا ما فعلة الإخوان المسلمين الدوليين وزملائهم في باكستان من الجماعة الإسلامية التي تعتبر - على الأقل في عهد ضياء الحق - جزءا لا يتجزأ من أجهزة الدولة، التي لا يمكن بحال (إتهامها) بأنها كانت دولة إسلامية .
حملة الإخوان الدعائية تبنتها بإنتهازية أو غفلة كثير من التنظيمات الإسلامية - الأقل شأنا - وإن كانت جهادية هي الأخرى . وعندما وفدت تلك التنظيمات الجهادية العربية إلى الساحة الأفغانية - ساحة بيشاور أولا - إندمجت في موجة الضلال الأفغانية .فتلك الجماعة بايعت فلانا الزعيم وتلك الجماعة بايعت أو إنضوت تحت لواء فلان آخر من زعماء الجهاد - عملاء الإستخبارات .
والنتيجة أن ألوفا مؤلفة من الشباب المسلم التواق إلي الجهاد لحق بالقطيع.وكان شعار إلحق بالقافلة شعارا براقا في ذلك الوقت. والأصح أنها لم تكن قافلة بل قطعانا، لأن القافلة هي جماعة منظمة للغاية إداريا ودفاعيا بعكس حالنا وحال الشباب العربي في أفغانستان .
هؤلاء الآلاف المؤلفة من الشباب الذين وفدوا وشاركوا في الجهاد آنذاك كانوا يضمون خيرة

شباب الأمة وأكثرهم إخلاصا ـ هذا ما أظنه وأحكم به ـ ومع هذا كيف خدع هؤلاء جميعا بواسطة إستخبارات الكفر الدولية والردة الإقليمية ؟ . ومن المسؤول عن كل ذلك ؟ .
وما هو الضمان ألا يتكرر ذلك في مكان آخر وزمان آخر ؟ . مرة أخرى لا نغفل أو ننكر النتائج الهامة للإسلام وحركته في عصرنا على أيدي هؤلاء الشباب وما قدموه من تضحيات وأكتسبوه من خبرات أثرت بلا شك على المسيرة الإسلامية في عصرنا الحالي.كما لا يمكن نكران أفضال المجاهدين الأفغان المخلصين على الأمة الإسلامية والعالم أجمع.

....

(15) مرحلة إجتياح المدن الحصينة هي المرحلة الثالثة والأخيرة من حروب العصابات

الطويلة حسب التقسيم (الكلاسيكي) لمراحل الحروب غير التقليدية . ومن المفروض أن تتضمن هذه الكتب إستعراضا لتلك المراحل وبعض تطبيقاتها في التجربة الأفغانية . ونعلق هنا على أن ما ورد في التقرير موضع المناقشة لم يكن دقيقا تماما في تلك النقطة لأن المجاهدين الأفغان وحتى نهاية الحرب ، لم يدخلوا (المرحلة الثالثة) بشكل مناسب من حيث المواصفات الفنية التي ينبغي أن تكون عليها قوات المجاهدين في تلك المرحلة . أما في عام 1979م فكانت الطفرة الحادثة عسكريا ناتجة عن إنضمام قوات كبيرة من الجيش إلى صفوف المجاهدين وكاد ذلك أن يودي بالنظام لولا التقصيرات التنظيمية التي تحدثنا عنها سابقاً،ولولا التدخل السوفييتي الذي أمسك بدعائم النظام المنهار ومنعه من السقوط وأطال في بقائه عدة سنوات أخرى .
أما العقبات الفنية الخاصة بضعف الدفاعات الجوية للمجاهدين فقد تم التغلب عليها بواسطة تكتيكات قتالية وإجراءات وقائية خاصة . وهو ما سوف نذكره بالتفصيل أثناء إستعراضنا لعملية فتح مدينة خوست. وهو ما يوضح بأن تأثير سلاح الجو والتفوق الجوي والصاروخي هي عوامل محدودة ويمكن مواجهتها ، و تلك دروس هامة للغاية بالنسبة للمجاهدين ينبغي دراستها والإستفادة منها في تجاربهم الجهادية القادمة .
ومن المفروض أن نستعرض ذلك ضمن فقرات هذه الكتب من (أدب المطاريد).

....

16 ـ (المجاهدون هم أكثر الفئات فقرا وأقلها شهرة في العالم الإسلامي وأكثرها تعرضا للتشهير والهجوم) .

هذه الظاهرة التي تكررت في تجربة سوريا وتجربة أفغانستان وهي دليل على ضعف أخلاقي داخل الصف الإسلامي وضعف عام في صفوف الأمة .
فالظاهرة الإنتهازية التي تمتطي الموجة الجهادية تنزعمها عنوة وتتاجر بها، هي علامة ضعف أخلاقي داخل الصف الإسلامي . والأمة التي تقعد عن تفقد أحوال المجاهدين كي تمد لهم العون هي أمة هامدة مخدرة الحواس . ودفع الأموال كزكاة أو صدقة بدون تحري موضعها لا أظنه يعفي من المسؤولية . والإعلام الإسلامي الذي يخدم أشخاصا أو هيئات وأحزاب أكثر مما يخدم الإسلام ومصالح المسلمين هو إعلام يدفعنا إلى نفس المهالك التي يدفعنا إليها الإعلام الدولي اليهودي والصليبي .
ولا نتكلم هنا عن ظاهرة إدانة الجهاد نفسه وإطلاق لفظ العنف المسلح عليه، وتسمية المجاهدين بالمتطرفين أو جماعات العنف المسلح . ولا نتكلم أيضا عن (ذكاء) من يعترفون نظريا بالجهاد كفريضة إسلامية ثم من جانب آخر يدينون كل من مارس الجهاد ـ بدون تصريح رسمي منهم ومن الدولة ـ بأنه متهور طائش بل متآمر على الحركة الإسلامية وإنجازاتها السلمية ضمن القنوات الرسمية للنظام القائم . ثم يعرضون خدمات أمنية على النظام كي

يعطيهم مزيدا من حرية الحركة كي يقمعوا ـ بصفتهم التيار الإسلامي المعتدل ـ تيار العنف المسلح (أي تيار الجهاد) .
كل تلك الظواهر التي تقترب من درجة الخيانة أو تتجاوزها ليست محور حديثنا الآن ، بل نتكلم فقط عن تيار مخلص ولكنه يعاني من أمراض أو انحرافات أو نواحي قصور يمكن معالجتها مع الزمن . أما (الخيانات) فهي من الجنايات العظمى في جميع الشرائع السماوية والأرضية ، وهي تحتاج أما إلى توبة نصوح أو إلى تنفيذ حكم رادع يحمي الأمة من تأثيراتها القاتلة .

....

(17) ـ (18) ـ (19) من المعلوم أن توفير الذخائر والأموال الضرورية هي من ضمن المطالب الحيوية والمشاكل الهامة التي تعترض الحركة الجهادية ورجال حرب العصبات، خاصة فى بداية الحركة و عندما لا تمتلك الحركة عمقا صديقاً يمدها بإحتياجتها أو بجزء منها.
ومع ذلك تستطيع الحركة الجهادية الإستقلال عن الخارج إلى درجة كبيرة ، أو الإستغناء كاملا، إذا توفر الإرتباط القوي بينها وبين شعبها ، في تلك الحالة يمكنها الإعتماد على مصادر التمويل المحلية وكذلك الأغذية والذخائر والمعلومات.
وغالبا فإن العمل مع عدم وجود **(عمق خارجى متعاطف)** سوف تكون صيغة عمل معظم الحركات الجهادية الإسلامية في وسط حالة العداء الدولي الحالية وتسلط الأنظمة المرتدة علي بلاد المسلمين وتكاتفها مع الصليبية في القضاء على الإسلام و (الحركة الجهادية أولا).
إن عمل حركة العصابات بدون ركيزة صديقة مجاورة هو إحتمال ممكن عمليا بل إن النجاح ممكن في تلك الحالة أيضا، مع إعتبار أن عمليات التهريب ولو على نطاق ضيق تكون دوما مستمرة في ظل حالات الحصار . ويلاحظ أن وجود قواعد للعصابات إلي جوار السواحل البحرية هو ضمانة لعدم وقوعها في حصار كامل . فالبحار من أفضل وسائل التهريب .
ولما كان الوسط الداخلي ـ السكان ـ وتعاطفهم مع المجاهدين أهم من الأرض الصديقة المجاورة فإن القوى المعادية تلجأ إلى سياسة الأرض المحروقة، بهدف إرهاب السكان وتدمير مصادر أرزاقهم ودفعهم إلى مغادرة مناطقهم، فيبقى المجاهدون في الأرض المحروقة التي لا سكان فيها ولا موارد رزق . وتلك من الطرق الناجحة في مقاومة حروب العصابات ويسمونها أحيانا بسياسة (التجفيف) طبقا للإصطلاح الشهير بأن مقاتلي العصابات هم مثل الأسماك التي تعيش في بحار من الناس .
من أجل ذلك فإن المجاهدين ورجال العصابات ينبغي عليهم السعي في إتجاه معاكس لتلك السياسة أي تثبيت الناس في أراضيهم ومساعدتهم على تعميرها والإستقرار فيها بأقل قدر من المعاناة أو بدون تعريضهم لمشاكل لا ضرورة لها.
في زيارتنا الأولى لأفغانستان شاهدنا بعض الإجراءات الجيدة سواء من جانب المجاهدين أو الأهالي تهدف إلي التمسك بالأرض والبقاء فيها وممارسة النشاط الإقتصادي المعتاد من زراعة ورعي . وللوقاية من الغارات الجوية حفر العديد من الأهالي مغارات وخنادق داخل البيوت وقريبا منها . وكانت الحياة في وتيرتها العادية تقريبا بعد أن تعود السكان على نمط حياتهم الجديد ، حتى أن الأطفال لم يعودوا بحاجة إلي من يرشدهم متى يتوجهون إلي الخنادق والحفر.
أما سلوكيات المجاهدين فقد كانت منضبطة للغاية فلم تتفش الجرائم والإستخدامات الخاطئة للسلاح ضد الأهالي ـ وهم مسلحون أيضا خاصة في مناطق الجبال. وأذكر أنني شاهدت

فتاة في سن الشباب تحمل بعض الحطب وتتحرك وسط غابات الجبال الموحشة خلف غنمات لها .
وكان معي عصبة من المجاهدين الذين أشاحوا بوجوههم بعيدا عنها ، وكتبت لأصحابي في
أبو ظبي خطابا به تعليق عن تلك الحادثة البسيطة ـ كان ذلك عام 1981م ـ وقلت لهم أن
المناطق التي يسيطر عليها المجاهدون هي أكثر أمنا من أبو ظبي التي لا يأمن أحدنا أن يترك
إبنه أو إبنته أمام باب منزله عدة دقائق خوفا من الخطف والإغتصاب ـ وقتها كانت عدة
حوادث من ذلك النوع قد وقعت في الإمارات ـ وللأسف الشديد فإن الحال لم يظل كذلك لفترة
طويلة خاصة في مرحلة التدويل واستشراء الفساد في الحركة الجهادية ، إنطلاقا من بيشاور
وزحفا حتى خطوط التماس .
ذلك الفساد ساعد العدو على النجاح في تطبيق سياسة الأرض المحروقة التي فشل في تنفيذها في
سنوات الجهاد الأولى . ومثل كل الكوارث التي حلت بالجهاد كانت البداية من بيشاور .
فالأحزاب هناك ساهمت بأكبر نصيب في تفتيت الجهاد وتمزيق صفوف المجاهدين تحت رايات
حزبية متنافسة بغير شرف أو شريعة . وقد نال الأهالي لهيب ذلك الخلاف الفوضوي حينما
شرعت تلك الجماعات في بسط سلطاتها على الأرض المحررة وسكانها لا من أجل تثبيت السكان
وتسهيل حياتهم والدفاع عنهم ولكن من أجل جباية الخراج وتحصيل (العشر) . واتبعوا في سبيل
ذلك وسائلا عنيفة من ضرب وإغتصاب ومصادرة ، فوقع الناس بين نارين نار الحكومة الشيوعية
ونار (المجاهدين) المتصارعين الظالمين .
فلجأ الناس إلى الهجرة ، وذهب أكثرهم إلى باكستان وبعضهم إلي المدن التي تسيطر عليها الحكومة
بشكل كامل . وكانت باكستان أكثر جاذبية حيث تدفقت المعونات على المهاجرين سواء من الهيئات
الصليبية أو العربية أو (المحسنين) العرب . وكانت النتيجة أن المهاجر يمكنه بقليل من الحيلة أن
يحصل على عوائد إقتصادية من هجرته تفوق كثيرا ما كان يحصل عليه من نشاطه الإقتصادي
داخل البلاده . فكثيرون سجلوا أنفسهم في أكثر من معسكر للمهاجرين للحصول على معونات
مضاعفة، مع دفع شيء من الرشاوي للموظفين الفاسدين من حكومة باكستان .
وكثيرون سجلوا أطفالهم على أنهم أيتام ـ وهم ليسوا كذلك ـ بل سجلوهم في أكثر من مركز
وحصلوا على معونات متعددة . لقد زادت رقعة الفساد واتسعت حتى غطت معظم الساحة
البشرية الأفغانية في المهجر والداخل .
أما من هاجروا داخليا إلى المدن الأفغانية الكبرى فقد تحولوا في أغلبهم إلى جواسيس للنظام
الحاكم وتحت إدارة الجهاز الأمني الرهيب "خاد" .
وهكذا فقد صبت فوضى المجاهدين في نفس مصب سياسة الأرض المحروقة التي نشط فيها
السوفييت وعملائهم الأفغان. وكانت النهاية المحزنة هي هجرة ثلث الشعب الأفغاني خارج
أراضيه . وكانت أعلى نسبة هجرة في العالم إلى وقتها (6 ملايين مهاجر) .
....
(20) تقرير مراسل الجارديان عظيم الدلالة حاليا ـ كما كان عظيم الأهمية وقت الأحداث
المأساوية المذكورة على أرض أفغانستان . وكثيرة هي أوجه التشابه مع ما يحدث حاليا في
طاجيكستان .
فالقوات الروسية حاليا تدافع عن النظام الشيوعي في "دوشنبيه" وتقوم مقاتلاتها وقواتها
المسلحة بضرب مراكز المجاهدين وتعلن المرة تلو الأخرى أنها لن تتخلى عن طاجيكستان.
وتدعي أن الدفاع عن حدود طاجيكستان هو دفاع عن حدود روسيا ،رغم أن المسافة بين

الحدودين هي 2000 كم . ويدعي الروس أن الإسلام هو الخطر الزاحف من طاجيكستان صوب موسكو .
الظرف الدولي والإقليمي حاليا ساعد موسكو في إحتواء حركة الجهاد أو إضعافها بشدة بسبب التحالف الدولي والإقليمي ضد هذه الحركة وبسبب هشاشة تكوينها. وموسكو تجد هذه المرة في طاجيكستان تأييدا أمريكيا وغربيا وعكس ما وجدته من مقاومة في الحالة الأفغانية ، بل أنها وجدت مساعدة كبيرة من (النظام الإسلامي)!! في أفغانستان نقصد به نظام الرئيس برهان الدين رباني وقائده مسعود،ومستشاره سياف.
أما ملاحظة (الأطماع التقليدية للسوفييت في أفغانستان) فهي إتهام يمكن تبريره بادعاءات (جيواستراتيجية) معقولة. فالجوار الجغرافي والنهم الروسي للمياه الدافئة هي دوافع يسهل فهمها . ولكننا الآن نفهم بصعوبة ـ على الأقل أكثرنا ـ دوافع أمريكا للسيطرة على أفغانستان وهو ما تحقق لها بدرجة كبيرة حاليا . لقد أزيحت الدبابات السوفييتية من فوق صدور الأفغان ، وجثم بدلا منها الدولار الأمريكي المعطر بالدماء . وبقدر ما أثارت الدبابات حوافز الدفاع عن الأرض والدين والأعراض ، بقدر ما خدر الدولار تلك الإحساسات النبيلة واستبدلها بوحشية التكالب على الدولار والسلطة السياسية على حساب نفس (المقدسات) أي الأرض والدين والأعراض .
وكم تتفطر قلوب هؤلاء الذين عاصروا نفس الحالتين وهم (يحلمون) بدولة الخلافة التي وعدوا بها وضحوا من أجلها بكل ما يمتلكون من مال ودماء .
....
(21) (تحولات أفغانستان إلى ترسانة عسكرية) كان من السهل إدراك ذلك في وقت المعارك وذلك بمشاهدة ضخامة الآلة العسكرية الشيوعية. وبعد الإنسحاب السوفييتي وحتى إنهيار النظام الشيوعي بعد ذلك بحوالي ثلاث سنوات، قفزت أسلحة الشيوعيين الأفغان نوعيا وكميا .
ولكن إدراك مدى ضخامة تلك الترسانة العسكرية لم يتضح بجلاء إلا بعد سقوط النظام وإستسلام الحاميات العسكرية في المدن . وقد شاهدت ضخامة الآلة العسكرية لحامية جرديز عند إستسلامها وشاهد آخرون حامية جلال آباد ـ ويقال أنها كانت أضخم من مثيلتها في جرديز بما يتناسب مع تفاوت الأهمية العسكرية للمدينتين. وسمعت من بعض العرب مواصفات الترسانة العسكرية الرهيبة في كابل . بعض التقديرات ذهبت إلى أن مخزون الأسلحة والذخائر في أفغانستان كان يوازي أو يفوق مثيله في الهند .
على كل حال فإن هذا المخزون الذي تركه السوفييت لم يخرج عن الهدف الأصلي الذي من أجله نقل إلى أفغانستان ، ألا وهو قتل الأفغان ومحاربة الإسلام في المنطقة .
لقد تولت(الأحزاب الجهادية) متابعة المهمة السوفييتية ولكن تحت إشراف أمريكي هذه المرة .
....
(22) شراء الأسلحة الثقيلة وذخائرها وسحبها من أيدي المجاهدين.
واحدة من المظاهر الخطيرة التي رافقت الجهاد في أفغانستان منذ بدايته وحتى لحظاته الأخيرة.
واتخذت تلك الظاهرة أشكالا عديدة . ولكن لها هدف أساسي إلى جانب تفرعات ثانوية.
والجانب الأساسي في تلك الظاهرة يأتي من حقيقة أن حرب العصابات في مرحلتها الأولى تعتمد أساسا على التسليح الخفيف وفلسفة الحركة السريعة وتفادي المواجهات الحاسمة .
والإنتقال إلى المرحلة الثانية لحرب العصابات يرتبط إلى حد كبير باستخدام الأسلحة الثقيلة

لخوض المعارك الأوسع بهدف توسيع مناطق النفوذ والإحتفاظ بالأراضي الأكثر حيوية ، وذلك مستحيل بدون قوة السلاح الثقيل . أما المرحلة الثالثة ـ مرحلة الهجوم الإستراتيجي ـ وتحرير المدن فإن الأسلحة الثقيلة هي العماد الأساسي للعمل العسكري في تلك المرحلة .
من هنا نستنتج أن السلاح الثقيل هو معيار للتطور العسكري لحرب العصابات ، وبالتالي فإن سحب ذلك السلاح ومنع المجاهدين ـ بأي طريقة ـ من الحصول عليه بالشكل الكافي كما أن حجب التدريب المناسب على إستخدام تلك الأسلحة والتكتيكات الملائمة لها . كل ذلك يؤدي إلى عرقلة عمل النجاهدين عسكريا. أي جعلهم في حالة تخلف عسكري ودوران في حلقة مفرغة لا نهاية لها من العمليات الصغيرة المجدبة . التي تنتهي بحالة إحباط معنوي لدى المجاهدين مع إمكانية تدميرهم عسكريا بواسطة حملات متوالية ومدروسة جيدا من جانب قوات العدو.
والبداية المبكرة جدا ـ والتي أشار إليها التقرير ـ عن سياسة سحب الأسلحة الثقيلة من أيدي المجاهدين يقف وراءها بلا شك جهاز الإستخبارات السوفييتي (كي جي بي) مع منظومة حلفائه.
ومنهم حزب الشعب الباكستاني الذي تحول بعد إعدام ذو الفقار علي بوتو رئيس باكستان الذي أعدمه رئيس أركان جيشه ضياء الحق واستولى على حكم البلاد فوق جثة رئيسه ، ذلك الحزب تحول إلي منظمة إرهابية تدرب أفرادها في الكتلة الشيوعية وعمل تحت إشراف موسكو ضمن معدات الحرب الباردة لزعزعة إستقرار نظام ضياء الحق الموالي لأمريكا .
لقد تحول ولاء حزب الشعب من موسكو إلى واشنطن التي أوصلت زعيمة الحزب بينظير بوتو إلى حكم باكستان فوق جثة ضياء الحق . وتقوم أمريكا بتوظيف إمكانات ذلك الحزب في الإرهاب وعدائه المستحكم للإسلام في ضرب الإسلام في منطقة جنوب آسيا وغيرها من المناطق.
وقد بدأت في ولايتها الأولى في تفريغ مكاسب الجهاد في أفغانستان من محتواها، وتحويل كل مكاسبه أو ما تبقى منها إلي الأيدي الأمريكية. وفي عهد وزارتها الثانية تولت تصفية التواجد العربي الذي رافق الجهاد الأفغاني .
حزب الشعب قام بتكليف من الإستخبارات السوفييتية بمهمة شراء الأسلحة الثقيلة وذخائرها من أيدي المجاهدين وسحبها إلي أسواق السلاح في مناطق القبائل الحدودية ذات الحكم الذاتي .
أما في عهد ضياء الحق، العهد الذهبي لتدويل القضية وتدفق الإمدادات الخارجية، فقد مارس ضياء الحق رقابة صارمة على نوعية وكمية الأسلحة الثقيلة ضمن استراتيجيته الأفغانية التي لخصها في جملة معبرة لرئيس استخباراته حين قال له :
"دع الطبخة الأفغانية تنضج على نار هادئة".
أي أن وتيرة الحرب ومعدل تصاعدها وتطورها يجب أن يكون بطيئا وهادئا ـ ربما حتى يسهل التحكم فيه أو إطفائه عند الضرورة ـ وطبقا للمصالح الوطنية لباكستان أولا ومصالح حلفائها الأمريكان ثانيا .
في تلك الفترة كان ضياء الحق ـ باعتراف ضباط مخابراته الذين تكلموا عن تلك المرحلة ـ كان يحتجز كميات معتبرة من الأسلحة الثقيلة القادمة للمجاهدين ، وكانوا يمنعون وصول بعضها، كل ذلك حتى لا يفلت المعيار ـ وتشيط الطبخة ـ من يد الطباخ الماهر ضياء الحق.
وسيلة أخرى إتبعتها أجهزة إستخبارات ضياء الحق وهي وسيلة التدريب على الأسلحة الثقيلة.
وقد ذكرنا كيف كانوا يدربون المجاهدين الأفغان على إستخدام المدفعية بدون أجهزة تصويب !! .
وفي المرحلة الأخيرة من الحرب ، حينما شعرت أمريكا أن نظام كابل في طريقه إلي السقوط خاصة بعد إنسحاب السوفييت ومصرع ضياء الحق ـ دفعت الإستخبارات الباكستانية إلى سحب ذخائر

الأسلحة الثقيلة من الأسواق الحرة للقبائل ومن داخل أفغانستان ، وبالفعل تحرك عشرات من تجار القبائل يجمعون تلك الذخائر من داخل أفغانستان وبيعها مرة أخرى للإستخبارات الباكستانية بأسعار مجزية.
وحتى بعد سقوط النظام حركت أمريكا حملة دعائية محمومة حول صواريخ (ستنجر) الأمريكية، وطالبت الإستخبارات الباكستانية بتجميعها. وتحرك تجار السلاح القبائليون وجمعوا ما استطاعوا تجميعه من تلك الصواريخ وباعوها للإستخبارات الباكستانية التي أعادت بيعها للإستخبارات الأمريكية مع تحصيل عمولات مجزية .
تلك السياسة كانت ضمن عوامل إطالة مدى الحرب الأفغانية ،وبالتالي زيادة تكاليفها من الدماء والأموال.كما أدت إلى خراب إقتصادي مدمر للمجموعات القليلة المخلصة التي كانت مضطرة لشراء تلك الذخائر لاستخدامها في معارك تحرير المدن. وقد عانت المجموعات العربية العاملة عسكريا في تلك الفترة من جراء تلك السياسة . واستنزفت معظم مواردهم المالية في شراء ذخائر ثقيلة لعملياتهم العسكرية، وكذلك لحلفائهم الأفغان**(فى جلال آباد بشكل خاص)** الذين إعتمدوا كليا على العرب في شراء تلك الذخائر. حتى أن كثيرين تحولوا إلى إحتراف عمليات نصب وإحتيال للحصول على الذخائر من العرب ثم تسريبها مرة أخرى إلى التجار وبيعها لهم .
فيضطر العرب لشرائها مرة أخرى وهكذا.**(أنظر كتاب الحماقة الكبرى)**
....
(23ـ 24 ـ 25 ـ 26) لم تتحرك باكستان لمساندة الشعب الأفغاني في محنته إلا بناء على (أوامر) أمريكية . وقد أصر ضياءالحق على إبتزاز أمريكا إلى أقصى مدى مستطاع للحصول منها على كل ما يقوي مركزه في حكم باكستان ويزيد من قيمته في المنطقة والعالم. وقد نجح في ذلك كما لم ينجح أي حاكم في العالم الثالث . وقد كافأته أمريكا في نهاية الأمر بتفجيره في الجو مع كبار جنرالات الجيش والإستخبارات .
الموقف غير الأخلاقي لباكستان (الحكومة على الأقل) هو في الأعراف السياسية موقف طبيعي حيث أن المعيار هو المصلحة وليس المبدأ. ففي بداية الأزمة لم يجد المهاجرون خياما أو معونات إنسانية في انتظارهم ـ فيما عدا القليل من التبرعات الشعبية التي نشطت فيها هيئات خيرية وإسلامية ـ بل وجد المهاجرون بيوتا بالإيجار وكأنهم موظفون في الدولة.
أما المجاهدون فقد كانوا يعتمدون على نظام التهريب عبر الحدود الجبلية من أجل الحصول على كميات ضئيلة من العتاد .
لقد كانت تلك المواقف غير الأخلاقية مثار نقمة الشعب الأفغاني والمتعاطفين معه إسلاميا .
ولكن ماذا عن موقف(الحكومة الأفغانية الإسلامية) بعد تحرير أفغانستان، من إخوانهم الطاجيك الذين واجهوا نفس المحنة من الشيوعيين في خريف عام 1992م ؟ . ما هي المساعدات الإنسانية أو العسكرية التي تلقوها من أفغانستان الإسلامية المجاهدة ؟ لا داعي لأن نسأل عن عدد النساء اللاتي أنتهكت أعراضهن والرجال الذين قتلوا من أجل سلب أموالهم ، ومصادرات أموال المهاجرين الطاجيك تحت تهديد سلاح (المجاهدين)!! الأفغان على الشاطئ الآخر من نهر جيحون .
كم من المعايير الإسلامية إحترمها العديد من الأفغان عند تعاملهم مع مسلمي طاجيكستان من مهاجرين ومجاهدين ؟ .
إن المقارنة بين ما فعلوه مع الطاجيك وما فعله الباكستانيون معهم هي مقارنة في صالح باكستان

رغم كل النذالة والوضاعة التي ميزت مواقفها الرسمية ، واللامبالاة والسلبية التي غطت مواقفهم الشعبية.هذا مع إستثناءات في الأوساط القبلية التي كانت أشرف موقفا من باقي الفئات.
ولا يمكن أن ننسى مواقف رائعة من مسلمي باكستان في مناصرة الأفغان بالمال والدم.
وكذلك مواقف رائعة من أفغان قاتلوا ببطولة وفدائية مع إخوانهم الطاجيك .
إن هذه الصور المشرقة هي مما يبعث الأمل في أن الخير في أمة الإسلام موجود إلى يوم القيامة.
ولكن للأسف فإن المساحات المظلمة من الصورة هي أكبر بكثير من المساحات المضيئة.
أما حادثة الطيار الأفغاني الذي فر إلى باكستان بطائرته ثم أعادته الحكومة مع طائرته كي يقتل في كابل ، فلم أعلم مزيدا من التفاصيل التي تؤكدها ، وإن كانت غير مستبعدة في عالم السياسة ، فحكومة باكستان ـ في عهد بينظير ـ هي التي شاركت في إغتيال الشيخ عبد ا عزام عام 1989م وهي التى طاردت العرب وشردتهم وسجنت عشرات منهم ولفقت القضايا المزورة ضد عدد منهم في أعوام 1993م ـ 1994م .

(27) **أبدت إيران في بدايات ثورتها تعاطفا ملحوظا مع الأفغان من مهاجرين ومجاهدين .**
وعلمت أثناء زيارتي إلى أفغانستان عام 1981 أن حزب إسلامي (حكمتيار) قد تلقى معونات مالية وأسلحة من إيران وليبيا. ولم يتأكد ذلك النبأ إلا من مصدر وحيد وإن كان له شواهد تؤيده.

....

(28) مسميات مثل : دول إسلامية ـ حكومات إسلامية ـ صحافة إسلامية ـ صحوة إسلامية ـ هيئات إسلامية ـ ... الخ تحتاج إلى كثير من التمحيص بل إلى التبديل لأن أكثرها يحمل من الخداع والتضليل أكثر مما يحمل من الحقيقة .
وقد أوضحت أحداث أفغانستان وما بعدها أن (الدول الإسلامية) ليست لها سياسة مستقلة، أو توجهات عقائدية . وأنها ليست إلا دمى في مسرح العرائس الدولي . وكذلك هيئاتنا الإسلامية خاصة الإغاثية ـ ولذلك حديث آخر .

....

(29) **أموال فاعلي الخير هو موضوع يستحق وقفة منفصلة** ، ونقول الآن بأن ذلك المصدر كان هاما ومؤثرا في الحرب الأفغانية . ولكن قليل منه تم توظيفه في الأوجه الشرعية الصحيحة.
وعلى هامش تلك الأموال نبتت كثير من الطفيليات السامة والأعشاب الضارة التي إنتفخت بأموال المسلمين ودماء المجاهدين .لقد ترعرعت فئة (جامعي التبرعات) التي كانت في أغلبها فئة من الأفاقين والمحتالين ، باستثناء ضئيل للغاية لقلة بذلت المستحيل للوقوف في وجه شلالات الإنحراف والإفتراء . هذه الظاهرة الضارة ظهرت قبلا في التجربة الجهادية في سوريا ، وذهبت أموال المسلمين إلى الخونة الذي باعوا الجهاد وتحالفوا مع الشيطان (في بغداد وعمان) .
وتضخمت تلك الظاهرة مرات عديدة في التجربة الأفغانية وكانت نتائجه أشد ضررا . ومع هذا فإن القليل الذي نجا من أموال (فاعلي الخير) كان له نتائج باهرة ، ونستطيع القول أن ذلك النذر اليسير كان له دور كبير جدا في مساعدة القلة المجاهدة ـ النادرة ـ على إسقاط النظام الشيوعي في كابل والمدعوم أمريكيا وروسيا وخليجيا ودوليا .

....

(30) **رعاية أسر المجاهدين والشهداء** موضوع إنساني إلى جانب كونه موضوعا معنويا يتعلق بالإستقرار النفسي للمجاهدين وإطمئنانهم على إستقرار أسرهم . فمن مسؤوليات قيادة الجهاد العناية بذلك الأمر . وأوضحت التجربة الأفغانية أن العمل الإغاثي الذي يدار بواسطة

قوى معادية للجهاد أو غير مبالية به، كما حدث في أفغانستان ، فإن نتائجه تكون ضارة بالجهاد ونشاطه القتالي. فكما رأينا أن الفوضى الإغاثية التي مارستها مؤسسات الإغاثة الصليبية والعربية كانت بيئة لتنامي الفساد وخراب الذمم . كما كانت عاملا جذب للشعب الأفغاني وتفريغ الأراضي المحررة من سكانها .
وأوضحت أفغانستان أن تسمية (منظمات إغاثة إسلامية) هي من ضمن المسميات المكذوبة. فالإغاثات الإسلامية كانت (حكومية) حتى النخاع وخاضعة لمطالب حكوماتها . وبعضها مارس أعمالا تجسسية ضد المجاهدين وبطاب من حكومات بلاده . وقد تولى كثير من عناصر الإستخبارات العربية مناصب بارزة في تلك الهيئات (الإسلامية). ونستثني من ذلك منظمة واحدة هي (إسرا) ، التي حملت طابعا إسلاميا حركيا متعلقا بالتحرك الإسلامي في السودان. لذلك عانت من العزلة ومختلف الضغوطات ، ومع ذلك قدمت الكثير من الإسهامات البارزة .
والوضع الأمثل أن توضع الإعتبارات الجهادية في مقدمة أولويات العمل الإغاثي بحيث يتكامل العملان . وعلى سبيل المثال فإن الخدمات الإغاثية لا بد أن تعطي أولوية مطلقة لعائلات المجاهدين وأسر الشهداء وبعد ذلك إحتياجات باقي الفئات . وللوصول إلى ذلك الهدف لا بد أن تكون عمليات الإغاثة في أيد إسلامية مخلصة تابعة لقيادة الجهاد أو تعمل بتنسيق وثيق معها .
ولكن الذي ظهر في أفغانستان هو سيطرة الصليبية الدولية على جوهر العمل الإغاثي وتوجيهه بالشكل الذي يتفق مع مصالحها ويوقع أكبر الضرر بالمسلمين .
وآثار الصليبية ومآسيها التي أوقعتها بالشعب الأفغاني بواسطة نشاطاتها (الإنسانية) و (الإغاثية) في أفغانستان تحتاج إلى مجلدات لشرحها.

:::

1980م

عام الحرب الأمريكيه على الشيوعية والإسلام معا

كانت الولايات المتحدة على علم مسبق بنوايا السوفييت تجاه أفغانستان . والحشود العسكرية السوفييتية كانت مكشوفة للأقمار الصناعية الأمريكية . هذا إلى جانب تحذيرات الدبلوماسيين الأمريكيين بشأن غزو سوفييتي وشيك لأفغانستان كما أوضحت ذلك وثائق السفارة الأمريكية في طهران والتي نشرت فيما بعد في الصحف الأمريكية نفسها .
إذن فالسياسة الأمريكية كانت مع ترك الغزو السوفييتي لأفغانستان يتم على أرض الواقع ثم إستغلال نتائجه للإضرار بالسوفييت سياسيا ودعائيا على مستوى العالم وبين دول العالم الثالث ـ التي كانت معظم شعوبها ترى في السوفييت نصيرا لها ـ وعلى مستوى العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص.*(وذلك شبيه بالموقف الأمريكى من أحداث 11 سبتمبر 2001)*
والثورة الإسلامية الإيرانية في ذلك الوقت، شغلت حيزا حيويا في التفكير الأمريكي نتيجة(الزلزال) السياسي الذي أحدثته، خاصة أنها طرحت ـ كأحد شعاراتها الرئيسية ـ موضوع مقاومة النفوذ الأمريكي في بلاد المسلمين ـ وأطلق الامام الخميني وقتها على أمريكا لقب الشيطان الأكبر.
لم يتوقف الخطر الإيراني على مجرد الشعارات بل تخطاها بكثير حين أطاحت الثوره الإسلامية الإيرانية بالنظام "الشاهنشاهي" الذي كان يمثل ركيزة رئيسية للسياسة الأمريكية في منطقة الخليج بشكل خاص وفي المنطقة العربية بشكل عام .
كان من المنطقي أن تسعى أمريكاعلى إثر ذلك الغزو إلي إعادة تشكيل علاقاتها مع شعوب

العالم الإسلامي ، باعتبارها حليفا وليس عدوا ، في مقابلة العدوان السوفييتي "الملحد".
هذا على الجانب النفسي ،أما على الجانب السياسي فلم يكم من العسير الدفاع عن إمتيازات أمريكية في الدول الإسلامية المحيطة بأفغانستان ، وفي الدول العربية أيضا لحماية تلك الدول من الخطر الداهم والحقيقي الذي مثله الإجتياح السوفييتي لدولة إسلامية (مسالمة)هي أفغانستان .
إن إثارة حملة إعلامية على المستوى الدولي كفيلة بتحقيق أهداف كثيرة وخطيرة في وقت واحد منها تشويه صورة السوفييت دوليا ،و كسب صداقة الشعوب الإسلامية ،ثم التغطية على عملية تسلل كبرى نحو مراكز سيطرة أقوى في الدول العربية بشكل خاص. ثم المضي قدما بالمشروع اليهودي في فلسطين نحو خطوات متقدمة.
والذي حدث أنه في فترة الثمانينات عندماكانت أفغانستان هي الخبز اليومي للشعوب العربية والإسلامية تقدم المشروع اليهودي في إسرائيل خطوات لم يكن يحلم بها وبدون أن تنتبه أنظار شعوب المنطقة المعلقة بأفغانستان.
وفي خلال تلك الحقبة صدرت قوانين أمريكية جعلت الترابط بين أمريكا وإسرائيل ترابطا عضويا بحكم القوانين الأمريكية نفسها ، ويمكن القول أنه خلال تلك الفترة أصبحت إسرائيل ـ فعليا ـ ولاية أمريكية ذات وضع ممتاز.
على المستوى العربي الرسمي ، ليس بمستغرب حالة التبعية التامة للسياسة الإمريكية . فعدو أمريكا هو عدو تلك الأنظمة . والخطأ هو ما تراه الولايات المتحدة خطأ ، والصواب كذلك . والعمل الشرعي هو ما تجيزه أمريكا ، والعمل غير الشرعي هو ما لا ترضاه أمريكا .
وبالإختصار فإن أمريكا بالنسبة لتلك الأنظمة هي الإله والرب المعبود. لهذا فمن المستحيل تماما أن يكون هناك أى لقاء بين الإسلام كما أراده ا سبحانه وتعالى وبين تلك الأنظمة.
ومن باب أولى بين الإسلام وبين أمريكا وما تمثله أمريكا من قيم تغتصب حق الألوهية وتستعبد البشر من دون ا .
ومن المدهش أن (الجسم الرئيسي) للحركة الإسلامية في العالم العربي مازال مستميتا من أجل السماح له بالعمل من خلال القنوات الرسمية (الشرعية)!! ، ويطمح في دورمن خلال المهزلة الديموقراطية .
والأدهى من ذلك أن (الحركة الإسلامية) التي ساهمت في التجربة الأفغانية لم تخرج إلا نادرا عن مواصفات العمل الموافق للمصالح الأمريكية . واستمر الحال كذلك حتى نهاية الحرب .
لقد وصل العرب إلى الساحة الأفغانية عندما قررت أمريكا إستقبالهم ـ أو إستغلالهم ـ على الأرض الأفغانية . وغادر العرب ساحة أفغانستان عندما قررت أمريكا الإستغناء عن خدماتهم .
وفيما بين الإستقبال والطرد لم يحاول العرب المتطوعون أن تكون لهم سياستهم المستقلة .
من أخطر الدروس المستفادة من أفغانستان ،أنها تجربة أوضحت مدى السيطرة الأمريكية على الحركة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية بل والتحرك الجهادي الحديث ، والذي كان من المفروض أن يكون الشريحة الأكثر تطورا ونضجا في التحرك الإسلامي الحالي .
هذه السيطرة الأمريكية إما مباشرة ـ كما كانت مع قطاع الزعماء الأفغان المعتدلين في أحزاب بيشاور الجهادية ـ أو غير مباشرة عبر باكستان والسعودية كما كانت مع الزعماء (متشددين) الأصوليين من القادة الأفغان الجهاديين !!.
<u>ومصدر الخطر هو أن يظل العمل الجهادي الإسلامي تحت سيطرة القوى المعادية، وأن يصبح سلاحا في أيدي أعداء الإسلام يسخرونه لخدمة مصالحهم الدولية .</u>

والخطورة التي ظهرت في أفغانستان تتجلى في كون الجهاد نشاط غير منضبط نظرا لفقدانه القيادة الواضحة أو المرجعية الدينية الموثوقة. تكفي عدة خطابات نارية مع بعض فتاوى من (علماء)هم في العادة موظفون حكوميون ، حتى يتحرك مئات أو آلاف الشباب نحو ساحات الموت بحثا عن الشهادة والدرجات العلى في الجنة .

إن الساحات التي يتحرك إليها هؤلاء الشباب هي ساحات إسلامية تحتاج إلى الجهاد والقتال في سبيل الله ،إما لدفع عدو صائل أو لإزاحة طاغوت متجبر يمنع الناس من إقامة شرع الله .

وكلا الهدفين لا يتم إلا تحت قيادة إسلامية صحيحة . أما أن يكون الجهاد تحت قيادات عميلة للطاغوت الدولي تعمل بتوجيه وإشراف وتمويل وتخطيط ذلك الطاغوت ، فلا يمكن في النهاية أن نحقق أهدافنا الإسلامية التي تحركنا من أجلها . وهذا ما حدث في أفغانستان حيث لم نحصد سوى الشوك. وإستولى الطاغوت الدولي على كل الثمار الشهية.

وحتى بعض الثمار القليلة التي جاءت وسط الأشواك في أيدي المسلمين ، يقاتلنا عليها ذلك الطاغوت الدولي لإغتصابها ، بل ويسعى إلى حرق المجاهدين وسط أكوام الشوك التي حصدوها في أفغانستان .

إن الحركة الإسلامية عامة ـ والجهادية خاصة ـ مازالت حتى هذه اللحظة تفتقر إلي القيادة والمرجعية الدينية والعمل المنظم . وهذا النقص يجعلها غير مؤهلة لإنجاز الأهداف المنوطة بها بل قد يحرفها عن المسار الصحيح لتصبح هي نفسها ألعوبة في أيدي أعدائها .

(ملاحظة : يعتقد كثيرون أن البصمات الاسرئيلية والامريكية واضحة تماما فى احداث سبتمبر 2001 فى واشنطن ونيويورك . ويعتقد الكاتب أن تنظيم القاعدة تم استدراجه وتقيم تسهيلات له لتنفيذ تلك العمليات ، بدون علمه بالطبع، لكون تلك العمليات كانت ضرورية لاطلاق استراتيجية يهودية لتهديم الاسلام واستكمال مشروع إسرائيل الكبرى وإقامة مملكة بنى اسرائيل التى يرون انها ستحكم العالم كله من عاصمتها فى القدس).

توقيت الغزو السوفييتي لأفغانستان كان لا يخلو من المهارة . فإلى جانب أنه تم في الشتاء حليفهم التقليدي في الحروب سواء في أفغانستان أو غيرها، فإنه تم في توقيت سياسي ملائم للغاية. فقد كان غريمهم الأمريكي في نقطة ميتة سياسيا فالرئيس الأمريكي كارتر كان في لحظاته الأخيرة في البيت الأبيض . والرئيس الجديد ريجان الذي تسلم منه الحكم ، وجد أمامه أمرا واقعا في أفغانستان . لهذا لم يوجه أحد إليه السؤال : لماذا تركتم ذلك يحدث ... وماذا فعلتم والسوفييت يحتشدون لعبور حدود قانونية لدولة ضعيفة ؟ . ولكن بدأت الأحاديث حول إجراءات عقابية ضد السوفييت وإجراءات لتطويق آثارالغزو على المصالح الأمريكية في جنوب وغرب آسيا وخاصة مناطق نفط الخليج .

لم تتحرك الدول الإسلامية إلا بعد أن مارست الإدارة الأمريكية الجديدة مهام عملها .

وأصدرت أوامرها وحددت السياسة العامة (الإسلامية) لمواجهة خطر الغزو السوفييتي على العالم الإسلامي والخطوات اللازمة في إطار المنظور الأمريكي .

وبناء عليه عقد مؤتمر طارئ لوزراء خارجية الدول الإسلامية في إسلام آباد لبحث الموضوع.

وتم إصدار البيانات المعهودة التي لا معنى لها واتخاذ خطوات أشد تفاهة، كان أعظمها خطرا هو إرسال طائرتى معونات إنسانية من خيام وأطعمة للمجاهدين الأفغاني كدعم عاجل من المملكة العربية السعودية . وعلى صعيد (المقاومة الأفغانية) فإن تأثيرات ذلك المؤتمر عليها هو إصرار القائمين على المؤتمر على تشكيل كيان متحد للمقاومة تستطيع الدول الخارجية

التعامل معه فيما يختص بالقضية الأفغانية . وكان عدد الأحزاب الأفغانية للمقاومة ستة أحزاب . وبشكل عاجل تم تشكيل (الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان) برئاسة عبد الرسول سياف ، الذي خرج لتوه من سجون النظام في كابل. وفي أقل من شهرين تحول من سجين سياسي سابق إلى رئيس (الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان) ويكون أول أعماله هو الإجتماع بوزراء خارجية الدول الإسلامية لمناقشة موقف تلك الدول من قضية بلاده .
ورغم أن زعامة سياف وظهورها على سطح الحياة السياسية (للمقاومة الأفغانية) كان يبدو وقتها كأثر ثانوي لذلك المؤتمر ، إلا أنه بمرور الوقت ظهر أنه كان واحدا من أخطر الأحداث في المسار السياسي للقضية. خاصة في علاقتها بالتيارات الإسلامية العربية التي تعاطفت عن بعد، أو قدمت للمشاركة ميدانيا في الجهاد.وأيضا من حيث تفاقم الصراعات الداخلية في حركة (المقاومة) الأفغانية .
نعود إلي الحديث الصحفي الأول والذي أدلى به ريجان عقب توليه الرئاسة في شهر يناير1980م بعد أيام من الغزو السوفييتي . لقد احتوى البيان على هجوم عنيف على الإتحاد السوفييتي وعدوانيته ضد الشعوب .
والذي لم يلاحظه كثيرون، أو لاحظوه ولم يعيروه إهتماما كبيرا هو ذلك الهجوم على الإسلام وإشارته إلى: (مخاطر تهدد المصالح الغربية في الشرق الأوسط من جراء دعاوى دينية بدأت تظهر هناك تقول بأن أقصر الطرق لدخول الجنة هو قتل اليهود والنصارى) .
تلك الفقرة كان المقصود بها الإسلام كدين في إشارة واضحة إلى ضرورة مقاومة هذا الدين في الشرق الأوسط ـ وهوالتعبير الملتوي المعبر عن بلاد العرب ـ وتصورنا وتصور معظم المسلمين وقتها أن المقصود هو (إيران الشيعية) وتبسم كثيرون إغتباطا لهذا الهجوم الأمريكي ضد الشيعة .
وأكتشفنا منذ عام 1989م أننا ـ كأهل السنة والجماعة ـ كنا هدفا رئيسيا، وجاء دورنا بعد حرب (تحرير الكويت) حيث أعلنت أمريكا الحرب صراحة على الإسلام في المنطقة العربية والعالم .
لقد إعتبر معظم الإسلاميين من أهل السنة بأن حرب أمريكا ضد إيران بواسطة العراق ودول الخليج هو عمل يخدم الإسلام لأنه ضربة للشيعة الذين هم (أخطر من اليهود والنصارى) على حسب الإعلام الديني الشائع في ذلك الوقت . وإذا أضفنا إلى ذلك الموقف الأمريكي ـ الذي إعتبرناه ضمنيا موقفا مباركا ـ ذلك الموقف الأمريكي المساند للحقوق الإسلامية في أفغانستان، ومساند للمسلمين هناك و (المجاهدين) للقيام بواجبهم المقدس في قتال الشيوعية ، لعلمنا أننا فعلا وقفنا،ضمنيا،في موقف التحالف مع أمريكاحتى وإن كنا نصرح دائما ونفتي بكفرها و طاغوتيتها .
إختصارا فإن ريجان في بيانه الصحفي الأول أعلن الحرب صراحة ضد الشيوعية والإسلام معا ، ولكننا تعامينا وقتها عن تلك الحقيقة . وظنناه قد أعلن الحرب على الشيوعية والشيعة ،حتى أن عددا كبيرا منا ربط بين الإثنين بأنهما شيء واحد واختلق لذلك شتى الحيل، وصبغ ذلك كله بطلاء شرعي.ولكن أمريكا نفسها صفعتنا بالحقيقة بعد أن إنسحب الجيش الأحمر من أفغانستان. فقد صرح كبار مسؤوليها بأن الولايات المتحدة قد واجهت هذا القرن ثلاثة أعداء هم النازية و الشيوعية والإسلام وقد تمكنت من هزيمة إثنين منهم وبقي أمامها العدو الأخير وهو الإسلام .
ليس هناك بالطبع أكثر صراحة من ذلك الكلام . وظهرت العداوة الصليبية أسطع من الشمس في

كبد السماء وإكتشفنا متأخرين جدا أن أمريكا تعادي الإسلام كدين ولا تعادي مذهبا أو طائفة أو حزبا إسلاميا ، بل الإسلام كله بأوسع معانيه وأشمل مظاهره، وحربا عقائدية وليست حربا على مصالح إقتصادية أومناطق نفوذ فقط.
بعد حرب أفغانستان إنهار الإتحاد السوفييتي وإرتمى شيوعيوا روسيا والعالم تحت أقدام أمريكا يقاتلون الإسلام تحت رايتها، لأن الشيوعية نفسها هي إفراز طبيعي للصليبية التوراتية التي يعتنقها الغرب . وقد عادت الشيوعية إلى وكرها الأصلي ومنبتها الأول عادت من حيث أتت.
عادت كي تواجه من محضنها الأصلي عدوها الأساسي: الإسلام .
أقول أنه في ظني أننا دخلنا التجربة الأفغانية كتيار إسلامي حركي ، يتوهم تحالفا ضمنيا مع الولايات المتحدة ويتعامى،أو يتمنى غير الواقع الذي كان يكذب تلك الأمنيات ويفضح ذلك التعامي.ولكن القادة الأفغان ، وقادة العمل الإسلامي العظام في باكستان وبلاد العرب ـ من تيار الإخوان ـ قد دخلوا الساحة مبصرين وعلموا حدودهم ودورهم والتزموا به ـ وإلتزموا الصمت إزاء جمهور المسلمين، فلم يفضحوا ذلك الإتفاق ـ لأن ذلك بالطبع يحرق دورهم بل يلغي وجودهم على الساحة الإسلامية .
أما التيار الحركي الذي توافد وشارك فقد كان موقفه يتفاوت بين العمي والتعامي ـ فيما عدى قلة نادرة أهيل عليها تراب النسيان، أو لطخت سمعتها بطين الإتهامات والإشاعات،التي أطلقتها عليهم أجهزة التآمر العاملة فوق الساحة الأفغانية .
وهكذا أطبق الصمت المتآمر على القضية الأفغانية ، مصحوبا بأعلى ضوضاء شهدها العمل الإسلامي في عصره الراهن . وكانت ضوضاء تضليلية لخداع المسلمين ، إستخدمتهم لمصالح أمريكا والغرب ، ولكن تحت راية إسلامية جهادية هذه المرة. وكنا قد عهدنا في العقود القريبة من حياتنا أن ذلك الدور ـ خداع الشعوب المسلمة وتسخيرها لخدمة الغرب ـ عهدنا ذلك من التيارات العلمانية بشتى اتجاهاتها قومية كانت أم اشتراكية أو وطنية .
نعود مرة أخرى إلى السؤال الحرج والمخيف : هل تتحول الحركة الجهادية إلى ألعوبة في أيدي الطاغوت الدولي كي يحقق بها أهدافه ؟ ... هل يحرم المسلمون من سلاحهم الوحيد للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم وأرضهم، ومن وسيلتهم الوحيدة لإقامة شرع دينهم، ألا وهو الجهاد ؟ .
لقد كانت أفغانستان تحذيرا خطيرا للمسلمين حتى لا يسرق منهم دينهم . ويرتد سلاحهم إلى صدورهم .
لقد سرقت حركات إسلامية وأحزاب وجماعات ، ضلت وسقطت تحت سيطرة الصليبية ، وحتى أن بعض هذه الجماعات قد أنشأتها الصليبية نفسها لمحاربة الإسلام من داخل صفوفه .
ويجب أن نسعى جميعا حتى لا يلاقي الجهاد نفس المصير .

أوشك المؤتمر الطارئ لوزراء خارجية الدول الإسلامية على الإنعقاد، ولم تكن المنظمات الجهادية في حالة مشرفة تسمح لها بحضور المؤتمر . فالخلافات مستعرة والإنقسامات وصلت بعدد الأحزاب إلى ستة أحزاب كاملة . فطلبت باكستان منهم ـ عندما وجدت أن الزعماء الستة يريدون حضور المؤتمر كل زعيم يمثل حزبه ـ طلبت إختيار شخص واحد يمثل الأحزاب جميعا أمام المؤتمر.كانت المشكلة التي يخشاها الزعماء أنه في حال إختيار ممثل واحد عن الأحزاب يخاطب المؤتمر،فإنه سوف يكون الشخص المعتمد لدى العالم الخارجي . وبالتالي فإن أي معونات خارجية سوف يتسلمها نيابة عن الآخرين ، والإحتمال الأغلب أنه سوف يستأثر بها

لنفسه، وقد يتحول إلى صاحب حزب، فمن السهل أن يشتري من يريد وما يريد بواسطة المال .
كان ذلك قانونهم ـ وأهل مكة أدرى بشعابها كما كان يحلو لبعضهم أن يقول ـ بدون أن يفصح عن تلك الشعاب المجهولة .
لقد شهدت الأحزاب الأفغانية الجهادية عدة مهازل إتحادية ، وكل محاولة كانت تؤدي إلى عكس المفروض منها . كانت تزيد الخلافات ويزيد عدد الأحزاب حزبا جديدا . وكان الحل التقليدي عندما يرغب حزبان في الإتحاد هو إختيار شخصية ضعيفة كي ترأس الإتحاد المزعوم . وما أن تبدأ تلك الشخصية في ممارسة شيء من صلاحياتها القيادية حتى تنشق عنها الأحزاب المكونة للإتحاد وتبقى تلك الشخصية وبعض الأصدقاء والمحبين في تشكيلهم الإتحادي متهمين الآخرين بالمروق والخروج عن الشرعية .
وبنفس الأسلوب وصل عبد الرسول سياف إلى سدة الزعامة. فقد كان ضعيفا، خارجا لتوه من سجون كابل . ويسكن في غرفة متواضعة، ويتلقى مساعدات مالية من أصدقائه داخل المنظمات.
كان أشد المعترضين على ترشيح سياف هوحكمتيار الذي واجهه بحملة عنيفة من التشكيك والإتهامات.
فقد كان يرى سياف قد خرج معافى من سجون الشيوعية في كابل ـ في قصة غير مقنعة ـ حيث كان الشيوعيون يقتلون لمجرد الإشتباه فما بالهم بشخص مثل سياف كان في صفوف متقدمة من زعامات العمل الإسلامي في كابل ؟؟ لماذا لم يقتلوه وهو تحت أيديهم في السجن ؟ .
وأضافت مصادر حزب حكمتيار بأن سياف قد إستفاد من حماية الزعيم الشيوعي حفيظا أمين المهندس الحقيقي للإنقلاب الشيوعي، والذي تولى رئاسة الدولة بعد أن تخاص من سلفه نور محمد طراقي . فقد كان سياف وأمين أبناء خالة . لذلك فإن سياف لم يسجن في السجن الرهيب "بولي شرخي" بل أنه نقل سريعا إلى نوع من الإحتجاز المرفه تحت حماية إبن خالته.
ولمزت مصادر الحزب في الظروف التي إعتقل فيها سياف في عهد محمد داوود .
فقد أعتقل وهو في مطار كابل وكان في طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة تعليمية موضوعها (التأهيل القانوني)!!. بالنسبة لهم فإن الإفراج عن سياف في أعقاب الإحتلال الروسي ، وإغتيال إبن خالته أمين ما كان ليتم خطأ كما يدعي سياف ، ولا بد أن وراءه تدبير معين بين سياف والشيوعيين والروس .
كانت الإتهامات خطيرة ،لكن رواج الشائعات في وسط الأفغان سواء بالحق أو بالباطل،أفقد تلك الإتهامات أهميتها .
لقد تبنى يونس خالص وجلال الدين حقاني قضية سياف، ومارسا ضغوطا على باقي الأطراف لقبوله حتى نجح مسعاهم . وقد ندما على ذلك في المستقبل القريب .وظهر إلى الوجود إتحاد جديد هو الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان ولم يكن بالطبع هو الإتحاد الأخير.
كان الزميل سمير عبد المطلب يغطي وقائع المؤتمر مندوبا عن صحيفة الإتحاد . وكان متحمسا للقضية الأفغانية . وتغطيته الميدانية لزيارته لولاية باكتيا أكسبته شهرة وأكسبت الصحيفة شعبية كبيرة . وقد شارك سمير عبد المطلب في مجهودات الوحدة بين المنظمات .
وكان يرى خطورة الخلافات الشخصية بين القادة وكان يتشكك في قادة المكاتب في بيشاور.
ويكن إحتراما كبيرا ليونس خالص كقائد حزب وقائد حرب ميداني . صديقنا أحمد المنياوي حضر أيضا تلك المشاورات وكان قد عاد لتوه من جلال آباد حيث شارك في عملية على أطراف المدينة برفقة جماعة تابعة لمولوي خالص .
لم يكن متوقعا أن يكون لصديقنا المنياوي دورا سياسيا بهذه الخطورة . فقد إنتهى مؤتمر

وزراء الخارجية بدون أي التزامات واضحة أو مساعدات للشعب الأفغاني . كان فقط مناسبة لتسجيل موقف لا يترتب عليه أي نتائج . كانت صدمة للقادة الأفغان وصدمة لأنصار الجهاد والقضية الأفغانية من أمثال صديقنا المنياوي والصحفي سمير عبد المطلب . فطالب الإثنان من سياف أن يترأس وفدا أفغانيا كي يزور دول الخليج لطلب المساعدة من الناس مباشرة .
وكانت المشكلة أن سياف لم يتلق دعوة رسمية بزيارة أي من دول الخليج . فكيف له أن يصل إلى هناك ؟.
والمشكلة الأخرى أن زيارته بصفته الرسمية الحالية كرئيس لإتحاد المجاهدين الأفغان أصبح لها تبعات سياسية، تتعلق بالروابط بين الدولة الداعية وبين الإتحاد السوفييتي .
ولما كانت العقلية الصعيدية) لا ترتبط كثيرا بالمنطق ، وذلك من أوجه الشبه بين الصعايدة والأفغان ، حتى أن أحد أصدقائنا الصعايدة المجاهدين كان يقدم نفسه على أنه فلان الفلاني من "صعيد ستان". لذلك فإن صديقنا المنياوي إقترح بأنه سوف يسعى إلى الحصول على تأشيرة لوفد المجاهدين برئاسة سياف، على إعتبار أنه وفد باكستاني جاء للحصول على تبرعات لمدرسة دينية .
وعلى الفور وافق الصعايدة الأفغان على إقتراح المنياوي ـ أو كبير الصعايدة كما كنت أطلق عليه أحيانا ـ وقام سياف بتحديد شخصيات الوفد وكانوا كالتالي :
عبد الرسول سياف صبغة ا مجددي ـ محمد نبي محمدى ـ جلال الدين حقاني .
كان صديقنا الصعيدي يعمل وقتها سكرتيرا للدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي لرئيس الدولة آنذاك وحتى تاريخه . وكان الدكتور في شبابه من صقور الإخوان ، وأبدى تعاطفا مع مشروع رحلتنا الأولى إلي أفغانستان ، وتكلم معنا قبل رحيلنا عن فرضية الجهاد ولكنه تشكك في الوضع الأفغاني وقال أنه ليس المكان المناسب . بالطبع لم يعجبنا رأيه رغم أنه قال بأنه لا يأمرنا ولا ينهانا. تذكرت وقتها ما قاله لي شيوخ الأوقاف قبل ذلك بعام قبل سفري إلى لبنان .
كان من صلاحيات مكتب الدكتور عز الدين ، التقدم إلي مكتب الجوازات بطلب تأشيرات زيارة للوفود الإسلامية القادمة إلي الإمارات . تكفل أحمد بتمرير أوراق الوفد عبد القنوات الرسمية كواحد من الوفود التقليدية التي تأتي لجمع التبرعات من مساجد الدولة وتطلب العون من هيئاتها الإسلامية . ولم ينتبه أحد إلى أسماء الوفد الذين لا يدري عنهم موظفوا الدولة أي شيء.
وصل وفد المجاهدين إلى مطار أبو ظبي وكنت في إستقبالهم مع المنياوي . وحدث إرتباك قليل في المطار حيث لم يحضر مندوب رسمي من موظفي الدولة لإستقبال الوفد كما يقتضي بذلك (البروتوكول) . حتى أن أحد موظفي المطار تشكك في صحة التأشيرة . ولكن تدخلات المنياوي ومعرفته العميقة بالإجراءات أنقذت الموقف .
وخرج الوفد إلى ساحة الخليج الواسعة مبهورا بأضواء الحضارة وبهارج الحياة الخليجية .
واصطحبناهم إلى فندق فخم في العاصمة حيث شغلوا عدة غرف كضيوف على الدولة .
وسارعنا بإبلاغ الخبر إلى صديقنا سمير عبد المطلب كي تفاجأ دوائر الدولة وعلي رأسها وزارة الخارجية بأن وفدا عالى المستوى للمجاهدين الأفغان برئاسة(البروفوسور) عبد الرسول سياف، يقوم بزيارة للدولة بناء على دعوة رسمية وجهت إليهم !! .. وكانت الطامة الكبرى.
وبدأت التحريات حول كيفية منح التأشيرة للوفد الأفغاني ، وتعالت الصيحات في الخارجية والأوقاف ومكتب المستشار الثقافي .
الإحتياطات التي إتخذها المنياوي أوقفت الكارثة . فقد كان من ضمن التوقيعات على طلب التأشيرة توقيعا من مكتب (الشيخ سرور) أقوى رجل في الحكومة والذي يترأس أكثر من

نصف دوائرها الرسمية . وعند صخرة (سرور) توقفت العاصفة . وإبتلعت الخارجية المسمار الصدئ وأضطرت إلى التعامل مع الأمر الواقع . أما سرور نفسه فلم يكن داخل الدولة وقتها . ولم يجرؤ أحد علي توجيه السؤال إليه بعد عودته . وأظنه لا يعلم ما حدث إلي الآن .
كانت تلك الزيارة ـ المعجزة ـ الخطوة الأولى لسياف كي يرسي دعائم قوية لعلاقاته العربية بشقيها الرسمي والشعبي . بل كانت فرصة لأول لقاء مباشر بين جهاد أفغانستان والشعوب الإسلامية ـ خاصة شعوب الخليج التي لعبت الدور الأهم في جانب(التمويل الشعبي) للعمل الجهادي .
أجرى سياف خاصة ـ والوفد المرافق عامة ـ لقاءات واسعة جدا داخل مدن الإمارات.
وقابلوا ما لا يحصى من الأفراد العاديين والمتحمسين والمسلمين المتدينين . وعقدت لقاءات كثيرة في المساجد ، وحتى داخل تجمعات الأفغان، خاصة المنطقة الصناعية في مدينة العين التي تعتبر معقلا للبشتون من أفغانستان وباكستان .
كنت أتناوب مع الصديقان أحمد وإسماعيل على مهام خدمة الوفد من قيادة السيارات إلي الإتصالات والمكاتبات إلى الإستشارات المختلفة، وتحديد جداول المواعيد والزيارات إلي ترتيب المقابلات الصحفية . كانت الزيارة ناجحة للغاية وتركت تأثيرا عميقا وإيجابيا لصالح القضية الأفغانية ، وإنهالت التبرعات على الوفد.ولم ندرك وقتها أنها بداية النهاية بالنسبة للإتحاد الجديد.
وكان الهدف الأكبر وقتها هو ترتيب لقاء للوفد مع رئيس الدولة .
لم يكن الموضوع سهلا فالخارجية مستاءة من تلك الورطة . ومكتب الرئيس لا يفهم كيف حضر هؤلاء ومن أحضرهم ولماذا؟ . وظل كبار المسؤولين الرسميين متوجسين خوفا من أن يكون رد فعل رئيس الدولة تجاه الزيارة غير ودي ، وقتها لا بد من أن تتطاير رؤوس كثيرة.
كان للإخوان المسلمين شيء واضح من النفوذ في بيروقراطية الدولة آنذاك ، خاصة في وزارة التربية والتعليم حيث كان وزيرها محسوبا على تيار الإخوان ، وبالتالي كانت الوزارة أحد معاقلهم الرئيسية. كذلك وزارة الأوقاف حيث وكيلها من نشطاء الإخوان ،وكانت وزارته بالتالي تعج بعناصر الإخوان من مختلف الجنسيات. وأذكر مدير مكتبه في دبي (الأخ مسعود) وهو مصري الجنسية ، وكان محركا نشطا لتسريع الصدام بين مجموعتنا الصغيرة وقيادة سياف، حتى نجح بعد حوالي خمس سنوات من تاريخ تلك زيارة ، في إستصدار فرمان من سياف أثناء زيارته لدبي بإهدار دمي.
تولى "مسعود" الإشراف على برنامج سياف المتعلق باجتماعاته مع قيادات وعناصر الإخوان في الإمارات. ودفع مجموعتنا الصغيرة إلي الخلف فيما يختص بتلك الفقرة ، ولكن بدبلوماسية ناعمة ، ولم نعترض على ذلك ، واعتبرناه حقا مشروعا لهم .
لقد لاحظنا محاولات الإخوان ركوب الموجة والظهور الجماهيري في قضية شهيرة . لم يدر في خلدنا منافسة الإخوان في ذلك المجال ، ولم يكن ذلك ممكنا على أية حال . وما كان يشغلنا وقتها وظل كذلك لعدة سنوات وبالتحديد حتى عام 1984م حيث فقدنا الأمل ، كان هاجسنا هو تحويل أفغانستان إلى قبلة لطوابير المجاهدين العرب ، وأن يتولى الإخوان المسلمين بحكم خبرتهم التاريخية ووفرة كوادرهم فيما نتصور ، أن يتولوا تنظيم هذا العمل والإشراف عليه .
وهذه النقطة بالتحديد هي التي دمرت علاقاتنا معهم وحولتها إلي حالة من العداء وحرب شنوها علينا بدون سابق إنذار .
أطلقت دوائر الإخوان خبرا مفاده أن الأفغان لا يحتاجون إلي متطوعين ،وأن لديهم ما يكفي من

الرجال ، وأنهم فقط في حاجة إلى الأموال لشراء الأسلحة وفي حاجة لمعونات عينية للمهاجرين مثل الملابس والأدوية . وأرفقوا ذلك بفتوى مجهولة المصدر تقول بأن الجهاد في أفغانستان إنما هو فرض كفاية وليس بفرض عين .
كان الخبر والفتوى المرافقة له لطمة قاضية لمشروعنا الطموح، وكانت خيبة أملنا مأساوية عندما علمنا أن ذلك هو الرأي الرسمي للإخوان . فقد كان في تقديرنا أن مشروعنا الجهادي لا يستطيع تنفيذه سوى الإخوان أصحاب الخبرات والتنظيم الدولي الضخم .
فاجأنا بعض كبار الإخوان في الإمارات أن ما يقولونه حول إحتياجات المجاهدين وفرضية الجهاد، إنما مصدره "أمير الجهاد" ورئيس الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان "البروفوسور" سياف .
ولكن سياف الذي يعرف طموحاتنا الجهادية في أفغانستان من خلال أحاديثنا معه نفى ذلك نفيا قاطعا . فإتفقنا معه لإزالة اللبس حول هذه النقطة الحيوية، بأن يصرح في مؤتمر صحفي بحاجة الشعب الأفغاني إلى متطوعين من البلاد الإسلامية، حيث لم يكن من المعقول بالنسبة لنا على الأقل ، أن يواجه شعب صغير العدد مثل الشعب الأفغاني جيشا ضخما لكتلة دولية يقترب تعدادها من نصف المليار، وهو بشهادة العالم يعتبر أضخم جيش بري على سطح الأرض .
فلا مجال ـ فيما نرى ـ للحديث عن عدم الحاجة إلى متطوعين أو القول بفرض الكفاية لأنه حتى لو تدخلت الجيوش العربية كلها في أفغانستان فلن يكون ذلك كافيا. وتكفي خبرة الحروب مع إسرائيل ، فكيف يكون عدة مئات أو آلاف من المتطوعين المدنيين غير ضروري ؟ .
وكيف يمكن تدريب وتنظيم هؤلاء المتطوعين بدون جهاز منظم ذو خبرة مثل الإخوان ؟ .
رتبنا مؤتمرا صحفيا لسياف والوفد المرافق له،عقد في الفندق الذي يقيم به الوفد في أبو ظبي.
إتصلنا بالصحف المحلية ، وقبل بداية المؤتمر إتفقنا مع مندوب جريدة الإتحاد على توجيه السؤال التالي : **هل أنتم في حاجة إلى متطوعين مسلمين لمساندتكم في الجهاد؟ .**
عقد المؤتمر وإنهالت الأسئلة وتأخر سؤالنا المنشود حتى قرب نهاية الجلسة . وما أن ألقى مندوب جريدة الإتحاد السؤال حتى تكهربت أعصابنا وتعلقت أنظارنا بالأستاذ سياف الذي تلقى السؤال وتهيأ للأجابة . ولكن صبغة ا مجددي إندفع كالقنبلة وتولى الإجابة بعصبية واضحة قائلا: نحن لسنا في حاجة إلي رجال ولكننا في حاجة إلى أموال وأسلحة للقتال ، وأن على الدول العربية ودول الغرب أن تمد الشعب الأفغاني بمختلف نواحي الدعم السياسي والمادي كي يواجه الغزو السوفييتي .
إعتبر الصحفيون إجابة مجددي هي الإجابة الرئيسة، رغم أن سياف عقب عليها برد دبلوماسي لا يفيد شيئا حيث قال :إن الشعب الأفغاني يتصدى ببطولة للغزو السوفييتي ولكن إذا كنا نحن لسنا في حاجة للمتطوعين المسلمين ، أليس المسلمون في حاجة إلى الجهاد؟.
في كل المناسبات التالية ولمدة سنوات كان سياف يكرر نفس الجملة عند تعرضه لهذه النقطة الهامة . كان تخلصا دبلوماسيا لبقا من "أمير الجهاد"، فلا هو طلب متطوعين ولا هو رفض، وعلى كل طرف أن يفهم الجملة حسب هواه .
إكتشفنا في وقت متأخر نسبيا أنه من المحظور على "قادة الجهاد" من زعماء المنظمات في بيشاور توجيه دعوة عامة للتطوع في صفوف المجاهدين الأفغان ـ أي إعلان جهاد إسلامي عام ـ والإقتصار على"جهاد أفغاني" وهو لفظ لا أظنه خرج إلا من خزانة المصطلحات

الصليبية اليهودية، لأنه شعار يدمر مفهوم الجهاد ويحوله إلى عمل وطني بالمفهوم الغربي وليس فريضة وتكليفا على أمة الإسلام، التي لا تعترف أصلا بالحدود السياسية التي فرضتها"الحضارة" الصليبية على بلاد المسلمين .

لقد ساد مصطلح "الجهاد الأفغاني" طوال مدة الحرب الأفغاننية في كل صفوف المسلمين ، ولم ينتبه إلا القليلون إلى المصيبة التي يحملها في ثناياه ذلك الإصطلاح المشئوم ، والذي لم يسبق إستخدامه في أي عملية جهادية في تاريخ المسلمين. أنه جهاد مرتبط بحدود سياسية فرضها الصليبيون على بلاد المسلمين ولم يرتبط الجهاد قبلا بحدود سياسية أو بأقوام بعينها .

نفس التحذير من الدعوة إلى جهاد عام وصل إلي الأحزاب الإسلامية الكبرى، المرشحة للقيام بدور في هذه القضية التي بدأت بوادر التدويل تغشاها . وأثناء إقامتي في باكستان منذ مارس 1985 علمت أن الرئيس الباكستاني ضياء الحق كان قد طلب من الجماعة الإسلامية التي كانت في تحالف وثيق مع نظام الجنرال ، طلب منها ألا تحول قضية أفغانستان إلي قضية شعبية باكستانية وأن تكتفي بالمعاونة الإنسانية والدعائية في حدود المعقول.

لم يلبث الإخوان في مصر أن إتبعوا نفس المنهج ، وذبلت سريعا محاولاتهم تسجيل أسماء الشباب الراغب في التطوع للجهاد في أفغانستان وإكتفوا بنفس الحدود التي إلتزمت بها الجماعة الإسلامية الباكستانية مع الجنرال ضياء الحق . وقد صرح الأستاذ حامد أبو النصر المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر أثناء زيارته إلى بيشاور في بداية التسعينات ، صرح بأنه لم يرسل شباب الإخوان للجهاد في أفغانستان لأن الحكومة المصرية لم تسمح بذلك . وأن من شروط الجهاد موافقة "ولي الأمر" . أحدثت تصريحات المرشد العام ضجة في أوساط الشباب العرب في أفغانستان ، وتلاشى عندهم ما تبقى من شبهات المصداقية لدى الإخوان . وكانت تصريحات محرجة جدا للتجمع الإخواني العامل على هوامش القضية الأفغانية في باكستان .

فهمنا متأخرا كالعادة تلك الحدود (الشيطانية) المضروبة حول قضية أفغانستان ، وأنها إسلامية في الحدود التي تخدم مصالح الغرب ، وأنه من المحظور تحريك (الأمة) إلى فريضة الجهاد. وأن الجهاد يجب أن يظل أفغانيا ، وهكذا إخترع الصليبيون لنا مصطلح (الجهاد الأفغاني) وتداولناه نحن بكل غباء طوال ثلاثة عشر عاما من عمر القضية .

 كان لمجموعتنا الصغيرة جلسات مطولة مع سياف . خاصة بعد هذا الإنجاز غير المتوقع ، وإختراق الحصار والعزلة ، وخروج سياف لمقابلة جمهور المسلمين مباشرة ، والظرف الدولي والعربي المناسب لحركته ودعوته،والنجاح الكبير الذي صادفه في الإمارات بعد مغامرة الدخول التي رتبها بنجاح صديقنا المنياوي كبير الصعايدة .

<u>ومن النقاط الرئيسية التي ركزنا عليها في جلساتنا الخاصة معه :</u>

1 ـ إن الظروف المواتية والتي أحاطت بقضية أفغانستان قد تحولها إلي أهم قضية إسلامية ـ خاصة في ظل ما يحيط بالقضية الفلسطينية من تآمر عربي ودولي ـ وبالتالي فإن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتحول إلى أهم حركة إسلامية ، متخطية بذلك الحركات والجماعات التاريخية والتقليدية في العالم الإسلامي ، ويترتب على ذلك أن القيادات الأفغانية،خاصة سياف رئيس تلك الحركة، قد يتحول إلي أهم شخصية في قيادات العمل الإسلامي الشعبي.

2 ـ بناء على ما سبق ، فإنه ـ أي سياف ـ سوف يتعرض لعمليات إحتواء من جانب الحكومات العربية ومن جانب المنظمات الإسلامية الكبرى التي ستجد نفسها إلى جانبه مجرد

أقزام ، فسوف يحاولون الوقوف على أكتافه والمتاجرة بقضيته .
3 ـ أن أموال الخليج والسعودية هي مثل العسل المسموم ما دخلت إلى قضية إلا ودمرتها .
وهو ما حدث مع المنظمات الفلسطينية . فالأموال الخليجية تصطحب معها الإنقسامات والهيمنة السياسية الخارجية . ليس لصالح حكومات الخليج بقدر ما هي هيمنة صليبية .
وطالبنا سياف الإحتراز من تلك الأموال والأنظمة القائمة، فأكد لنا إنتباهه وفهمه لتلك الخطورة.
4 ـ إن زياراته للدول الإسلامية ينبغي أن يكون هدفها توطيد إتصال مباشر وعميق بين حركة الجهاد في أفغانستان والشعوب الإسلامية والإعتماد على ما تبذله تلك الشعوب من مال ودماء.
وحذرناه من تكرار خطأ منظمة التحرير التي ركزت على تقوية صلاتها بالحكومات وأهملت الشعوب العربية وما يمكن أن تقدمه .
5 ـ أن الراية الإسلامية وشعار الجهاد هو أكبر ما يميز قضية أفغانستان. وينبغي عدم التفريط بالتوجه الإسلامي للقضية أو الإلتفاف حوله أو تفريغه من محتواه . وبالتالي فإن التيار(المعتدل) المتواجد في القضية هو تيار ضار وخطر على القيمة الإسلامية للقضية ،وربما إستطاع هذا التيار تحويل القضية الأفغانية من المسار الإسلامي إلى المسار الوطني كما فعلت منظمة التحرير بالتعاون مع الحكومات العربية في قضية فلسطين .
6 ـ أن الشعوب الإسلامية والعربية قد سحبت ثقتها من الزعامات المصطنعة التي تبنى بطولات زائفة من خلف ميكروفونات الإذاعات وأوراق الصحف،والتي لا تشاهد إلا في فنادق الدرجة الأولى في هذه العاصمة أو تلك، تنتقل من مؤتمر إلى مؤتمر ومن إحتفال إلى آخر.
وأنه إذا أراد أن ينهض بقضية الإسلام في العالم ـ وليس فقط في أفغانستان ـ فعليه أن يمارس قيادة ميدانية مرتكزة على أرض الجهاد في أفغانستان وليس من وراء الحدود .
وأن القيادة الإسلامية (المنتظرة) هي تلك القيادة التي تتقدم صفوف القتال ، وليس تلك التي تطفو على السطح كما يطفو الزبد على سطح السيل .
7ـ ليس هناك عاصمة أو مدينة أو دولة في عالم المسلمين قادرة على إحتمال حركة إسلامية جادة ، ناهيك عن حركة جهادية تصادم قوة عظمى. بل أن (العالم الإسلامي) يعجز عن مساندة حتى مجرد حركة وطنية مخلصة لوطنها.
وفي الماضي القريب شاهدنا ما حدث في عمان ـ مجازر أيلول الأسود ـ وبيروت . وكيف أنهما تحولتا إلي مصائد لشباب المقاومة الفلسطينية رغم كل الإنحراف والشوائب في تلك المقاومة.
لهذا فمن المحتمل جدا أن تتحول بيشاور إلى نفس المصير، بل أن بيشاور لا بد أن تتحول إلى مركز تجسس على المقاومة وإختراق صفوفها وإغتيال قياداتها وكلها دروس مستفادة مما حدث في بيروت وعمان .
8 ـ أن إسرائيل لن تسكت وهي ترى حركة جهادية ضخمة ومتقدمة ، تستقطب إهتمام المسلمين ، ويتوافد عليها الشباب المسلم المجاهد . فهذا هو عين ما تخشاه إسرائيل وتعلم يقينا أنه مصرعها الحتمي.
لذا فإن إسرائل سوف تتواجد بسرعة على الساحة البيشاورية ـ كما فعلت في بيروت وعمان وغيرهما من أماكن تمركز المقاومة الفلسطينية ـ بل أن دوافع إسرائيل أقوى وأخطر حيث ترى الإسلام المجاهد ينبعث مرة أخرى وعلى نطاق واسع .
وإن الحل هو إنتقال الثقل القيادي والإداري لحركة الجهاد في أفغانستان إلي داخل الأرض الأفغانية المحررة . والإحتفاظ في بيشاور وغيرها بمجرد مكاتب إدارية فرعية لأداء الوظائف

المطلوبة خلف الحدود .
....
 لم يلبث رئيس الدولة أن أعطى الضوء الأخضر وحدد موعدا لمقابلة سياف . كان اللقاء وديا للغاية، وكان زايد غارقا في الدهشة والذهول ولا يكان يصدق بأن الأفغان يقاتلون الروس فعلا.
وعلى هذا المحور ظل يتساءل طويلا في لقائه مع سياف .
وكما لمسنا لاحقا فإن معظم كبار المسؤولين في الخليج كانوا يشكون في وجود خدعة ما. ولم يسمح لهم ذكاؤهم أن يعتقدوا لثانية واحدة بأن الأفغان يمكن أن يقاوموا السوفييت.
وكما أخبرنا سياف بعد إنتهاء اللقاء فإن زايد طلب منه أن يتوجه لزيارة السعودية،ثم يعود إليه كي يخبره عن موقفهم هناك إزاء مسألة مساعدة الأفغان ، ثم وعده خيرا .
وكان من المفهوم ضمنا أن زايد كان يرغب في ضبط خطواته مع الخطى السعودية تجاه الأفغان ، وحتى لا يتورط أكثر من اللازم أو أن يظهر بمظهر المقصر إزاء قضية تهم المملكة ، قلعة أمريكا في الجزيرة .
المنياوي عبر إتصالاته الرسمية من مكتب المستشار الثقافي لرئيس الدولة ـ تلك اللافتة الرهيبة ـ تمكن من الإتصال بالهيئات الموازية في قطر وحصل على موافقتهم إستضافة ألوفد الأفغاني.
كل لأصدقاء والمتحمسين أجروا إتصالاتهم بالمعارف والأصدقاء فى قطر لعمل اللازم لإنجاح مهمة وفد المجاهدين الأفغان .
ويمكن أن نتصور أن الإخوان كانوا الأكثر أهمية في ذلك المجال نظرا لثقل التجمع الإخواني في قطر علي المستويات الشعبية والرسمية .
كانت جولة قطر ناجحة،وخلال تواجد سياف في قطر إستطاع المتحمسون هناك الحصول على تأشيرة زيارة له وللوفد المرافق لزيارة المملكة العربية السعودية ، وهي الورقة الرئيسية والحركة الأكثر أهمية في الرحلة كلها.
وقد كانت تلك الزيارة أخطر إنعطاف في تاريخ القضية الأفغانية عامة ومستقبل الجهاد في أفغانستان بشكل خاص .
عندما عاد سياف من المملكة السعودية ، لم يكن هو نفس الشخص الذي ذهب . شعرنا عندما عاد بشيء من التغير ولكن كذبنا أنفسنا ، وأعطيناه ـ من عندنا ـ مبررات كافية .
كانت المفاجأة الأولى أن سياف عاد بجواز سفر سعودي . كنا نعلم مدى صعوبة الحصول على مثل هذه الوثيقة ، بل أن مجرد الحصول على تأشيرة زيارة للمملكة تعتبر عملا شاقا، وحتي طلب العمرة أو الحج قد يكون معرضا للرفض بدون إبداء الأسباب وهو ما شاهدنا عدة حالات منه .
ولم نكن نرى أي تاريخ سابق يبرر هذا الرضى الغامر من المملكة لسياف . المهم إبتلعنا المفاجأة بشيء من الصعوبة وساق لنا سياف أسماء كثيرة من العائلة المالكة كانت في غاية الحماس والروح الإسلامية الفياضة ، ومنهم نواب للملك، كل هؤلاء ساعدوا في حدوث المعجزة.
كان هناك تغيراً لفظياً قد حدث،وهو أن الرجل قد غادرنا وهو يحمل إسم (عبد الرسول سياف) ، وعاد وهو يحمل أسما جديدا هو (عبد رب الرسول سياف) . وكما أخبرنا هو فإن علماء المملكة الحريصون على(العقيدة الصحيحة) إقترحوا ونفذوا هذا التعديل العقائدي في الإسم .
ومن يومها لم يعد سياف يقدم نفسه للعرب بغير هذا الإسم حتى أنه إدعى أنه إسمه الأصلي

الذي سماه به أبوه . وكان ذلك مصدر مشاحنة صغيرة بيني وبين الشيخ عبد ا عزام الذي جاء يوما يعاتبني في عام 1986م عندما ذكرت في إحدى المقالات، سياف باسمه الأصلي (عبد الرسول) . فذكرت له أن هذا هو إسمه الأصلي ، ولكنه أنكر بشدة قائلا إن (عبد رب الرسول) هو إسم الرجل منذ ولدته أمه . فذكرت له أنني أعرف سياف منذ عام 1980م ورأيت الورقة التي جاء بها كوثيقة سفر صادرة من باكستان ، ولم تكن باكستان قد صرفت له بعد جوازا باكستانيا ليكون مثل باقي زملائه من قادة الأحزاب الذين يحملون جميعا جوازات باكستانية وبعضهم يحمل عدة جوازات صادرة من عدة دول. سكت الشيخ عبد ا على مضض وقد احمر وجهه من الإنفعال المكتوم . فقد كان يرحمه ا يثق تماما ، وقتها ، في سياف كما لا يثق في شيء آخر، والمعلومة التي يجادلني فيها قد إستقاها من سياف شخصيا. أدركت يومها أن سلسلة أكاذيب سياف تبدأ من إسمه .

ومن يومها إلي الآن وأنا أعجب من السرعة التي إكتشفت بها السلطات السعودية تلك الطبيعة المنحرفة لذلك الزعيم الإسلامي الأصولي، لدرجة أنهم منحوه من الزيارة الأولى جوازسفر سعودي، بل تبنوه تماما على مستوي العمل الرسمي . وحتى وقت كتابة هذه السطور ما زال سياف معتبرا لدى خبراء السياسة الأفغانية بأنه ورقة سعودية .

وفي ظنى أن الفترة التي قضاها سياف في دراسته الأزهرية ـ في عهد السادات ـ ثم حصوله على منحة دراسية من الولايات المتحدة**(فى التدريب القانونى!!)**، قد وفرا له إلى السعودية طريقاً ممهدا .(رغم أنه قد ألقي القبض عليه فى مطار كابل قبل ركوبه الطائره فى طريقه إلى أمريكا لتلقى تدريبه القانوني وذلك فى عام 1974م).

وبالتأكيد هناك أسبابا أخرى لا أعلمها إلي الآن.هذا وقد حصل سياف لمرتين متتاليتين على جائزة الملك فهد لخدمة الإسلام،ومن المعلوم نوع الخدمات التي ترضي فهد في مجال العمل الإسلامي.

تقابلنا مع سياف بعد جولته في قطر والسعودية ، وجدناه أكثر تحفظا من ذي قبل ، ولم يعطنا تفاصيل فيما يختص بالحفاوة الشعبية التي قوبل بها ، وبالنسبة للأموال إلتزم الصمت التام ، ولم نسمح لأنفسنا بأن نسأله مثل هذا السؤال . وإن كنا نتوقع أن يخبرنا بشيء من التفصيل عما حدث معه على المستوى الرسمي ، حيث كان ذلك الموضوع مثار بحث مستفيض في جلساتنا الخاصة التي تميزت بالعفوية والإستفاضة .

تحدد موعد آخر للقاء زايد مع سياف ، وعاد سياف كي يخبرنا بأن اللقاء كان طيبا وأن زايد قد سره رد فعل السعودية ، وأنه قرر المساندة المالية للأفغان .

لم يخبرنا سياف عن حجم هذه المساعدات ولكنه إستلمها وغادر بسرعة إلى بيشاور ، طالبا منا ومن كل من يعرفهم ـ الدعاء لأن مسؤوليات جسام تنتظره هناك .

كان صاحبنا الصعيدي أكثر خبرة في الطباع البشرية . وكان يرى أن(الفلوس قد عملت عملها في نفس الرجل) ، وإسماعيل الأكثر واقعية سياسة توقع أنها بداية طريق الإنحراف ، وأن الرجل ليس في المستوى الذي نحلم به . ورغم كوني أكبرهم سنا فقد إعترضت على روحهم المتشائمة وطالبت إعطاء الرجل الفرصة كاملة حتى يظهر قدراته . وأن من حقه أن يقرر مستويات التعامل مع الأفراد والجهات المختلفة ، وأن علينا أن نقف عند الحدود التي يرسمها لنا في علاقاتنا معه، بصفته قائد العمل الجهادي في أفغانستان . وأن الوقت مازال مبكرا جدا حتى نصدر حكما نهائيا على كفاءة الرجل كقائد أو على حركته الجهادية ودورها الإسلامي. وعلينا إلا نتراخى في الإستفادة من الفرصة المتاحة في أفغانستان كي نحقق أهدافا إسلامية

أوسع من النطاق الجغرافي المحدود في أفغانستان نفسها . إنها فرصة لإنبعاث روحي للأمة ، وتكوين قوة جهادية للدفاع عن مقدساتها وحقوقها .
بعد سنوات طويلة إكتشفت ـ متأخرا كالعادة ـ بأن تلك الأفكار لم تكن فقط أكبر من إمكاناتناعلى التنفيذ ، بل أكبر من أن يحتملها الوضع الإسلامي كله . وفي النهاية تحقق ما هو ممكن في ظل الظروف العامة الأفغانية والإسلامية والدولية . وإن كنت حتى هذه اللحظة أظن أننا كمسلمين كان أمامنا فرصة في أفغانستان لتحقيق إنجازات أضخم وأخطر بكثير مما حققناه فعلا .
هذا لو كنا تعاملنا مع الحدث بشيء من الوعي والعمل الموحد والمنظم .
غادر الوفد الأفغاني أبو ظبي وهو ـ على ما ظهر لنا ـ ليس على درجة كاملة من الوفاق .
فرئيس الوفد ـ سياف ـ إستحوذ على كل الإهتمام والأضواء . ساعدته لغته العربية، وإن كان صبغة ا مجددي أمتن منه من حيث اللغة لكونه نشأ في مصر في صدر شبابه. ولكن سياف الذي عثر على النغمة المناسبة لمخاطبة الجمهورالعربي،جعل الباقين على هامش الأحداث.
لقد تكلم مع العرب المسلمين بكل ما يرغبون الإستماع إليه ـ وفي جلساته مع كل مجموعة على حدة ـ فكل جماعة كانت تفضل أن يكون لها جلسات خاصة مع "أميرالجهاد الأفغاني"، وفي كل جلسة يخرج المجتمعون بانطباع قوي بأن سياف واحد من جماعتهم.
ولم أر مثل سياف في ذكائه وسرعة بديهته وخبرته بالنفس العربية وقدرته على العزف على أوتارها الحساسة،ولم تقاربه أي زعامة أفغانية أخرى في هذا المضمار. وساعده ذلك في إكتساب العرب وتأييدهم المالي، وفي إكتساب قيمة إسلامية عامة وليس أفغانية.
ولأن المعايير الحقيقية على الساحات الأفغانية تختلف كثيرا عنها في مخيلة العرب الإسلاميين وتصوراتهم غير الواقعية عن جغرافية العمل السياسي أو العسكري في أفغانستان،فإنه طول فترة الجهاد لم يكن لسياف وزن يعتد به على ساحات القتال ، كما أنه لم يكن يحظى بقبول سياسى وسط الأفغان الشعبيين أو الأفغان الحزبيين .
كان مجددي مشهورا في الأوساط العربية ـ بأنه رجل سياسي ـ بمعنى أنه ليس مجاهدا، بل مجرد لاعب على ساحة العمل السياسي . ونفس المفهوم شاع عن زميله في نفس المحور، السيد أحمد جيلاني . وفي الواقع فإن سياف خاصة ـ وزميلاه في المحور الإخواني حكمتيار وربانى ـ كانوا أكثر دهاء في المجال السياسي، ويكفي أنهم تمكنوا من خداع العمل الإسلامي في العالم . والرأي العام في بلاد المسلمين طوال مدة الحرب ، وأوهموهم أنهم يسيرون في اتجاه إسلامي صلب ، بينما كانوا في واقع الأمر أشد تواطؤا مع القوى غير الإسلامية ـ والتي ساندتهم بقوة ضد السوفييت ـ حتى أنني أرى الآن أن مجددي وجيلاني لم يكونوا سوى مبتدئين حمقى إذا قسناهم إلى هؤلاء الأصوليين الثلاثة .
مجددي ـ وكذلك زميله جيلاني ـ كانا منذ اللحظة الأولى وحتى آخر لحظات (الجهاد الأفغاني) يعبرون عن حقيقة موقفهم السياسي . وهذا خطأ لأن كل سياسي حاذق ـ بالمفهوم الميكيافلي ـ لا يعبر مطلقا عن حقيقة نواياه أو حقيقة مواقفه . بل يعطي باستمرا إشارات مضللة عن تلك النوايا والتوجهات وهذا بالضبط ما فعله(إخواننا الأصوليون)الأفغان.
كان مجددي غاضبا وقد مر بحالة الثورة العصبية عدة مرات عند مناقشاته مع بعض التجمعات الإسلامية العربية ، حتى أنه إتهمهم أحيانا بعدم إدراك الحقائق الأفغانية أو الدولية ـ وأظنه كان مصيبا إلي حد ما ـ ولكنه دافع بصراحة وقوة عن ضرورة المساندة الغربية عسكريا وسياسيا حتى يستطيع الأفغان مقاومة السوفييت . وقد أكسبته تلك الآراء شكوك وعداوات

التيارات الشعبيةالإسلامية، وإن أكتسبته تعاطفا رسميا في الدوائر العليا ، ولكنه لم يترجم إلى مساندة قوية له ولما يمثله من أفكار حيث كانت باكستان رقما صعبا أمام التدخلات الخارجية في الشأن الأفغانى.ورغم خضوع السياسة الباكستانية ـ دائما ـ للمطالب الأمريكية إلا أن فترة ضياء الحق شهدت نوعا من الشخصية الباكستانية شبه المستقلة ، ووقفت المصالح الوطنية الباكستانية إلى جانب المصالح الدولية الأمريكية جنبا إلي جنب فوق ساحة واحدة هي الساحة الأفغانية .
ربما كانت هذه المحاولة الأولى والأخيرة في تجربة لعلاقات شبه المتكافئة بين الطرفين .
مجددي أنهى زيارته وقد إنتابه شك عميق في جدوي العرب والتجمعات الإسلامية (غير الواعية) كما أنه إمتعض للنجومية التي فاز بها سياف ، حديث العهد بالعمل الإسلامي قياسا إلى مجددي المخضرم والذي عمل مع الإخوان المسلمين في مطلع الخمسينات في مصر أثناء حرب قناة السويس . فقد أخبرني أنه عمل مدربا أثناء تلك الفترة للشباب الجامعي المصري ، ولم يسمح له الإخوان بالمشاركة القتالية لأنه كان متزوجا وكانوا لا يحبذون إشتراك المتزوجين في العمليات العسكرية .
أما محمدي فقد كان كعادته هادئا بعمق ولا يمكن سبر أغواره . وكما عرفته لاحقا فقد كان شخصية دمثة الخلق ولكنه غير حيوي ولا يمكنه إدارة عمل ـ وحتى تنظيمه الخاص المسمى "حركة انقلاب إسلامي" كان يتركه لولده "أحمد" كي يديره. أما حقاني فكان صوت الحقيقة الضائع في صخب العواطف الجياشة والمخططات المتضاربة والأحلام الطموحة التي أثارها سياف والوفد الأفغاني.
لقد كانت الزيارة صخرة ضخمة ألقيت على سطح العمل الإسلامي الراكد .
كان حقاني قد خرج لتوه من أول صدام عسكري له مع الجيش الأحمر.
لذا كان النغمة النشاز في الوفد الأفغاني لأنه الوحيد الذي يمثل الحقيقة الميدانية للجهاد.
وما كان يريد طرحه لم يكن متجانسا مع الطبيعة الإحتفالية للمواضيع التي طرحها الوفد ، والطابع الإنفعالي الحماسي للإجتماعات ، كما لم يكن متجانسا مع طبيعة الجمهور العربي المتعود على سلبية الإستماع ونشوة الحماس والتأثر بالخطابات البليغة.
فلم يكن ممارسا لحيوية المشاركة وما تجلبه من متاعب وصعاب لم يتعود عليها .
ويصح ذلك بوجه خاص على المجتمع الخليجي فائق الرفاهية ، بما في ذلك تجمعاته الإسلامية (المواطنة) أو (الوافدة) . وأعظم ما تبلغه همم تلك التجمعات ـ حتى وقت الزيارة ـ كان دفع دريهمات لمشاريع الخير هنا وهناك . وما الجهاد عندهم ـ حتى ذلك الوقت ـ إلا واحدا من المشروعات الخيرية ، مثل بناء مسجد أو دار أيتام أو إستكمال مركز إسلامي في دولة أوروبية .
كان حقاني يريد أن يناقش القتال ومستلزماته ، والمجاهد ومطالبه، والجهاد وخطوط إمداده .
وقد تحدث مع قليلين حول تلك الموضوعات وإستوعبه أقل القليل منهم .
وظلت الجبهات ومشاكلها القتالية العملية أكبر الغائبين عن ساحة الإهتمام الشعبي العربي المسلم ، طوال مدة القتال، مع تحسن نسبي بعد ظهور "أبوعبد ا " ـ أسامه بن لادن ـ على ساحة العمل القتالي العربي في أفغانستان وهذا موضع أحاديث مطولة في مواضع مختلفة من هذا الكتاب.
شعر حقاني هو الآخر بمحدودية الإسلاميين العرب و سطحيتهم في التعامل مع الحدث الأفغاني .
وأنهم في حاجة إلي الأحاديث المدهشة أكثر من حاجتهم إلي المواضيع الصعبة . بل في حاجة إلى الإستمتاع بمشاهدة الأحداث و الإستماع إلى وقائعها أكثر من رغبتهم في الإنغماس فيها ومكابدتها.

ولكنه أدرك بطبيعته العملية أهمية الحفاظ على الخيوط العربية وتنميتها ، فهو قد جرب عمليا أهمية المساهمات العربية على بساطتها ، وقد كان محقا في ذلك كما أثبتت ذلك الأحداث خلال فترة الحرب الطويلة .

....

 قبل أن يتولى سياف رئاسة الإتحاد كان قد وقع ميثاقا ـ أو تعهدا ـ كتابيا يحدد مهامه وصلاحياته وحدوده التي يعمل داخل إطارها . أهم بنود هذه الوثيقة والتي أحتفظ بها في ملفات حزب إسلامي يونس خالص وهي الجماعة التي رشحته وضغطت في سبيل توليه منصب الرئاسة حتى نجحت في ذلك :

البند الأول : أن الأموال التي يجمعها سياف بصفته رئيسا للإتجاد الإسلامي لتحرير أفغانستان يقوم بإعادة تقسيمها بين المنظمات المكونة لهذا الإتحاد وعددها ست منظمات .

البند الثاني : في حالة فك الإتحاد المذكور يتعهد سياف ألا يحول الإتحاد إلي حزب خاص به .

كانت تلك الوثيقة ـ سرية ـ ولم نعلم بوجودها إلا بعد عدة سنوات من الخلاف بين سياف وقادة الأحزاب الأخرى . فقد إختاروه ليس كزعيم للجهاد كما تخيلنا وتخيل غيرنا من العرب بل إختاروه كلافتة مشتركة يجمعون تحتها الأموال، ثم يعاد تقسيم هذه الأموال بين المنظمات الست. (كانوا يريدونه مجرد صندوق جمع تبرعات،أو حصالة نقود).

* في تقديري أن الإتفاق المذكور كان دنيئا ومخادعا . وكان العرب أكثر من تأثر بتلك الخديعة ولم يرغبوا في الإفاقة منها . لقد شاهدت بضع محاولات من هذا الطراز بين القادة الأفغان كان الهدف منها تحقيق منافع مادية مشتركة على حساب العرب وحتى يتجنبوا إلحاح وضغوط هؤلاء السذج،الذين يحملون أموالا فوق طاقتهم على الفهم والتدبير .

عاد سياف من رحلته الخليجية، ومن المؤكد أن أشياء كثيرة قد إهتزت بداخله. فبعد أن كان يسكن في غرفة صغيرة في (جمرود رود) يتبرع بإيجارها بعض الأصدقاء ، وكذلك يتبرعون بما يسد رمقه ، فها هو قد عاد بعد رحلة واحدة مريحة ومبهجة وقد حمل ملايين الدولارات هكذا دفعة واحدة وبلا مقدمات أو مراحل متدرجة .

لقد أعطاه زايد مليون دولار، ومن المنطقي أن تكون السعودية دفعت أضعاف ذلك المبلغ

(علمنا بعد سنوات أنه حصل من السعودية فى تلك الزيارة على خمسة ملايين دولارأو40 مليون حسب مصادر أخرى عليمة)

وأن تكون قطر قد دفعت نصف ذلك المبلغ على الأقل .

ناهيك عن التبرعات الشخصية التي إنهالت بسخاء غير عادي .

وقد كانت تبرعات الأعوام التالية ـ على النطاق الشعبي ـ من الضخامة بدرجة لا تصدق ، فقد رأيت بنفسي أكوام الذهب الذي تبرعت به النساء في أبو ظبي فقط . وقد كانت أكوام الذهب فى السعودية أعلى وأضخم بشهادة العرب أنفسهم وأحيانا الأفغان الذين لا يفصحون عادة عن الأموال التي تصلهم.

رفض سياف توزيع الأموال ، وقد سمع الزعماء في بيشاور عن طريق أعضاء الوفد والأفغان المقيمين في الخليج ، سمعوا عن شلال الأموال الذي إنهال على سياف . فهرعوا إليه مستبشرين يطالبون بتقسيم الغنيمة من أموال العرب . لكنهم صدموا بموقف سياف ، الذي رفض بإصرار. وقدم حججا متينة ، تناقض الإتفاق المكتوب وتنقلب عليه .

فقد إحتج سياف بأن الأموال قد جمعت بإسم الإتحاد ، وعليهم أن يتحدوا إتحادا حقيقيا ـ بالطبع

تحت إمرته ـ حتى يمكنه إنفاق هذه الأموال عليهم .
فهم القادة وهم المتمرسون بمثل هذه القضايا، بأن الرجل قد خدعهم ، واستغل قوة مركزه الجديد كزعيم للإتحاد كي يضعف مراكزهم ويستولي على الأموال .
إستعرت الحرب السياسية في بيشاور بين القادة الستة وسياف الضيف الجديد على الساحة الذي تحول ـ في لعبة واحدة بارعة ـ إلى السيد الأول لهذه الساحة .
بدأ سياف في تدعيم موقفه وإضعاف موقف خصومه ـ القادة الستة ـ وأخذ يكون تنظيمه مستفيدا من قوته المالية العملاقة وقوة الشرعية التي إكتسبها من إسم الإتحاد . وظلت تلك هي لعبته المفضلة والرابحة حتى نهاية الجهاد .
بالمال والشرعية بنى سياف تنظيما بيشاوريا ضخما . إشترى علماء وكون منهم مجلس شورى، واشترى ضباطا سابقين،وقادة داخل الجبهات من الساعين إلى أعلى العروض المالية في بيشاور وتلك تجارة بدأت تزدهر منذ ذلك الوقت، ظاهرة القادة الميدانيين الهابطين من الجبال إلى بيشاور بحثا عن فرص الربح السريع لصاحب أعلى سعر من الأموال والأسلحة.
والعلماء الغيورون الساعين إلى الإتحاد الحقيقي إجتذبوا كالفراشات الحائرة إلى (إتحاد) سياف الذي حولهم بمهارة إلى موظفين مخلصين، بعد أن أغرقهم في رغد العيش من مسكن وكماليات ومنح دراسية للأولاد .
عدد من القادة البارزين والمشهورين إستدعاهم كي يقفوا إلى جانبه لبناء الإتحاد الذي طالما طمحوا إليه . فهرعوا إليه بإخلاص وبالتدريج تحولوا إلى هياكل خشبية يعرضها على الزوار متاجرا بتاريخهم الجهادي وعلمهم الديني .
وهكذا بدأت وتيرة الإنحدار تتزايد مع بداية الإتحاد الجديد كما لم يسبق أن حدث مع الإتحادات السابقة التي لم يكد يسمع بها أحد في العالم الخارجي . لقد كان الظرف السياسي مساعدا على سطوع نجم سياف ، ومساعدا أيضا على زيادة وتيرة الإنحراف والإنحدار الذي بدأها.
ولم تكد تمضي أشهر قليلة حتى وقعت الطامة الكبرى على (الجهاد الأفغاني) حين قررت أمريكا تحت قيادة رئيسها الجديد رونالد ريجان أن تتبنى سياسة التدخل في الحرب الأفغانية وتحولها إلى حرب بالوكالة طبقا لتقاليد الحرب الباردة السائدة آنذاك .
وقتها تحولت قضية أفغانستان إلى قضية دولية من الطراز الأول وأخذ الطابع الإسلامي يذوي والدم الإسلامي يزداد نزيفا . أما القيادات الأفغانية ـ أصولية ومعتدلة ـ فلم تكن سوى أحجار على رقعة الشطرنج ـ وما زالت كذلك حتى الآن.
لم أستطع الذهاب إلى أفغانستان في عام 1980 بسبب كارثة مالية حلت بي ، إثر محاولة فاشلة في مجال العمل الحر تفاديا لأسر الوظيفة. وإنتهت المحاولة بالوقوع في أسر الديون فترة من الزمن.
في عام 1980 سافر المنياوي منفردا وشارك في عملية صغيرة في جلال آباد. ورغم عزوفه عن السياسة وشكوكه وكراهيته لها ولرجالها، إلا أنه أحرز إنجازا سياسيا تاريخيا ، بإخراج القضية الأفغانية إلي مجال الإهتمام الشعبي الإسلامي ، على عكس ما كان يهدف إليه مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية في إسلام آباد الذي أرادها حائط مبكى إسلامي جديد يضاف إلي الحائط الفلسطيني وعشرات غيره .
كانت مبادرة المنياوي مجازفة جنونية ، إنتهت بخير ، وجاءت أفغانستان إلي العرب في بلادهم .
****

عام 1981م:

قتال ضد السوفييت .. وآخر ضد المنظمات

 تحركت في مايو عام 1981 وفي ذهني المرور على نفس المناطق التي زرناها في عامنا الأول داخل أفغانستان، كي ألحظ الفرق بعد أن وقعت الكارثة العظمى بدخول السوفييت وتدخل الجيش الأحمر ضد قوات المجاهدين البدائية . كانت تصلنا رسائل مطمئنة ووفود من طرف المجاهدين . كانت الإتصالات، نسبيا طيبة ومتصلة، خاصة من طرف هؤلاء الذين تعرفنا عليهم في رحلتنا الأولى، ومن طرف سياف الذي كنا نعتبر أنفسنا من أفضل أصدقائه . وقد شجعنا هو على هذا التصور. وكانت رسائله ومندوبيه في حركة دائبة بين بيشاور والخليج .
وساعد على قوة الإتصال أن مندوبي مولوي يونس خالص وهم أول من إلتقينا بهم وتوطدت صلاتنا معهم ، كانوا تحت إمرة(الإتحاد) الجديد وتحولوا إلى تبعية سياف وذلك بأمر من خالص نفسه ، وهو أمر ندم عليه كما سنرى الآن .
من حسن الحظ أنني وجدت بين أوراقي القديمة ثلاث رسائل كنت كتبتها أثناء تلك الرحلة إلي أصدقائي في أبو ظبي ، ومن حسن الحظ أيضا أنهم لم يستلموها لأسباب فنية. وعند عودتي وجدت الرسائل في إنتظاري فاحتفظت بها من وقتها إلى الآن .
سوف نورد نص الرسائل الثلاث أولا ثم نتناول بالتعليق أو التوضيح بعض ما جاء فيها. وقد نربط بعض محتوياتها بما سبق أو لحق من أحداث. وكما ذكرنا سابقا فإن تلك الرسائل توضح جانبا صغيرا وثانويا من التيار العربي الذي رافق القضية الأفغانية . والأدق أن نقول بأن جماعتنا الصغيرة كانت تيارا ثانوياً للغاية يسير عكس شلال هادر من التحرك العربي والدولي.
لهذا كان تأثيرنا أشد تواضعا والأفكار التي أثرناها ، معظمها ظل معزولا أو متهما أو منبوذا وقليل منها تبناها التيار العربي الهادر، وطبقها بما لم يخطر ببالنا من تحريف . وسوف يأتي ذكر أمثلة على ذلك في مواضع قادمة.
والرسائل التالية موجهة إلى صديقنا إسماعيل الذي بدأت قبضته تتراخى عن القضية الأفغانية منذ عام 1981م حتى قطع علاقته بها عمليا في العام التالي .وكما ذكرت فقد كان الأكثر واقعية سياسية، ولكنني الآن بعد إنتهاء التجربة كلها وظهور كل نتائجها ـ تقريبا ـ أقول أن موقف صديقنا كان به القليل من الصواب والكثير من الخطأ .

****

الرسالة الأولى:

بسم ا الرحمن الرحيم

الأخ إسماعيل تحية طيبة وبعد
أرجو أن تكون وجميع الإخوة في أحسن حال. أكتب لك اليوم صباح الثلاثاء 2 / 6 / 1981م ومن المفروض أن أغادر بيشاور إلى ميرانشاه بعد الظهر .
أمضيت الأيام الثلاثة الماضية في المرور على مدارس أبناء المهاجرين وعلى بعض المعسكرات وإلتقطت بعض الصور وسأحاول الحصول على بعض البيانات عن عدد المدارس والطلاب. أحوال التلاميذ سيئة وغاية في القسوة . وقد أوضحت للشيخ سياف وكل من قابلته من الأحزاب الإسلامية أن التعليم لا بد أن ينتقل من يد الأحزاب إلى يد مؤسسة إسلامية للتعليم تكون لها ميزانية ثابتة تساهم فيها الأحزاب .والسبب طبعا لأن التنافس السياسي بين هذه الأحزاب تدفع ثمنه المدارس

والأطفال (1) . وكثير من الدول ترفض المساهمة في عملية التعليم إلا بعد الإتحاد .
عملية الخلافات السياسية بين المنظمات مستمرة و متزايدة..وشيء مؤسف حقيقة .
غاب الدين لن يدخل أي اتحاد مهما كان الأمر (هذا هو الظاهر حتى الآن) ، برهان الدين يرفض الإتحاد مع غاب الدين، مجددي وجيلاني يلعبان لحساب أمريكا على المكشوف وإستطاعا السيطرة على الشيخ محمد نبي محمدي .
وهذا أدى إلى إنقسام في حزب محمدي كاد يؤدي إإلى صدام يوم الجمعة الماضي لولا أن ا سلم (2) .
محور مجددي ـ جيلاني ورطا الشيخ يونس خالص في بعض المواقف أساءت إلى علاقات حزبه مع أحزاب غاب الدين وبرهان الدين وأصبح الشك قائما بينهم (3) . والعلاقات متوترة بين سياف ومحمد يونس خالص بسبب موافقة الشيخ يونس على بيان أعده الثلاثة مجددي ، جيلاني ، محمدي ، يعلنون فيه خلع سياف وإلغاء الإتحاد وتوجيه إتهام لسياف بأنه لم يقسم أموال الإتحاد بينهم .
سياف يحارب معركة شرسة لتكوين كيان إتحادي بأي شكل سواء بإتحاد مع غاب الدين و برهان الدين، وقد فشل في هذا حتى الآن نتيجة رفض الإثنين لمبدأ الإتحاد بين حزبيهما رغم موافقة أعضاء مجلس الشورى في الحزبين على الإتحاد بالأغلبية ولكن الزعيمين ضربا بالشورى عرض الحائط . الحل الآخر أمام سياف هو تكوين تجمع من أعضاء الأحزاب من رجال الصف الثاني (وهم أغلبية الأحزاب) لتكوين إتحاد من خاف ظهر الرؤساء وهو يتوقع الحصول على أغلب أعضاء أحزاب برهان الدين ـ غاب الدين ـ محمد نبي .
وأظن أن إعتقاده هذا صحيح ولكن هذه الخطوة ستحدث إرتباكا كبيرا في الصفوف ويخشى من حدوث صدامات (4) .
أصدرت جماعة من العلماء بيانا قويا تهدد فيه رؤساء الأحزاب بالإتحاد فورا وإلا أصدرت بيانا بتكفيرهم إذا لم يتحدوا. وجاء في هذا البيان ـ وهو بيان جيد جدا ويرسم خطوطا واقعية وقوية لإعادة تشكيل البنيان الإتحادي ـ جاء في البيان 103 مادة تحدد الخطوات اللازمة لتشكيل الإتحاد وتشكيل مجلس الشورى والشروط الضروري توافرها في أعضاء الإتحاد (5).
ـ من ضمن شروط العلماء أن المنضم لهذا الإتحاد لا بد أن يكون معروفا بجهاده الإسلامي لا القومي وعدم تورطه مع العهد الملكي لظاهر شاه. وهذه الشروط ستؤدي إلى إسبتعاد جيلاني، مجددي ، محمد نبي .
ـ من شروط العلماء أن يرشح كل حزب 20 عضوا للمجلس الشوري ليختار العلماء منهم عشرة فقط للمجلس المذكور . الحزب الذي لن يتوفر لديه عشرة أعضاء تتوفر فيهم الصفات المطلوبة سيكون عدد أعضائه أقل من عشرة ـ حسب العدد الذي توفرت فيه الشروط .
ـ مجلس الشورى سيدير أمور الإتحاد بشكل جماعي حتى يتم إنتخاب رئيس دائم بعد دمج اللجان الإتحادية للدفاع والإعلام ... الخ .
ـ الشورى رأيها إلزامي على الرئيس .
ـ سيكون العلماء مجلس إفتاء مكون من ثلاثة أعضاء .
ـ أعضاء مجلس الشورى لا بد أن يمارسوا القتال في الجبهات لفترات معنية كل عام .
طبعا أنا سأغادر بيشاور قبل أن تنجلي المعركة الحالية وفي ظني أنها ستكون حاسمة على

المجال السياسي فإما أن يعقبها إتحاد حقيقي أو تفتت وخيم العواقب .
أرسل الإخوان المسلمون في مصر مندوبا للمساعدة في عملية المصالحة بين الأحزاب وهو السيد كمال السنانيري ولكن جهوده لم تسفر عن شيء للأسف حتى الآن (6) .
جميع من قابلتهم أجمعوا أن الموقف العسكري ممتاز وأن المجاهدين أفضل تنظيما وفعالية في الداخل وأن موقفهم أفضل هذا العام من الأعوام السابقة .
وجميع الشواهد التي رأيتها تؤكد أن هذا الكلام صحيح (7) .
الشيخ جلال الدين حقاني في موقع قريب من جرديز عاصمة باكتيا ، وقد إستطاع أن يضع على قمم الجبال المحيطة بها أسلحة ثقيلة في وضع يمكنه من تدمير أي موقع عسكري في جرديز أو ما حولها إلى مسافة 20 كم تقريبا ... ولكن مشكلته أن الذخيرة غير متوفرة لهذه الأسلحة .
الشيخ مطيع ا ترك بيشاور قبل قدومي بعشرة أيام وعاد إلى موقع الأورجون وسوف أزوره إن شاء ا .
خط سيري من اليوم هو ميرانشاه ـ جرديز ـ أورجون . سوف أكتب لكم من ميرانشاه إذا كان هناك ما يستحق، ثم أكتب لكم من عند الشيخ جلال الدين بإذن ا .
أخبر الأخ بشير أنني أرسلت شيك لصديقه في بيشاور وأوصلت الخطاب للأخ نجيب في الجمعية الإسلامية (8) وهو يهديه السلام أما الأخ الأطرش فلا يوجد أحد بهذا الإسم ويبدو أنه أخطأ.
أحمد المنياوي أعطاني عنوانا خطأ ولما كنت قد وصلت بيشاور في الواحدة صباحا في تاكسي خصوصي من مطار روالبندي وأخذنا نبحث عن عنوان المنياوي لأكثر من ساعة ونصف وقد كلفني هذا الخطأ 700 روبية للتاكسي !! أرجو أن يجهزها المنياوي مضافا إليها ألف روبية أتعاب ...
كل من هنا يسلمون عليكم كثيرا جدا ...
ضمانا لعدم الضياع على كل شخص يأتي إلى بيشاور لأول مرة خاصة إذا وصل في الليل مثلي دعه يأخذ التاكسي إلى منطقة (صدر) وهي منطقة السوق ويذهب إلى فندق سكاي لاب (ت 74121) ومدير الفندق هو (محمد عمر) صديق جماعة مولانا يونس خالص سيعمل اللازم لتوصيله .
مرسل لك في خطاب آخر وربما مع هذا الخطاب مقالة بالإنجليزية لأخ صحفي باكستاني وهو مسلم مناصر للمجاهدين وعلى علاقة وطيدة بهم جميعا وله وكالة أنباء خاصة بالمجاهدين وله عدة مراسلين من صفوف المجاهدين ومن سكان المدن ، أرجو أن تأخذ مقالته وتقدمها لسمير.
إذا أمكن أن يعقدوا معه إتفاقا مع أي صحيفة إنجليزية في الإمارات ليراسلها بالصور والأخبار عن الجهاد في أفغانستان .
بالمناسبة الأخ الصحفي يجهز لكتاب كالذي كنا نتحدث عنه وهوطبعا عنده المادة متوفرة أكثر لأنه يعيش في وسط الأحداث أرجو أن تكتب إليه فهو يرغب في التعرف عليكم .
أخيرا بلغ تحياتي للإخوة جميعا بشير وجمال ومحمد بدوي وأحمد أبو لبن والمنياوي وأبو عاصم وعبد الرحمن .
رجاء مداومة الكتابة على عنوان الجماعة في بيشاور وأطيب تمنياتي لكم .

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته

ملحوظة : سمعت أن مولانا خالص سيصل في الرابعة مساءا سأنتظر حتى أراه ومازلت المشادات مستمرة حول بيان العلماء كل طرف يحاول تعديله لصالحه سأذهب الآن لمقابلة الأستاذ السنانيري.
رجاء كتابة رقم صندوق بريدك فقد إكتشفت أنني لم أكتبه عندي.
جاء مولانا خالص وإتفق معي على مقابلة السنانيري ووعد بالسفر معي إلي باكتيا .

****

الرسالة الثانية

بسم ا الرحمن الرحيم

الأخ إسماعيل ، الإخوة الأعزاء ، سلام ا عليكم ورحمته وبركاته
أكتب لكم هذا الخطاب من مركز مولانا جلال الدين حقاني وقد سألني عنكم فردا فردا ويرسل لكم سلامه أيضا فردا فردا. وفي الحقيقة أن هناك عالمين مختلفين ، عالم السياسة والأحزاب في بيشاور وعالم المجاهدين داخل أفغانستان .
أوضاع المجاهدين هنا أفضل كثيرا مما يمكن أن يتصوره أي إنسان لم يحضر ويشاهد بنفسه. أنا نفسي لم أكن أتصور ما كنت أراه والحمد والفضل وحده فهذا جزاء الصابرين. ولكنني أظن ويشاركني الرأي الشيخ جلال الدين حقاني والشيخ سياف والشيخ يونس خالص وكثيرين ممن قابلتهم أن النصر لن يتم إلا إذا تحقق الإتحاد بين المسلمين ، فالخلاف والتنازع على الرئاسة و الزعامة مخالفة لأمر ا بالوحدة ونبذ الخلاف، والنصر لا يعطيه ا لعاص .
في الداخل والحمد وفرة في السلاح وفي الرجال ورغم الهجرة والمهاجرين فإن الأراضي كلها مزروعة وإنتاجها عال وجيد والماشية كثيرة وجيدة وشاءت قدرة ا أن تنعم على هؤلاء الناس بفيض من النعم بعكس ما سعت إليه قوات الروس من ترويع الأهالي وتدمير القرى حتى يمتنع الطعام والملبس عن المجاهدين.والذي يحدث الآن هو العكس فالخير الذي رأيته في الحقول هذا العام أفضل بكثير جدا مما رأيته في المرة السابقة . وقد أخبرني الشيخ جلال الدين أن أسعار المواد الغذائية داخل أفغانستان أرخص منها في باكستان .
وعسكريا فإن جيش الحكومة يهرب بأسلحته كثيرا ويقاتل قليلا تحت ضغط الروس.نشاط الطيران أضعف كثيرا جدا من المرة السابقة . في أول يوم لدخولنا الحدود قرب خوست وقريبا من أحد مراكز المجاهدين جاءت الطائرات على إرتفاع شاهق لدرجة أنني لم أرها وبعد أن دارت حول المنطقة لدقيقتين رمت القنابل وذهبت . طبعا هذا يدل على خوف الطيارين من المقاومة الأرضية . الذي أدهشني أكثر أنه خلال اليومين التاليين كانت الناس تتساءل في الطرق الجبلية عن أخبار غارة الطيران وكأنها حدث غير عادي . وعلمت أنها الغارة الأولى منذ عدة شهور من الإنقطاع .
والحمد لم تحدث خسائر . بل العكس ، أهالي القرى حول خوست يحصدون القمح الوافر ويعيشون حياة عادية كأي قرية آمنة موفورة الرزق . وعجبت أن أحد صبيان في سن السابعة وفتيات في التاسعة أو العاشرة يرعون الأغنام والإبل في سفوح الجبال منفردين . أدهشني هذا الأمن في ظل الحرب القائمة وقارنت هذا بحالنا في أبو ظبي مثلا حيث لا يأمن الرجل منا على

ترك إبنه أو بنته على باب البيت منفردا ...
الإخوة الأعزاء ... بيشاور بما فيها من أحزاب وصمة عار في جبين المسلمين ... وإهدار لطاقات المجاهدين ... وتأخير ليوم النصر الذي لاحت بوادره وتأخره معصية العصاة في بيشاور . هناك السياسة كأسوأ ما تكون وحزبية متعصبة كالتي تفشت للأسف في عالمنا الإسلامي .
زعامات أغرتها الرئاسة والجاه والصور المعلقة علي الجدران والتصريحات الرنانة، وحولها مجموعة من المنتفعين ومجالس شورى لا يؤخذ برأيها، يستبدلها الزعيم إذا ضاق بها ذرعا ويطرد من يخالفه الرأي مذموما مدحورا ويقرب المنافقين . وإذا إشتدت الضغوط لإقامة الوحدة إجتمعوا ليقيموا وحدة تمتص السخط عليهم ثم يكونوا هم أول هادم لها .
وصدق الشيخ جلال الدين إذ وصف بيشاور بأنها موطن الفتن. وألخص لكم الوضع السياسي في بيشاور بالآتي :
1 ـ مشروع إتحاد بين غاب الدين وبرهان الدين وافق عليه مجلس الشورى .
الزعيمان الكبيران رفضا حضور إجتماعات مجلس الشورى بحجة المرض والإنشغال بمقابلات هامة !! .
وكان الشيخ سياف ومازال هو المحرك لهذا المشروع .
2 ـ الشيخ سياف يسعى لإقامة وحدة بين الحزبين المذكورين ومع المنشقين من الأحزاب الأخرى بحيث يتوفر للإتحاد تمثيل أغلبية المجاهدين ثم ينقل كافة نشاطه إلى داخل أفغانستان وأظن أنه يرشح نفسه رئيسا للإتحاد الجديد .
3 ـ جماعة محمد نبي محمدي إنقسمت على نفسها بعد إنسياق الشيخ محمدي وراء جماعة الخيانة العلنية (مجددي ـ جيلاني). وأعلن مساعده مولانا نصر ا منصور ومعه أغلبية مطلقة من مجلس الشورى خلع محمدي . فأرسل محمدي قوات من أصدقائه (مجددي ـ جيلاني) لتستولي على المكاتب وتمنع المنشقين من دخولها.المهم جماعة نصر ا في يدها القوة الحقيقية للحزب وأصبح محمدي معلقا في الهواء. وبهذا أصبح حلف الخيانة لا وزن له ماديا بعد أن أصبح محمدي وحيدا. وفشلت محاولات (مجددي ـ جيلاني) في إستدراج مولانا يونس خالص إلى شرك التعاون معهم رغم إطلاقهم شائعات ومنشورات تؤكد هذا التعاون . ولكن هذا حقيقةً غير صحيح، وكذبه الشيخ خالص بنفسه .
4 ـ جماعة مولانا خالص ترغب بإخلاص في الإتحاد الإندماجي الكامل في أسرع وقت وأجل الشيخ ذهابه إلى الجهاد وقال لمندوب جماعة الإخوان المسلمين : إن تحقيق الوحدة الآن مقدم على ذهابي إلي الجهاد وإن جهادنا لا فائدة فيه بلا توحيد كلمة المسلمين.
وأعرب عن أسفه بأن كل محاولات الإتحاد التي تجري حاليا غير جادة ولكنه سيمكث في بيشاور ليبذل جهده في هذا المجال.
5 ـ سياف يعمل كحزب مستقل منذ إعلان الإتحاد ، فقد بقيت الأحزاب غير متحدة (باستثناء مولانا خالص) وظل سياف يعمل منفردا كحزب . وقد رفض سياف توزيع الأموال علي الأحزاب حتى تتحد ولكن هذا الإجراء لم يجدِ ولكنه أضر بجماعة يونس خالص التي لم يعد لها جهاز مالي بعد أن أدمجه في الإتحاد، وقد سبب هذا ضررا شديدا للحزب وأوقع مجاهديه في ضائقة شديدة، وما زال مولانا خالص يحمل مرارة في نفسه تجاه سياف بهذا السبب . فالمندمج

الوحيد أصيب بالشر نتيجة لاستقامته !! .
6 ـ حزب الخيانة الصريحة (مجددي ـ جيلاني) يعمل بنشاط وجد في إغراق الأحزاب الإسلامية في الخلاف وقد نجحوا في هذا إلى حد كبير، وتعاونهم أمريكا ، مصر ، باكستان لأجل الإنحراف بمسار الجهاد حتى لا يؤتي نتائجه بإقامة دولة إسلامية . فالروس في مأزق حقيقي وموقف غاية السوء حتى عسكريا ـ بفضل ا ـ ولكن السؤال هو ما البديل ؟ ومن يحكم أفغانستان ؟ (10) .
7 ـ حزب الخيانة ضعيف جدا ماديا، وإن كانوا أغنياء إلا أنهم غير مقاتلين .
والخلافات القائمة بين باقي الأحزاب رغم سوئها إلا أنها أدت إلى إرتفاع كبير في الوعي السياسي الإسلامي لدى عامة الشعب الأفغاني وهذا شيء جيد جدا فترى شخصا غير متعلم يناقشك في أمور السياسة والجهاد وأحوال (الممالك العربية) والدول غير الإسلامية كل ذلك بآراء سليمة و واضحة ربما لا تتوفر لدى كثير من المثقفين المسلمين في بلاد العرب .
وهذا إن شاء ا دليل بأن هذا الشعب المسلم لن ينخدع بالسير وراء الأفاقين وأنه سوف يجتاز محنة الفرقة ويخلصه ا من سوء زعمائه الفاسدين الذين يقفون عقبة في وجه الإتحاد .
فالتناقض واضح ومفجع بين رغبة المجاهدين وعامة الشعب في الوحدة وبين عرقلة الزعماء لها إنها علامة إستفهام كبرى ومأساة في العمل الإسلامي . نسأل ا سبحانه وتعالى أن يزيح هذه الغمة ويوحد راية المسلمين وينصرهم على أعدائه وأعداء الدين . (11)
الإخوة الأعزاء رجاء أن تقرأوا هذا الكلام جيدا وأن تكتبوا لي عن رأيكم وهل يمكن أن نقوم بأي دور في هذا المجال ؟ ... علما بأن الإخوان المسلمين يواصلون جهودا متصلة منذ شهور ولكن بلا فائدة . وسوف تصل منهم وفود على مستوى عال قريبا ولكن المشكلة في هذه الوساطات أنها طارئة تستمر أسبوعا أو شهرا ينقضي في تسويف ومماطلة ثم يذهب الوفد وتبقى المشكلة.
وقد طالب واحد من حزب مولانا يونس خالص طالب مندوب الإخوان أن تأتي اللجنة لتقيم في بيشاور مع عائلاتها وتشارك في المفاوضات كعضو أساسي حتى تنفرج الأزمة ولكن رد مندوب الإخوان لم يكن شافيا . (12)
أظن أن الأمر أخطر من أن نقف منه موقف المتفرج فدماء عشرات الألوف من الشهداء معلقة في أعناق كل منا وليحاسب كل منا نفسه قبل أن يحاسبه ا . وفقنا ا وإياكم
والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته .
باكتيا في 10 / 6 / 1981م .
أخوكم مصطفى
****

الرسالة الثالثة:

بسم ا الرحمن الرحيم

الأخ إسماعيل ، الإخوة الأعزاء

سلام ا عليكم ورحمته وبركاته .

أرجو من ا العلي القدير أن تكونوا في خير حال وأن يوفقنا ا وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

الإخوة الكرام ... لدي الكثير جدا أريد أن أقوله لكم ... وعندما تتزاحم الأفكار في رأسي بهذا الشكل فإني أفقد القدرة على الكتابة . ولكني سأحاول التركيز سائلا ا التوفيق.

1 ـ صورة الجهاد هنا ليست بالبساطة التي كنا نتخيلها فالمعركة شرسة والمخلصون قلة قليلة و المنافقون والخونة كثرة غالبة ورغم هذا وتبارك ربي القادر العزيز الجبار ، فإن القلة الضعيفة المخلصة تضع العدو الجبار ذو العدد الضخم والعتاد الذي تشيب له الولدان ، تضع هذا العدو في حصار خانق . وتبارك ا الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرها في كتابه حيث قال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن ا).

وا سبحانه يضرب لنا المثل مرة أخري ، ومن أراد أن يعبد ا عن بينة فليأت هنا ليرى بعينه أن قول ا لا يبدل . (13)

2 ـ قيادات العمل الإسلامي هنا ليست فوق الشبهات وهي مسؤولة أمام ا عن عدة جرائم هي.

أ ـ تفريق كلمة المسلمين وزرع البغضاء بينهم .

ب ـ التنافس علي الدنيا وزخارفها من زعامة ورئاسة ومال .

جـ ـ ارتكاب معصية التفرقة والتنازع مخالفين أوامر ا في كتابه العزيز لهذا سيتأخر الفتح أو قد يمتنع إذا استمرت تلك المعصية الكبرى .

في جرديز لا تطلق طلقة إلا من جانب جماعة الشيخ جلال الدين حقاني وباقي الجماعات تتفرج رغم أن بعضها يمتلك أسلحة ثقيلة مع ذخائرها بأعداد كبيرة .(14)

وعلى سبيل المثال. كادت أن تنفذ ذخيرة أحد المدافع الهامة فجاءت جماعة غلب الدين تعرض (بيع) ما لديها من ذخائرها وعددها 2000 قذيفة بسعر 4000 أفغاني لكل قذيفة(15) .

طبعا الشيخ جلال الدين مستعد أن يبيع أولاده للحصول على الذخيرة .

مثال آخر حول جرديز جماعة لغلب الدين وجماعة إنقلاب إسلامي ـ لجيلاني ـ والجميع صامتون كالموتى رغم المعارك اليومية التي تخوضها جماعتنا هنا .

مثال آخر تواترت الأنباء من مصادر غير حزبية (متطوعين) أن جماعة غلب الدين أوقفت القتال في معظم المقاطعات منذ عدة أشهر . وأنها إرتكبت عدة جرائم إغتيال ضد مجاهدين بارزين رفضوا الإنضمام إليها .

وللعلم فإن غلب الدين يحصل على تأييد مادي ومعنوي من جهتين رئيسيتين هما: إيران ـ جماعة الإخوان المسلمين(16) .

ولا أدري إذا كانت الصورة الحقيقية لهذا الرجل قد إتضحت للإخوان هذه الأيام أم لا ... فهم الآن قريبون من الصورة أكثر من أي وقت مضى .

إذا كنتم مازلتم تتذكرون فكرة المعسكر الإسلامي الذي إقترحناه منذ سنتين أو ثلاثة ثم تقاعسنا عنه فإنه الآن قائم وفعال لدرجة عجيبة رغم قلة عدد الأعضاء وليس بينهم عربي غير العبد . والجماعة يتدربون على أحدث الأسلحة وشجعان إلى درجة كبيرة .

وللعلم ، أحد قادة حرب جرديز البارزين جدا ضابط مسلم متطوع على درجة عظيمة من الخبرة و

الكفاءة .. ولكنه غير عربي أيضا . فأين أنتم الآن ؟(17)
أمس الجمعة وقعنا في كمين نصبه لنا العدو في الطريق وإستعمل فيه كل أنواع المدفعية وبعض الطائرات الهيلوكبتر ولكننا بفضل ا تخلصنا منه ولم يصب منا أحد.
إخوتي الأعزاء يعلم ا أني في شوق لكم وأدعو لكم في السراء وحين البأس . أسألكم الدعاء ...
وإكتبوا لي بما يجب أن أفعل وسلام ا عليكم ورحمته وبركاته .
أخوكم مصطفى.

والآن إلى تعليقات على تلك الرسائل:

(1) أحوال المدارس كما رأيتها في ذلك الوقت كانت في غاية السوء حتى أنه من الصعب أن نطلق عليها لفظ مدارس ، حيث لا مبنى ولا كتب ولا أي شيء سوى عزيمة شعب يرفض الهزيمة ويصر على الحياة . وهذه أعظم ميزات هذا الشعب . كانت المدرسة تقام تحت شجرة كبيرة في الهواء الطلق أو داخل فناء مبني سكني ، أو داخل إطار سور مهدم لمبنى قديم . والعجيب هو معنويات المدرسين والأطفال . لم ألحظ وقتها إنكسارا في النفوس أو يأسا مطبقا ، بل رأيت حيوية وأملا وكلمة الإسلام والجهاد علي لسان الصغار والكبار . إن من أعجب الظواهر في أفغانستان هي الكيفية التي يحافظ بها ذلك الشعب على روحه المعنوية ، وتعلقه الفطرى العنيف بالإسلام ، مهما كانت درجة جهله بهذا الدين بل والمخالفات التي يرتكبها ضد تعاليمه . كانت معنويات أطفال المهاجرين وآبائهم مفاجأة لي في ذلك الوقت إلى أن شاهدت بعد ذلك معنويات أولئك المصابين في الجبهات بجروح قاتلة ، أو أولئك الذي يدفنون أبناء وآباء وإخوة ... كانت مفاجأة أشد وأيقنت وقتها أن هذا الشعب غير قابل للهزيمة خاصة إذا إمتزجت تلك الصلابة مع مشاعر الدين .
كانت الإنقسامات الحزبية عائقا أمام تقديم الخدمات التعليمية والطبية للمهاجرين . وفي الحقيقة فقد كان من المستحيل الإعتماد على الأفغان أنفسهم في إدارة أي عمل ، وذلك لأسباب كثيرة منها عدم التأهيل الفني ، والأخطر من ذلك روح القبلية ثم روح الحزبية التي تجعل ولاء أصحاب الوظائف العامة موجهة فقط لخدمة قبائلهم أو أحزابهم .
وبالنسبة للتعليم فقد أهملته الإغاثة العربية حتى بدأت في بحثه بشيء من الجدية عام 1985م منظمة (إسرا) التي أخذت زمام المبادرة في هذا الميدان وتبعتها باقي المنظمات . ولكن الهيئات الصليبية كانت مصممة على الإنفراد بالعمل التعليمي وإبعاد المؤسسات الإسلامية عنه .
وقد نجحت في ذلك إلى درجة كبيرة وهدفها بالطبع إبعاد التعليم الأفغاني عن الدين. وسبيلها إلي ذلك (علمنة المناهج) وعلمنة المدرسين وسيتبع ذلك تلقائيا علمنة الخريجين .
....

(2) أقدم مولوي نصر ا منصور على إعلان عزل مولوي محمدي وذلك بتأييد معظم العلماء في الحزب وموافقة أكثر أعضاء الشورى. ولكن مجموعة المعتدلين وحفاؤها الدوليون لم يسمحوا بمثل تلك الإنقلابات ولو كانت شرعية من خلال مجالس الشورى. وأظهرت تجربة الأحزاب الأفغانية أن المفاهيم عن الشورى هي مفاهيم تسلب الشورى جوهرها وتكرس إستبداد القيادة . وقد رأينا كيف تفننت القيادات الأفغانية في تفريغ الشورى من محتواها وتحويل مجالس الشورى إلى مجالس للعرائس الخشبية.
ورغم إحتواء هذه المجالس على عدد من أفضل العناصر الدينية والجهادية ، إلا أن الزعامات أتقنت لعبة (الإئتلاف) واستخدمت الأموال كما تستخدمها أي سلطة طاغوتية، في تخريب الذمم وتحويل

الشجعان إلى منافقين، والعلماء إلى طبالين وزمارين.
وفي الحقيقة فإن (القتل) هو العنصر الموازي للمال ، فمن إستعصى على الأول تكفل به الثاني. ولما كان القتل ليس سهلا دائما فإن القتل المعنوي كان دائما موجودا. وفي ساحة الأحزاب الأفغانية إذا حاولت السؤال عن أحد العلماء المجاهدين سمعت عنه ما يدمر سمعته ويطعن في دينه وجهاده ، وشرفه ويصوره بأنه العدو اللدود والعقبة الكأداء في طريق الجهاد والمجاهدين .
ونجحت تلك السياسة أيما نجاح. وكأي ساحة إسلامية ولكن بدرجة أشد ساد إختلاط الأحكام و المفاهيم وسادت أجواء خادعة ،يصدق فيها الكذوب، ويكذب الصادق ويؤتمن الخائن ويخون الأمين ، فتقاص الخير تدريجيا حتى يرتع الشر والفساد في أوسع مجال من الساحة الأفغانية. ولكن رغما عن كل شيء بقي شيء من الخير ، فالخير في أمة الإسلام إلي يوم القيامة .

....

(3) بدأ يونس خالص منذ ذلك التاريخ يعاني صحيا ـ بسبب السن ـ وبسبب إصابة في ركبته أعجزته عن العمل الميداني . وكان الرجل غير مقتنع بالمعسكرين المتواجدين على الساحة الحزبية في بيشاور: معسكر الأصوليين (سياف ـ حكمتيار ـ برهان) ومعسكر المعتدلين (مجددي ـ جيلاني ـ محمدي) .
كان لا يرى الإخلاص في أي من المعسكرين بل يرى أنهما على نفس الدرجة من الخطورة .
وعجز "خالص" لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية عن تكوين البديل . لهذا أخذت مواقفه تتذبذب بين المعسكرين بحثا عن سبيل وسط . ولكنه أيضا لم يستطع بل تورط في عدة مواقف سياسية يصعب تبريرها أو الدفاع عنها . وظل حتى نهاية الحرب في مكان ضائع بين معسكرالأصوليين ومعسكر المعتدلين ، وإن كانت مواقفه في أغلبها تجعله أقرب إلى المعسكر الأول .

....

(4) لقد نفذ سياف خطته وكون تنظيمه مستفيدا من قوته المالية التي فاقت بمراحل قوة باقي زعماء المنظمات ، ناهيك عن غلالة الشرعية المتمثلة في لفظ (الإتحاد) . وقد أدى ذلك إلي صدامات عديدة في الداخل، إشتهر منها في الخارج ما حدث في منطقة ميدان القريبة من كابل عام 1984م بين تنظيمي سياف وغلب الدين . والأخير كان يتبع سياسة حازمة تجاه من ينشق عليه تتمثل في عمليات إغتيال تم تنفيذ كثير منها على أرض باكستان ، خاصة بيشاور،وعدد منها داخل أفغانستان ، إضافة إلى حروب صغيرة أو كبيرة في الداخل خاصة ضد تنظيم (رباني) .
وكان أطرف ما قاله أحد الشباب من أتباع حكمتيار تبريرا لتلك السياسة هو قوله:
"إن تنظيمنا هو الأصل والأساسي ، ومن شذ شذ في النار" . وعلي هذا الأساس التنظيري فإن حكمتيار وتنظيمه قد عجلا بإرسال المئات من الأفغان ـ المجاهدين ـ إلى النار عقابا على (شذوذهم) . ونشير بهذه المناسبة إلى ضرورة قيادة علماء متمكنين لحركة الجهاد ـ أو على أقل تقدير ـ توليهم منصب الفتوى الشرعية، حتى لا تتحول الحركة الجهادية إلى سيف مسلط على رقاب المسلمين قبل غيرهم ، ووبالا عليهم لا على أعدائهم .
والوعي الشرعي والسياسي ضروريان للحركات الجهادية على مستويات القيادة والأفراد حتى تحصن نفسها ضد الإنحراف. ونشير هنا إلى حركة (الخلافة) التي ظهرت في بيشاورعام 1993م في بدايات إنهيار التواجد العربي الجهادي هناك . وقد إستقطبت الحركة العديد من هؤلاء الشباب إضافة إلى (دماء جديدة) وصلت من أوروبا ، ورغم البصمات الإستخباراتية على صفحات تلك الحركة والقائمين عليها ، إلا أنها وجدت من يبايع على الموت . وكان من أهم قرارات الخلافة ـ

وهي كثيرة ـ إستباحة دماء وأموال العرب في بيشاور وسبى نسائهم بسبب أنهم لم يبايعوا الخليفة .
وشجعت حكومة باكستان ،وغيرها من حكومات "الكفار"، تلك الحركة من طرف خفي ثم استفادت من فضائحها لتلويث سمعة العرب المجاهدين وتبرير إرهاب ومطاردة التجمع العربي المجاهد في باكستان .

وعودة إلى فقدان القاعدة الشرعية ، كنتيجة لغياب أو تغييب العلماء،وفقدان الوعي السياسي، أن قطاعا بارزا من العرب المجاهدين بعد إنهيار النظام الشيوعي في كابل قد إنضموا إلى حكمتيار لقتال رباني بدعوى:

1 ـ أن رباني تحالف مع الشيوعيين البارشام ومازال يستخدمهم في الجيش ، كما تحالف مع مليشيات عبد الرشيد دوستم الأوزبكية .

2 ـ رباني متحالف من الشيعة الأفغان وهم (كفار) قتالهم مقدم على قتال اليهود والنصارى.

ولكن مع بداية عام 1994م تبدلت خريطة التحالفات ، وتحالف دوستم وميليشياته مع حكمتيار، كما إنضمت إليه الشيعة أو نصف قواتهم على الأقل ، أما الشيوعيون فمنذ اليوم الأول تحالف حكمتيار مع بقايا حزب خلق الشيوعي، ومعظمه من الباشتون أي نفس قومية حكمتيار.

كما أنه منذ اليوم الأول متحالف مع ميليشيات (عبد الجبار) وهو شيوعي من قندهار وبشتوني أيضا . ومع هذا ظل هؤلاء المجاهدون العرب مع حكمتيار حتى لاقى عديد منهم ربه وهو على تلك الحال . وترك آخرون الجهاد لأنهم أدركوا جزءا يسيرا من الحقيقة، مع إعتقاد معظمهم حتى تاريخه بأن حكمتيار هو (الأقرب إلى الحق)!!.

أما أبو معاذ الخوستى أهم شخصيات وقيادات التجمع العربي المقاتل مع حكمتيار في كابل ، وقد قتل في كابل في يونية 1994م ،هذا المجاهد العربي تكلم مرة مع حكمتيار قائلا :
(أنا لست من علماء الدين ، كما أنني لا أحب السياسة ولا أفهمها ، ولكني أسير خلفك ـ ثقة بك ـ وأضع المسؤولية كلها في رقبتك يوم القيامة) .

فطمأنه حكمتيار ووعده خيرا . ولنا أن نتخيل تلك الشخصية العربية المجاهدة ، وهو على خلق طيب وشجاعة نادرة ونقاء نفس، ولكنه يسلم نفسه هكذا كي يقوده زعيم ويتولى عنه القرار الشرعي والقرار السياسي ، وبلا أي مناقشة لأن أخانا المجاهد(لا هو رجل رجل دين ولا هو رجل سياسة) فهو وأمثاله ، فرائس سهلة وأدوات نادرة المثال ، لتحقيق مآرب سياسيين خونة وقوى دولية طاغوتية كافرة .

<u>إن حرص العمل الإسلامي عامة على تجهيل أتباعه سياسيا ، وعلى تسطيح معلوماتهم الشرعية وحصرها في بؤر ضيقة إجبارية ، كل ذلك لا يحمل في طياته إلا أعظم الأضرار على المسلمين أنفسهم وأعظم الخدمات لأعداء الإسلام . فانتبهوا يا أولي الأبصار...</u>



"" تعليق الصورة"": خوست فى بداية التسعينات :
*أجيال من المجاهدين..الجيل الأول"يسار" ـ **أبو معاذ الخوستى** ـ أفضل قائد عربى للعمليات الأرضية. تابع حكمتيار حتى الموت فى قتال كابول بين التنظيمات والعرقيات والطوائف الدينية.*
*مع الجيل الجديد"يمين" ـ **أبو مصعب الزرقاوى** ـ أشهر قائد عربى فى عراق الإحتلال الأمريكى. مرة أخرى: المجاهدون العرب فى مصيدة الحرب الطائفية والعرقية وسط مجاهل سياسية تعصف بهم.فمن المسئول عن أزمة العمل الجهادى العربى؟؟.*
****

(5) كانت حركة العلماء المذكورة في ذلك الحدث ،هي الأكبر من نوعها والأخطر كما أنها كانت الأخيرة من هذا الطراز، بمعنى أن التحركات الأخرى للعلماء الأفغان كانت أضعف كثيرا.
وفي رأيي أن هذا التحرك كان إنتفاضة الموت للعلماء الأفغان وإنتهاء لدورهم التوجيهي الأساسي في الجهاد ، وإنتقال تلك المهمة الخطيرة إلى أيدي قادة الأحزاب في بيشاور.
فتشرذم العلماء بين (مجالس الشورى) لدى المنظمات، أو رئاسة بعض اللجان الهامشية في بيشاور، وقليل منهم عاد إلى القتال الذي إستهلك أكثرهم.
تحرك العلماء المذكور قد تم الإلتفاف حوله وإجهاضه من جانب زعماء الأحزاب، وإن كان سياف إستفاد منه كثيرا لتدعيم موقفه وتقوية (إتحاده) فاستحوذ على عدد كبير من العلماء سواء في الشورى أو في رئاسة لجان مختلفة للأيتام ، التعليم ، الصحة ... الخ.
طبعا الشروط الأساسية التي حددها العلماء في بيانهم المذكور لم يطبق منها شيء في الواقع .
....
(6) كانت مفاجأة لي أن أعلم بوجود مندوب عن الإخوان المسلمين في بيشاور ، وكانت مفاجأة له أيضا أن يقابل شخصا مثلي من خارج قنوات الإخوان . وكان السنانيري ـ رحمه ا ـ كما رأيته ذكيا دمث الخلق مرحا . سادت الألفة بيننا سريعا ، ساعد على ذلك إتفاق وجهات نظرنا بأن سياف هو الشخص المناسب ـ والشرعي ـ لقيادة اتحاد المجاهدين.
وأيضا إتفاقنا بأن معظم الخلافات مبعثها عوامل شخصية. ثم إحترامنا المشترك للشيخ يونس خالص.وبعد مدة قصيرة من مجهودات الشيخ السنانيري على الساحة الأفغانية قام النظام المصري باعتقاله ثم إغتياله في السجن مدعيا أنه إنتحر .
وقد ربط الإخوان بين إغتيال السنانيري وبين نشاطه لتوحيد المنظمات الأفغانية . وفي ظني أن هذا الإدعاء صحيح ولكن بصورة تختلف قليلا عما يصوره الإخوان.ونتيجة لملاحظاتي لنشاط

الإخوان على الساحة السياسية الأفغانية فقد لاحظت إرتباطا مدهشا بينهم وبين المجهودات السياسية لحكومة المملكة السعودية.حتى أن وفودا مشتركة قد تكونت من الجانبين لأغرض الوساطة وتقريب وجهات النظر والوحدة بين المنظمات الأفغانية . وكان الطرفان،السعودي والإخوانى، يضغطان بثقل بالغ لصالح سياف وتقويته وتأكيد دوره .
وكما علمت من مصادر عربية مطلعة، أن سياف قد تم تعيينه من جانب التنظيم الدولي للإخوان، مسؤولا عن الفرع الأفغاني في التنظيم ، وهو منصب كان ينافسه عليه كل من برهان الدين رباني وغريمه حكمتيار . فرباني أقدم تنظيميا وأكبر سنا ، وحكمتيار أكثر حيوية و أدق تنظيما وأشد بريقا في أوساط الشباب المسلم .
وقد أثمر التعاون السعودي الإخواني في جعل سياف هو الشخصية الأولى في أوساط الشباب الإسلامي على مستوى العالم .
وإنعكس ذلك ماديا ومعنويا وسياسيا على سياف وتنظيمه الذي ما كان له أن يستمر بغير ذلك الدعم خاصة في وجه غريميه الأصوليين برهان وحكمتيار .
وفي ظني أن سياف كان أكبر إنحراف في المسيرة الجهادية الأفغانية. وأن الدعم السعودي الإخواني قد أكسبه شرعية وشعبية أثرت في الشباب العربي بل والتواجد العربي كله، وفي تفكير ذلك التيار ومشاريعه ونشاطاته التي كانت في معظمها في غير وجهتها الصحيحة.
لقد بنى النشاط العربي على أساس خاطئ مبني على تقييم مضلل تماما حول زعامة سياف وباقي زعامات الأصوليين .
ومضلل فيما يتعلق بدور تلك الزعامات وتأثيرها الحقيقي على حركة الجهاد .
أما ملاحظة جماعة يونس خالص حول موسمية الوساطات العربية ودعوتهم لتكوين لجنة إسلامية لمتابعة الأوضاع وبذل المساعي كان إقتراحا معقولا ، وربما أنه كان المخرج الحقيقي لحالة الضياع الأفغانية والعربية لو نفذ هذا الإقتراح مجموعة من المخلصين، أصحاب الحل و العقد، في العمل الإسلامي .
ولكن لم تكن هناك نظرة جدية تجاه القضية الأفغانية، ولم ير فيها الإخوان سوى فرصة جديدة لتحقيق مكاسب آنية بإرتباطهم مع السياسة السعودية ، والإشتراك من خلالها في قضية ذات طابع دولي ، تحت قيادة أمريكا .
وكان ذلك الإشتراك سوف يرفع ـ في ظنهم ـ أسهمهم لدى أمريكا صاحب الأمر والنهي في مصر والمنطقة العربية . وبالتالي فإن موقف الإخوان التنافسى على السلطة من خلال العمل الديموقراطي سوف يتعزز كثيرا بل قد يصبحون قوة بديلة مناسبة للنظام الفاسد المهترئ في مصر، وبديلا معقولا عن تيارات أخرى متشددة ومعادية بعنف لأمريكا ومصالحها ومشاريعها ـ خاصة المشروع الإسرائيلي .
إذن الساحة الأفغانية كانت بالنسبة للإخوان تعزيزا لمسيرتهم الديموقراطية نحو السلطة في مصر، وربما في بلدان أخرى عربية، عبر التفاهم مع أمريكا القوة المسيطرة على مجريات الأحداث والمصائر في المنطقة العربي.

....

(7) كان موقف المجاهدين ممتازا... بالفعل كان تقدماً قد حدث رغم أن سلبيات عديدة بدأت تظهر ـ كما سيرد ذكر بعضها في الرسائل التالية ـ ولم أكن أعلم وقتها أن القضية قد تم تدويلها وأن أمريكا قد قررت مساعدة الأفغان عسكريا وإعتبار أن أفغانستان ساحة حرب بالوكالة .

كان الأفغان على جميع المستويات حريصين على عدم كشف مقدار المساعدات التي تصلهم والجهات التي تمدهم بها . بل على العكس كانوا حريصين دائما على إفهامنا دوما أنه لا أحد يساعد وأننا ـ أقصد أي مستمع لهم ـ هو الوحيد الذي يساعد بإخلاص.
كانت تلك السياسة مفيدة لهم على المستوى الشخصي، ولكنها كانت ضارة جدا بقضيتهم .
وعند الأفغان الإعتبار الشخصي يأتي أولا يليه الإعتبار القبلي ، والإعتبارات الدينية في غالب الأحيان تأتي بعد ذلك . أما (الوطن) فهو مفهوم غامض لدى الأفغان وليس له إعتبار كبير، حتى أن النظام الشيوعي في آخر عهده حاول اللعب بهذه الورقة وكان فشله ساحقا .
ومن المؤكد أن أداء الجيش الأحمر في أفغانستان كشف عن أوجه قصور رهيبة . وهو ما إكتشفه عدد من كبار القادة الميدانيين من أمثال جلال الدين حقاني . وفي كتاب لمسؤول في الإستخبارات الباكستانية كان مختصا بالنشاط العسكري للأفغان ، قال بأن السوفييت كان يمكن هزيمتهم في أفغانستان عام 1983م . ولم تكن غير الأعين الخبيرة تدرك تلك الحقيقة ، وقد أسرد لاحقا عدة أحداث عسكرية تثبت تلك النظرة ـ فقط في ولاية واحدة هي ولاية باكتيا .
وما كان لأمريكا أن تغامر بالمراهنة على ورقة خاسرة ـ وعلى سبيل الإحتياط فقط أبقوا أمر تدخلهم في أفغانستان سرا حتى عام 1986م ـ وكان سرا مشهورا ولكنهم رغم ذلك لم يعترفوا به رسميا إلا في ذلك التاريخ .
وتاريخ أمريكا العسكري يثبت أنها تظل بعيدة عن مسارح الحرب الدائرة حتى :
أ ـ يتم إنهاك جميع الأطراف .
ب ـ ينجلي الموقف عن تفوق نسبي لصالح أحدهما .
جـ ـ تتدخل بثقلها كله لصالح الطرف ذو التفوق النسبي .
د ـ يتسبب (الثقل الأمريكي) في إختلال فادح في الموازين وينتصر الطرف الحليف لها .
هـ ـ تقوم أمريكا بجني جميع ثمار النصر لصالحها، ولا تترك لحلفائها إلا أقل الفتات .
و ـ تكون النتيجة النهائية هي، إنتصار أمريكا وحدها، وهزيمة الطرفين الأساسيين في الحرب .
حدث ذلك السيناريو في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، كما حدث تحت أنوفنا في أفغانستان، وحرب (تحرير الكويت).
إن أي لاعب ماهر لا بد أن يرتكب أخطاء، وأي خطة محكمة لا بد فيها من ثغرات . وأظن أنه في حالة أفغانستان وحرب تحرير الكويت كانت هناك ثغرات كثيرة قاتلة للمغامرات الأمريكية فيهما .
والتاريخ مليئ بالشواهد التي تثبت أن الكثير من الإنتصارات الباهرة لم تكن كذلك إلا على المدى القصير ، أما بمرور الزمن فيتضح أنها كانت مقدمة لهزائم ماحقة. وأرجو أن تكون أفغانستان والخليج نهاية حقيقية لأمريكا كقوة عظمى ، بل الغرب وحضارته الوثنية التوراتية .. وإن غدا لناظره قريب .

(8) (نجيب ا لفرائي) شاب جامعي نشط من الجمعية الإسلامية بقيادة رباني ، قابلته وتحدثت مطولا معه حول مشاريع الدمج بين الحزب والجمعية بقيادة سياف ، وكنت يومها متحمسا للمشروع . بدوره كان متفائلا للغاية ، وكان في طريقه إلي الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة دراسية طويلة . وقد أتم بعثته فعلا وهو الآن يتولي منصبا وزاريا هاما في حكومة رباني في كابل . وهي حكومة معادية تماما للتواجد العربي في أفغانستان . وتبذل جهودها في إنهائه ـ رغم ضئالته

حاليا ـ وتصف (العرب الأفغان) بأبشع الأوصاف في وسائل الإعلام المتاحة تحت تصرفها.

(9)... يبدوا أن السوفييت حرصوا على عدم تصعيد الموقف على الحدود مع باكستان،سعيا لإنهاء مهمتهم بأقل قدر من التوتر الإقليمي. لهذا تجنبوا حدوث صدامات كبيرة مع ركائز المجاهدين القوية على الحدود مع باكستان ، وبالذات فى محافظة باكتيا ذات الأهمية الإستراتيجية الفائقة .
لهذا بقيت خوست هادئة.وأحبط جلال الدين حقاني ، والقوات المتحالفة معه ، أحبطوا محاولات الروس فك الحصار البري عن المدينة ، وكان الروس من جهتهم غير مصرين على ذلك تفاديا للتصعيد كما ذكرنا . خاصة وأنهم من خلال الصدامات الأولية المبكرة بينهم وبين مجاهدي باكتيا علموا أن القتال في هذه المنطقة سوف يكون شديد الوطأة ومكلفا في الأرواح والعتاد، لهذا التزموا جانب الحذر.
....

(10) (حزب الخيانة الصريحة) ... واضح من العداء الذي تحمله العبارة ، بأن الصورة الحقيقية لدور أحزاب بيشاور لم تكن قد إتضحت بعد ، فالأمر لم يكن سوى توزيع أدوار ليس إلا ، و (أن القطيع القيادي) كله كان يسير في موكب الخيانة منذ البداية .
إنها نفس المسرحية التي شاهدناها في البلاد العربية على مستوى الأنظمة. فبعد عدة عقود ظهر لنا أن (الثوري) و (الرجعي) كلاهما يعمل ضمن مخطط واحد وإن كانت الأدوار فيه مختلفة .
ذلك المخطط أوصلنا لما نشاهده حاليا ـ وقت كتابة هذه الوريقات ـ من إستسلام المنطقة العربية بالكامل تقريبا لزعامة (يهود إسرائيل) ثم تحالف الأنظمة العربية مع إسرائيل في مطاردة الإسلاميين ومحاربة الإسلام في المنطقة العربية مهد الإسلام وقلبه .
إن التكتيكات الصليبية / اليهودية في السيطرة على الحركات العلمانية العربية ، تمارس كلها الآن داخل العمل الإسلامي . ولنتأمل مسيرة منظمة التحرير وزعيمها عرفات ، وكيف إتضح بعد أكثر من ربع قرن أن عرفات ليس إلا نبتة إسرائيلية والمنظمة لم تكن سوى وعاء للتآمر اليهودي.
وحسب ما أفهمه ـ بعد كل تلك السنوات ـ وتجربة الإحتكاك القريب بالتجربة الأفغانية ، فإن المنظمات الأفغانية لم تكن سوى صناعة صليبية لخدمة أغراض دول الصليب الكبرى في تلك المنطقة الإسلامية وأن القادة السياسيين الأفغان لم يكن فيهم من هو أفضل من عرفات .
والخطورة هنا كما أشرنا وسوف نشير مرارا هى خطورة سيطرة الصليبية على العمل الجهادي ، والنفاذ إليه عبر قيادات وتنظيمات تكون وبالا على الإسلام والمسلمين بدلا من إقامة شرع ا وقهر الكفر وصولا إلى جعل الدين كله .
ليس هذا مدخلا للتشكيك أو اليأس بقدر ما هو دعوة لاتخاذ مقاييس موضوعية ومعايير شرعية واقعية ، وإجراء مراقبة إسلامية شاملة على التنظيمات وزعاماتها حتى لا يستولي عليها العدو من الداخل .
وحسب ما نرى ـ وا أعلم ـ أنه لا مخرج للمسلمين من الهاوية التي سقطوا فيها إلا بالجهاد ، وما لم تكن الحركة الجهادية إسلامية خالصة فإنها لن تؤدي الغرض منها ، إن لم تتحول إلى تدمير داخلي للمسلمين إذا ما سيطر عليها العدو كما حدث في أفغانستان .
المحور الصليبي الذي تتزعمه أمريكا ويضم كلا من باكستان ومصر، برز بعد دعوة السادات إلى دعم الأفغان واتخذ عدة خطوات مثل تكوين جامعة الدول الإسلامية التي تضم

مصر وأفغانستان والسودان، وكانت محاولة من السادات للخروج من عزلته الشعبية عربيا وإسلاميا أيضا. وكان السادات أول من إستخدم القضية الأفغانية وشعاراتها الإسلامية لتغطية خطواته نحو اليهود .
ونجح السادات في إستقدام وفد من قيادات المجاهدين في تظاهرة إعلامية. شارك من القادة: جيلاني ومجددي ومحمدي وقد تورط خالص في هذا الوفد أيضا . وكان السادات أول من فضح تورط المخابرات الأمريكية في القضية الأفغانية عندما كشف عن صفقة أسلحة مقدارها خمسة ملايين دولار لصالح المجاهدين الأفغان من خلال الإستخبارات الأمريكية . وفي تقديري أن أمريكا لم تكن سعيدة بهذا الإفتضاح المبكر لتورطها . المهم أن الدور المصري تراجع بعد ذلك عدة خطوات إلى الخلف مكتفيا بصفقات الأسلحة على النمط الذي فضحه السادات ، ولكن المملكة العربية السعودية تقدمت لتأخذ محل الصدارة من بين كل الحكومات العربية، حتى صارت أحد ركيزتين رئيسيتين تتحرك بهما أمريكا فوق الساحة الأفغانية واحدة هي القدم الباكستانية والأخرى هي القدم السعودية. وعلي كل حال فإن ظهور مصر تحت الأضواء في الساحة الأفغانية كان سيفضح الكثير من الأوراق ويكشف زيف التوجه الإسلامي للمنظمات والقيادات الأفغانية، وهو ما كان يشكل خطرا على كل المخطط الأمريكي الذي قام على فلسفة مفادها ضرب الشيوعية في أفغانستان وآسيا بالإسلام وحركته التي بدأت تنمو وتبحث عن مكان لها تحت الشمس .
وليس سرا أن الإنفاق الرئيسي على الحرب الأفغانية قد تم، بأوامر أمريكية، من الخزانة السعودية . هذا عن الميزانية الرسمية لهذا التدخل. وأشرفت باكستان على المقاومة الأفغانية ميدانيا، وهى المهمة الأساسية لجهاز الإستخبارات الباكستاني الـ ISI الذي أنشأه ضياء الحق في عام 1979م بهدف الإشراف على المشكلة الأفغانية وتطورها والتحكم في تأثيراها على الأمن القومي الباكستاني . وبالطبع سلامة نظام ضياء الحق من أن يتأثر بتلك المشكلة الخطيرة . ونضيف أيضا أن الظهور العلني لمصر كان سيثير شكوكا عند جمهور المسلمين حول تورط أمريكي إسرائيلي ، نظرا لسقوط مصر تحت الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية . وفي الواقع فإن إسرائيل كان لها تواجد مبكر فوق ساحة بيشاور ، وبمعرفة القادة الناشطين في الأحزاب الأفغانية ، وقد تكشفت بعض أوراق هذا التواجد في مناسبات مختلفة عام 1991م في باكستان .
تذكرت يومها التحذير الذي حذرناه سياف في عام 1980م أثناء زيارته الأولى لدول الخليج، وهي التحذيرات التي أوردناها سابقا ، وقد قام سياف بتنفيذ عكس جميع تلك التحذيرات وكان واحدا من الذين تعاملوا بوضوح مع الخبراء الإسرائيليين وكذلك فعل غريمه حكمتيار وبشكل أعمق. وسنعود في أماكن أخرى إلى مسألة النشاط الإسرائيلي داخل المنظمات البيشاورية .

....

(11) الروس في مأزق حقيقي ولكن ما البديل ؟ . ومن يحكم أفغانستان ؟ .
تعجبت كثيرا وأنا أعيد قراءة هذه الفقرة بعد أكثر من ثلاثة عشر عاما من كتابتها. وجه العجب هو إدراك تلك الحقيقة الخطيرة منذ ذلك الوقت المبكر . وأظن ذلك كان من بركات الجهاد . وكم من الأشياء أدركناها وفهمناها بفضل ذلك الجهاد المبارك . وقد أخبرني أحد الشخصيات الجهادية البارزة في مصر بأن (ما تعلمناه وفهمناه في بضع سنوات من الجهاد في أفغانستان ،ما كان لنا أن نحصله في مائة عام إذا بقينا في أماكننا ولم نحضر إلى هنا) .(فى حديث مع الدكتور أيمن الظواهرى)
وكما ذكرت سابقا بأن الأعين الخبيرة لم يكن يفوتها أن الروس وقعوا في ورطة لا مخرج منها. ولكن هؤلاء الخبراء ـ من طواغيت العالم ـ كان يرعبهم أكثر أن يكون البديل هو الإسلام

الذي يصل إلى حكم تلك القلعة الإسلامية في سقف العالم (أفغانستان) عبر حرب جهادية مظفرة ضد قوة عالمية عظمى .
ويدهش بعض إخواننا إذا ذكرت لهم أن سبب هذا الذعر هو أن أمريكا وإسرائيل رأوا نهايتهم أمام أعينهم في أفغانستان .
إن الجيش الروسي ـ بحكم الخبراء ـ هو أقوى بريا من أي جيش آخر في العالم .
والجندي الروسي أكثر صلابة بما لا يقارن، من الجندي الأمريكي أو الأوروبي ولا داعي لذكر الجندي الإسرائيلى.. فيكفي أنه يهودي .
إن أمريكا وإسرائيل قاتلا ضد المجاهدين الأفغان والعرب في أفغانستان من أجل هزيمتهم أو على الأقل منعهم من تحقيق هدفهم بإقامة حكم إسلامي في أفغاستان .
لقد إستخدمت أمريكا وإسرائيل القادة السياسيين الأفغان ومنظماتهم البيشاورية بالضبط كما إستخدمت الحكومات العربية وأجهزة الأمن والدفاع العربية في مقاومة الإسلام والحركة الإسلامية ومنعها من النمو أو النجاح في تحقيق أهدافها .
لم يكن غريبا الحرب ضد الإسلام التي شنتها أمريكا وإسرائيل ضد الجهاد الإسلامي في أفغانستان ، مستخدمين حكومات مثل حكومات باكستان والسعودية ومصر ، ولكن الغريب هو استخدام المنظمات الجهادية البيشاورية وقياداتها . وهذه النقطة ما زالت خارج إدراكات أغلبية المسلمين ـ والشباب المجاهد ـ في وقتنا الراهن بل موضع إستهجان واستنكار أكثرهم .
وأرجو عندما يصل هذا الكتاب في أيدي المهتمين من الحركة الإسلامية أن تكون تلك النقطة واضحة في أذهانهم ـ ومعقولة ـ ليس سعيا لإدانة أناس بأعينهم بقدر ما هم محاولة لسد ثغرة إستخدمها العدو ضدنا ـ عدة مرات ـ وينبغي علينا ألا نسمح له بالمزيد .
وكما قلنا فإن السلاح الوحيد الباقي في أيدينا وعليه المعول في تمكين شرع ا والدفاع عن دينه في الأرض هو الجهاد .وهو سلاح لا ينبغي بأي حال أن نجعل عدونا يسيطر عليه ويستخدمه ضدنا بواسطة عملائه ومنظماتهم التي هي أشبه بمساجد الضرار .

(12) من الأخطاء الأساسية التي لازمتني طول فترة الجهاد هي أن الشعب الأفغاني في نهاية الأمر سوف يلفظ قادة المنظمات ومنظماتهم ويفرض شرع ا بواسطة مجاهديه المخلصين وقياداته من العلماء المجاهدين.وكنت أتصور أن القادة الخونة لن يجرؤا على دخول أفغانستان بعد الفتح ، وربما أن هذا التصور الخاطئ أمدني بكثير من الصبر على الإستمرار.
ولكن الذي وقع كان عكس هذا التصور المتفائل . فقد كانت القوى المخلصة قليلة ومبعثرة ، ولم يكن أثقل على النفس من رؤية المشاهد الهزلية التي صاحبت (فتح كابل) . فالزعيم حكمتيار طار إليها بمصاحبة قادة حزب خلق الشيوعي من الباشتون وهم جنرالات كبار في وزارة الداخلية وأمن الدولة . أما القائد الميداني مسعود ـ وكنت أحسن الظن به نسبيا حتى ذلك الوقت ـ فقد حملته وقواته طائرات الميليشيات الأوزبكية المسماة (جلم جم) التي أذاقت الشعب الأفغاني الأمرين في قتالهم الشرس ضد المجاهدين .وإكتملت المهزلة بتحرك موكب ضخم من السيارات الفخمة التي تقل أعضاء الحكومة الجديدة التي شكلها سياف تحت توجيه مباشر من الأمير تركي الفيصل رئيس الإستخبارات السعودية،والذي يعمل تحت إمرة الإستخبارات الأمريكية ضمن فريق عمل ـ سنتحدث عنه فيما بعد ـ يضم ممثلي الإستخبارات الباكستانية

والإسرائيلية ثم المصرية في آخر الأمر .
إن المأساة التي عاصرناها في ذلك الوقت هي ملهاة مأساوية من الطراز الأول. لقد دخل(مجددي) كابل كرئيس للدولة في حكومة يرأسها سياف و باقي الكراسي موزعة بين الذين لم يشاركوا في إطلاق رصاصة واحدة طوال أربعة عشر عاما ـ باستثناء مسعود وزير الدفاع ـ مع واحد أو إثنين من الوزراء الذي لا وزن لهم في الدولة . والغريب أن القادة الذين كانوا ملتصقين في بيشاور طوال مدة الحرب أقاموا في أفغانستان بصفة مستمرة للإشراف على مسيرة الحرب الأهلية في كابل .فلم يكن سياف أو برهان الدين أو حكمتيار يعرفون طريق الجبهة إلا في زيارات إستعراضية للمتاجرة الإعلامية ، ولم يمارسوا ولو لشهر واحد دور القيادة الجهادية الحقيقية داخل الميدان .
ولكنهم منذ فتح كابل وحتى الآن ـ أي ثلاثون شهرا تقريبا ـ يقيمون بصفة شبه مستمرة يديرون فتنة هوجاء وبأوامر من أسيادهم القدماء : أمريكا ، باكستان ، السعودية .
(ملاحظة: ظهور حركة طالبان وإستيلائها على السلطة فى كابول وطردها زعامات بشاور من الحكم كان تحقيقا لتوقعى القديم بأن الشعب الأفغانى لن يقبل هؤلاء الزعماء . فاضطرت أمريكا للتدخل لغرض سيطرتها على أفغانستان فى حرب عام 2001م.
انظر كتاب ،صليب فى سماء قندهار،للمؤلف) .
....
(13) طلب خالص وجماعته من الأستاذ السنانيري بأن يقيم وفد دائم من الإخوان في بيشاور لمتابعة الوضع بشكل مستمر . وفي الحقيقة فإن الإخوان يتحملون جزءا كبيرا من مسؤولية (الإنهيار الأفغاني) وفشل التجربة الجهادية هناك ، والإضرار بالمجهود التطوعي العربي من نواحيه العسكرية والتنظيمية .لقد إبتكر الإخوان نظرية ـ الجهاد بأمر الحكومات فقط ـ وهكذا فعلوا في عام 1948م ثم في حرب القناة عام 1950م .
وفي (الجهاد الأفغاني) الذي طبلوا له بأعلى ما يملكون، ثم أحجموا عن التصدي لتبعاته الحقيقية واكتفوا بالمظهريات من أعمال إغاثة وجمع تبرعات مع تواجد شكلي من عناصر إخوانيه متمردة.
إن تواجدا إخوانيا قويا في أفغانستان ـ كان في تقديري ـ كافيا لإحداث إنقلاب إسلامي عالمي.
فلو تصورنا أن تلك المجهودات العربية قد إحتواها ونظمها وعاء إسلامي واحد ذو خبرة ، إذن لإنعدمت إلى حد كبير ظواهر الفوضى والتطاحن والعشوائية وإهدار الأموال والدماء ، ولكانت أكثر فعالية في الميدان ، ولأثرت بلا شك في المسيرة السياسية للقضية ولكانت خسائرنا أقل على المستوى الإسلامي. ولا ننسى أن طبيعة الشعب الأفغاني كانت سوف تساعد في تبني هذا التيار والتأثر به، وإفراز قيادات دينية مخلصة موازية ومواكبة لذلك الزخم العربي.كان ذلك أحد أحلامنا التي كانت غير واقعية بالمرة وقد ورطنا ذلك في متاعب ما زالت مستمرة حتى الآن.
....
(14) كانت الرؤية مختلفة تماما بين بيشاور وخطوط القتال داخل أفغانستان . وكان الإخوان والعرب عامة ، يكونون آراء نهائية عن أوضاع أفغانستان من خلال مقابلاتهم في بيشاور مع قادة الأحزاب (الجهادية) وكبار المسؤولين فيها . وكما سنلاحظ في تقارير تالية بأن ذلك كان مصدرا لخلافات شديدة ناتجة من إختلاف الرؤية بيننا وبينهم .
وحتى عندما بدأ العرب يتوافدون إلي داخل أفغانستان شاب ذلك أوجه تقصير خطيرة منها أنهم كانوا شباباً صغاراً عديمي التجربة، كانوا يدخلون إلى أفغانستان بقناعات جاهزة غير قابلة للتبديل ، وتكون رحلتهم إلى الداخل هي لمجرد البحث عن شواهد تؤكد وجهة النظر تلك . وغالبا ما تكون عقولهم قد تم برمجتها في بيشاور على أيدي ذلك القائد (الأصولي) أو ذاك وكان لسياف

الغلبة الكاسحة في نشر وجهات نظره وبرمجة عقول الشباب نظرا للمزايا التي يتمتع بها والتي ذكرناها في مواضع سابقة . وفي ذلك الوقت المبكر كانت الصورة كما ذكرتها الرسالة: قلة ضعيفة مخلصة ، وكثرة من المنافقين والخونة . ولم يكن مضى على برنامج تدويل القضية سوى عام واحد أو أقل . ولنا أن نتصور الصورة بعد ذلك في عام 1992م وهو عام الفتح وكم كانت النسبة بين المخلصين والمنافقين . لقد كانت نسبة مفزعة حتى أن أكثر ما أدهشني هو عفو ا واطفه الذي نصر المسلمين على ما هم فيه من المعصية.

....

(15)... في جرديز لا تطلق رصاصة إلا من جانب جماعة الشيخ جلال الدين حقاني وباقي الجماعات تتفرج رغم أنها تمتلك أسلحة ثقيلة وذخائرها بأعداد كبيرة . هذه الجملة تصلح للإستخدام بدون تغييرات كبيرة أثناء معركة فتح خوست في 1991م . وسيأتي ذكرها تفصيلا بإذن ا . وهذا المشهد كان هو الغالب في معظم الجبهات الأفغانية ـ باستثناء حالات قليلة ومشرفة ـ ولكن القاعدة هي القتال المنفرد مع سلبية باقي الأطراف الجهادية بسبب الخلافات الداخلية سواء حزبية أو شخصية.

غياب التنسيق بين (المجاهدين) داخل الجبهة الواحدة كان عاملا مساعدا للشيوعيين والسوفييت وأطال أمد بقائهم وأنجح العديد من حملاتهم العسكرية ، وحماهم من ضربات قاتلة كانت كفيلة بإنهاء الإحتلال خلال فترة أقصر بكثير مما حدث فعلا.

وسبق أن ذكرنا رأي ضابط الإستخبارات الباكستانية محمد يوسف في كتابه (فخ الدب) بأن الحرب الأفغانية كان يمكن أن تنتهي عام 1983م بإنتصار المجاهدين .

إن طبيعة المجتمع الأفغاني ساعدت على هذا التفكك ولكن النشاط التدميري للمنظمات، طبقا لسياسة أمريكية، كانت وراء تنشيط هذه الظاهرة السلبية وتفاقمها.

ولا داعي للذكر بأنه مع غياب التنسيق داخل الجبهة الواحدة لا يمكن لنا أن نتوقع تعاونا أو تنسيقا بين عدة جبهات . ولا يخفى الآثار الهائلة لمثل هذا التنسيق في حال حدوثه.

وعكس ذلك شاهدناه ، أي أن المجاهدين في حال إنتصارهم في جبهة عمليات معينة ، فإن حالة خيانة تحدث في جبهة مجاورة بحيث تسمح بمرور تعزيزات العدو بسلام لإنقاذ قواته أوإسترجاع ما فقدوه من مواقع .

وتفكك الجبهة الواحدة ساعد إستخبارات العدو على إختراق جميع التنظيمات والحصول على أدق التفاصيل عن الأحوال داخل صفوف المجاهدين . لذا فقد كانت الإستخبارات وليست قوات الجيش هي الذراع الحقيقية للنظام الشيوعي . وقد أحرزت الإستخبارات أعظم الإنتصارات ولم تكن الإنتصارات العسكرية للعدو بنفس مستوى نجاحاته التجسسية .

....

(16) ... حضرت هذه المساومة حول هذه الصفقة ولم أصدق نفسي .وكانت صدمة لمشاعري المثالية آنذاك ، خاصة وقد كنت منفعلا ببرنامج القصف المدفعي حيث كان هو الفقرة الأساسية في العمليات وقتها .

....

(17) ...إيران ـ ليبيا ـ حركة الإخوان المسلمين - ثلاثة أطراف بينها من التناقض ما ليس يخفى.

ولكن بواطن السياسة تخفي دائما ما يتعارض مع سطحها الخارجي . غاب الدين ، وبرهان

الدين أيضا رغم كونهما نبتة واحدة إنقسمت إلى شطرين ، فبينهما من التجانس والتشابه بقدر ما يبدو على السطح من تنافر وتعارض . فالإثنان فكريا وتنظيميا من حركة الإخوان . وإرتبط كلاهما بروابط جيدة، في بداية الجهاد، مع نظام الثورة الإسلامية في إيران ونظام معمرالقذافي في ليبيا. وقبل فتح كابل بفترة ليست طويلة حضر الزعيمان مؤتمرا في ليبيا وصليا خاف (القذافي) الذي أجمعت أكثر المصادر الفقهية السعودية المعتبرة على كفره وتسبب لهما ذلك في إحراج كبير مع الجالية العربية المجاهدة والمقيمة في باكستان "بيشاور".
وفي فترة لاحقة إهتزت علاقة حكمتيار مع طهران نتيجة لضغوط السعودية ودول الخليج .
وأذاعت طهران أن عناصرا من جماعة حكمتيار قد تورطت في نشاطات معادية لإيران بهدف التخريب الداخلي . ولحق خالص بحكمتيار في عدائه المفتوح مع إيران نتيجة لحادث تسرب صواريخ ستنجر من جماعة خالص في هيرات إلى أيدي الحرس الثوري الإيراني .
....
(18)... (المعسكر الإسلامي) في أفغانستان لتدريب العرب والمشاركة القتالية. كان أحد الأحلام التي لم تستطع مجموعتنا تحقيقها ، لإختلاف وجهات النظر وتفاوت الإستعداد وكثرة المشاكل التي لا تجد حلولا واضحة . فذبلت الفكرة تدريجيا. وظللت أتابعها طوال مدة الحرب ولم تتحقق الفكرة بالشكل الذي كنت أتخيله . ولكن أشياء أخرى تحققت شاركت في أقل القليل منها.
ولذلك حديث مستقل .
أما ما وجدته في جرديز وقتها فقد داعب أحلام فكرتي الأولى ولكنه لم يكن متطابقا تماما .
وإن كان باكورة فعلية للتواجد الإسلامي القتالي على أرض أفغانستان . وكان مكونا من شباب باكستاني وهذا أمر منطقي من ناحية جغرافية .
****

عام1981: الرحلة الثانية..إلى جرديز

جلست مع (قاري سيب) إمام مسجد المهاجرين في ميرانشاه ، تعبا لأنني جئت منفردا هذا العام.
وسألني بشوق عن زملائي أحمد وإسماعيل. وقص علي أخبار المجاهدين خاصة أخبارمولوي جلال الدين حقاني في جرديز وسرد بعض أسماء الشهداء من بين هؤلاء الذين قابلتهم في العام الأول.
كان الرجل ضريرا عذب الصوت يدرس أطفال المهاجرين علوم القرآن .
ولما كان جميع من أعرفهم قد توجهوا إلى جبهات القتال ، فلم يكن هناك بد من أن أكون ضيفه حتى نرتب أمر الرحيل إلي الجبهة.
تطوع بمرافقتي إلى جرديز شابان من طلاب العلم المجاهدين ، الأول هو (حنيف شاه) والآخر (سيف الرحمن) . وكلاهما مازال حيا يرزق وهذا بالطبع شيء نادر. الأول أصبح بعد عدة سنوات واحدا من قادة المجموعات البارزين والثاني عمل سنوات طويلة في شراء الذخائر والأسلحة والطعام للمجاهدين تحت إمرة جلال الدين حقاني .
ما أن عبرنا الحدود وشرعنا المسير في الجبال حتى إكتشفت أنني مصاب بنزلة برد شديدة ،فلم أكن قادرا على المسير، ولا قادرا على الأكل ، وأجلس للراحة على فترات متقاربة حتى ظننت أنها الرحلة الأخيرة، وأنني لن أصل أبدا إلى سرانا حيث حقاني ورجاله .
كان ذلك نتيجة غير متوقعة للكرم الزائد الذي حباني به (قاري سيب) ، فقد أتحفني بسرير وضعه لي خارج المسجد ، وإستعار من أجلي مروحة ضخمة سلطها فوق رأسي طوال الليل،فالجو كان صيفا والبعوض كثير ولم يدخر ـ جزاه ا خيرا ـ وسعا في توفير وسائل الراحة لي . ولكن

النتيجة كانت مؤسفة عندما حانت ساعة الجد وبدأت الرحلة الشاقة .
أضطررنا في رحلتنا البطيئة أن نمر بعدد كبير من مراكز المجاهدين ، ونتلكأ أكثر في دكاكين الطريق التي تقدم خدماتها للمسافرين ، من طعام وشراب ومبيت وتسمى عندهم (سماوات) وهو إسم عجيب حقا . كان ذلك البطء الممل في المسير مزعجا بالنسبة للشابين المرافقين لي ولكنه أفادني من جهة أخرى إذ تعرفت بشكل أفضل على أحوال القرى والمجاهدين ،والمعنويات العامة ، وتعرفت على شخصيات ممتازة وأهمها القائد (شاكرين) وهو إبن عم مرافقي حنيف شاه. وكان شاكرين شابا حاد الملامح مبتسما دائما نحيفا طويل القامة قوي البنية نشطا لين المعاملة .
كان من قبيلة (تاناي) أو (ثاني) وإليها ينتمي وزير الدفاع الشيوعي شاه نواز تاناي الشهير.وهي قبيلة غير محبوبة من جيرانها . ورغم صغر حجمها نسبيا إلا أنها مصدر متاعب كثيرة للجميع، وكانت في معظمها متعاطفة مع الشيوعيين من أبنائها ، وهكذا تسببت في مشاكل كثيرة للمجاهدين. ومع ذلك فقد خرج من (تاناي) مجموعة نادرة من القادة والمجاهدين من أمثال شاكرين وابن عمه حنيف شاه . كانت معرفتي بشاكرين قصيرة جدا فبعد لقائي هذا معه، قابلته مرة أخرى أثناء معركة (ليجا) في خوست أيضا عام 1982م وقد أستشهد يرحمه ا في نفس العام .
لقد أستشهد شاكرين بإصابة مباشرة من قذيفة دبابة ، وتولى حنيف شاه قيادة المجموعة ، وشن فورا هجوما ـ وبالأحرى كمينا ـ كاسحا ضد طابور عسكري حكومي في واحدة من أنجح وأجرأ كمائن المنطقة ، فقد تم نهاراً و في وسط مناطق العدو وبين مواقعه العسكرية. ونجح حنيف شاه في إصطحاب غنائمه من الكمين بما في ذلك سيارات ومصفحات عدا الأسلحة والأموال .
قضينا ليلتنا الأولى في مركز شاكرين، وكان في أحد الوديان الضيقة المتفرعة من وادي خوست في أقصى الغرب ، وهي منطقة قبائل تناي . في الصباح الباكر كان رجال شاكرين في إشتباك مع العدو على مسافة بعيدة عن المركز ولكننا سمعنا بوضوح قصف المدفعية الثقيلة للعدو .
ومع ذلك تفرغ شاكرين لضيافتنا وتوديعنا وأرسل بعض رجاله لحراستنا عند عبور الوادي في إتجاه الجبال على الجانب الآخر .
كان من السهل ملاحظة حالة إنتعاش عام بالمقارنة مع الصورة السابقة عام 1979م . كان عدد المجاهدين أكثر ومعنوياتهم أعلى ، والقرى مازالت عامرة رغم عمليات الهجرة التي تمت، ويبدو أنها كانت هجرة إنتقائية ـ أو بقاء إنتقائي ـ بمعنى أن الذي هاجر كان من الفئات الضعيفة التي لا تتحمل الحياة في ظل حالة الحرب . وبقت عناصر قوية قادرة على العمل والقتال معا.
مضى يومان ومازلنا في منتصف الطريق بين الجبال الشاهقة ، وفي أحد "السماوات" تمددت كمن يتهيأ للإنتقال إلى السماوات العلى . لم أكد أتذوق طعاما منذ غادرنا ميرانشاه . وإلتهاب الحلق جعلني أشرب الماء بلا حساب حتى أنهكني الضعف. (سيف الرحمن) الفتى الرقيق أحضر لي قليلا من التوت ـ لا أدري من أين حصل عليه ـ ودفعه لي وأنا في شبه غيبوبة . ولما علمت أنه (توت) إنتابني شيء من النشاط وإلتهمته بالسرعة الممكنة ، وطلبت المزيد ، وإستبشر الفتيان وأحضرا كمية أخرى، وتحسنت أحوالي قليلا. زاد من نشاطي ما أخبراني به أننا على وشك النزول إلى الطريق العام المؤدي إلى جرديز ومن هناك سنركب شاحنة إلى مكان قريب من سرانا . أدهشني النبأ ودفعني الفضول إلى الحركة وأنساني آلام المرض .
الشاحنة الضخمة تقف إلى جانب الطريق تحت الجبل و مغطاة بعناية خوفا من الطيران .
المسافرون تحت الأشجار وإلى جانب الصخور في إنتظار موعد الإقلاع ـ أقصد الحركة ـ وكان عند إصفرار الشمس تفاديا للطيران كما يحدث تماما في العمليات العسكرية . كنت أتوقع أن

تحملنا الشاحنة الضخمة ـ وهو ما حدث فعلا ـ ولكن لم أتوقع أن أحمل كميات من المتاع ومن الإخوة المسافرين فوق رأسي وقدمي وصدري ، وكل ما تيسر من جسمي حسبما تتيحه ظروف الطريق .
ولكونها التجربة الأولى من نوعها فقد أنستني الدهشة سلبيات الرحلة. وقد رأيت في السنوات اللاحقة رحلات (آلية) أسوأ من تلك بكثير ، ويمكنني الآن أن أقول بأنها كانت رحلة درجة أولى رغم أن ذلك لم يكن رأيي وقتها .
 تقابلت مع الشيخ جلال الدين في سرانا وكان قد مضى عام تقريبا منذ آخر لقاء لنا،وكان في أبو ظبي أثناء زيارته مع الوفد الذي ترأسه سياف .
كان أهم ما يشغلني موضوعان : الأول ما هو الوضع العسكري؟ ..وكيف إستطاعوا الصمود إلى الآن ؟ وكان قد مضى عام ونصف على التدخل العسكري السوفييتي، فهل يعتقد بإمكانية الإستمرار؟.
الموضوع الثاني : ما هو رآيه في وضع (الإتحاد) الآن وهل هناك أمل في اتحاد حقيقي بين المجاهدين؟ .. وماهو دور سياف وكيف يمكن دعمه ؟ .
بالنسبة للوضع العسكري كان (جلال الدين) متفائلا ويري أنه قد تحسن عن ذي قبل ، وأن الروس لم يكونوا مخيفين إلى تلك الدرجة التي أشيعت عنهم وأن هزيمتهم ممكنة جدا لو توافرت بعض الشروط وعلى رأسها إتحاد المجاهدين في الجبهات إتحادا حقيقيا . وأن العقبة الرئيسية أمام ذلك هم قادة الأحزاب في بيشاور ، الذين يبذلون أقصى جهد لمنع اتحاد المجاهدين في الداخل ويهددون من يفعل ذلك بمنع المساعدات ، بل ويحرضون أتباعهم في الداخل لمقاتلة أتباع الآخرين. وهذا أكثر ما يخشاه على مستقبل الجهاد . أما السوفييت فليسوا هم المشكلة الرئيسية.
هكذا كان الموضوعان مترابطان، فالتقدم على الجبهة العسكرية مرتبط تماما بتحقيق ترابط في المجال السياسي . والعكس يبدو صعبا، وإن كان هو البديل الوحيد وهو أن يكون التقدم العسكري وسيلة ومدخلا لتحقيق تماسك سياسي . سواء تم هذا التماسك في بيشاور ـ أو كما خطر في بالنا لاحقا أن يتم تماسك سياسي داخلي،أي إتحاد سياسي بديل في الداخل ،وإلغاء دور زعامات بيشاور ، وهذا بدوره لم يحدث مطلقا .
....

قصة الضابط رشيد

عن الوضع العسكري في باكتيا أخبرني (جلال الدين) بأن الروس لم يستطيعوا تغيير الأوضاع السابقة ، وأن المجاهدين إستطاعوا إحباط محاولات السوفييت لتغيير الموازين العسكرية في الولاية . وأهم العلامات أن الجيش الأحمر فشل في توصيل الإمدادات إلي مدينة خوست من الطريق البري . سواء عبر مناطق (زدران) وهي قبائل جلال الدين، أو عبرالطريق المار في مناطق (منجل) وهي قبائل في شمال وشرق المحافظة .
إن المجاهدين ـ كما يرى حقاني ـ أصبحوا أكثر جرأة على الروس. وقد ذكر مثلا لطيفا على ذلك فقال بأن هناك قولا لدى الأفغان بأن الإنسان يجب أن يحذر من الكلب الذي يرقد صامتا أما إذا بدأ الكلب في النباح فلا تهتم به. وضحك حقاني قائلا لقد نبح الروس ، فسقطت هيبتنهم في نفوسنا.
أخبرني حقاني بأن باكستان بدأت في إعطاء بعض المساعدات للمجاهدين. وأن أسلحة صينية و

مصرية قد وصلت إلي المجاهدين عن طريق باكستان وأن من ضمن هذه الأسلحة صواريخ سام7
المضادة للطائرات وأن حقاني تسلم منها أربعة صواريخ، كما تسلم عددا من الرشاشات الثقيلة
المضادة للطائرات . وقد رأيت في مركز سرانا إثنان من تلك الرشاشات أحدهما مدفع دوشكا ذو
أربعة سبطانات من صناعة الصين ، ومدفع رشاش آخر زيكوياك وهوصناعة صينية أيضا . أما
المدفع البلجيكي القديم الذي كانت تنحشر فيه الطلقات فلم أعد أراه، بل أن العديد من الرجال
الذين قابلتهم في العالم الأول لم يعد لهم وجود فقد لاقوا ا شهداء. غير أن وجوها جديدة في
صفوف المجاهدين بعضهم شباب دون العشرين من العمر قد ظهروا في الجبهات والصفوف الأولى.
سألت عن المدافع التي تقصف جرديز فأخبرني أنها مدفعان فقط أحدهما مدفع ميدان(أوبوس)
عيار 122مم والآخر مدفع جبلي عيار 76مم . وكلاهما من الغنائم كذلك قذائفهما.
أما التشغيل فيقوم به ضابط باكستاني متطوع وهو يشارك المجاهدين في عمليات أخرى مثل
التدريب على المدافع أو الهجوم على المواقع . أما عن قصة ذلك الضابط ـ وإسمه رشيد ـ
قال حقانى أنه ذات يوم بينما هو في ميرانشاه يتهيأ لعبور الحدود إلي أفغانستان أخبره بعض
رجاله أنهم شاهدوا شابين باكستانيين أحدهما يقول أنه ضابط في الجيش بينما هما يساومان البائع
في أحد دكاكين الأسلحة ، في شراء بندقيتين لهما ويطالبان بتخفيض السعر لأنهم مجاهدان
في سبيل ا .
أرسل حقاني رجاله لإستدعاء الرجلين وتعرف عليهما ، إنهما الرائد (رشيد) وابن أخته (وحيد) وهو
شاب في المرحلة الثانوية . قدم رشيد نفسه إلى حقاني على إعتبار أنه رائد سابق في الجيش
الباكستاني إستقال مؤخرا من الخدمة لرغبته الإلتحاق بالمجاهدين ، لأنه يرى أنه يخدم بذلك باكستان
ويدافع عنها أكثر من بقائه ضابطا في الخدمة وبعيدا عما يحدث في أفغانستان،و أن السوفييت
إذا لم يتم إيقافهم في أفغانستان فلن يستطيع أحد إيقافهم بعد ذلك، وأن باكستان سوف تضيع لا محالة.
** تعرفت على رشيد بعد ذلك ، فقد رحلت إليه في جبال (ساتي كندو) . تحدثنا كثيرا وأعتقد أننا
أصبحنا أصدقاء . وكان من أكثر من إستفدت بمعرفتهم خلال سنوات الحرب . فقد ساعدتني
نقاشاتي معه في تبين الكثير من أساسيات الموقف العسكري والسياسي للحرب الأفغانية .
ورغم أنه يتمتع بمزايا لم أجدها في غيره إلا أن عيوبه عرقلت إستمراريته في الجهاد . وفي
ظني أن أخطر عيوبه كانت حرصه على رؤية دوره بارزا ومعترفا به . وحرصه أيضا على
إبراز تفوقه على الآخرين .
لقد كان دوره في ذلك الوقت بارزا فعلا وكان أيضا متفوقا على الآخرين بحكم إحترافه العسكري
الذي زوده بمعارف كان المجاهدون يجهلونها وهم في أمس الحاجة إليها .
لقد رأيت رشيد في ذلك العام وهو تقريبا أشهر شخصية في المنطقة يعرفه الشيوخ والأطفال.
وكان ما يفعله مثار إعجاب الجميع . فقصفه المدفعي علي جرديز كان حديث المجاهدين وسكان
المنطقة ، وكان راديو جرديز يسبه ويتوعده ويطالب برأسه .
لقد حدثني حقاني عنه بعد ذلك بسنوات ، وكان رشيد على وشك مغادرة باكستان مهاجرا إلي كندا.
فقد تزوج صحفية كندية قابلها فى الجبهة، فقال :" إن رشيد رجل شجاع بل هو أشجع منى في
الحرب ولكن التعامل معه صعب جدا" .
في سنوات لاحقة قابلت بعض الشباب الباكستانيين من نفس منطقة رشيد . وكانوا مجاهدين مثقفين
وأذكياء ، وللأسف وجدتهم يكرهون الرجل ـ رشيد ـ ويصرون أنه كان دائما يعمل لصالح

الإستخبارات العسكرية الباكستانية . وظلت تلك التهمة تلاحقه أينما حل.
وبما أن رشيد كان من أهم الشخصيات ـ غير الأفغانية ـ التي قابلتها في أفغانستان ، وكان مؤهلا عمليا للنشاط القتالي أكثر بكثير من العرب الذين توافدوا لاحقا على أفغانستان بما في ذلك القليل من الضباط العرب الذين شاركوا في القتال ، فإنني أتابع قليلا حالته ، ونجاحاته وإخفاقه لأن ذلك متعلق كثيرا بالحالة الجهادية التي كانت قائمة آنذاك في أفغانستان.
قابلت رشيد للمرة الأخيرة في الميدان عام 1982 في معركة (ليجاه) في خوست ، ويومها إختلف مع حقاني وإنتهت علاقتهما . ثم إنتقل رشيد للعمل مع جماعة خالص في جلال آباد ثم تركهم و عمل عدة سنوات مع مولوي نصر ا منصور . وكان توافقه كبيراً معه. ثم بدأت حالة حصار باكستانية ضد منصور حتى ذبل تنظيمه ، أما رشيد فقد طارده رجال الإستخبارات الباكستانية، وطلبوا من المنظمات عدم التعاون معه وأشاعوا حوله أنه يعمل مع الإستخبارات الأمريكية.
كان الإتهام عجيبا لمن يعلم بواطن الأمور ، فالمخابرات الأمريكية وقتها(1985م ـ 1986م) كانت في قمة تألقها في إدارة مشروعها في أفغانستان. إذن الإتهام كان لتشويه السمعة وليس لإظهار حقيقة . فإذا كان رشيد يعمل للستخبارات الأمريكية فذلك يعني أنه لا يمكن المساس به، إلى جانب نفوذه وسطوته على الجانبين الباكستاني والأفغاني .
كان حقاني واقعيا عندما أخبرني أن الرجل يستحيل التعامل معه . لقد كان منصفا ـ كعادته ـ فلم يتجنى عليه أو يتهمه بما لا يستحق بل أنه أثنى على شجاعته .
وعندما سألت أحد القياديين في جماعة خالص عن سبب إنهاء علاقتهم برشيد رد قائلا:
إن رشيد يتعامل مع الإستخبارات الباكستانية لذلك أنهينا علاقتنا معه .
كانت الإجابة إستخفافا واضحا بي . فكانت علاقتهم ـ وجميع الأحزاب ـ مع الإستخبارات الباكستانية تجري على قدم وساق ولا تحتاج أي دليل . فكيف يستخدمها تهمة ضد رشيد ؟ .
إستنتجت وقتها أن الإستخبارات الباكستانية تحرض عليه في بيشاور . وقد أخبرني أحد العاملين في مكاتب بيشاور بأنه قد طلب منهم صراحة من طرف الباكستانيين عدم التعاون مع رشيد.
وأذكر أنه عندما غادر رشيد موقع ليجاه بعد نقاش حاد مع حقاني ، فإنه أرسل لي رسالة من ميرانشاه بأن ألقاه هناك بسرعة . وهناك شرح لي أوجه الخلاف مع حقاني ، وكانت حول خطة الهجوم على حصن ليجاه وإصرار كل منهما على وجهة نظره، فاحتد حقاني في الرد على رشيد، الذي شعر أنه قد أهين أمام باقي القادة، فترك العمل مع حقاني إلى غير رجعة . كنا وقتها في بيت أحد المجاهدن العاملين مع حقاني في ميرانشاه. وفجأة دخل علينا إثنان من أفراد المخابرات الباكستانية وطلبا الحديث على إنفراد مع رشيد فخرج الأفغان ، وبقيت جالسا على إعتبار أنني لا أفهم لغة الباشتو التي يتحدثون بها . كما أخبرهم رشيد أنني عربي أتكلم الإنجليزية فقط . فدار حوار بالأوردية . ومن خلال الكلمات العربية في اللغة الأوردية وكثرة المصطلحات الإنجليزية على ألسنة المتعلمين في باكستان خاصة رجال الجيش وكبار الموظفين، فهمت أن إختلافا كبيرا بينهم وبين رشيد حول السياسات العسكرية التي يجب إتباعها في المنطقة وحول نوايا الروس والدور الباكستاني المفترض ، وإمكانات المجاهدين واحتياجاتهم .
كان الحديث تقنيا عالي المستوى ، ولكنه لم يكن وديا . كانت وجهات النظر مختلفه إلى درجة قريبة من التشاحن .
كان يمكنني إستنتاج أن رشيد ليس واحدا منهم . وكان إستنتاجي الخاص فيما بعد أن رشيد كان شابا ذكيا طموحا جديا، دخل الحرب وهو منفعل بشيئين : الأول ، أهميتها للدفاع عن بلاده وأهميتها

للإسلام والمسلمين . الثاني ، أنه خاض الحرب بمنطق رجل العصابات الحقيقي.
فقد كان واسع الإطلاع على كتب العصابات ومستوعبا فنونها . وقد شاهدت الكثيرين من فرع الإستخبارات الباكستانية ـ ISI ـ وهم في مهام داخل أفغانستان . كانوا يعملون كمستشارين وموجهين لقومندانات (قادة) المجاهدين . فكانوا بعيدين تماماً عن جنود الصف الأول من المجاهدين لذا لم يكن يقترب منهم سوى المختصين، أما رشيد فقد كان في سلوكياته وأدائه القتالي مشهدا نموذجيا لأحد قادة حرب العصابات المتمكنين .
لقد كان رشيد مخلصا لدوره كقائد في أحد حروب العصابات وكان يمتلك شخصيا مؤهلات النجاح ما عدا عنصر خطير واحد ، فقد كان غريبا عن الشعب الأفغاني الذي يكره الغرباء، أو على الأقل لا يندمج كاملا معهم، وفي كل الحالات لا يسلم لهم بقيادة ظاهرة لشئونه .
كان معقولا أن يتقبل المجاهدون لفترة محددة دورا لرجل مثل رشيد حتى يمكنهم تعلم المهارات الجديدة التي يحملها معه ، أما بعد ذلك فعليه أن يخطو إلي الخلف خطوة واحدة على الأقل .
ورغم حداثة عمره "28 عاما" في ذلك الوقت ، فإنه كان يحمل رتبة رائد وهي رتبة حقيقية كما أكد أبناء منطقته وهم من غير محبيه . وكان موسوعي المعرفة في المسائل العسكرية والسياسية والتاريخية . كما أنه تعلم بسرعة لغتي الباشتو والفارسية حتى أصبح يتفاهم بسهولة مع الأفغان .
وعندما سدت الطرق أمام رشيد في العمل الميداني إنهمك في إلقاء المحاضرات في معسكرات التدريب الخاصة بالشيخ نصر ا منصور . ثم أنشأ مجلة خاصة بالتنظيم وسماها "الصراط" تولي هو كتابتها وتدبير مصادر للإنفاق عليها مع مساعدة بسيطة من مولوي منصور الذي بدأ يختنق هو أيضا . وتناولت الصراط بالفارسية والباشتو تحرير مقالات رفيعة المستوى حول تطبيقات حروب العصابات علي الواقع الأفغاني ، وتحليل العديد من المعارك العسكرية الهامة في ذلك الوقت في بانشير وباكتيا .
لم تستمر الصراط طويلا ولكنها كانت مجلة غير عادية بكل المقاييس إذا قارناها بالغثاء من الصحف والمجلات بشتى اللغات والتي صاحبت الجهاد الأفغاني منذ نشأته وحتى نهايته ، (مع إستثناءات نادرة لا تتعدى عدة إصدارات جيدة من بعض المجلات) .
في عام 1984م تعرف بعض أصدقائي العرب ـ في الجبهات أو في بيشاور ـ على رشيد ولكنهم لم يتقبلوه لأسباب متفاوتة . بعضهم إحتقره لأنه(ليس ملتزما) فهو يدخن السجائر ويستمع إلى الموسيقى في المذياع ، وقد واجهوه بتلك الأخطاء وبطريقتهم العنيفة ، فشعر الرجل بالحرج الشديد وعاتبني كيف لم ألفت نظره إلى تلك الأخطاء قبل ذلك ، ولم أجد عندى إجابة مناسبة.
أما الآخرون فلم يروا فيه غير ضابط باكستاني مريب يعرف الكثير من الصحفيين الغربيين الذين يحضرون إلى بيشاور ويقابل الكثير من الأوروبيين الذين يتقاطرون على المنطقة.
وبالفعل فإن رشيد كان قد حقق جزءا لا بأس به من الشهرة بعد أن قابله عدد من الصحفيين الغربيين في الجبهات وحصلوا منه على تحليلات عميقة للأحداث العسكرية ـ أغضب بعضها حقاني وآخرين ، حيث أن رشيد وصف المجاهدين بعدم النظام والعشوائية في العمل وكثرة الخلافات الداخلية بينهم. ولم يلتفت هؤلاء لكثرة النقاط الإيجابية فيما أورده رشيد عن المجاهدين .
ويرجع ذلك إلى الطبيعة الأفغانية الفخورة بنفسها والحساسة جدا لأي نقد خارجي لها .
لقد ورد إسم رشيد في كتاب واحد على الأقل نشره أحد هؤلاء الغربيين عن رحلته داخل أفغانستان.
كما ورد إسمه في عدة إذاعات وبعض المقالات . لقد حقق شيئا من الشهرة .
وللشهرة نتائج سيئة في غالب الأحوال ، فهي تغير نفس الإنسان وقد يتحول إلى الغرور.

كما أن الشهرة تزيد من رصيد الشخص من الأعداء .
ولكن الشهرة مكنت (صديقي) رشيد من الزواج من تلك الصحفية الكندية التي تعرفت عليه في آخر أيام عمله الميداني في أفغانستان ثم أسلمت وتزوجته. ثم غادر معها إلى كندا بعدما نجحت باكستان بمعاونة المنظمات في حصاره حتى الإختناق ، وقد حاول عن طريقي أن يجد منفذا عربيا للعمل ، ولكني لم أكن سوى عكاز مكسور إرتكز عليه رشيد . فقد كنت أيضا منبوذا وتحت الحصار والملاحقة من أعداء أقوياء نافذين.
تمكن رشيد من "الفرار" إلى كندا بمساعدة زوجته ، وإنتهى تأثيره تماما على العمل في أفغانستان.
لقد خسر رشيد بذلك الكثير من الفضل، وخسر الجهاد شخصا كفؤا وشجاعا وعارفا بأصول عمله.
لم أشهد قط على الساحة الأفغانية شخصا على هذه الدرجة العالية من التأهيل العلمي والعملي والذهني لحرب العصابات كما وجدت في ذلك الشاب الضابط رشيد . لكن الحالة الأفغانية والعربية لفظتاه ، وهو من جهته لم يستطع التجانس معهما .
إن حالة رشيد أثارت في ذهني بعض التساؤلات الهامة منها مثلا : لماذا تطرد (الحركة الإسلامية) الكفاءات من بين صفوفها كما تنفي النار الخبث ؟ . لماذا تظل الكفاءة في جهة والعمل الإسلامي في جهة أخرى؟. ولماذا يظل العلم في جهة والنشاط والحركة الإسلامية في جهة أخرى ؟ . لماذا تطغى على العمل الإسلامي صفة الخطابة والعنتريات والمظاهرات الصاخبة والفارغة، بدلا من الجدية والعلم والتخطيط ؟ .
وعلى هذا المنوال يمكن أن نطرح عدة صفحات من الأسئلة ... إن المخابرات الباكستانية عندما ضيقت على رشيد وطاردته لم تفعل ذلك لأن رشيد يعمل ضمن المخابرات الأمريكية ،وذلك لسبب بسيط جدا وهو أن المخابرات الباكستانية نفسها كانت تعمل تحت توجيه المخابرات الأمريكية، وذلك باعتراف باكستان نفسها فيما بعد ومسئولي مخابراتها.
فقط كان شرط ضياء الحق ألا تتخطى أمريكا القنوات الباكستانية .
في ظني أن باكستان رأت في حيوية رشيد وكفاءته خطرا على مشاريعها ومشاريع سادتها الأمريكان .
كانت حالة الجهالة التي تطفح على بيشاور ونشاطتها لا تسمح لأمثال تلك القدرات أن تمارس الفعل والتأثير العملي بل تدفعها بقوة إلي خارج الساحة تطبيقا لقاعدة (العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة) .
طلب مني رشيد في لقائي الأول معه أن أحاول تجميع عدد من الشباب العرب ، يقوم هو بتدريبهم للقيام بعمليات عسكرية راقية في أفغانستان ، لأن للأفغان محدوديتهم الناتجة عن طباعهم الخاصة وعدم تلقيهم العلوم الحديثة وعصبيتهم القبلية وغير ذلك .
كان ذلك نفس ما أفكر فيه ، وهو أيضا ما لم أقدر عليه طوال سنوات الحرب الأفغانية للأسباب السابق ذكرها. والعرب حتى نهاية الحرب الأفغانية لم يبرهنوا على أنهم أمسكوا بالخيط الصحيح للعمل العسكري. ولم يقتنعوا عمليا بأهمية التدريب إلا بعد معركتهم في جاجي عام 1987م .
لقد كان معظمهم في حاجة إلى فتاوى تقنعهم بأهمية التدريب ، بل فتاوى تقنعهم بصحة كل بند تدريبي على حدة . فالهرولة قال بعضهم أنها غير شرعية ، وكذلك قالوا عن الزحف.
كما أن الأوامر الجافة والصياح من جانب المدرب أو القائد إنما هو عمل(طاغوتي)،
كذلك الوقوف في صفوف منتظمة أو الصيحات أو الإرهاق في التدريب أو تعمد تجويعهم وحرمانهم من الراحة والطعام والشراب . كانت حالة مأساوية أن يبدأ العمل العسكري العربي من تلك النقطة المنحطة جدا .
أما شخص مثل رشيد فهو في نظرهم (غير ملتزم) وحليق يدخن السجائر ويستمع إلى الموسيقى.

فليذهب إذن إلى الجحيم . وقد ذهب فعلا ـ وهل اللجوء إلى بلاد الغرب إلا الجحيم بعينه ؟.
....

مدفعية الجبال

تسببت المدفعية الثقيلة التي يستخدمها المجاهدون في مصرع عدد من كبار المسئولين ، من بينهم جنرال سوفييتي قتل بقذيفة مدفعية أثناء حضوره إحتفال تكريم . والأخطر من ذلك هو الهيبة السوفييتية وهيبة النظام التي وضعت في حرج بالغ من جراء هذا (التطاول) المدفعي .
كان أمام السوفييت والحكومة خياران الأول هو تحطيم تلك المدافع . والثاني هو توسيع النطاق الدفاعي حول المدينة بحيث لا تصلها قذائف المدفعية ، والحل الثاني واضح صعوبته وتكلفته الباهظة. فهو يعني فرض إشراف عسكري دائم على مساحة من الجبال لا تقل عن مائتي كيلومتر مربع . فلا بد أن يتقدم الجيش عشرة كيلومترات على الأقل داخل الجبال في العمق ثم ينتشر فيها علي موازاة المدينة لمسافة عشرين كيلومتر أخرى على الأقل . فكم يتطلب مثل ذلك المجهود من رجال وعتاد وأموال ؟ . الحل أول كان هو الأيسر وبدأت فيه القوات الشيوعية على الفور وباستخدام كافة السبل المتاحة .
كانت الوسائل العسكرية لتدمير مدافع المجاهدين متوفرة لدى العدو كما أن المهارة في إستخدامها لم تكن تنقصه أبدا . ولكن الشيء الذي كان ينقصه فعلا هو الشجاعة والتصميم مع تدني المعنويات خاصة لدى الجنود ، وكانت الصورة عكسية في طرف المجاهدين حيث العنصرالبشري المتمثل في الأفراد المجاهدين يتمتعون بدرجة عالية من الشجاعة والتصميم والفدائية .
وتواجد قائد مثل رشيد معهم وفر لهم عدة عناصر فنية أفادتهم كثيرا .
فقدراته الفنية والعقلية جعلت المواجهة العسكرية تحفة جميلة من فن التكتيك .
وقد أفادني كثيرا التمعن في تلك الإشتباكات من ذلك المنظور . وكم قضيت الساعات الطوال في مناقشات مع رشيد حول تكتيكات المعركة على جانبيها وكان تلك هي التجربة الأولى التي أكتشف من خلالها(الجانب الجمالي) في المعارك والذي يتمثل في لمسة الذكاء الإنساني الذي يدعمه الإيمان والتصميم .
إن المعارك تذهب وتنتهي وينتهي ما رافقها من دماء ومشاعر ألم وخوف ولكن الذي يبقى هو أثارالذكاء والتصميم التي تظل تثير الإعجاب بتلك المعارك وقادتها .
إن المعارك التي تخلو من جمال الفكرة التكتيكية ليست سوى صراع حيواني يعتمد العنف البحت، تماما كما يتصارع ثوران أو كلبان .
لذلك كانت معارك المسلمين ـ خاصة في صدر الإسلام ـ تزخر بالأفكار التكتيكية الرائعة ، حتى كانت مدرسة عسكرية فريدة في نوعها. تجمع إلي ذكاء القائد وعبقريته قوة الجندي وإيمانه وتصميمه .
يذهب البعض إلى القول بأن الحرب فن وليست علما . وإذا كان ذلك التعريف صحيحا فإنه يعني أن في الحرب طابع جمالي شأن كل الفنون . والجمال يأتي من روعة الأفكار التكتيكية وروعة الهندسة الإستراتيجية لمخططي الحرب . أما ما عدا ذلك فليس في الحرب أي نوع من الجمال فهي لا تعني سوى الدمار والقتل ، وهي كريهة على كل نفس إلا على أنفس المجانين الذين يجب الحجر عليهم . وصدق ا سبحانه وتعالى حين قال: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) . فالحرب بالنسبة للمسلم فريضة وليست متعة ولن تكون كذلك على الإطلاق ،اللهم ذلك

الشعور بالرضا والراحة الناتجان عن شعور المسلم أنه يطيع ربه ويرضيه عندما يقاتل في سبيله، وهذا مصدر سعادة لا توصف للمقاتل المسلم حتى في أحلك لحظات المعركة .
لذلك فالمقاتل المسلم دائما يتمتع بأفضل المعنويات متفوقا بذلك على أي جيش كافر .
ولا يعني ذلك إنعدام حالات الإنتكاس المعنوي التي قد تصيب الجيش المسلم، ولكنه سريعا ما يتخلص منها ... ما لم ترتكب مخالفات شرعية جسيمة .
كان موقع المجاهدين قريبا جدا من مواقعهم في العام الأول ،كان جنوب قرية دارا وعلى مسيرة ساعة منها ، في طريق لا يصعب السير فيه وإن كان غير صالح لمرور المركبات أو الدبابات ، وذلك بالطبع لصالح المجاهدين .
وإلي الجنوب من مركزنا جبل مثل الحائط القائم وهو من تحف سلسلة "ساتي كاندو" وخلف هذا الحائط قرية على مسافة قريبة وإليها تصل سيارات المجاهدين التي تأتي من سرانا مستخدمة الطريق العام لعدة كيلومترات . وهو الطريق العام الواصل بين خوست وجرديز والذي لم تستطع الجيوش الشيوعية إختراقه منذ معركة 1979م التي شاهدنا آثارها في رحلتنا الأولى وظل هذا الطريق (110 كم) أحد معضلات الحرب أمام السوفييت حتى إفتتاحه بمؤامرة دولية أشرفت على تنفيذها المخابرات الباكستانية في شتاء 1987م ـ 1988م .
(انظر كتاب : خيانة على الطريق ـ من سلسلة أدب المطاريد) .
في ذلك العام 1981م كانت الحكومة قد أخلت قرية دارا بعد أن كانت تحتلها أثناء زيارتنا السابقة. وكانت مفارقة غريبة فالمفروض أن يكون الوضع عكس ذلك خاصة بعد تدخل الروس من ناحية وإمتلاك المجاهدين مدافع ثقيلة أبعد مدى من جهة أخرى .
ولكن الجيش الحكومي وضع دارا تحت نيران مدافعه المركزة وكان يدكها من وقت إلى آخر، وبذلك أصبحت منطقة محرمة ، تستخدم فقط للعبور السريع أو الإستراحات القصيرة .
وكان عبور قرية دارا ثم الإنحراف غربا والسير عدة كيلومترات في الجبال ، ينقل المجاهدين في مواقع مرتفعة يمكنهم العمل ضد مواقع حكومية في (بنو ـ زاي) وهي منطقة واسعة ملحقة بالعاصمة جرديز وتشرف علي المدخل الغربي للمدينة عند إتصالها مع وادي زورمات وهو وادي خصب متسع مليء بالقرى يوصل إلى مديرية غازني التاريخية . (نور محمد طرقي الزعيم الشيوعي مؤسس النظام القائم ينتمي إلى غازني) . أما المدخل الشرقي لمدينة جرديز فتشرف عليه سيد كرم وهي مركز إداري وعسكري ممتد عبره الطريق الذي يواصل الإمتداد شرقا حتى جاجي وهو موقع أفغاني شهير إرتبط بالنشاط الجهادي العربي ، وهو قريب جدا من الحدود الباكستانية.
(راجع كتاب معارك البوابة الصخرية).
(وسيد كرم) هي مسقط رأس نجيب ا آخر رئيس شيوعي للبلاد ، أما زورمات فهي مسقط رأس أسلم وطنجار أحد الأعمدة الرئيسية للإنقلاب الشيوعي وهو ضابط كبير في سلاح الطيران.
أخبرني رشيد أنهم قد أطلقوا صاروخين من طراز سام7 ضد الطائرات ولكنها لم تصب أهدافها.
ولكن الطائرات أصبحت أكثر حذرا . وبالفعل فقد لاحظت أن مجهود الطيران أقل من المرة السابقة . كما أنه يأتي مرتفعا جدا في أغلب الأحيان .
كنت مندهشا لهذا الأداء الضعيف للجيش السوفييتي الرهيب ، وتناقشت مطولا مع رشيد حول ذلك الأمر. هو نفسه كان مندهشا ولكنه كان يرى أن السوفييت ربما يحاولون تحاشي تورط واسع كالذي حدث لأمريكا في فيتنام لذلك فهم يحافظون على مستوى معقول من التواجد العسكري

حتى لا تتعاظم الخسائر والنفقات .

****

القوانين الخاصة للحرب

كان موقف القوات الشيوعية واضح الحرج ، وشعر الأهالي بضعفه فارتفعت المعنويات وزاد عدد المتطوعين في مراكز المجاهدين . أما حقاني فقد خطر له الهجوم على جرديز والإستيلاء عليها، دفعة واحدة، وقد صارح رشيد بذلك الخاطر . والعجيب أن رشيد أيده في ذلك ، ولكنه طلب أن يضع حقاني تحت إمرته ثلاثمائة مجاهد. وأخبرني رشيد أن برنامجه للقصف المدفعي هو تمهيد لذلك الهجوم والهدف من القصف هو إضعاف دفاعات العدو ومعنوياته .

لم يخامرني شك وقتها بأن حقاني لو حاول فسوف ينجح ، ويرجع ذلك الإعتقاد إلى قلة خبرتي من ناحية وإرتفاع معنوياتي بشكل كبير من ناحية ثانية ، ثم إنتصارات المجاهدين ضد الروس والجيش الحكومي من جهة ثالثة، وأخيرا ثقتي في جلال الدين كقائد ورجاله المؤمنين الشجعان.

فكرة الهجوم على جرديز في ذلك كالوقت كانت سابقة جدا لأوانها ، والغريب إنها خطرت على ذهن حقاني في ذلك الوقت والجيش السوفييتي مازال طازجا لم تستنزف قواه أو معنوياته وغريب أيضا أن يوافق رشيد على رأيه، وهو الضابط المحترف. على أية حال لم تنفذ الفكرة وأستبدلت بالهجوم على (تعمير) وهي قرية حديثة تستخدم لإدارة منطقة واسعة والإشراف عليها وعسكريا ، وهي في الطرف الغربي لجرديز على بعد حوالي عشرين كيلومترا ويخترقها الطريق الرئيسي الواصل بين جرديز وغازني . كان هجوم تعمير ناجحا للغاية وقلب الكثير من المفاهيم كما سيأتي شرحه.

ولكن نعود إلى فكرة الهجوم علي جرديز لكون ذلك معلم من معالم التفكير العسكري لجلال الدين حقاني، الرجل الأهم في باكتيا حتى نهاية الحرب، وامتدادا لتقاليد الأبطال من مقاتلي قبائل البشتون. فقد كان للبطولة والشجاعة عند حقاني مكانة عالية جدا. فالهجوم مهما كانت المخاطر ، والثبات أمام العدو مهما كانت العواقب كانت مفاهيم قوية في ذهنيته العسكرية.

 الشجاعة في الهجوم ، والثبات في الدفاع صفات جيدة بلا شك إذا إستخدمت في مكانها الصحيح . وهو ما يفعله قائد ناجح مثل جلال الدين . وبالنسبة للتعامل مع الجيوش الحديثة وأسلحتها الجديدة يحتاج تطبيق مثل تلك المفاهيم ـ من جانب قائد لحرب العصابات ـ يحتاج إلي كثير من الحرص حتى تعطي تلك المفاهيم نتائج إيجابية ولا تتحول إلي العكس.

فالهجوم الشجاع بدون خوف قد يكون مفيدا للغاية، وقد يكون مدمراً وذو عواقب وخيمةعلى صاحبه. والدفاع المستميت قد يكون مفيدا مهما بذل فيه من تضحية، وقد يكون وبالا وسببا في هزيمة قاتلة.

لقد تعلم المجاهدون الأفغان كثيرا من تجاربهم . وجلال الدين أيضا، من خلال الصواب والخطأ تعلم الكثير وإمتلك ميزانا صحيحا لتقدير الأمور. وبالطبع كان هناك ثمنا لتلك المعرفة، ثمنا من الدماء قبل أي شيء آخر .

مع هذا ظلت تقاليد أبطال البشتون حية في ذهنه وسلوكه، وكذلك كان معظم القادة الممتازين في أفغانستان .

لقد كان لجلال الدين قرارا خطيرا ـ مخالفا لمبادى حرب العصابات حين قرر الدفاع عن مكتسباته من الأرض وعدم الإنسحاب والبدء من (الصفر) حتى لا تدمره القوات الروسية .

وقد أشار عليه بذلك الرأي الرائد (جولزراك) وكان مساعدا عسكريا له ـ وهو من نفس

القبيلة ومدرس سابق في الأكاديمية العسكرية في كابل ـ كانت تلك المشورة في عشية إستيلاء السوفييت على كابل. ومشورة جولزراك صحيحة فنيا وأكاديميا . ولكن وجهة نظر حقاني كانت الأكثر صحة بالنسبة للواقع الأفغاني . وقد كانت مبررات رفضه لمقترحات جولزراك كما أخبرني بعد ذلك هي كالتالي :

أ ـ إن فك مجموعاتنا القتالية الكبيرة وإخفاء أسلحتنا الثقيلة في مخابئ سرية ، والعودة إلى أسلوبنا الأول في الضرب والإختفاء كان سيحرمنا من مكتسبات عامين من القتال . ولم يكن مقاتلينا ليتحملوا تلك النكسة وكانت تعني بالنسبة لهم الهزيمة والإستسلام للعدو . وما كانوا لينهضوا بعدها للقتال. وهذه نقطة هامة بالنسبة لمعرفة القائد لنفسيات مقاتليه.

فالإنسحاب الواسع كان سيؤدي إلى هزيمة معنوية وإستسلام للعدو. إذن في هذه الحالة يكون خيار القتال هو الأصوب حتى لو حمل في طياته مخاطرا الإبادة . هكذا فكر حقاني وكان مصيبا تماما . ونستنتج من ذلك أن قواعد الحرب وقوانينها ليست مقدسة بل يمكن تعديلها أو تخطيها بل يكون ذلك واجبا في بعض الحالات الخاصة، كالحالة التي نحن بصددها الآن.

ولايمكن سوى للقائد الفذ أن يستنتج "قوانين الحرب الخاصة" والتي تتعلق بأوضاع غير عادية فى أحد الحروب،كما فعل حقاني في هذه الحالة. ولا بد من الإعتراف أن العديد من القادة الأفغان المقاتلين قد طوروا قوانين الحرب بما يناسب "الحالة الأفغانية" من حيث طبيعة الشعب فكريا ونفسيا وسلوكيا.

وكان العديد من هذه التطويرات عبقريا ، وبعضه الآخر أدى إلي كوارث لأنه كان خاطئا .

وعلى وجه العموم ظل الأفغان يقاتلون (بطريقتهم الخاصة) طوال مدة الحرب ، لذلك كان عسيرا جدا على غير الأفغان من المتطوعين ـ عرب أو غيرهم ـ أن يتواءم مع الطرق القتالية للأفغان التي لا يمكن إستساغتها أو مجاراتها في معظم الأحوال .

من أجل ذلك لجأ العرب في مراحل متأخرة إلى تكوين مجموعات قتالية خاصة، تقاتل بالتعاون مع مجموعات أفغانية ، وفي أحيان قليلة قاتلوا منفردين.

ب ـ أضاف حقاني،دفاعا عن قراره، قائلا: إن الإنسحاب مرة أخرى إلى أعماق الجبال ـ كما بدأنا أول مرة ـ كان سيتيح للسوفييت فرصة الإستيلاء السهل على الطرق الرئيسية التي تخترق مناطقنا صوب حدود باكستان. وبالتالي سوف يقطعون خطوط إمدادنا ويعرقلون حركتنا،ويسيطرون بسهولة علي التجمعات السكانية التي سوف تكون أسيرة لديهم ،حتى أولئك الذين تحرروا في السنتين الماضيتين.فإذا تحقق للسوفييت ذلك فسوف يطاردوننا في الجبال ويتصيدوننا واحدا واحدا كما تصاد الوحوش البرية .

إن قرار البدء مجددا من الصفر في حرب عصابات بدائية كان سيقودنا إلي هزيمة سريعة بلا مقاومة. بينما رجال القبائل أصحاب الغيرة على الدين والأعراض كانوا سيقاتلون باستمرار ضد السوفييت إذا نحن ثبتنا في أماكننا للدفاع . وهذا بالضبط ما حدث فنجحنا بذلك فى إحباط المجهود العسكري السوفييتي في مناطقنا. حتى أن وضع السوفييت حاليا (1981م) أضعف من موقف الجيش الشيوعي قبل تدخل السوفييت.

هذا وسوف نمر في سردنا خلال هذا الكتاب على التجاوزات الخلاقة لقوانين الحرب،والتى كانت بحثا ملهما عن (القوانين الخاصة) للحرب على الساحة الأفغانية ، وهو ما تحتاج إليه كل حرب عصابات ناجحة . وهي مهمة القيادة وكوادرها العاملة وكل من له بصيرة في القتال .

ـ إن الدفاع حتى الموت عن مكتسبات المجاهدين في باكتيا والنجاح في ذلك عام(1980م)
ـ ثم القرار الطموح للغاية بالهجوم على جرديز (1981م) دليل على ترسخ أسلوب قتالي لدى القادة الأفغان البارزين خاصة حالة حقاني التي نحن بصددها .
والسبب في تطويلنا حول هذه النقطة هو إدعاءات وردت في كتاب فخ الدب الذي سبق الإشارة إليه ـ وهو كتاب خاضع لوجهات نظر صاحبه كضابط مخابرات سابق ـ وهو لم يكن يوما، ولن يستطيع،أن يكون مجاهدا يخوض حرب عصابات عقائدية ضد عدو ساحق التفوق. فقد كان العقيد محمد يوسف مجرد العبد المأمور تحت إدارة قائده الجنرال أختر عبد الرحمن رئيس جهاز الإستخبارات الباكستانية (ISI) الذي كان بدوره عبد المأمور تحت إمره رئيسه الجنرال ضياء الحق رئيس الدوله، ويمكن أن نسترسل الى حلقه أعلى لنقول أن ضياء الحق كان أيضاً عبد المأمور لدى الولايات المتحدة، وإن كان كما ذكرنا ـ عبدا على وشك التمرد ـ وقد دفع ثمن تمرده ،إذ دمره الأمريكان في طائرته مع أختر عبد الرحمن وغيرهم من كبار ضباط باكستان وحتى مع السفير الأمريكي نفسه.
لقد إدعى محمد يوسف في كتابه أنه كان صاحب فكرة الدفاع الثابت عن منطقة (علي خيل) في جاجي(**معركة 1987م**) ، وعن قاعدة جاور التابعة لحقاني (**معركة 1986م**).
والإدعاءات نابعة من الغرور والتعالي الذي يميز رجال الإستخبارات خاصة أولئك الذين قاموا بمهام كبيرة في يوم ما .
وإدعى العميد أنه خالف بذلك القواعد التقليدية لحرب العصابات فتعرض لإنتقادات مرؤوسيه.
سنتعرض لاحقا لحالتي "جاور" و"جاجي" ، وكيف أن الأسباب الحقيقية للدفاع الثابت عنهما تعود في الحالة الأولى إلى حقاني شخصيا وأسلوبه القتالي ، وملابسات القتال في باكتيا والعوامل الشخصية والقبلية فيه . أما في حالة جاجي والقتال الثابت عنها فالذي يقف خلفها هو شخص عربي هذه المرة ، وتلك ظاهرة نادرة وفريدة في الحرب الأفغانية ،ذلك الشخص هوأسامة بن لادن . وسوف نتعرض بشيء من التفصيل للحالتين لكونهما من معالم الحرب الأفغانية وأغناها بالدروس المستفادة. وكما أن مكتسبات الجهاد الأفغاني سقطت في أيدي غير إسلامية، كذلك كل الميزات العسكرية التي حدثت، تحاول تلك الأطراف أن تنسبها إلى نفسها .
فالأمريكان ينسبون النصر إلى أنفسهم وأموالهم وصاروخهم العجيب (ستنجر) وحتى إلى البغال الأمريكية التي أرسلوها كي تحل مشاكل اللوجستيك لدى المجاهدين !! .
أما خدمهم من الباكستانيين فادعوا بأنهم هم الذين خططوا ودربوا وقادوا . ولم يتركوا للأفغان سوى التنفيذ الذي كان مليئا بالسوءات كما يتضح في كتاب فخ الدب. أما الذي صنعوا النصر، وأجراه ا على أيديهم في أفغانستان، فهم إما تحت التراب، أو تركوا الساحات وإختفوا تلاحقهم (لعنة أفغانستان) التي أنزلتها عليهم أمريكا. قالوا قديما إن الهزيمة يتيمة والنصر له مئة أب.
ولكن الأب الشرعي للنصر في أفغانستان مطارد في أرجاء المعمورة وحتى على أرض أفغانستان نفسها .
الطريق الذي شقه حقاني لعبور (الحائط الجبلي) خاف مركزنا في "ساتي كندو" كان هو الآخر من الإنجازات التي قد لا يلتفت إليها كثيرون . وكان أول طريق غير قانوني شقه المجاهدون لخدمة العمليات. وأمثال تلك الطرق أدت دورا حيويا في عمليات المجاهدين ، وكان ذلك ظاهرا للغاية في ولاية باكتيا . وقد برع حقاني في ذلك النوع من (الهندسة) .وكنت أعتبره أكبر (مهندس فى باكتيا) . ليست المسألة مجرد براعة فنية ، حيث أن المعدات الحديثة لشق الطرق

لم تظهر إلا في وقت متأخر جدا . وشق طريق في مثل تلك الجبال الوعرة ليس فنيا بالشيء السهل . والأهم من ذلك إختيار مكان الطريق وخط سيره بحيث يلبي عدة متطلبات في آن واحد . أهمها بالطبع خدمة أكبر عدد من الأهداف العسكرية ومنها عدم إكتشافه من قبل مراكز العدو الأرضية ، وإذا كانت المنطقة مأهولة نسبيا فإن موافقة السكان القريبين من الطريق تعتبر ضرورية . قد تستدعي الموافقة دفع بعض الأموال للأهالي أو الإنحراف بالطريق بعيدا عن قراهم ، أو مجرد إقناعهم بأهمية الطريق للمجاهدين .

والسبب هو أن التجربة أثبتت أن الطريق مهما كان بدائيا فإنه يعتبر هدفا لهجوم الطائرات . والقرى التي يخترقها أو يمر قريبا منها تعتبر هي الأخرى أهدافا محتملة . لقد أهدر الطيران الشيوعي ألاف الأطنان من القنابل على أمثال تلك الطرق بدون أى نتيجة ملموسة ، لأن إصلاح الطريق أو الإنحراف قليلا إلى أحد الأجناب ـ بعيدا عن حفر القنابل ـ ليس بالشيء العسير ، حتى أن بعض الحفر الضخمة للقنابل كانت تدفن بلا مجهود بواسطة الرمال والصخور التي تحملها مياه السيول والأمطار .

والملاحظ أنه لم تكن هناك إنتصارات كبيرة خاصة في مرحلة العمليات المتوسطة والكبيرةبدون وجود شبكة طرق مناسبة من ذلك الطراز (غير القانوني) .

هناك ملاحظة الإرتباط المتبادل بين كثافة العمليات وكثافة شبكة الطرق (غير القانونية) وهو إرتباط جدير بالتأمل. فقد تؤدي شبكة طرق من هذا النوع إلى إعطاء أهمية عسكرية لمنطقة لم تكن مهمة سابقا ، والعكس أيضا صحيح فقد تتحول منطقة هامة جدا عسكريا إلى منطقة خاملة لعدم وجود طرق مناسبة بها. بل إن كثافة شبكة الطرق قد تؤثر في التخطيط الإستراتيجي للعمليات. فقد كان ملاحظا في معركة فتح خوست أن وجود شبكة طرق جيدة في القطاع الجنوبي من الجبال (منطقة باري) قد فرض على مخطط عمليات الهجوم ـ جلال الدين حقاني ـ أن يرتكز على ذلك القطاع في عملية الهجوم الرئيسي على المدينة.

بالطبع لم تكن شبكة الطرق هي الإعتبار الوحيد . ولكنها من أهم تلك الإعتبارات التي جعلت باري منطلقا للهجوم الأخير والناجح على خوست .

نعود إلى الطريق غير القانوني الذي كان يربط مركزنا بالعالم الخلفي، من حيث يجيء الإمداد ، متخطيا الحائط الجبلي الرهيب . ذلك الطريق لم يجعل الإمدادات أمرا سهلا فحسب بل جعل المناورة بتحريك المدفعية أمرا ممكنا ومذهلا للعدو بحيث كانت في كل مرة تحدث له مفاجأة جديدة ، من حيث مكان الرماية ومن حيث التوقيت.

فشلت مدفعيات العدو ورماياته الكثيفة في أن تنال من مدافع المجاهدين . كذلك فشلت عدة محاولات للطيران ، حتى أنه لم ينجح في مجرد تحديد أماكن إختفائها . ولكنه تمكن أخيرا من إرسال بعض الجواسيس حددوا له مكان المدفع بدقة ، وكان يوما غير سعيد .

ويمكن تخيل ما حدث لنا في ذلك اليوم ، ولكن بفضل ا لم يصب أحد ولكن مدفعنا الثقيل (122مم) أصيب بعدة شظايا غير مؤثرة ولكنها خدشت كرامته فتوقف برنامجه لعدة أسابيع،أستخدم خلالها الهاون غرناي (120مم) والمدفع الجبلي (76مم) وكلاهما أيسر نسبيا من حيث المناورة خاصة المدفع الجبلي ذو العجلات الكاوتشية الذي يمكن قطره بسيارة بيكاب وحتى يمكن دفعه بواسطة الأفراد . أما الغرناي فما زلت أعتبره من أغبى الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها رجال

حرب عصابات . ولم تستخلص تلك النتيجة في أفغانستان فقط ، بل في تجارب أخرى أيضا.
ولما كان ذلك المركز يعتبر الأهم والأقوى في باكتيا كلها فسوف أعدد أهم الأسلحة ـ الجديدة ـ التي وجدتها فيه مقارنة بما كان موجودا في العام 1979م .
أولا :المدفعية :
- مدفع واحد أوبوس عيار 122مم روسي الصنع من الغنائم .
- مدفع واحد جبلي عيار 76مم روسي الصنع من الغنائم .
- مدفع عديم الإرتداد عيار 82مم صيني الصنع.
- هاون غراناي عيار 105مم مصري الصنع .

ثانيا: المضادات الجوية :
- عدد 2صاروخ أرض جو "سا م 7"من مصر .

هذا بالإضافة إلى عدد من بنادق كلاشنكوف مصرية وصينية ، بحيث أصبحت البنادق الإنجليزية القديمة من طراز (لي انفيلد) قليلة التواجد في الأيدي نسبيا .
ولم تكن الدفاعات الجوية تحتوي إضافة إلى صاروخي "سام" إلا على رشاش دوشكا عيار 12.7مم روسي الصنع كثير الأعطال أيضا وكالعادة .
أما هاون عيار82مم الذي كان نجم 1979م في نفس المنطقة فلم أشاهده ويبدو أنه أصيب .
كان في المركز حوالي أربعين مجاهدا ، وكنا في شهر شعبان ، لذلك كان العدد مرشح للإنخفاض وهذا ما حدث فعلا . وقد هاجم العدو مركزنا هجوما كبيرا في اليوم الثالث من رمضان وكان هدفه الأول تدمير المدافع وهدفه الثاني دفعنا إلي الخلف لتأمين المدينة .
ولكنه أخفق في كلا الهدفين .
....

مأزق مع طيار حاقد

ولكننا أيضا أخفقنا في إصابة إحدى طائراته بواسطة صاروخ سام . والأرجح أن سام هو الذي أخفق، فقد تمت الرماية في ظروف مثالية ومسافة مناسبة تماما ضد طائرة هيلوكبتر (مي ـ 24) ومر الصارخ على بعد عشرة أمتار من ذيل الطائرة بدون أن يبذل أدنى مجهود لمتابعتها ـ والأرجح أن جهاز الصاروخ للبحث والمتابعة لم يكن يعمل ـ وفي الواقع أن معظم صواريخ سام التي أرسلت إلى أفغانستان كانت تعاني من نفس العيب. وقد أفاد أحد الخبراء في هذا المجال بأن تلك الصواريخ قديمة ومخزنة منذ فترة طويلة وأن الأجهزة الدقيقة داخل الصاروخ تتلف بعد مدة محدودة . وعلى أية حال فإن صواريخ سام أوحت إلى المجاهدين بفكرة عبقرية وهي إستخدام القذائف المضادة للدروع (آر بي جي) ضد الطائرات الهيلوكبتر بوجه خاص.
وكانت النتائج ناجحة جدا فقد أخافت تلك القذائف الطيارين، وأحرزت نفس نسبة إصابات صواريخ (سام7).. فلم تسقط أي طائرة .
كانت الحملة العسكرية ضد مركزنا من الطراز التقليدي ، وإستغرقت نهارا واحد من بعد صلاة الفجر إلى قرب المغرب . بدأت بالقصف المدفعي الشديد علي مركزنا وعلى المناطق التي سوف تحتلها القوة في بداية المعركة . وفي العاشرة صباحا بدأت أفواج من سكان القرى تأتي للمساعدة في صد القوات الحكومية . وكان منظرا مؤثرا للغاية . فقد سمعوا قصف المدفعية الشديد وفهموا ـ بالتجربة ـ أنه هجوم واسع . فحضروا مع بنادقهم القديمة يسألون

عن مكان العدو كي يتوجهوا إليه . وكان مقاتلوا كل قرية يتوجهون في كتلة واحدة صوب المكان المحدد. سكان بعض القرى جاؤا بالطبول يقرعونها بقوة ويلوحون بالبنادق القديمة . كانت صورة تاريخية للحروب القديمة محفوظة في المتحف التاريخي لأفغانستان . كان تعداد مركزنا قد إنخفض قبل الهجوم بسبب مغادرة المجاهدين إلى قراهم حسب تقاليدهم الثابتة ، فإنخفض عددنا إلى أقل من النصف. ولكن عند الظهر كان عددنا أكبر من مقداره الأصلي. كثيرون أخذوا مواقع أمامية للدفاع عن مركزنا ولم نكن نعرف أكثرهم ،ولكن جميعهم كانوا من مناطق الجوار . كان مشهدا مؤثرا وغنيا بالدلالات ولم أشهد مثله أبدا بعد ذلك.
بل شاهدت عكسه تماما في عام 1990م عندما توافد الناس من باكستان لنهب المدن المفتوحة وقد ظنوا وقتها أن خوست على وشك الفتح . فجاءوا في عشرات من السيارات ومئات أو آلاف من البشر ولحسن الحظ فإن المدينة لم تفتح وقتها .
لم يقتل أو يجرح أحد من أفراد مركزنا ـ ولكن بعض سكان القرى قد جرحوا ـ وكنت مع رشيد والشباب الباكستانيين الذين معنا وعددهم حوالي خمسة أشخاص تقريبا .
كنا جميعا مرشحين بجدارة كي نكون ضمن عداد القتلى في ذلك اليوم . وإذن لخسرت أفغاستان أول مجموعة (دولية) من المتطوعين المسلمين ، ولاأدري كم كان ذلك سيؤثر على مسيرة الجهاد الطويلة في أفغانستان ، سلبيا أم إيجابيا، فالمهم أننا لم نقتل .
وفي الواقع أن الصاروخ (سام7) قد وضعنا جميعا في مأزق خطير فقد حملنا الصاروخين ، وتسللنا إلي سفح جبلي منبسط مواجه لسهل جرديز ، وكمنا لطائرتين (مي ـ 24) كانتا تصبان حممها على الخط الأول للمجاهدين . كان أحد الصاروخين جاهزا للإستخدام وكان رشيد هو الذي يحمله وكنت أقوم بدور مساعد الرامي ، بينما الشباب الآخرون يحملون الصاوخ الثاني ويقومون بالحماية من قريب . كما ذكرنا مر صاروخنا مرور الكرام من خلف ذيل الهيلوكبتر الأخيرة . فواصلت الطائراتان سيرهما إلى نهاية الوادي وإنحرفت الأولى عائدة إلى المدينة أما الطائرة الأخرى فقد إستدارت راجعة . توجست شرا من تلك الإستدارة ، أما رشيد فقد جن جنونه وإنتابته عصبية شديدة حتى أنه فشل في تركيب البطارية الخاصة للصاروخ الثاني، وهي عادة تركب بسهولة، ونتيجة للعصبية إستعصت، فتجمع الشباب حول الصاروخ ولكني طالبت بمغادرة المنطقة بسرعة . رفض رشيد ورفض الآخرون ، بل أنهم أعطوني بنادقهم حتى يتفرغون لهذا الصاروخ وبطاريته المشاكسة. كان تكدسا خطرا ومحزنا. حلقة من الشباب تصارع صاروخا كأنه بغل جامح. لم أرفع نظري عن الهيلوكبتر وبات واضحا ـ لي فقط ـ أنها تتوجه إلينا . ومن جانبي أرسلت إلى المجموعة بيانات مقتضبة وتحذيرات ولكن لا مجيب . مسحت المنطقة بعيني لإختيار المكان المناسب كى أتواجد فيه خلال الأزمة القادمة لا محالة بعد ثوان . وعدت بنظري إلي الطائرة.وخيل إلي أن نظراتي إلتقت بنظرات الطيار ويالها من نظرات ، إن أحدنا على وشك أن يقتل الآخر . ولن أكون أنا سوى القتيل .
لم أرفع نظري عن خصمي وأنا أصيح في جماعتنا بصوت كالرعد ولكن بلغة إنجليزية سليمة (إجرى). . وتابعت القول بالعمل وجريت في إتجاه متعامد على خط إقتراب الطائرة ـ ولا أدرى هل كان ذلك بناء على تفكير سليم مسبق أم أن قدماي قد إكتسبتا خبرة ـ إضافة إلى غريزة فطرية قوية في الهروب السديد وإختيار المكان المناسب في الموقت المناسب .
تحركت بسرعة لا بأس بها إذا وضعنا في الإعتبار أنني كنت صائما كما أنني كنت أحمل على كتفاي بنادق المجموعة كلها تقريبا . أما باقي المجموعة فقد تحركت إلي أعلى السفح حيث

كتلة ضخمة سوداء من الصخور ، لقد غامروا بالتحرك في نفس خط تحرك الطائرة ، ولكنهم نجحوا في الحصول على مكان أفضل من الذي فزت به . فقد وجدت نفسي محشورا في شق ضيق حفرته مياه السيول وعمقه أقل من قدم ولكنه طويل جدا ومتعرج .
ولمدة عدة قرون وهي المدة التي تخيلتها للمعركة غير المتكافئة بيني وبين الهيلوكبتر وكانت معركة من جانب واحد كما هو واضح..معركة صراع بقاء ومنافسة بين أفضل تكنولوجيا عسكرية في عالم طائرات الهيلوكبتر وبين غريزة الإنسان في التخفي والإختباء النابعان من حب البقاء .
لقد تغطيت بالرداء الأفغاني (الباتو) وحاولت المناورة بالزحف وتغيير مكاني بين كل زخة نيران ترشقها الطائرة على جانبي الحفرة . وبعد كل تغيير أتلقى عددا آخر من الزخات كدليل على أن رامي الرشاش يراني بوضوح كامل .
ومن حسن الحظ أن هذا الطيار (الحاقد) كان قد أفرغ صواريخه جو أرض في رماياته السابقة على مجاهدينا في الخط الأول، وإلا فإنني وإخواني عند الصخرة كنا قد فزنا بمنازل الشهداء في يوم الثالث من رمضان عام 1401هـ، وياله من يوم مبارك، ولكننا لم نكن في المستوي اللائق لنيل درجة الشهادة ، لا في ذلك اليوم ولا في أي يوم جاء بعده حتى لحظتنا هذه.
نجحنا في مغادرة المكان بعد إنصراف الطائرة التي أفرغت كل مخزونها من الطلقات حتى أصبحت خالية من الذخيرة .ولم نلبث أن وقعنا فى ورطة مع القصف المدفعي حتى عادت الطائرات بعد ساعة أو أكثر .
ولكن القوات الحكومية تجمدت في أماكنها ثم تراجعت تماما بعد العصر . وحامت الطائرات النفاثة فوق مواقعنا لكنها لم تشارك في الإحتفال لسبب مجهول .
وهكذا فشلت التكنولوجيا ـ متمثلة في صاروخ سام7 ـ في أن تتوائم معنا . وتكرر ذلك معنا في السنوات التالية مع أجهزة أخرى ومناسبات مختلفة ، إلا أن الحادث المذكور ظل أخطرها.
ولم تمض سوى أيام حتى إكتمل الدرس أمام أعيننا ، وظهر سلاح آخر ـ ضد الطيران أيضا لا يعتمد على التكنولوجيا ولكن إعتمد على عوامل غيبية نعجز عن فهمها . ولنضع هذا الحادث إلى جانب حادثة (سام7) ثم نقارن .

.. ومقاتلات تقدم لنا الدعم!!

في التاسعة صباحا من ذلك اليوم الرمضاني المشرق كان جميع من في المركز نائمين،حيث لا نوم تقريبا أثناء الليل . كنا في خيمة أعلى الجبل . صوت الطائرة النفاثة المنقضة فوق الخيمة أثار فزعنا ونقمتنا . أحد المجاهدين دخل الخيمة غاضبا وإستل مسدسه وأطلق عدة طلقات في أعقاب الطائرة، فلم أتمالك نفسي من الضحك . وحتى الآن أبتسم كلما تذكرت الموقف .
دارت الطائرة وهي تتمايل حول قمة جبلنا ولكن على إرتفاع مناسب ربما تفاديا لمسدس صديقنا.
إنصرف الطيار بعد أن إستعرض مهارته في إغاظتنا . إختفي ولم يرم علينا قنابله رغم أننا لا نشك في أنه رآنا . لعبت الوساوس في رأسي وسألت رشيد عن رأيه فيما حدث ، وبالأحرى فيما سوف يحدث . وجدته هو أيضا في قلق ويتوقع شرا . فإقترحت أن نفعل شيئا تحسبا للأمر.
من أعلى الجبل (الحائط) نزل بسرعة رجل يحمل رسالة من رشيد إلي المجاهدين في المركز بالإنتشار وتجهيز الدوشيكا للطوارئ . وبعد عشرين دقيقة تماما من إختفاء الطائرة الأولى ظهرت ثلاث طائرات واضحة الفخامة ذات لون رمادي ـ على غير عادة الطائرات الشيوعية ذات اللون الفضي ـ تعرف رشيد على الطائرات بأنها من طراز (ميج ـ 23) .

مرت الطائرات من فوق خيمتنا البيضاء ثم شكلت حلقة تدور حول قمة جبلنا .
لم يعد هناك مجال للتخمين ، لقد جاء (الكبار) للقضاء علينا . لم تكن الطائرة الأولى سوى صبي شقي نقل الخبر إلى إخوانه الكبار . كل من يحمل سلاحا منا أطلق في إتجاه الطائرات، نعرف أننا لن نصيبها ، ولكننا سوف نقتل على أية حال.. هكذا تصورنا .
كمن رشيد مع صاروخ سام7، ولكني لم أكن مستعدا لتكرار المأساة ورأيت أن الكلاشنكوف أكثر مصداقية، وبدأت في إستخدامه ضد الطائرات . بعد عدة دورات إختفت الطائرات الثلاثة في إتجاه الغرب ، ولعدة دقائق حبسنا فيها الأنفاس، فنحن على يقين بأنهم سوف يعودون ولكن كي يقصفونا مباشرة بلا أي لف أو دوران . وأخذت أتلو كل ما أعتقد أنه ينفعني عندما ألقى ا بعد دقائق معدودة .
سمعنا صوت طيران بعيد نسبيا ثم تكبيرة هائلة من القمة القريبة يطلقها مجاهد أخذ يتقافز طربا،صائحا (زنده باد إسلام)، ثم صوت إنفجارات تأتي من جهة الوادي.
أسرعنا إلى القمة القريبة فكان منظرا لا يصدق . الطائرات الثلاث التي نتوقع أن تقصفنا تقوم بعمل غير معقول !! إنها تقصف مواقع العدو على جبل(جوجارى) على بعد حوالي عشرة كيلومترات فدمرتها شر تدمير . كانت مواقع العدو تستخدم للترصد وحماية المدخل الشرقى للوادي ، فالجبل منيع ومرتفع ويقع معظمه في الوادي بحيث يسهل الدفاع عنه وتموين قواته.
كانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي أرى فيها عملية قصف جوي بهذا الجمال. كان منظر الطائرات رائعا وهي تدور ثم تنقض على هدفها ثم أعمدة الدخان والنار تتصاعد من الإنفجارات ، وما أن تفرغ طائرة من إنقضاضها حتى تتبعها الثانية ثم الثالثة .
ولا يمكن تصور حالة الذعر التي أصابت القوات الشيوعية فوق الجبل ، لأن آخر ما كانت تتوقعه هو أن تتعرض لقصف جوي . وقد وصلتنا في اليوم التالي معلومات عن خسائر العدو وأقل ما توصف به أنها كانت فادحة .
ذلك هو العامل الغيبي الذي لم يحطم طيران العدو ، بل حوله إلي العمل لصالحنا .
ولم أشهد حادثا مثل هذا بعد ذلك . ولكن شاهدت فيما بعد كيف مكننا ا من تدمير طائرات العدو ، ولذلك قصص أخرى .
 بعد عدة أيام بدأنا في تجهيز غارة بنيران الهاون (الغرناي) المصري . إستطلعنا منطقة (بنو ـ زاي) عدة مرات لهذا عبرنا قرية دارا في كل مرة . ويبدو أن العدو شعر بذلك . وفي يوم تحركنا لتنفيذ العملية وأثناء عبورنا للقرية فوجئنا بمدفعيات العدو تصب حممها فوق رؤوسنا .
كانت إرشادات (رشيد) السريعة نافعة جدا في إفلاتنا من الكمين . لقد جرى شرقا فتبعناه بسرعة وكانت القذائف تنهمر أمامنا وخلفنا وإلي جهة الغرب . وما أن أفلتنا من منطقة النيران حتى كانت طائرات الهيلوكبتر تبحث عنا . إستمرت كذلك نصف الساعة ثم عادت أدراجها.
كان تنسيق عمليتنا جيدا. فقد كانت مجموعة من المجاهدين تحرس المكان الذي سوف نستخدمه في الرماية منذ الصباح ومجموعة أخرى نقلت الهاون والذخائر على ظهور البغال .
ومجموعة ثالثة رافقت رشيد إلى الموقع المنشود . بدأت رماياتنا قرب العشاء ـ فقد إكتشفنا أن المدفع مازال مشحما ولم ينظفوه من الشحم قبل إحضاره. رد العدو على نيراننا بكثافة ولأول مرة أشاهد القنابل الفسفورية ، وقد أحرقت الجبال من خلفنا .
لم يستطع العدو تحديد مكاننا بدقة ، والأغلب أنه ظن أننا نستخدم المدفع الجبلي (وهو أطول مدى من الهاون غرناي) لذلك كانت رمايات العدو خلفنا بمسافة كبيرة نسبيا . أظنها كانت

المرة الأولى في إستخدام ذلك الهاون ، ولم أشاهده بعدها في يد المجاهدين إلا في السنتين الأخيرتين .

....

مع (رفيع ا)!!

ركبنا شاحنة عسكرية وتحركت بنا على الطريق الأسفلتي لمدة نصف ساعة ثم نزلنا إلى أحد (السماوات) علي جانب الطريق عند قرية (إبراهيم خيل)، حيث مجموعة من المقاهي والدكاكين الطينية تقدم خدماتها للمسافرين و القوافل العابرة. بعضنا كان مفطرا فتناول الشاي الأخضر وآخرون إنهمكوا في شراء بعض البسكويت الحجري كنوع من الترفيه على وجبة الإفطارللصائمين.
كانت القوافل المتجهة نحو الشمال أو القادمة من هناك تمر من هنا بين الفينة والأخري .
كانت "سرانا" على بعد عدة كيلومترات فقط إلى الغرب من تلك المنطقة على الطريق العام .
إنتحيت جانبا وتغطيت بردائي حتى أفوز بقسط من الراحة في أحد أجناب الدكان .لم أكد أذهب في غيبوبة النوم حتى إستيقظت على صياح رشيد وهو يقول ضاحكا : يا إلهي أنت هنا ؟.
قالها بالإنجليزية فأدركت أن أحد الصحفيين الأوروبيين من الذين تعرفوا على رشيد قد عاد إلى هنا مرة أخرى ، وقد أجاب ذلك الوافد بالإنجليزية على دهشة رشيد بتساؤل أكثر غرابة : يا إلهي ... وأنت مازلت حيا؟ .
بعد دقائق كنت أتعرف على (رفيع ا) ... وهو مصور تلفزيوني من أستراليا ... أسلم منذ أربعة عشر عاما ، وحضر منذ أشهر وصور فيلما عن المجاهدين وعرضه في تلفزيون بلاده فلاقى إعجابا كبيرا ،لذا فقد عاد مرة أخرى ومعه مصور آخر جاء لمساعدته.
تعرف رفيع ا على رشيد أثناء زيارته السابقة .
في هذه الزيارة أحضر له بعض الخرائط لمنطقة باكتيا ، وزوج من أجهزة اللاسلكي الصغيرة "توكي وكي". سمع (رفيع ا) أن هناك إستعدادات لمعركة كبيرة في تعمير غرب جرديز وصمم على أن يبقى حتى تصوير المعركة على شرط ألا تتأخر كثيرا .
لقد أثار (رفيع ا) في نفسي الكثير من الشجون حول محور رئيسي وهو : أين العرب ؟. فهذا هو (روفائيللو) الإيطالي الأصل والمسلم فقط منذ أربعة عشر عاما ينفجر حماسا وحيوية للجهاد في جبال أفغانستان ، وهذا هو رشيد والفتية الخمسة معه يصارعون الطائرات والدبابات بحيوية وحماس ، فأين العرب في الإعلام ... وفي القتال ... وفي كل شيء ؟ ...
لماذا هذا الموات والركود ... والتعامل مع الجهاد كما يتم التعامل السلبي مع المسلسلات التلفزيونية.
ومتى يدرك العرب أن الجهاد في حاجة إلى الجهد والدم والمال ... وليس مجرد بضعة دريهمات، تجرح كرامة المسلم أكثر مما تعينه على خوض حرب حقيقية .
قالها لي مرة أحد أصدقائي في أبو ظبي : لقد دفعنا الكثير للمجاهدين في أفغانستان ... فأين هي الإنتصارات والفتوحات؟ ... فسألته :هل حاولت مرة واحدة أن تحسب كم يكلف إشتباك يستغرق دقائق معدودة مع طابور للشيوعيين ؟.
لم يرد جوابا لأنه لم يكن هناك ولو لنصف ساعة.
وحتى نهاية الحرب كان القليل جدا من العرب الذي أدرك فداحة التكلفة المالية للمعارك فكلما تقدمت مراحل الحرب زادت تكلفتها . فالمعركة في بداية الجهاد يمكن خوضها بعدة طلقات كما ذكرنا ، ولكن في وسط الحرب حيث الأسلحة الثقيلة والمجموعات الكبيرة فلا يمكن مقارنتها

بمراحل البداية من حيث التكلفة ... أما إذا دخلت الحرب معركتها الحاسمة وبدأ المجاهدون محاولات إقتحام المدن ، فتلك قصة أخرى لا يكاد يتصورها المسلم العادي من حيث هول المعركة ولا من حيث تكلفتها .
لهذا ننوي الحديث بشيء من التفصيل حول هذه المرحلة عند حديثنا عن فتح مدينة خوست .
وحتى نكون منصفين فلا بد من الإعتراف (بفضل) الأنظمة العربية التي مسخت شخصية مواطنيها، وأرضعتهم الذلة والمهانة والخوف مع حليب أمهاتهم .
لم يكن رفيع ا يخشى شيئا عند عودته إلى بلاده أستراليا، ولم يكن يخشى شيئا في باكستان، لا في المطارات ولا الفنادق والشوارع . وهنا نعترف أيضا أن الإنسان الغربي ـ كافرا أو مسلما ـ هو إنسان حر إلى درجة خيالية إذا قارناه بالإنسان العربي خاصة. ولنعترف أننا عندما حضرنا إلي أفغانستان كنا نتلفت خلفنا وحولنا وتحتبس أنفاسنا في كل محطة للحركة، في المطارات والطرقات . كنا نتوقع دوما نظرات المخبر أو يده الثقيلة عندما تهبط كالمصيبةعلى كتف أحدنا.
لم نكن نشعر بطعم الحرية إلا بعد مغادرة آخر نقطة على الحدود الباكستانية . كان الهواء يصبح أكثر إنعاشا ، وتختلف مناظر الجبال وطعم الحياة ، حتى كسرات الخبز الجافة تصبح لذيذة ومشبعة . كنت أظن في البداية أن تلك المشاعر خاصة بي وحدي ، حتى وجدت أحد إخواننا العرب يتلفظ بها كما كانت تدور في ذهني تماما. لقد كان لتلك المشاعر أثر كبير على سلوكيات وتفكير الكثير من الشباب العربي الذي توافد على أفغانستان في النصف الثاني من مدة الحرب . كانوا يكتشفون أنفسهم ومواطن قوتها عندما يستعيدون حريتهم في جبال أفغانستان فكانوا أكثر بأسا في القتال حتى من الأفغان أنفسهم . وكانوا أكثر غيرة على مصير أفغانستان وعلى نقاء الإسلام علي أرضها ، وعلى إسلامية نظامها القادم أكثر من معظم الأفغان ، بل أكثر مما يحتمله الظرف الراهن وقتها . وأكثر من طاقة الأفغان أنفسهم على الفهم والتطبيق . وكان ذلك سببا ـ رئيسيا فيما أعتقد – من أسباب الفجوة التى ظهرت بين العرب والأفغان ، وتطرف المواقف العربية داخل أفغانستان .
(رفيع ا)الحر الطليق ذكرني بعبوديتنا للحكام والأنظمة . كنت أرثي لحالي وحال إخواني.
** قضينا العديد من ليالي رمضان داخل خيمتنا التاريخية على ظهر الجبل (الحائط) قضيناها في الحديث الثلاثي بيني وبين رشيد ورفيع ا ـ أما المصور الآخر وقد كان نصرانيا ، فقد كان يفضل النوم أو الصمت .
حكى لنا رفيع ا عن عمله التلفزيوني وأسرته ومزرعته الصغيرة والخيل التي يربيها وعشقه للفروسية . رأيت فيه إنسانا شجاعا ونبيلا وذكيا لا يتلون أو يخادع .
لم نلبث إلا عدة أيام حتى تحولنا إلى شاهي كوت وهي قرية ساحرة جنوب وادي زورمات ومقابلة تماما لمركز تعمير ـ الهدف القادم للمجاهدين ـ . شاهي كوت قرية جبلية ولكنها وفيرة المياه وأشجار الفاكهة وذات جمال يطول وصفة ويطول وصفها . ويمكن القول أنها إحدى الجنات المجهولة التي تزخر بها أفغانستان. بيوتها جميعا طالها الدمار الكامل أوالجزئي. كانت أشجار التوت والمشمش تملأ الطرقات الضيقة وأفنية البيوت المهجورة .
وكميات هائلة من الثمار مطروحة أرضا لا تجد من يلتقطها . وجدنا في القرية أسرة واحدة فقط . مجاهد واحد مع زوجته وطفل وطفلة كلاهما تحت السادسة من العمر يقفان في ذهول وسط الطرقات المقفرة ، والحقول المليئة بالأعشاب البرية الموحشة.

كان منظر الطلفين لا يقل وحشة وحزنا عن منظر القرية المدمرة .
تخيلت هذا المكان قبل الحرب وكم كان مرح الأطفال وسعادتهم في وسط كل هذه الأشجار المثمرة الظليلة وجداول الماء التي تروي العطش ولا يرتوي منها النظر . تخيلت أطفالي لو جاءوا معي إلى هذا المكان. تبسمت لهذا الخاطر كم ستكون صعوبة أن أجمعهم مرة أخرى من فوق الأشجار وجداول الماء ، وحتى من الحقول المهجورة ذات الأعشاب الوحشية .
** زارنا جلال الدين في القرية وعقد جلسة شورى موسعة مع مجاهدي المنطقة وما تبقى من السكان ، وأخبرني عن وفد ذهب إلى باكستان كي يقنع أهالي شاهي كوت بالعودة التدريجية على أن يعود الرجال أولا مع بعض النساء لزراعة الأرض.
أفلحت مجهودات التشبث بالأرض لفترة محدودة ثم إنهارت للأسباب التي ذكرناها .
وقد عدت مرة أخرى إلى شاهي كوت عام 1988م ، ولم أجد فيها سوى المجاهدين فقط وبدون أثر لحياة مدنية للسكان .
إنها سياسة الأرض المحروقة،و تفريغ الأرض من السكان، والتي تكاتف على تنفيذها السوفييت وقادة الأحزاب في بيشاور مع (منظمات الإغاثه الإنسانية) بسياساتها الخبيثة .
بالتدريج بدأت تتضح فكرة الهجوم على مركز تعمير. وكما ذكرنا فإن الروح المعنوية كانت في قمتها . فضربات المجاهدين ناجحة بإستمرار والمبادرة العسكرية في يدهم دائما ، والعدو في حالة إحباط وهجماته فاشلة ، وسلاحة الجوي يبدو كأنه فقد تأثيره حتى تعود الناس على الإفلات منه وتحمل تواجده كضيف ثقيل ... ضار أحيانا.
عقدت العديد من جلسات الشورى داخل بيوت شاهي كوت المدمرة، تمتعت خلالها بأكل أكبر وأشهى كمية من فاكهة المشمش والتوت . كنت مسرورا أكثر من أي شخص آخر، ليس من أجل الفاكهة فقط ، ولكن لكوني أرى إتحادا حقيقيا بين المجاهدين ، إتحاد يتخطى القبيلة والحزب. لم أكن واهما في ذلك فقد أثبتت معركة تعمير أن ما كنت أراه كان حقيقة.
فالمعركة كانت أكثر من رائعة، وكانت أكبر تحدي للسوفييت في باكتيا . القتال كان في منتصف وادي زورمات فسيح الأرجاء ، حيث الغلبة العسكرية لمن يسيطر على الجو ويمتلك الدبابات . المعركة أثبتت العكس . الكفة كانت (للمسلمين المتحدين) الشجعان الفدائيين .
ربما كانت معركة زورمات سببا في وقوعي في خطأ فادح في حساباتي الأفغانية ، فقد ظللت أعتقد حتى لحظة فتح كابل ، أن هناك قوة خفية مخلصة ومتحدة من المجاهدين الأفغان سوف تلتقي في اللحظة الحاسمة وتفرض حلا إسلاميا في أفغانستان رغما عن الأحزاب وما تمثله من تدخل أجنبي صليبي يهودي في شؤون أفغانستان . كان ذلك هو الوهم الأكبر الذي ظل يلازمني. وأظنه كان أكبر أخطائي في تلك السنوات، ومن فوائد ذلك الوهم أن ساعدني على الإحتفاظ بمعنويات عالية حتى في أحلك الظروف *.
تجمع قادة المجموعات في أيام وليالي رمضان يتناقشون ، وتجمعت الإمكانات وكانت الحصيلة مذهلة بمقياس ذلك الوقت. تجمعت لدى المجاهدين ست دبابات إضافة إلى عدة مدافع ميدان عيار 122مم ومدافع جبلية عيار 76مم . إضافة إلى عدد كبير من المجاهدين شاركوا في لقد تأخر الإتفاق كثيرا ولم تنفذ العملية إلا بعد عيد الأضحى. وإنتهاء جميع المناسبات الدينية التي تستدعي إجازة إجبارية من العمليات، فلم أستطع حضورها.
وأبلغني رشيد بنتائجها تلفونيا كما تلقيت رسالة كتابية من حقاني حول نتائج المعركة. بعثت بها إلى جريدة الإتحاد مع شرح موجز لأهمية نتائج المعركة والتحديات الخطيرة التي تمثلها.

لقد تركت تلك المعركة تأكيدا في نفوس من خاضوها بأن الروس قابلون تماما للهزيمة.
وهي نتيجة كان من العسير إقناع الناس بها، فبقيت حكرا على المقاتلين فقط . لذلك إختلفت كثيرا حسابات خطوط القتال مع حسابات بيشاور والمتعاونين معها . وأظنني تبنيت وجهة النظر الأولى وتصادمت بشدة مع معتنقي الرأي البيشاوري .
كونت رأيا مفاده أن المساعدات يجب أن تصب مباشرة في الداخل وأن يتواجد المتطوعون العرب هناك ، كي يقوموا بمهمة مزدوجة . فمن جهة يساعدون على إقامة إتحاد حقيقي بين المجاهدين الحقيقيين ، ومن جهة أخرى ينظمون أنفسهم ويقاتلون إلى جانب إخوانهم الأفغان .
وكنت أرى أن دور الإخوان مازال ضروريا لتنظيم العمل العربي نفسه . ولم أجد أمامي بديلا عن الإخوان فتابعت الجري خلف ذلك السراب حتى أفقت على ضربات مؤلمة فوق رأسي من الإخوان أنفسهم ، أعادت إلي إبصاري من جديد، وفهمت بعضا من حقائق الحياة المؤلمة.
ولم أسترد وعيي إلا في عام 1984م بعد لقاء لي في بيشاور مع الأستاذ مصطفى مشهور وهو من قيادات الإخوان في مصر . لقد أقنعني الرجل تماما أن هناك فرقا بين 48 و 84 إنه تبدل كامل لمواقع الأرقام . وتبديل كامل ليس لمواقف الإخوان بل للإخوان أنفسهم.
شتان شتان بين إخوان 1948م أولئك الأبطال المجاهدين ، وإخوان 1984م أصحاب الدور المتواضع في ركاب القوة الأمريكية المهيمنة على شؤون العالم .
لقد قام الإخوان بالدور الذي يناسب مؤهلاتهم الحالية . قاموا به في سوريا ثم في أفغانستان في عقد الثمانينات.. باعوا قضيتين جهادتين لحساب السياسة الأمريكية.
وياله من دور إسلامي للجماعة التاريخية الأم !!.
عن معركة تعمير مرة أخرى : إستمرت المعركة خمسة أيام متواصلة . حوصر فيها الموقع ، وحاولت قوة عسكرية من جرديز القريبة أن تفك الحصار فأوقعها المجاهدون في كمين ودمروها
واستمرت المعركة أربعة أيام إضافية فتح فيها المركز. وأمامي الآن قائمة الغنائم وكانت : دبابتين سليمتين من طراز (تي ـ 54)ومدفعين من عيان 76مم مع 3 رشاشات ثقيلة من طراز دوشكا و 7 صناديق قنابل يدوية و 122 ألف طلقة كلاشنكوف و 6 رشاشات خفيفة مع عدة سيارات محملة بالأغذية والملابس الشتوية (كان الشتاء على الأبواب) وقد جرح حقاني في هذه المعركة ومعه 44جريحا آخر . أما عدد الشهداء فكان ثلاث عشر شهيدا .
إستمر المجاهدون في وادي زورمات أكثرمن شهرين ـ قبل وبعد العمليات ـ وقطعوا تماما الطريق بين جرديز وغزني وقطعوا أيضا إتصال جرديز مع كابل . أي أن جرديز قضت فترة من الحصار البري الكامل . وفشل الروس في تطهير وادي زورمات الفسيح طوال عدة أشهر بل فشلوا في صد هجمات المجاهدين على مواقع رئيسية في ذلك الوادي وفي مقدمتها مركز تعمير .
هل كان ذلك يعني شيئا آخر سوى أن السوفييت ليسوا سوى نمور من ورق وأنهم قابلون للهزيمة ؟ ..لقد ولدت فى تعمير وترعرعت فكرة فتح المدن الكبيرة ، وبعد أن كانت طيفا شاحبا قبلها ، أصبحت بعد تعمير فكرة معقولة . لم تبارح تلك الفكرة الطموحة ذهن جلال الدين حقاني. وسوف نتحدث عن نمو تلك الفكرة وتطورها في برامجه العسكرية حتى حقق أكبر إنجاز عسكري في حرب أفغانستان متمثلا في فتح مدينة خوست .
هذا الكلام يتعلق كثيرا بما ذكره محمد يوسف في كتابه فخ الدب وإدعاءاته كضابط مخابرات ـ بأن أفكار الدفاع الثابت عن القواعد الإستراتيجية للمجاهدين كانت فكرته ، وأنه ساند مشروعا

للهجوم على خوست عام 1985م قام به المجاهدون ولكنه تكلل بالفشل . وسوف نتعرض لكل ذلك في حينه

....

عام1982م:

التحول نحو خوســت.. والطــريق الى جــاور

ظهرت أهمية باكتيا أمام ناظري بالتدريج ، ليس فقط من خلال المعايشة الميدانية لكن من خلال مناقشات مطولة مع ثلاث شخصيات لها ثقلها العسكري والفكري ، وهم جلال الدين حقاني وما يمثله من ثقل ديني وعسكري وسياسي داخل باكتيا وما حولها . والرائد رشيد الذي قابلته عام 1981م وقد كان رجل عصابات بفطرته و دراسته.ثم الرائد جولزراك المدرس السابق بالكلية الحربية في كابل ، والذي عمل لفترة مستشارا عسكريا ومساعدا ميدانيا مع جلال الدين حقاني . وأظنها كانت أكثر فترات حياته العسكرية خصوبة وثراء . وقد إنتهت تلك الفترة عام 1985م عندما التحق جولزراك بالجهاز العسكري للإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان الذي يقوده سياف حيث دفن جولزراك كرجل عسكري وتحول إلى العمل البيروقراطي في بيشاور .

وحيث أن الإستراتيجية تتعامل غالبا مع الثوابت خاصة الثوابت الجغرافية التي يصفها البعض بأنها المادة الخام للإستراتيجية ، فلم يكن غريبا أن أجد تأكيدا لأهمية باكتيا فيما ورد في كتاب (فخ الدب) مضافا إليها أرقاما ذات دلالات عن نسبة الإمدادات التي ضختها المخابرات الباكستانية عبر تلك المحافظة .

لذا فقد شهدت باكتيا عددا من أعظم معارك الحرب الأفغانية ولكنني أدعي بأن مصير الحرب الأفغانية قد تحدد في معظمه فوق جبالها العتيدة وعلى أيدي مجاهديها من رجال القبائل الأشداء وقادتها الأفذاذ . وكان من الممكن التنبؤ بذلك منذ سنوات مبكرة جدا من الحرب . وقد ذكرت ذلك في أحد التقارير الميدانية التي نشرتها جريدة الإتحاد(في 10 / 12 / 1982م) حيث وردت فقرة أقرأها الآن وأشعر بالإستغراب لكونها وردت في تلك الأوقات المبكرة فكانت مثل النبوءة التي سبقتها إرهاصات كانت واضحة للبعض وأغمض كثيرون أعينهم أو أهالوا عليها التراب لأسباب عديدة . تقول عبارة في ذلك التقرير (خوست ... إسم لمدينة أفغانية كبيرة تقع على الحدود الجنوبية الملاصقة لباكستان وهي غير مشهورة في الخارج شهرة وادي بانشير أو نفق سالانج ولكنها بتواضع جم تبدو وكأنها سيتحدد فيها جانب كبير من مصير الحرب الأفغانية ، وبعيدا عن الأضواء تجري هناك أشرس معارك صراع البقاء) .

وأظنها أحد النقاط الهامة في ذلك الكتاب ، ألا وهي إلقاء بعض الضوء من قريب على بعض هذه المعارك . والنتيجة المترتبة على ذلك إثبات أن النظام الشيوعي قد إنهار بفعل المعارك التي دارت في باكتيا، خاصة معركة فتح خوست التي دمرت النظرية الأمنية للنظام الشيوعي فإنهار بعد عام تقريبا من تلك المعركة .

لقد حاول البعض الطعن في تقييمنا لأهمية باكتيا ـ ومناداتنا المبكرة بضرورة مساندة المجاهدين فيها باعتبارها (البوابة الصخرية) لأفغانستان ـ وحاول سياف أن يطعن في كل ذلك، وصور لأتباعه من العرب أن ذلك التقييم نابع من صداقتي مع جلال الدين حقاني وأنها

مجرد آراء شخصية ... ولكن سياف عندما حاول أن يصنع له مجدا عسكريا لم يجد سوى باكتيا فكانت قصته مع جاجي، ثم إستدراج التواجد العربي إلى جاجي الذي نتج عنه معارك جاجي العربية عام 1987م وبروز(أبو عبد ا) أسامة بن لادن على مسرح الأحداث في أفغانستان . وما ترتب على ذلك من تطورات أفغانية وغير أفغانية على ذلك الظهور .
لقد كانت باكتيا هي محضن التواجد العربي الحقيقي علي الساحة العسكرية في أفغانستان . وفرضت ذلك حتميات الجغرافيا أكثر من القناعات والدراسات، التي لم تكد تظهر في أوساط العرب المجاهدين. وأظن أن ما كتبته عن ذلك الموضوع سواء في الصحف، مثل الإتحاد وغيرها، أو التقارير الخاصة التي وزعتها على بعض المهتمين والأصدقاء لم يكن لها تأثير يذكر على مسيرة الحركة العربية ، ناهيك عن الأفغانية . ولكن تحركنا الصغير ظل ملتزما بقوة بتلك النظرة وأحرز بعض الإيجابيات والنجاحات على ساحة باكتيا العسكرية كما سيأتي ذكره فيما بعد .
وقبل أن نستعرض بعض الكتابات حول باكتيا، أحدها تقريرا كنت قد كتبته (عام 1984م)وبعضها فقرات وردت في كتاب فخ الدب ، قبل ذلك نمر على بعض المحطات في عامي 1982و 1983م حيث أن الحديث عن باكتيا سوف يقحمنا مباشرة في أحداث 1984م لذلك سوف نبقى قليلا في محطةعام1982 .

****

ما أن هبطت الثلوج في جرديز فى شتاء 1981حتى نزل حقاني إلى الجنوب وبدأ نشاطه العسكري في مدينة خوست ، حيث البرودة أقل قسوة ويمكن للمجاهدين العمل فيها أثناء الشتاء.
وقبل بداية العام الجديد كان قد تمكن من الإستيلاء على حصن (دابجي) الذي يتحكم في أحد الممرات الطبيعية الواصلة بين خوست والأراضي الباكستانية . أتاح هذا النصر حرية حركة أوسع للمجاهدين من خلال ذلك المنفذ . ولكن الإستفادة منه لم تكن كبيرة للغاية لسببين .
الأول بعده النسبي عن ميرانشاه الباكستانية والتي كانت المعقل الصديق خاف الحدود حيث الإمداد ومراكز القيادة والإدارة لمنظمات المجاهدين . والسبب الثاني والأهم أن قبائل من منطقة (مير علي) القريبة من ذلك المنفذ لم تكن متعاونة مع المجاهدين ، وكانت تتلقى دعما ماليا وتسليحا من حكومة كابل الشيوعية . وفي هذه الأيام ـ وقت كتابة هذه الأسطر ـ أشعر بالأهمية العالية لفتح حصن (دابجي) بأكثر مما كنت أشعر به مع وقت حدوثه.عقيد الإستخبارات (محمد يوسف) عبر في كتابه وبشيء من الإحتقار لتلك الفتوحات الحدودية .
وقال عنها أنها كانت محببة لدى (قومندانات) ـ قادة ـ المجاهدين الميدانيين لكونها قريبة من مراكز الإمداد داخل الحدود الباكستانية كما أنها تضمن لهم الثناء والمكافأة من الحكومة الباكستانية والسمعة العالية في الخارج عبر وسائل الإعلام . كان ما يقوله العقيد صحيحا في بعض الحالات، سوف يرد معنا ذكر بعضها. ولكن فتح (دابجي) لم يكن من تلك الحالات.
أقول ... أدركت الآن أهمية تلك الفتوحات الحدودية وضرورتها لتأمين منافذ آمنة ومحمية يستخدمها المجاهدون في العبور . وقد عاصرنا في العامين الأخيرين (1993م ـ 1994م) مأساة المجاهدين في طاجيكستان وهم لا يجدون تلك المنافذ ، فقد إتخذ الروس من نهر جيحون (آمو داريا) عائقا طبيعيا أقاموا خلفه نقاط الحراسة والدوريات مانعين المجاهدين من العبور .
وخلال هذين العامين لم يكن العبور ممكنا إلا بدفع رشوات محترمة للضباط الروس ، مع وجود مخاطر دائمة أثناء عبور المجاهدين الذي يستمر أحيانا بطول ستين كيلومترا على طوال

النهر وتحت ملاحظة الروس حتى ينحرف المجاهدون شمالا إلي عمق البلاد .
كانت الحدود الأفغانية دائما تستعصي على الإغلاق لطبيعتها الجبلية وطولها الذي يستحيل تغطيته . وليس الحال كذلك ـ بكل أسف ـ في حالة طاجيكستان في جهادها الراهن .
لهذا لم يشعر (العقيد) بأهمية ذلك العمل، فقد وصف محاولات الروس إغلاق الحدود الأفغانية مع باكستان بأنها مثل محاولة إغلاق صنبور المياه بوضع اليد على فوهته .
لقد حاصر حقاني حصن دابجي لمدة شهر ونصف ومنع كل النجدات القادمة من خوست ودمرها.
وفي النهاية فرت حامية الحصن في جنح الظلام تاركين العديد من القتلى والجرحى وكميات من الأسلحة والعتاد من بينها دبابتان من طراز (تي ـ 34) ومصفحة واحدة .
وقد بذل جلال الدين حقاني جهودا كبيرة حتى أقنع السلطات الباكستانية بنقل تلك الدبابات عبر الأراضي الباكستانية وإدخالها مرة أخرى إلى أفغانستان عبر ممر (صدقي) أو ممر(غلام خان) القريب منه وكلاهما يؤديان إلى مناطق نشطة وحساسة عسكريا . وكان لتلك المعدات تأثير كبير في عدد من الصدامات الهامة مع القوات الشيوعية .
....

الطريق الى جاور

تحركت بنا (السوزوكي) الصغيرة عبر الحدود من معبر (صدقي) ، كان رشيد إلى جانبي والضابط عمر يقود السيارة وخلفنا خمسة من المجاهدين والجميع وجهتهم (جاور) ...
(جاور) ذاك الإسم الذي سمعته لأول مرة وبالطبع لم يدر بخلدي أنه ستكون له في السنوات القادمة تلك الأهمية الهائلة . أما الضابط عمر، فهو شاب من قبيلة زدران إلتحق بالمجاهدين وأصبح من رجال حقاني المقربين . بدأ حياته العملية معه مسئولا عن (جاور) . كان رشيد يرى أن جاور مهمة ولكنه ما كان يثق كثيرا في كفاءة عمر . وفي السنوات اللاحقة أصبح الضابط الشاب عمر مسئولا عن (الإستطلاع) وجمع المعلومات لدى حقاني . كما أشرف لفترة على بعض الأعمال الإعلامية كان أولها محطة الإذاعة المتنقلة . و كنا في الطرق كي نشاهدها في جاور .ويبدو أن مهمة جاور الأساسية في ذلك الوقت أن تكون مستقرا لتلك الإذاعة وتوفر لها الحماية من الطيران أو تخريب جواسيس العدو .أما مهام جاور كقاعدة خلفية فلم تكن واضحة كثيرا في ذلك الوقت ، ولكنها نبتت وإزدهرات بالتدريج كواحدة من أهم القواعد الخلفية للمجاهدين،ربما على نطاق أفغانستان كلها . ودارت فوقها واحدة من أعنف معارك السوفييت فى تلك الحرب وربما أعنفها على الإطلاق ، وذلك بعد حوالي أربع سنوات من زيارتي الأولى لها أي عام 1986م .
كانت جاور في خطوتها الأولى عبارة عن خيمة واحدة فوق ربوة مشجرة ، وعربة للإذاعة مختفية بين الصخور والشجيرات،وعدد من العمال منهمكين في تهيئة حفرة في الهضبة الترابية لإخفاء عربة الإذاعة التي لم يكن قد مضى على عملها سوى أيام وتقصفها الطائرات على غير هدى، حتى ساعدتها المضادات الجوية في تحديد الموقع بدقة ، فبدأت الطائرات تحدد هدفها بسهولة نسبيا.كانت تلك المضادات في ذلك الوقت عبارة عن مدفع واحد زيكوياك عيار14.5مم، أما الإذاعة فكانت تبث برامج، معدة سلفا ومسجلة في مدينة ميرانشاه، وذلك بعد العصر لمدة نصف ساعة .
أخبرني حقاني وقتها أن حكومة باكستان قد سلمت المجاهدين أربعة أو خمسة محطات إذاعية

متنقلة ، كانت محطة جاور واحدة منها . تذكرت محاولتنا الفاشلة في الحصول على محطة إذاعة من الشارقة منذ ثلاث سنوات . كنا في ذلك الوقت نتوقع تأثيرا دراميتكيا للإذاعة ، وأنها ستقود إلى ثورة عامة عندما يعلم الشعب بانتصارات المجاهدين . الآن هناك خمسة إذاعات على الأقل ولم نحصل على تلك النتيجة التي نتصورها . فهل كان تصورنا الأول على خطأ ؟. أظنه كان به كمية من المبالغة ولكنه لم يكن على خطأ كامل . لقد كان للمجاهدين في عامهم الأول، قبل المساندة الدولية، كان لهم تأثير أسطوري على النفوس . ولكنني إكتشفت متأخرا ـ كالعادة ـ أن بريق المجاهدين يخبوعندما تزداد المساندة الخارجية لهم خاصة من أطراف يكرهها الشعب تقليديا . فباكستان ليست من الدول المحبوبة لدى الأفغان بل أنهاعدو تقليدي منذ الإحتلال البريطاني للهند . كذلك أمريكا والغرب كانوا مكروهين مثل الروس أو أكثر. وهكذا وجدت الدعاية الشيوعية المضادة تفهما ولو محدود من الشعب الأفغاني ولولا المساندة العربية ـ خاصة المتطوعين العرب ـ لفقد المجاهدون في أفغانستان مصداقيتهم .

التواجد العربي في أفغانستان كان أكثر أهمية من أي سلاح عسكري أو أموال لأنه تواجد يتصل بصميم وجوهر الصدام، ألا وهو الجانب العقائدي والنفسي. لهذا كانت الحملة الصليبية رهيبة ضد هؤلاء المتطوعين العرب. وكما هو معلوم دور أميركا في قيادة هذه الحملة ودور الأنظمة العربية في خوض غمار الحرب ضد من أسموهم (بالأفغان العرب) بدلا من (المجاهدين العرب) أو (الأبطال العرب) .

□ ما هي إلا أيام قليلة حتى تحركنا في مجموعة من عشرين مجاهدا بقيادة رشيد في مهمة إستطلاع إستغرقت يوما واحدا من المسير الشاق . شمل الإستطلاع منطقتين ، الأولى منطقة (دراجي) في الشمال الغربي من جاور والأخرى منطقة (ليجاه) في الشمال الشرقي منها.

بعد يومين من الرحلة فر ثلاثة جنود من حصن (ليجاه) وأفادوا بأنهم قد رأونا أثناء عملية الإستطلاع ، ووصفوا أفراد المجموعة بأن أحدهم كان يرتدي طاقية بيضاء(رشيد) وآخر كان يلتقط الصور الفوتوغرافية (كاتب هذه السطور) .وأفادوا أيضا بأن ضابط الموقع طالبهم بإطلاق نيران الرشاش الثقيل على هذه المجموعة ، ولكنهم ـ أي الجنود الثلاثة ـ جادلوه في ذلك لأن المجموعة (أي نحن) إنما هي مجموعة مسالمة من عابري السبيل !! .

شعرت بالخجل وقتها من حالتنا كمجموعة إستطلاع مهملة . ولكنني رأيت دوريات كثيرة أسوأ حالا من حالتنا تلك . على أية حال كان الإستطلاع على حصن (دراجي) جيدا ربما لأنه تم أثناء النهار . وتم عن مسافة قريبة . أما عند (ليجاه) فقد كنا في جبل مرتفع عن مستوي الحصن الحكومي (البوسطة) .

ولم نكن قريبين بما فيه الكفاية لذا إنتابتنا حالة من الإهمال والتسيب .

ومع هذا فإن ظهورنا قرب ليجاه كان حدثا غريبا على حاميتها التي كان تعيش في هدوء منذ مدة طويلة.وكان حقا نذير شؤم لهم.

أثار ذلك شجون الجنود ، أو أثار خوفهم فهربوا وأدلوا بمعلومات كانت كافية كي يأخذ مولوي جلال الدين حقاني قرارا بغزو ليجاه .

بعد عدة أيام تحركت مع مجموعة برئاسة رشيد مع مدفع هاون وسط (82 مم) لمناوشة الحصن ، والبقاء هناك كطليعة لقوات الغزو التي سوف يحشدها حقاني . كنا في منتصف فصل الصيف وتم فتح حصن ليجاه مع نهاية الخريف،وتقهقر العدو تاركا جبال ليجاه تماما و بذلك سيطر المجاهدون على الممر الذي كانت تغلقه تلك البوسطة الحكومية في نهاية السلسلة

الجبلية . ولكن القوات الحكومية إتخذت موقعا في الوادي على بعد عدة كيلومترات من مدخل الممر.وعلى المدى الطويل إتخذ حقاني ذلك الأسلوب التدريجي البطيء حتى توصل إلي فتح خوست عام 1991م .

كانت إستراتيجة مناسبة تماما ـ كما أثبتت التجربة ـ للواقع العسكري والسياسي والإجتماعي للمنطقة . كانت عمليات المجاهدين تدفع القوات الحكومية بالتدريج نحو الوادي تاركين الجبال تحت سيطرة المجاهدين ، وبعدها بدأت المعارك في الوادي نفسه . وهي بالطبع أكثر صعوبة بالنسبة للمجاهدين ، الذي إتبعوا نفس الأسلوب البطيء في القضم التدريجي وإنقاص الأرض من أطرافها . إن معركة دابجي التي أشرنا إليها أنهت سيطرة الحكومة على منفذ حدودي مع باكستان في نقطة تبعد حوالي أربعين كيلومترا عن مركز خوست وأتاح ذلك إمكانية أفضل للإمداد بالنسبة للمجاهدين . أما في ليجاه فإن سيطرة المجاهدين على جبالها فقد أتاح لهم إمكانية أفضل للتسرب إلى داخل الوادي والوصول إلى المراكز الإدارية والقيادية هناك. وذلك السبب وراء الحملات العسكرية العنيفة التي قام بها السوفييت لإستعادة زمام الأمور وفرض توازن جديد في مصلحة القوات الشيوعية . وكانت أقوى تلك الحملات في أعوام 1983 ، 1985 ، 1986م. والأخيرة كانت من أشد ما شهدته أفغانستان من معارك .

كانت رحلتنا الإستطلاعية أول تدشين لنشاطات جاور . كما كانت عملية ليجاه أول حملة عسكرية تقوم بها جاور فيها بدور قاعدة الإنطلاق والتموين والإدارة . وإنتهى ذلك الدور بإسقاط مدينة خوست الذي أدى مباشرة إلى إنهيار كابل ونظامها الشيوعي بعد عام واحد من فتح خوست .

كان لمجموعتنا غارة يومية على حصن(ليجاه) وتتابع وصول الإمدادات ، فأصبح لدينا مدفعي دوشكا يعملان على التلال بهدف الحماية من غارات الطيران. وتزايد تدريجيا عدد المجاهدين واقترب مدفع الدوشكا أكثر حتى صار في مقدوره إصابة جنود الحكومة في الحصن وقد ضايقهم ذلك كثيرا. ولم تفد مدفعية الحكومة ولا غارات الطائرات النفاثة في تحسين وضع حامية الحصن. وتتابع ضغط المجاهدين وغارات الهاون المؤثرة. وزادت الإصابات في صفوف الجنود بينما لم نصب بأية خسائر حتى ذلك الوقت .

وتطور الأمر في أحد الأيام فوصلت عدة مصفحات إلى الحصن نقلت الجنود إلى الخلف . وخيل إلينا أن المعركة قد إنتهت. فتقدمنا خمسة أشخاص نحو الحصن في حرص شديد لسببين، الأول: عدم تأكدنا بأن كل الجنود قد رحلوا والثاني: خوفنا من حقول الألغام التي نشرها العدو في المنطقة كلها ـ وليس فقط حول الحصن ـ . وأثار ذلك الذعر في صفوفنا . وما أن وصلنا إلى مسافة مائة متر من الحصن حتى أزت رصاصة فوق رؤوسنا . تصورنا أن أحد المجاهدين قد أطلقها لأننا لم نشاهد أية حركة في الحصن . ولكن تتابع الرصاص نبهنا إلى أن مصدره جاء من الحصن فاتخذنا سواتر قريبة وبدأنا في تبادل النيران .

كان معنا الضابط كمال وهو ضابط شاب رأيته لأول مرة في ليجاه كان هادئا للغاية ، وعنيدا لدرجة كبيرة . كان يحمل على كتفه مدفعا عديم الإرتداد بينما يحمل مساعده عدة قذائف فبدأ على الفور في الرماية على الحصن ، فانقطعت الرماية منه تماما .

كان واضحا أن الإستيلاء على الحصن مسألة غاية في البساطة فلا أحد هناك غير ثلاثة جنود كما قدرنا ذلك من الرمايات ـ ولكن المشكلة كانت الألغام . لقد توقف زحف المجاهدين عدة أيام وهم يحاولون فتح ثغرة للنفاذ إلى الحصن . وكانت فترة كافية جهزت الحكومة فيها قواتها

وجابهتنا فيها بهجوم مضاد شديد كان أسوأ ما فيه طائرات الهيلوكبتر .
مرة أخرى أواجه محنة الهيلوكبتر بعد معركة دارا في العام الماضي .لم تكن محنة ليجاه بنفس الشدة ولكنها دامت لفترة أطول. فقد تمكنت الطائرات وأظنها لا تقل عن ست طائرات من إسكات مدفعي الدوشكا. لم تصب المدافع ولكن الأطقم لم تستطع الثبات أمام الصواريخ التي صبتها الطائرات فوق رؤوسهم . أصبح معسكرنا بلا دفاع جوي . وصمتت النيران من جانبنا تماما، وتفرغنا عدة ساعات للجري في الشعاب والوديان وبين الشجيرات بينما الطائرات الست تلاحقنا بالنيران من نقطة إلي أخرى . كنا أشبه بسرب من الجرذان تطارده ست من القطط المتوحشة، وقرب العصر إنتهت المعركة غير المتكافئة . وقد تقطعت أنفاسنا ، وهبطت معنوياتنا بسبب عجزنا المهين أمام الطائرات. لم يمنع ذلك ظهور حالة من المرح و"التبريكات" بين المجاهدين،كانت مفاجأة سارة لنا ألا نجد أية خسائر في معسكرنا سواءفي الأفراد أوالمعدات. لهذا قضينا ليلة مرحة حول أكواب الشاي الأخضرالذي لم أستمتع به تماما لكونه خال من السكر.
 وصلت التعزيزات إلى حصن ليجاه ودبت فيه الحياة مرة أخرى واستدعى الأمر إستمرار المعركة عدة أشهر أخرى حتى تم الإستيلاء التام عليه. ويمكن إرجاع السبب الأساسي إلى الألغام وكانت تلك الموقعة أول معايشة عملية بالنسبة لي لخطورة الألغام. وقد كانت أفغانستان حالة لم تتكررسابقا في تاريخ الحروب بالنسبة لبشاعة إستخدام الألغام إلى حد فاق أي حاجةعسكرية حقيقية.
أما الهيلوكبتر وكان ذلك هو لقائي الثانى معها، فقد زاد إحترامي لها كسلاح فعال ، وزادت قناعتي أيضا بإمكان التغلب عليها وأنها مشكلة تتعلق بمتانة الأعصاب قبل أي شيء آخر.
وإقتنعت بأن تأثيرها محدود جدا على مسيرة العمليات، خاصة إذا كانت تضاريس الأرض تماثل تلك التي كنا نقاتل عليها في باكتيا. أرض صخرية وعرة كثيرة الأشجار. في مثل تلك الأرض لا يحتاج المجاهد لأكثر من قدمين تجيدان إتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب .
وجدت ذلك الحل الأمثل ورأيته أفضل حتى من إستخدام الصواريخ المحمولة على الكتف، وما زلت على قناعة بأن الإقدام المدربة أفضل ألف مرة من(ستنجر) الأمريكي. أما الرشاشات الثقيلة فهي كارثة حقيقية على مستخدميهاخاصة في مواجهة الهيلوكبتر.وهكذا كانت نصائحنا لإخواننا المجاهدين في طاجيكستان عندما لمسنا ذعرهم من الطيران وبحثهم الملهوف عن بقايا صواريخ (ستنجر) التي كانت أمريكا تسابق الزمن في سبيل جمعها من أفغانستان . وبالفعل إستطاع المجاهدون الطاجيك مجابهة الطيران بنجاح أكثر هذا العام **(1994م)** رغم عدم وجود(ستنجر) لديهم مع وجود عدد محدود جدا من صواريخ "**سام7**" الروسية فقد تفادوا تأثير الطيران ، وأسقطوا عددا محدودا جدا من الهيلوكبتر كانت واحدة أو اثنتان منهما بواسطة "**سام7**" ذلك الصاروخ الأحمق .
(فمنذ حادثة دارا وأنا أشعر بكراهية شخصية تجاهه).
لقد أدرك إخواننا الطاجيك أن الإستخدام الجيد لطبيعة الأرض هو خير سلاح في مواجهة الطيران خاصة في مراحل الجهاد الأولى وغياب التدريب الجيد على الرشاشات الثقيلة وعدم توافر الصواريخ المناسبة.
ولا يمكن إنكار أن صاروخ (ستنجر) كان فعالا في مواجهة الهيلوكبتر بشكل خاص ، حتى أن تأثيرها تقهقر كثيرا منذ ظهوره . ويجب ملاحظة أن الرادع المعنوي لأي سلاح أكبر بكثير من قيمته العملية . لهذا فبغض النظر عن نسبة الإصابة التي حققها الصاروخ المذكور ولكن الهالة الدعائية حوله كانت أكبر بكثير من تأثيره العملي .وقد تأثر العدو كثيرا بتلك الدعاية وإنهارت قيمة الهيلوكبتر إلي درجة كبيرة . أما الطائرات النفاثة فقد ضاع جزء من فعاليتها

لاضطرارها إلى الإرتفاع أكثر من مدى الصاروخ (6 كم تقريبا) .أما نسبة الإصابة العالية التي روجها الإعلام الأمريكي فقد كانت محض تهويل ولم تكن أكثر من الدعاية لترويج السلاح في السوق الدولية إضافة إلى التأثير السياسي لتلك الدعاية .
أما الرشاشات الثقيلة فقليلا ما استخدمت بشكل جيد في أفغانستان فهي تحتاج إلى طاقم على درجة عالية من التدريب. كما لا بد لها من الإستخدام الجماعي لتلك الأسلحة ، وما يستدعيه ذلك من كمية ضخمة من الذخائر . وهذا شرط صعب أيضا . يضاف إليه صعوبة المناورة بتحريك تلك الأسلحة وذلك يجعلها هدفا ثابتا للطيران .
 يستجيب مولوي جلال الدين بسهولة للتحدي . لم يكن من السهل بالنسبة له أن يقبل ما فعله الطيران بنا. فوجه تأنيبا شديدا لأطقم الدشكا . وأتبع ذلك بإجراءات عملية أخرى ، فأحضر واحدا من صواريخ سام7 وسلمه إلى الضابط كمال ، وأحضر مدفعا من طراز زيكوياك (5، 14مم) ووضعه على جبل مرتفع خاف مواقعنا ، وأحضر عددا من قواذف "آر بي جي" المضاد للدروع وأمر رجاله بإستخدامها ضد الهيلوكبتر وأيضا ضد النفاثات . لم يكتف حقاني بكل ذلك بل سلح نفسه بواحدة من تلك القواذف ، وكان يصعد بنفسه إلى أقرب قمة إليه عندما يسمع صوت الطيران قادما ، وكان يرمي على الطائرات بنفسه.
لكل تلك الإجراءات مجتمعة هي نموذج مثالي لروح التحدي والمواجهة العنيفة التي يتميز بها أسلوب حقاني في العمل العسكري . ويمكن القول أنها (بصمته العسكرية) . لقد فهم الرجال أن التراجع أمام الطيران ممنوع وأن الإستخدام (الملهم) للأرجل غير مسموح به بعد الآن .
شعر العدو بقوة موقعنا فتحولنا تلقائيا إلى هدف هام. وحرمنا ذلك من النوم والراحة وصرنا عرضة دائما للقصف المدفعي والغارات الجوية التي زادت حدتها بعدما رأت قوة النيران الصاعدة إليها . وبسرعة عزز العدو مواقعه حول حصن ليجاه وبدأت المواقع القريبة منه والقواعد الرئيسية داخل المدينة تقدم دعما مدفعيا للحصن. لقد وجدنا أنفسنا فجأة وسط الجحيم، بينما برنامجنا الهجومي قد تجمد بسبب الألغام. في حين تحول همنا الأول هو الدفاع عن أنفسنا ومركزنا . هذا التحول أدى إلي نشوب خلاف بين رشيد وحقاني لم يجتمعا بعده أبدا .
غادر رشيد الموقع ومن يومها لم أقابله في الجبهات . تتوافد عدد كبير من المجاهدين إلى المنطقة بعدما أصبح متوقعا أن تهاجم القوات الحكومية مراكز المجاهدين . ووصل إلينا مدفع جبلي عيار 76مم فأصبحت نيران مدفعينا تصل إلى أبعد من الحصن نفسه وتطال طوابير التعزيزات قبل أن تصل إليه . لم أكن أيضا سعيدا بكل تلك التطورات، كان الطيران وحده كافيا للنيل من معنوياتي . فحتى شاي الصباح لم يعد ممكنا تناوله باسترخاء ، والليل مليء بالتوتر والإستنفار وقذائف المدفعية الثقيلة التي تأتينا من عمق الوادي .
كان برنامجنا المدفعي ناجحا على الحصن فقط ومنعدم التأثير على عمق العدو. والصمود أمام الطيران بلا مضادات كافية أصابنا بخسائر بشرية ومادية ولم يؤثر بشيء على الطيران طوال فترة تواجدي . كان المطلوب هو الثبات على هذا الوضع حتى تنتهي جلسات الشورى الميدانية التي بدأت تنتهال. فلم يكن قد تقرر شيء نهائي عن البرنامج ولاعن المجموعات التي سوف تشارك فيه.
بعض الإجتماعات جرت في جاورخلفنا بمسافة عشرة كيلومترات مليئة بالجبال الوعرة، وبعض الإجتماعات جرى في مواقعنا التي لم يكن بها خندق واحد حتى تلك اللحظة .
إنتهت مشاركتي في معركة ليجاه عند تلك النقطة . ولكن التطورات إستمرات نحو شهرين أو أكثر ، إنتهت باستيلاء المجاهدين على الحصن والوقوف على أعتاب الوادي الفسيح ودفع العدو

عدة كيلومترات داخل الوادي وحرمانه من جبال المنطقة المنيعة .
كان نصرا رائعا ، جعل غرب الوادي في وضع خطر . فمدخل وادي ليجاه يتيح الوصول إلى منطقة الغرب كلها ويجعل العمليات ممكنة ضد عدد كبير من تلك المواقع . بل أن موقع القيادة الرئيسي لغرب الوادي ، وهو حصن دراجي حيث الإدارة والقيادة للمنطقة الغربية ، أصبح هو أيضا مهددا.وبالفعل تم الإستيلاء على دراجي بواسطة قوات حقاني المتحركة من ليجاه ولكن بعد 9 سنوات كاملة من معركة ليجاه الأولى التي نصف بداياتها هنا. وليس المقصود هو ذكر تفاصيل تلك المعارك ، بل فقط ذكر بعض المعالم التي توضح الصورة العامة، وما يساعد قارئنا التاريخي المنتظر على أن يتصور الأوضاع التي كانت سائدة ، ونحاول أيضا أن نبحث عن أوجه الإستفادة من تلك الأحداث وما يمكن إستخلاصه من نتائج . ونحاول أن (نتفلسف) قليلا ونعود إلى ما ذكرناه سابقا عن(القوانين الخاصة بالحرب). وهي قوانين تتعلق بالقتال في ظروف خاصة جدا بحيث يستدعي ذلك إجراء تعديلات في قواعد القتال المعروفة أو حتى وضع بعض القواعد الجديدة.
وقلنا أن ذلك لا يتأتى إلا لنوع نادر من القيادات ، فهناك خطأين شائعين يقع فيهما قادة الحروب :
الخطأ الأول ، الإلتزام الحرفي ـ الجامد ـ بقواعد الحرب كما ذكرت في الكتب العسكرية وكما تدرس في الأكاديميات العسكرية .
الخطأ الثاني ،الإهمال المتهور لقواعد الحرب، بدعوى أنها (كلام نظري) كما كان يحلو لبعض إخواننا العرب أن يطلقوا عليها .
بالنسبة للخطأ الأول فهو شائع في ضباط الجيوش النظامية الذين قذفتهم الأقدار إلى حروب العصابات . وقد شاهدت عددا منهم في أفغانستان أكثرهم كانوا أفغانا وقليلا من العرب .
والضباط العرب بشكل خاص فشلوا في التكيف مع حرب العصابات بشكل عام ومن باب أولى الطبيعة الخاصة للحرب في أفغانستان، والتي إهتدت إليها العديد من المجموعات الأفغانية وطبقتها بنجاح .
وحتى رشيد بمؤهلاته وقدراته فشل أيضا في إحتمال الوضع الأفغاني الخاص.
وكانت ليجاه نهاية عمله في باكتيا وما لبث أن فشل بسرعة في تجاربه الأخرى في جلال آباد فإنكمش إلى مجال التدريب ثم إلى الكتابات العسكرية في صحيفة (الصراط) التابعة لمولوي نصر ا منصور، حتى ترك الساحة الأفغانية.
ومن ضمن ما يتأثر به الأسلوب القتالي هو الحالة الثقافية للمجتمع . فالمجتمعات الواقعة تحت التأثير الغربي أو الشرقي، تتأثر إلي درجة كبيرة بالأسلوب القتالي العسكري للغرب أوالشرق .
ولما كان الأفغان من أقل الشعوب تأثرا بالثقافات الخارجية إضافة إلى متانة الوضع الإجتماعي القبلي وسيادة الثقافة الإسلامية فكان من الطبيعي أن ينبت (أسلوب قتال أفغاني) وهو ما شاهدناه في ليجاه ـ وكان أسلوبا تبلور بالتدريج ـ حتى أصبح مدرسة قتالية، هذا الأسلوب وتلك المدرسة لم يكن ممكنا التكيف معها أو إستساغتها من جانب أفراد من خارج ذلك المجتمع ومن خارج الثقافة الأفغانية .
لم تنجح المجموعات الأفغانية بنفس الدرجة . وبعضها فشل في تخطي حد معين في عمله القتالي ولم يلبث أن تجمد عند مرحلة قتالية أولية .
ولا شك أن جلال الدين حقاني كان واحدا من الذين طوروا إلى أقصى حد ممكن أسلوبا أفغانيا للقتال كان ناجحا ومؤثرا للغاية .
كما رأينا فإن حقاني تخلى مبكرا عن سياسة (إضرب وإهرب) . ورفض إتباعها كما رأينا حتى

عندما بدأ الروس في فرض إحتلالهم العسكري . بل مضى إلى حد القبول بمجازفة "المواجهة الشجاعة" ليس فقط في الجبال،خاصة على الطرق المؤدية إلي خوست، بل وفي الوديان المفتوحة كما رأينا في تعمير في وادي "زورمت" .لقد تحمل حقاني من جراء ذلك خسائرا كبيرة لكنه حقق نتائج أعظم خاصة على المستوي النفسي والسياسي وحتى لو عادت عجلة التاريخ إلي الوراء ما أظن عسكريا محترفا يوافق على آراء حقاني تلك. رغم أنه ثبت عمليا أنها الأصلح للتركيبة الأفغانية وظروفها الفريدة ، بل وظروف باكتيا الأشد خصوصية .

وكما رأينا، لم يستطع ضابط قدير مثل رشيد أن يتقبل أسلوب حقاني في معركة ليجاه .

كما أنني لم أستطع عليه صبرا . لم أكتشف وقتها أن حقاني قد إنتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل حرب العصابات وإتخذ بذلك قرارا من أخطر قرارات قيادة حرب العصابات وهو قرار التحول من مرحلة إلى أخرى. وهو قرار من الخطورة بحيث أنه قد يؤدي إلى هزائم ثقيلة قد تتحول إلى هزيمة كاملة.

بدأ حقاني يقاتل بمجموعات كبيرة مستخدما قدرا من الأسلحة الثقيلة هادفا إلى طرد العدو من الجبال ودفعه نحو السهول .

لم يقرأ حقاني حتى الآن كتابا واحدا في حرب العصابات ولكنه تصرف بغريزة فطرية سليمة وحساسة، وتعلم الدروس بسرعة متخذا المسار المناسب لحالته الأفغانية الخاصة .

سأورد حادثتين لتوضيح (الحالة البشرية) الخاصة التي أملت أسلوبا قتاليا بعينه ، وإن كان مخالفا لكثير من الثوابت العسكرية.والحادثتان من منطقة "ليجاه".

<u>الحادثة الأولى :</u>

جلسنا في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر لتناول الشاي الأخضر وبعض الخبز . وهذه مناسبة من أكثر المناسبات اليومية سعادة وإنشراحا . بعد منتصف الليل كنت قد أحسست بوصول مجموعة من المجاهدين كانت في دورية ليلية خلف خطوط العدو في الوادي .وتعرفت على صوت صديقي القديم مولوي (محمد سرور) مرافقنا في أولي معاركنا داخل أفغانستان .

أجلت اللقاء إلى الصباح . وقد كان لقاءا سعيدا غمره البشر الصادق والمودة . بعد إنتهاء جلسة الشاي همس مولوي سرور في أذن طباخ المعسكر فأحضر له إبريقا ضخما من الشاي الأخضر المر.

ما زالت تلك لمسته الشخصية منذ عرفته ، إبريقه الخاص من الشاي الذي يعادل في حجمه كمية الشاي للمعسكر بأجمعه . قدم لي الرجل كوبا إرتشفت منه على مضض . وجلسنا نتبادل الأخبار والتعليقات حتى إرتفعت الشمس من خلف الجبال وباتت تغمرنا بأشعتها . بدأ هدير الطائرات النفاثة يظهر في الأفق البعيد، فإنسل الرجال الذين صقلتهم تجربة الأيام الماضية، وظل مولوي سرور يرتشف الشاي بهدوء كأنه يستمع إلى شقشقة العصافير.إقترب منا الهدير وظهرت النفاثات الفضية تدور حول معسكرنا ، وهذا دليل لا يدحض على أن الشر قد إقترب.ولكن الرجل الوقور لم تفارقه الإبتسامة وظل يدير الحديث العذب ولكن ذهني بدأ يشرد وتعلقت أذناي في السماء وعيناي تدور بحذر فيما حولي كي أنتخب المكان المناسب لحضور المأساة القادمة.

ليس لدينا خنادق ولا مغارات ، فقط صخور وأشجار وبعض مجاري السيل الضيقة.

لم أستطع التحمل أكثر من ذلك وقد تمادى الطيار في مناوراته فوقنا فطلبت برفق من الشيخ أن نتحرك تحسبا للأخطار ، فلوح بكأس الشاي الأخضر التي في يده وقال برفق :

(نتحرك إن شاء ا عندما أفرغ من هذا الكوب) . وبالفعل نفذ ما قال، وبكل هدوء، ثم سمي ا

وبدأ يتحرك بهدوء كامل !!! .

الحادثة الثانية :

من الصباح حتى الظهيرة كنا قريبين من حصن ليجاه مع عدد محدود من المجاهدين حيث وصلنا قريبا من حزام الألغام . وتبادلنا إطلاق النار من البنادق مع جنود الحامية وكانوا قليلين . ولكن دعما مدفعيا قويا وصلهم من مواقعهم القريبة ومن العمق . فقضينا فترة عصيبة ونحن نبدل أماكننا باستمرار حتى تخلصنا من النيران وخرجنا من المنطقة ولكن المدفعية إستمرت بعد ذلك لأكثر من ساعتين على نفس منطقتنا الأولى وما حولها.

كان القصف من الشدة بمكان، بحيث أن المجاهدين من خلفنا إستعدوا لإستقبال هجوم شيوعي مضاد وبدأوا التحرك إلى الأمام لصد الهجوم . قابلونا أثناء عودتنا وسألوا عن الموقف فأخبرناهم أنه لا هجوم متوقع حتى الآن .

في الطريق قابلنا شيخا طاعنا في السن ذو لحية بيضاء،يبرق من شدة النظافة، يرتدي البياض في جيمع ملابسه وعمامته. ويتوكأ على عصاه ويسير بخطى وئيدة بينما يحمل بندقيته الإنجليزية العتيقة على كتفه. . سألنا بصوت واهن :

ـ هل جاء العدو ؟ .

ـ لا لم يجىء .

ـ أين هم الآن ؟.

ـ بعيد عند مدخل الوادي .

ـ جيد إذن ... عندي وقت كي أتوضأ وأصلي الظهر ، ثم أذهب مع المجاهدين للتعرض .

أذهلني الشيخ وحديثه ، وما زلت أعجب حتى الآن .

(ونعود إلى حديثنا تعليقا على الحادثتين فنقول) إن بشرا من طراز خاص جدا كهؤلاء لا بد لهم من طريقة خاصة جدا في القتال . وهذا ما كان ، فلم نستطع معه صبرا .

لهذا تحركنا مع الوقت نحو تكوين مجموعاتنا القتالية الخاصة كي نقاتل بطريقتنا الخاصة .

وبالمثل صادفنا ـ نحن المتطوعين العرب ـ بعض النكسات وبعض النجاحات . ويمكن القول أنه إلى حد ما كانت هناك مدرسة عربية للقتال في أفغانستان ـ وعلى الأصح مدارس. وسنذكر ذلك في حينه .

ألغام خلط الأوراق:

نقيض للصورتين السابقتين رأيته في حادثة الألغام . فقد شاع فجأة بين المجاهدين أن السلطات الشيوعية في خوست قد نجحت في تلغيم منطقة ليجاه بواسطة عملائها . وتحدد الخبرأكثرعندما علمنا أن أحد عملاء الحكومة قد وضع ستة ألغام مضادة للأفراد في مكان ما من منطقة المجاهدين في ليجاه. وعلمنا أن المنطقة المستخدمة للرماية بالهاون بها عدد من الألغام .

سافرنا إلى ميرانشاه حيث نشأت الإشاعة ، ومع فريق الإستقصاء ذهبنا في سيارة صغيرة إلى عدد من البيوت النائية قرب الحدود. وركب معنا شخص لا أعرفه قالوا أنه (مجاهد).

في اليوم التالي كان هذا الشخص يقوم بعمل غريب للغاية ، كان يستخرج الألغام من منطقتنا، ثلاثة منها على نفس الهضبة التي نستخدم منها الهاون ، وثلاثة أخرى متفرقة في الوادي وهضبة مقابلة كنا نحتمي بها أحيانا . سألت رشيد بدهشة عما أراه . كيف يتعرف هذا الرجل بدقة على مواقع الألغام وبدون أي معدات فنية للكشف عنها . ضحك رشيد وقال : ببساطة

لأنه هو الذي زرعها . وعلمت منه أن هذا الشخص يعمل مع المجاهدين أما أخوه فيعمل مع الميليشيات الشيوعية وأن علاقاتهما العائلية لم تنقطع ، وبهذا يستطيع أحدهما تقديم بعض المساعدات إلى الآخر على النحو الذي شاهدناه أمامنا في ليجاه .
لقد نال هذا (المجاهد) مكافأة من حقاني لقاء رفع الألغام ، وبالتأكيد أنه نال مكافأة من حكومة خوست لقاء زرع الألغام . أما أخوه فقد نال هو الأخر مكافأة من نفس الحكومة في مقابل نقل الألغام إلى أخيه (المجاهد) كي يزرعها في طريق إخوانه المجاهدين .
كنت مذهولا وقتها . فقد كانت المرة الأولى التي أرى فيها أن الأوراق قد بدأت تختلط حتى داخل الجبهات.
في السنوات التالية كانت الأوراق المخلوطة هي القاعدة الغالبة ، وسادت العناصر المغشوشة ساحات الجهاد.
وإستخدم الشعار المقدس للتمويه على أبشع أنواع الإستثمار . إستثمار الحروب والدماء وجني الثروات المحرمة من ورائها .
لم يعد الفساد والغش مقتصرا على بيشاور ، بل إكتسحت أمواجه ساحات القتال في الداخل .
وما رأيته في (حادثة الألغام) كان مجرد بداية للظاهرة الناشئة .
في ذلك الوقت لم يكن في ليجاه من المتطوعين غيري وغير رشيد . أما باقي المجموعة التي كانت معه في العام الماضي فلم يحضر منها أحد هذا العام . من الإمارات لم ننجح في إقناع أحد بالحضور رغم كل التحريض وعروض المساعدة . حتى جماعتنا الأقربون كل منهم كان لديه ما يشغله من أمور الأسرة أو العمل. كان الجهاد في قمة الأولويات النظرية ـ لدى الملتزمين ـ ولدى التطبيق فإنه لا يكاد يجد له موطئ قدم في وسط المشاغل الأخرى التي تجد دوما مبررات شرعية قوية . حتى أن أحد أصدقائي المقربين ومن أشد المتحمسين للجهاد ، كان يضع برنامج (الترفيه الأسري) لعائلته فوق جلسات العمل التي كنا نعقدها من أجل بحث سبل دعم الجهاد في أفغانستان ، كانت العائلة ونزهتها (فرض عين) على صاحبنا أما الجهاد فكان (فرض كفاية) . ومن العبث محاولة إقناعه بغير ذلك فلديه من الحجج الشرعية ما يكفي حاجته وزيادة .

<u>إزعاج فقهى/إستخبارى</u>

قبل أن يشتد وطيس المعركة في ليجاه وصلنا من ميرانشاه خبر أذهلني ـ من شدة الفرح ـ أخبرونا أن عشرة من المتطوعين العرب على وشك الوصول إلينا للمشاركة في الجهاد.
عشرة دفعة واحدة ...!! لم أكد أصدق نفسي ، وقد كنت أتمنى مجرد عربي واحد .
وصل (الإخوة) العرب بعد صلاة العصر وكانت مجموعتنا تتحرك بالهاون لقصف الحصن .
فحضر معنا أربعة من العرب وبقي الأخرون فقد كانوا غير جاهزين . شارك الإخوة الجدد بحماس التجربة الأولى وشفافيتها الروحانية ، وأشعل ذلك حماس القدماء وأبكاهم .
بقي (الإخوة) معنا باقي هذا اليوم واليوم التالي فقط وغادروا وسط دهشتنا لهذه المشاركة الخاطفة.
وللحقيقة أحزنني شعوري بالراحة لذهابهم ، وكاد أن يبكيني، ليس فراقهم ولا إنفعالاتهم الإيمانية، بل مشاكلهم الداخلية وإزعاجهم للقادة الأفغان.
لأول مرة أشاهد هذا الإزعاج العربي ، وكشأن أغلب التجارب الأولى فإنها تحمل في ثناياها

معالم المستقبل . كان إزعاجا ذي شقين الأول والأهم إزعاج فقهي والثاني إزعاج عسكري.
مولوي أرسلان رحماني واحد من أشهر قادة المجاهدين ميدانيا وهو من منطقة الأورجون وهو وزير حاليا في كابل يشغل وزارة العدل !!، وكان أول ضحايا الإزعاج الفقهي للمتطوعين العرب.
ومن حسن حظه أنه وقع في يد شاب من الإخوان المسلمين لطيف المعشر مبتسم دائما هادئ الطبع صبور. وإستغل الأخ (عبد ا عبد الرحمن) كل ميزاته تلك في إقناع مولوي أرسلان بالإقلاع عن تناول (النسوار) وهو نوع من (التنباك) الأخضر يتم تعاطيه عن طريق الفم، بتخزينه خلف الشفة السفلى وهو شائع جدا في أفغانستان.
مولوي أرسلان عالم أيضا ودافع عن موقفه قائلا أن علماء الأحناف في أكثرهم يجيزون النسوار وقليل منهم يرى أنه مكروه .
الأخ عبد ا مهذب وصبور واستطاع أن يواصل النقاش لمدة يوم كامل . تعمدت ألا أحضر سوى الإفتتاحية. في اليوم التالي سألت مولوي أرسلان عن النتيجة فقال أنه قد خسر المعركة وإضطر أن يعاهد الأخ عبد ا ويقسم على أن لا يتناول (النسوار) مرة أخرى . وقد أوفى مولوي أرسلان بعهده وكلما قابلته بعدها ـ وكان ذلك على فترات متباعدة بالأشهر أو بالسنوات ـ كان يخبرني ضاحكا أنه ما زال محافظا على عهده .
غادر الوفد العربى منطقة ليجاه وإنقطع مولوي أرسلان لمدة يوم أو يومين عن إجتماعات مجلس الشورى القيادى بسبب صداع شديد في الرأس نتيجة إقلاعه عن النسوار كما أخبرني بنفسه . بعد ذلك عاد إلى حالته الطبيعية وشارك في المعركة حتى نهايتها .
أما الأخ عبد ا فقد انصرف إلى بيشاور ليمارس مهمته التي لمح لي عنها عندما عرف صلتي القوية بالأستاذ(يقصد سياف) ، والذي أخبره عن تواجدي في ليجاه . فقد أخبرني عبد ا بأنه قادم من السعودية بتكليف من (الإخوان المسلمين) كي يكون في مساعدة الأستاذ سياف.
وبعد عدة سنوات علمت أن الأخ عبد ا تولى مسؤولية جمع المعلومات عن الإخوة العرب وفتح ملفات لهم لضبط الحالة الأمنية وحمايتها من الإختراق !!. وأصبح للأخ سيارة فخمة جدا من ذلك النوع المخصص لقيادات الصف الأول من أفغان بيشاور .
وعندما إحتدمت المعركة بيني وبين سياف علمت أن عبد ا قد سرب معلومات "خطيرة" لعديد من الشباب العرب في بيشاور،من بينهم أصدقاء مقربون لى، حول إجتمعات سرية دارت في إسلام آباد بيني وبين السوفييت .
تلك الإجتماعات التي كانت سرية لدرجة أنني شخصيا ـ صاحب العلاقة المباشرة ـ لم أعرف عنها شيئا إلا من خلال الأخ (المخبر) ،الذي أدهشتني قدرته على الحصول على المعلومات ، حتى تلك التي لم تحدث . وأسعدني أن صفوف الإخوان تحتوي على تلك القدرات الخارقة في مجال الإستخبارات الدولية .
كانت تقديراتي الشخصية أن عدد الأفراد المجندين لصالح الإستخبارات العربية بأنواعها ـ في وسط الشباب العربي المجاهد ـ لا تقل عن نسبة مخبر واحد لكل خمسة مجاهدين .
ولا أدري كم كانت ستكون النسبة لو حرمت الساحة الأفغانية من الحماية الأمنية التي نسجها الإخوان حول الساحة ، ومن خلال كفاءات متعدده وكثيرة منها الأخ (عبد ا) على سبيل المثال لا الحصر .
وعلى هامش تلك الفقرة ، نقول بأن (الأحزاب الجهادية) في بيشاور كانت في قبضة محكمة

للمخابرات الباكستانية ، التي كانت تعمل بتوجيهات أمريكية مباشرة . أما التواجد الإستخباراتي للمملكة السعودية فقد ظهر على السطح بوضوح عام 1983م وبدأ يتنامى بشكل سرطاني، نافس التواجد الباكستاني في بعض المواقع منافسة خطيرة أدت إلى تحرشات خفية بينهما.
كما حدث في علمية إغتيال جميل الرحمن الزعيم الأفغاني السلفي، وكان تنظيمه غطاء شفافا لرجال الإستخبارات السعوديين. وقد رتبت باكستان مع حكمتيارعملية إغتيال جميل الرحمن بواسطة شاب مصرى متحمس جدا وعاطفي .
وتلك هي تقديراتي الشخصية من متابعتي للحادث وقتها . أما التحقيقات التي جرت فهي كالعادة لا تكشف إلا عن الجثث الممزقة ، أما الفاعل فهو مجهول رغم أن الجميع يعرفونه !! .
ليس هذا حال قضية جميل الرحمن فقط بل قضية الرئيس ضياءالحق نفسه . وقضية عبد ا عزام من بعده . وسنتحدث أيضا في مكان آخر عن المخابرات الإسرائيلية في بيشاور . ثم أدهش بعد ذلك كله من دور الجهاز الإستخباري للإخوان وأجهزة مماثلة كونتها الأحزاب الأفغانية وعلي رأسها وأكفأها جهاز حكمتيار .
كل تلك الأجهزة التي تابعت ـ من ضمن ما تابعت ـ المجاهدين العرب . والسؤال هو لصالح من ؟. ومن كان عدوها المستهدف بالمتابعة ؟ طالما هو ليس المخابرات الأمريكية ولا المصرية ولا السعودية ولا الإسرائيلية . وفاتنا أن نذكر أنه ليس أيضا المخابرات السوفييتية هي العدو طالما أن إغتيال ضياء الحق تم بعملية مشتركة بين أجهزة المخابرات الروسية والأمريكية على أرجح الإحتمالات وكما أشار العديد من الباكستانيين أنفسهم .
تقديري الشخصي أن المجاهدين العرب كانوا هم الهدف ومتابعة تحركاتهم ونشاطاتهم كانت هي المستهدفة ولصالح الإستخبارات الأمريكية والإسرائيلية والعربية .
فهل كانت إستخبارات الإخوان تعمل لصالح بعض تلك الجهات؟ وهل كان ذلك جزءا من الصفقة الدولية التي إنخرط الإخوان بموجبها في قضية أفغانستان، وتمهيدا مبكرا للحرب على "الإرهاب الإسلامى" التى بدأت عام 93 وقد تستمر إلى يوم البعث؟.
....
كان رشيد هو الضحية الثانية للإزعج الفقهي الذي شنه العرب في زيارتهم الخاطفة ، ولا أدري ماذا كان يمكن أن يصبح عليه الحال لو مكثوا عدة أيام أخرى.
كان حظ رشيد عاثرا ، فقد تعاوره عدد من الإخوة الجدد، لم يكن فيهم الأخ عبد ا المهذب الصبور . كان فيهم إثنان على الأقل من الشمال الإفريقي والمشهورين بنفاذ الصبر . وكان رشيد متهما بثلاث معاص في آن واحد: فهو أولا حليق ، يعفي الشارب ويحلق اللحية .
ثانيا هو يدخن السجائر ، ثالثا هو يستمع إلى الراديو الذي يبث الكثير من الأصوات الموسيقية.
كان رشيد في حالة ذهول مما يسمع ، ونظر إلي مستنجدا ثم قذف الكرة إلي ملعبي قائلا:
هذا الشخص معي منذ سنين ولم يخبرني بشيء من ذلك فهو المسؤول .
كانت حركة بارعة لم تنجه من المطاردة الفقهية للإخوة ،وإن نجحت في جعلي هدفا إحتياطيا لتلك الضربات .
أغلق رشيد المذياع وإمتنع عن التدخين باقي اليوم. وبالتالي لم يستطع القيام بأي عمل حتى الكلام. وللأسف لم يكن ممكنا أن يطلق لحيته خلال الساعات القليلة المتبقية على رحيل الإخوة العرب الذين غادروا المركز في الصباح الباكر.تنفس رشيد الصعداء ودخن سجائره بأثررجعي، وفتح

المذياع باحثا عن نشرة للأخبار وسألني مندهشا : هل كل العرب كذلك ؟..
لماذا لم تخبرني عن طباعكم ؟.. هل ما يقولونه صحيح ؟.. ولماذا لم توضح لي ذلك ؟..
ثم سكت فجأة وأخذ ينفض دخان سجائره وهو شارد الذهن .

وجدير بالذكر أن (الغارات الفقهية) كانت أحد الوسائل الفعالة في تخريب العلاقات بين المتطوعين العرب والمجاهدين الأفغان . كان الشاب العربي يعطي لنفسه مباشرة حق الفتوى وتغيير المنكر وغالبا ما يتم ذلك بجفاء وغلاظة وبغير علم شرعي حقيقي. وهذه إحدى المشكلات التي تقابل الحركة الإسلامية في البلاد العربية ، فجماهير المسلمين تنفر من هؤلاء وتتخذ موقفا سلبيا أو معاديا من البرنامج الإسلامي خشية أن يؤدي إلى تحكم مثل هؤلاء الأجلاف في مصائر الناس .

في أفغانستان أدى كثير من العرب ذلك الدور المنفر ولكن عن نوايا حسنة. ولكن الإستخبارات السعودية بشكل خاص والعربية عامة أرسلت عشرات من أمثال هؤلاء إلي داخل الجبهات، خاصة بعد الإنسحاب السوفييتي ، وقاموا بمجهود تنفيري كاد أن يؤدي أحيانا إلى صدامات مسلحة.

وقد أفتى بعض علماء الأفغان بتكفير العرب المجاهدين بدعوى أنهم وهابيون. جاء ذلك ردة فعل متساوية لما فعله وهابيو النظام السعودي الذين وزعواعلى الأفغان إتهامات الشرك والبدع والتكفير بغير حساب . وأهانوا المذهب الحنفي وعلمائه على الملأ. ولما كانت الساحة الأفغانية تسمح لأي جهة أن تفعل أي شيء ، فقد أدى هؤلاء (الوهابيون) التابعون للإستخبارات السعودية دورا مدمرا تماما داخل أفغانستان، أضر كثيرا بالدور العربي وعجل في ذبوله ، فلم يجعل له مستقبلا يذكر بعد (الفتح) وسقوط الشيوعية في كابل .

الإزعاج العسكري الذي مارسه الضيوف العرب لم يقل جهالة عن برنامجهم الشرعي .

فقد إجتمع عدد منهم حول حقاني وأرسلان ـ بصفتهما الوحيدان اللذان يتكلمان العربية ـ ثم هاجموا بعنف النشاط العسكري في ليجاه بدعوى أنه (غير شرعي) !!! ... كانت (صدمة) أسمعها لأول مرة .أضاف (العلماء العرب) أن البرنامج الحالي لا يحتوي على فقرة الإقتحام و الفتح . فلما رد المجاهدون بأن الألغام تقف عائقا رد عليهم العلماء بأن يقتحموا الألغام يموت من يموت شهيدا والذي يعيش يستولي على الحصن ثم يكملون هكذا حتى يستولون علي المدينة كلها. فهذا هو الإسلام دين الفتوحات ، وغير ذلك فهو بدعة منكرة وضلالة تؤدي إلى النار.
توقفت عن حضور المناقشة عند ذلك الحد وإنسحبت خشية أن أنفجر غضبا في وجه ذلك الجهبذ .
وطالت المناقشة العقيمة ساعات طوال ، لا أدري كيف عثر حقاني وأرسلان على كل ذلك الصبر لسماع كل ذلك السيل من الهراء.والأعجب أنهم حاولوا إفهامه المشاكل التي تعترض فتح الحصن والمدينة بالأسلوب (الشرعي) الذي يصفه . ذكروا أن الطائرات والمدافع والدبابات وخطوط الدفاع وعجز المجاهدين في السلاح والذخائر والتدريب..الخ. ضاع اليوم وخرج القادة يعانون من الصداع، ولم يقتنع (المفتي الجنرال) .

بعد يومين من مغادرة الوفد لمواقعنا عائدا إلى ميرانشاه، نزلت مع رشيد إلى هناك لقضاء بعض الأعمال فوجدنا الإخوة العرب قد تأخر سفرهم لأسباب فنية . فقضوا هذين اليومين في بيت تابع لحقاني . وكانت المدة كافية لتفجير العلاقات بين أعضاء الوفد كي تصل إلى قرب درجة الإشتباك وإنقسموا إلي مجموعتين أو ثلاث مجموعات متخاصمة !!! .
شعرب بالخجل الشديد ، خاصة وأن تلك الحالة باتت مفضوحة لدى الأفغان ، وكان ذلك الوفد

العربي مثل كل الوفود الأخرى لا يكل ولا يمل من تذكير الأفغان بضرورة الوحدة .
كنت أظن في البداية أن الوفد كله كان من العرب المقيمين في (لندن) فقد عرفني بعضه بنفسه بهذا الشكل . ولكن إتضح أنهم من أماكن شتى متفرقة تجمعوا فقط عند سياف الذي شحنهم إلى ليجاه .
كانت الأفكار مختلفة والتوجهات الحزبية متباينة والمدارس الفقهية متباعدة . فكان الخلاف والإتهامات . حتى أن عددا منهم جاء يقسم على أن أحد الضيوف كان يتجسس عليهم وأنهم يشكون في كونه جاسوسا يعمل لحكومة الأردن أو لإسرائيل .
وكان الضيف فلسطيني الأصل ومقيم في الأردن. كانت التهمة خطيرة دقت لها أجراس الإنذار.
وكانت الإجابة التي قدمت إليهم (إذا قدمتم الدليل فلن يعود هذا الشخص إلى أهله حيا يرزق) .
ولكنهم فشلوا في ذلك . والأدهى أن أحد أفراد وفد لندن، وهو مصري الأصل، قال أنه يعرف الشخص المدعي عليه وأنه كان في مصر سابقا وتم القبض عليه في قضية السادات أو في أعقابها. وأنه معلوم جيدا لدى الإخوة في مصر.
تنفست الصعداء ... وتعجبت من المدى الذي يمكن أن تصل إليه الخصومات الهوجاء بين الإخوة ، وأن أول من يضيع فيها هو الحقيقة ، وأن أول المستفيدين منها هم عناصر العدو المزروعة بكثرة في الوسط الإسلامي. وطالما أن كل شخص تقف على رأسه ـ بالحق أو بالباطل ـ تهمة التجسس ، فالنتيجة أن تصبح التهمة فارغة من أي معنى ويستحيل إثباتها . بل تتحول إلى كلام مبتذل لا يلتفت إليه، ولمجرد حشو الأحاديث في مجالس النميمة.
عندها تعم الطمأنينة جواسيس العدو ويعملون بثبات وثقة في النفس، بل يمكنهم عندئذ أن يتصدروا المجالس بل والجماعات ، وحتى يمكنهم توزيع الإتهامات وترويجها إلى أقصى حد،وحتى تفقد معناها وخطورتها.. وهكذا فعلوا في بيشاور .

<u>سقوط الهيبة السوفيتية</u>

أحداث عام 1982م زودتنا بالعديد من الإشارات الهامة على المستوي الأفغاني والمستوي العربي.
من تجربتنا المباشرة في أطراف خوست إستنتجنا أن خوست يمكن فتحها بل أن السوفييت يمكن دحرهم من أفغانستان كلها. وهكذا فإن الإنتصارات ـ حتى الصغير منها ـ تعطي دفعات معنوية هائلة. وفي المقابل كانت القوات الشيوعية تنهار معنوياتها بنفس المقدار. وفي تصريح نادر قال أحد الضباط الروس للصحافة : (لا يمكننا هزيمة هؤلاء المتمردين بواسطة جيش يفر من المعركة وجنود ميليشيا لا يؤدون واجبهم على الوجه الأكمل) .
وفي ليجاه أيضا قصفت طائرات الهيلوكبتر مراكز المجاهدن بنحو 3600 صاروخ في المعركة الأخيرة فقط !! . وأسقط المجاهدون إحدى هذه الطائرات ـ وربما أكثر من واحدة ـ ووجدوا جثث نساء متفحمة في واحدة منها . لا ندري حتى الآن السر في وجود هؤلاء النساء في الهيلوكبتر، ومن المستبعد أن تكون الهيلوكبتر فى مهامها القتالية مكاناً مناسباً للمتعة .
ولكن الحادث نفسه إستفز مشاعر المجاهدين وسكان المنطقة . وعلمنا بعد ذلك أن السوفييت يعالجون حالات الإنهيار العسكري والنفسي في صفوف القوات الشيوعية ، بواسطة حملات عسكرية كاسحة يستخدم فيها السلاح الجوي المتفوق مع قوة هجومية أرضية خاصة مؤلفة من قوات منتقاة من كافة الفرق العاملة في الجيش . وحسب أرجح الإحتمالات ، فلم يمتلك النظام الشيوعي، أثناء وجود السوفييت أو بعدها، أكثر من قوة هجومية واحدة كان يستخدمها في أماكن الحاجة ،

ولم يحدث ،حسب متابعاتي، أن المجاهدين جعلوا السوفييت في موقف حرج في جبهتين في وقت واحد . بل كانوا دائما يعملون منفردين وبلا تنسيق مشترك ، ليس فقط على مستوى البلاد كلها بل وحتى على مستوى المحافظة الواحدة . وكانت تلك إحدى السلبيات القاتلة في العمل العسكري للمجاهدين.

كانت الحملات الروسية تسفر غالبا عن دفع المجاهدين إلي الخلف وإستعادة المكتسبات الأرضية من بين أيديهم ، والإحتفاظ ببعضها في أيدي قوات الدفاع المحلية (من جيش وميليشيا) .

ثم تعود القوة الضاربة إلى كابل كي يبدأ السيناريو من جديد بين المجاهدين والقوات المحلية.

حدث ذلك في معظم أرجاء أفغانستان ،لم تكد المعارك العنيفة تتوقف في كل أفغانستان.

المدن الأفغانية عام 82

كان أحمد شاه مسعود قد لمع نجمه هذا العام1982 وذاعت شهرته في أنحاء العالم ، مقرونا باسم منطقة (بانشير) .

فمن هناك يستطيع المجاهدون تهديد ممر سالانج الشريان الأهم للإمدادات القادمة من الإتحاد السوفييتي عبر جسر حيرتان على نهرآمو داريا (نهر جيحون) الذي يفصل أفغانستان عن الحدود السوفييتية في طاجيكستان و أوزبكستان .

ومن بانشير يمكن تهديد شمال العاصمة كابول خاصة منطقة باجرام التي تحتوي على أهم قاعدة جوية في البلاد.

ظل مسعود هو النجم الأكثر لمعانا في سماء الصحافة الدولية عامة والفرنسية خاصة. وظل كذلك حتى آخر أيام الحرب وسقوط النظام، حين تحول مسعود مشاركة مع غريمه حكمتار زعيم تنظيم (حزب إسلامي) ليصبحا نجما الحرب الأهلية في أفغانستان .

كانت حملات السوفييت على بانشير هي الأعنف من نوعها منذ وصولهم إلى أفغانستان.

وأكسب ذلك مسعود وبانشير شهرة عالمية مدوية ، لم تلبث أن دخلت منعطفا خطيرا في العام المقبل 1983م كما سنرى .

أيضا قندهار وهيرات كانت مليئة بالملاحم الدامية . حيث أبدى المجاهدون جرأة وإقداما منقطعي النظير . وتحمل الأهالي خسائرا فادحة للغاية .

ففي كلتا المدينتين تمكن المجاهدون في فترات مختلفة من الإستيلاء عليهما . ولم يستطيعا الدفاع عن المدينتين في وجه القوات السوفييتية وسلاح طيرانها الرهيب . وكانت النتيجة عشرات الآلاف من القتلى المدنيين .لذا كانت تجربة هيرات وقندهار ماثلة أمام أعين المجاهدين في خوست الذين تراودهم أحلام إجتياح المدينة .

ورغم أهمية خوست عسكريا واستراتيجيا فقد كان أمر الدفاع عنها بريا ، بالنسبة للمجاهدين مسألة سهلة نسبيا، لسهولة عزل المدينة بالسيطرة على الطريقين الواصلين إليها . أما الدفاع عنها ضد الطيران فلم يكن بالأمر السهل. وظل الأمر كذلك إلى أن فتحت المدينة "فى31 / 3 / 1991م".

ولكن المدينة كانت خالية من المدنيين في ذلك الوقت ، فكانت خسائر القصف الجوي والصاروخي خسائر طفيفة وكلها في صفوف المجاهدين .

أزمة فى الكرملين:

في ذلك العام ظهرت الأزمات المتفاقمة داخل الكتلة الشيوعية كلها :

أ ـ أزمة قيادة فى الكرملين الذي كان يحكمه أنصاف الموتى ، فالزعيم بريجنيف و منذ إحتلال

أفغانستان وهو يحكم من غرفة الإنعاش، ولا يكاد يحضر إجتماعا عاما . وظهوره العام يثير قلق السوفييت والعالم وتتردد أسئلة مثل: من يحكم تلك الإمبراطورية في حقيقة الأمر؟ من وراء ذلك الشبح الوهمي (بريجنيف) ؟. من يملك القرار؟ ومن يضع أصابعه على الأزرار النووية ؟.
مات بريجنيف ودفعت أجهزة الإستخبارات السوفييتية (كي جي بي) برئيسها (أندروبوف) إلى سدة الرئاسة ، ويا للمفاجأة ... كان هو الآخر نصف ميت وفي بضعة أشهر لحق هو الآخر بالرفيق بريجنيف .
والغريب أنه أثناء الحرب الأفغانية إستهلك السوفييت ثلاثة من زعماء الكرملين (بريجنيف ـ أندروبوف ،شيرننكو) والأخيران من زعماء الكي جي بي . وفي عام 1984م وصل جورباتشوف إلى كرسي الرئاسة في الكرملين وكان أيضا مرسلا من طرف الكي جي بي .
وفي أفغانستان تم إستهلاك ثلاثة زعماء شيوعيين (طرقي ـ حفيظ ا أمين ـ بابراك كارمل) وقد قتل الأول والثاني وتم عزل الثالث كي يتولي الرئاسة عنه الزعيم (نجيب ا) رئيس جهاز الإستخبارات الأفغاني (خاد) ، التابع لجهاز الإستخبارات السوفييتي (الكي جي بي) .
أزمة القيادة لم تكن مقصورة على موسكو وكابل بل تعدتها إلى أوربا الشرقية ، التي زودتها أفغانستان والورطة السوفييتية فيها ، بستار أمني كاف كي تبدأ بوادر الثورة ومطالب الإصلاح، بعد أن كان ذلك مستحيلا قبل الحرب الأفغانية . وكان أشهر تلك التحديات هو تحدي نقابة العمال (تضامن) في بولندا للسيطرة السوفييتية والحكم الشيوعي هناك .
وأجمع خبراء الغرب أن ذلك كان في حكم المستحيل لولا المقاومة الأفغانية التي تستهلك السوفييت في أفغانستان ، ولا تترك لهم فرصة العمل في مناطق أخرى وتأديب (تضامن) في بولندا.
وقد أبلغت المخابرات الأمريكية مجلة (نيوزويك) بالسناريو المحتمل للتدخل السوفييتي في بولندا وإحتمالات المقاومة الشعبية في ذلك البلد. (انظر جريدة الفجر الظبيانية في 22 / 12 / 1980م)
وإنتهى ذلك التقرير بفقرة ذات معاني عميقة ... تقول : (وأخيرا يمكن القول بأن حرب العصابات التي قد تحدث ـ يقصد في بولندا ـ لن تكون عائقا أمام الروس . وقد يستسلم المقاومون الوطنيون . إنهم لن يقاتلوا من الغابات ، التي تشغل ربع مساحة البلاد، إذا لم تتعزز آمالهم في الإنتصار ، إذ أن القتال بدون الأمل لا يتناسب مع التفكير الأوروبي . إنهم ليسوا كالمسلمين في أفغانستان مثلا الذين قد يواجهوا الموت بدون التفكير في نصر مؤزر) .
وبالفعل فإن النصر المؤزر كان أملا بعيدا وهدفا هامشيا لدى معظم المجاهدين في أفغانستان من عرب وأفغان . وسيرد معنا فيما بعد مناقشات حول هذه النقطة . كانت الرغبة في الشهادة هي الدافع والمحرك لدى جميع المخلصين حتى أنها طغت كثيرا على عنصر الإعداد الجدي للحرب، حتى فيما يتعلق بالقدرات القليلة المتاحة .
المهم ، فإن قلة من الناس كانت تسعى حثيثا نحو النصر ونحو ترتيب القدرات الإسلامية لانتزاع أفغانستان من أيدي السوفييت بل وحتى تحويلها إلى مرتكز للدفاع الإسلامي ضد الشيوعية و"الصليبية /اليهودية" جميعا .
***(حقق بن لادن ذلك الحلم الإسلامى بأسوأ طريقة ممكنة عام2001م. فأوجد ذريعة للأحتلال الأمريكى الذى كان يتحين الفرص منذ عام 1989م على الأقل** . راجع كتاب صليب فى سماء قندهار)*
وأعترف أن ذلك كان هاجسي الأكبر طوال الحرب الأفغانية . وقد زودني ذلك الأمل العريض بقدرة كبيرة على الإستمرار في ساحة تلفظني بإستمرار وعوامل الطرد والمقاومة فيها أكثر من عوامل التجاوب. وأظن أن بعض ذلك الأمل قد تحقق ولكن بصورة مغايرة تماما لما كنت

أتصوره . وتلك النقطة نؤجل بحثها في أماكن أخرى من الكتاب .
أقول أن هناك بشائر قوية لانتصار المسلمين في أفغاسنان كانت واضحة منذ وقت مبكر .
وأدرك الغرب ـ قبلنا بكثير ـ خطورة ما يحدث في أفغانستان على أوضاع العالم أجمع .
ووضعوا الجهاد في أفغانستان في إطاره العالمي الصحيح ، بعكس ما فعل معظمنا بأن ، قزمنا ما يحدث في حدود مصالح فردية أو حزبية. وبقدر ما كان الجهاد عملاقا وخطيرا على مصالح العالم، بقدر ما كانت (الحركة الإسلامية) و (التحرك الإسلامي) قزما صغيرا لا يكاد يبصر ما تحت قدميه.

أفغانستان .. جهاد لأجل العالم:

في يوغسلافيا عام 1980م مات الزعيم الشيوعي (تيتو) وكان متوقعا لدي عسكريين كبار في الغرب أن تؤدي التوترات التي سوف تحدث في يوغسلافيا على أثر وفاة تيتو إلى نشوب الحرب العالمية الثالثة. وهكذا تنبأ الجنرال البريطاني "جون هاكيت" في كتابه الشهير(الحرب العالمية الثالثة) ، وقد ناقشته مجلة أمريكية (نيوز أند ورلد ريبورت) حول هذه النقطة تحديدا وكان هذا الحوار:

- في كتابك الحرب العالمية الثالثة تنبأت بأن التدخل السوفييتي في يوغوسلافيا عقب وفاة توتو يمكن أن يكون بداية المنعطف الذي قد ينتهي بالحرب العالمية، فلماذا لم يقم الروس بتنفيذ هذا السناريو بعد أن ترك تيتو مسرح الأحداث ؟ .

فأجاب الجنرال هاكيت:

في رأيي أن غزو أفغانستان قد وضع الروس في وضع بالغ الصعوبة بدرجة لم تكن متوقعة فأدى ذلك إلي تلاشي فرص تدخلهم في يوغوسلافيا .
لقد كان الروس يدركون بأن تدخلهم في أفغانستان لن يكون سهلا وأن باقي العالم لن يتقبله . ولكنهم لم يكونوا يتوقعون أن يكون على هذا النحو من الصعوبة. أو أن يكون رد الفعل العالمي على هذا النحو من العنف... لقد إكتشف الروس أنهم قد قضموا بغزو أفغانستان أكثر مما يمكن لهم مضغه . وقد يبدو من الغريب القول بأن قضية السلام العالمي قد إستفادت في بعض الوجوه نتيجة للغزو السوفييتي لأفغانستان). ـ **أنتهى ـ(انظر جريدة الفجر الظبيانية 25 / 11 / 1980م) .**

إن الحرب الأفغانية (الجهاد في أفغانستان) لم ينقذ العالم من حرب عالمية ثالثة فحسب ، بل أنه أدى إلى إستبعاد هذا الإحتمال تماما ـ ولو إلى مدى غير منظور ـ كما أدى إلى تحرير بولندا بل وتحرير أوروبا الشرقية كلها***.(ولكن الحرب العالميةالثالثة نشبت ضد الإسلام فى يوغوسلافيا وأفغانستان والقوقاز وآسيا الوسطى والعالم العربى والإسلامى)***

هذه حقيقة يحرص الغرب على حجبها ـ ونحن نحرص في أغلبنا على عدم فهمها أو تناسيها.
ومع هذا فهذه فقط بعض نتائج الجهاد في أفغانستان وأرجو ألا أكون مبالغا إذا قلت أن أفغانستان غيرت التكوين السياسي لهذا العالم أكثر مما فعلته الحربين العالميتين الأولي والثانية.
على الأقل سوف يكون تأثيرها المستقبلي إضافة إلي تأثيرها الحالي أعمق تأثيرا علي مسيرة الإنسانية ومستقبلها القادم . وسوف نعود إلي تلك النقطة مرات أخرى خلال هذا الكتاب.
إن أهم آثار الحرب الجهادية في أفغانستان ليست في كمية الخسائر البشرية والعسكرية والإقتصادية التي أصابت الإتحاد السوفييتي ، وذلك على رغم أهمية تلك الخسائر.
إن أهم آثار تلك الحرب هي آثارها غير المباشرة سواء على أطرافها المباشرين:
(السوفييت ـ الأفغان ـ المجاهدون العرب) أو على أطراف العالم الأخرى بدءا بالقوى الكبرى خاصة الولايات المتحدة والقوى اليهودية (والتي لا تمثل إسرائيل سوى الوجه السياسي لهذا الوجود المتحكم دوليا) ، ثم أخيرا الوجود الإسلامي: الإسلام كدين مستهدف مع الحركة الإسلامية.

إن الأهمية الحقيقية لأية حرب تتمثل في نتائجها غير المباشرة . تلك الحقيقة يؤكدها خبراء الإستراتيجية الذين أكدوا ذلك الإتجاه بعد إستقراء نتائج المعارك الكبرى في التاريخ وقالوا:
{{ إن أهمية المعارك لا تقاس بكميات الأسلحة أو الوسائط القتالية التي تم دفعها إلى ميدان المعركة ولا تقاس بمدى الخسائر التي أوقعها أحد الأطراف المتحاربة بالطرف الآخر . وهناك عشرات الأمثلة لهزائم كبرى وقعت بأحد الأطراف ولكنها أدت إلى يقظة ونشاط وعمل ثم إنتصار كبير إستعاد به مكانته . وعشرات الأمثلة الأخرى عن قوى كبرى مخيفة ومنتصرة لاقت حتفها على أيدي قوى أصغر وأكثر تخلفا وبدائية . فهناك حروب تؤدي بشكل غير مباشر وعلى مدى طويل نسبيا إلى سقوط قوى عظمى ونشوء قوى عظمى أخرى وهناك دوما معركة ما تكون هي علامة ذلك التحول في مسيرة الحرب وتكون نتائجها غير المباشر أعظم من نتائجها المباشرة على أرض المعركة}} .

<u>وعلى هذا نقول أن أفغانستان كانت نقطة تحول في تاريخ العالم . والذي لا نراه نحن المسلمون هو أن تاريخنا الحديث قد دخل منعطفا جديدا ـ خطرا وحاسما ـ مع جهاد أفغانستان ومع نهايته بوجه خاص .</u>

ربما كان عملي في الصحافة ثم إقترابي الوثيق بحركة الجهاد في أفغانستان وعلي خطوط القتال بالذات، قد أتاحا لي فرصة أن ألمس تلك الحقيقة ، حقيقة الخطورة الإستثنائية للجهاد في أفغانستان ، خطورة الشعار (الجهاد) وخطورة الأرض (أفغانستان) وخطورة الشعب (الأفغان) ثم خطورة أن نكون نحن (العرب المجاهدون) عنصرا فاعلا في تلك المعادلة .
كنت أرى النتيجة هي تفجير ذلك الوضع الخانق الذي يعيشه المسلمون تحت سيطرة التحالف "اليهودي/ الصليبي" وما الشيوعية إلا أحد مكونات ذلك التحالف وليست أبدا نقيضا له بل هي مجرد (منافس) في سوق المنافع ومجالات السيطرة .
{{ فالشيوعية،والنازية،والفاشية،والرأسمالية،والصهيونية، جميعها ليست سوى تعبيرات متنوعة لمحتوى حضارى واحد،للرجل الصليبى الأبيض}}.
في العام المذكور 1982م كانت تحركات اليهود في المنطقة إستفزازية بشكل إستثنائي . ولم يصاحب ذلك أي تحرك إسلامي شعبي ـ لا في مواجهة اليهود ، ولا في جبهة بعيدة ـ مثل أفغانستان ـ نتمكن فيها من التعبئة والتدريب تمهيدا لمعركتنا الحتمية مع اليهود .
تمكن الجيش الإسرائيلي من إجتياح جنوب لبنان بسهولة بالغة ، وغنم مئات الشاحنات من أسلحة منظمة التحرير التي كانت تدافع عن المنطقة بقوات نظامية، فشلت حتى في الدفاع عن نفسها. ولم تجهز نفسها لحرب عصابات رغم أن ذلك هو خيارها الوحيد لمقاتلة اليهود في ظروفها آنذاك ، وقد أشار إلى ذلك عسكريون من كافة الإتجاهات ، غربيين ، يهود ، فلسطينيين ... الخ .
ثم تقدمت القوات اليهودية وإحتلت جزءا من بيروت وحاصرت رجال المنظمة ومعهم الزعيم عرفات داخل بيروت الغربية حتى أجبرتهم على الإستسلام والخروج من لبنان على سفن الأسطول الأمريكي كي يوزعوا على (الشتات) بدلا من اليهود .
فذهبوا إلى أصقاع شتى في اليمن والسودان وتونس ...الخ .
عمليا سقطت هذا العام آخر قلاع (اللادينية) العربية المواجهة لإسرائيل ، متمثلة في شخص عرفات ومنظمته . <u>في وقت كتابة هذه السطور يعمل عرفات ومنظمة التحرير كقوات أمن لحماية إسرائيل من خطر الحركة الجهادية فى فلسطين تحت ستار الحكم الذاتي في غزة وأريحا!!</u>
ومع هذا لم تتحرك القوى الإسلامية لإحتلال مواقعها في فلسطين وما حولها .
إكتفت الحركات الإسلامية بإستعراض قدراتها البلاغية في الشجب والتنديد مضافا إليها المزيد من

أحكام التحليل والتحريم ، ولكن لا شيء على الأرض .
وفي تقديري أنه لولا التحرك الإسلامي في أفغانستان والروح الجهادية التي نبتت هناك وتحركت عسكريا، ما كان ليمكن أن يبدأ التحرك الجهادي في فلسطين بعد ذلك بعدة سنوات، حين بدأت حركة الإنتفاضة الفلسطينية ـ أو ثورة الحجارة ـ ثم حركة حماس، حركة المقاومة إسلامية ، ثم حركة الجهاد. منذ أعوام 1987م ، 1988م حين أخذ التحرك الجهادي العربي في أفغانستان ظهوره العلني الكثيف، والذي يرجع أكثر الفضل فيه لشخصين هما الدكتور عبد ا عزام ثم أسامة بن لادن (أبو عبد ا) .الأول بذل جهدا خاصا لفلسطين من باطن نشاطه الأفغاني.
وكان ذلك مبررا كافيا كي أعتقد أن عملية إغتياله كانت مشتركة بين المخابرات السعودية والإسرائيلية وأن منظمة ذو الفقار التابعة لآل بوتو في باكستان كانت هي أداة التنفيذ المباشرة .
كان في تقديري آنذاك أن الحركة الإسلامية باتت محصورة بين نقطتين الأولى عدم الأهلية والثانية التواطؤ (وربما الخيانة) . عند النقطة الأولى تقف الأجيال الشابة وتحركاتها الجهادية وعند النقطة الثانية يقف الإخوان والحركات التقليدية الأخرى بما فيها المؤسسات الدينية الرسمية .
لهذا فقد كنت مقتنعا بضرورة (التطعيم الأفغاني) للتحرك الإسلامي العربي . كنت أرى أن التجربة الإسلامية في أفغانستان أكثر حيوية وأكثر غنى من حالة الجمود والتخلف التي ترزح فيها الجماعات الإسلامية في بلاد العرب . حتى مع عدم أغفالنا للسلبيات الكثيرة التي كانت واضحة في ثنايا العمل الأفغاني . وظل الدكتور عبد ا عزام حتى لحظاته الأخيرة يدافع عن وجهة نظر مشابهة لولا أنه أغفل سلبيات خطيرة فيما يتعلق بالقيادات الأفغانية، بل وتعمد تبريرها والدفاع عن أصحابها وكانت تلك أحد عوامل برودة العلاقات بيننا رحمه ا .
كان التحدي الأكبر ـ فيما كنت أفكر فيه ـ هو كيف نقنع الشباب العربي بالتوجه إلي أفغانستان للقتال . كانت المقاومة لهذا التوجه عنيفة جدا . حتى الشباب المسلم المتحمس كان يرى الفكرة ضربا من الخيال . وعندما كنت أفاتح بعض المقربين منهم ممن يعلمون بذهابي إلى هناك ، كانت تغمرهم الدهشة ويعربون عن أحلامهم بالجهاد . وحتى ذلك الوقت لم يتحرك أحد ممن أعرفهم أو إتصلت بهم ، وربما تحرك شخص واحد "مصري" من دبي، لا أذكر إن كان في عام 1982م أو العام التالي له . وكان من الإخوان المسلمين وذهب عبر جماعة سياف إلي مكان قرب كابل . وأثار ذلك موجة حماس عارمة وسط شباب الإخوان المتحمس.
وقد بذل الإخوان جهدا كبيرا في إمتصاصها وتحويل مسارها مرة أخرى إلى جانب المساندة (الإغاثية) للجهاد في أفغانستان . وقصروا العمل العسكري في حدود مرسومة بعناية تسمح بتدجين شبابهم وإقناعهم أن هناك عملا جهاديا لهم في أفغانستان . ويكفي أن قيادة الجهاد الشرعية هي في أيدي الإخوان ممثلين بسياف كزعيم، وأيضا بحكمتيار وورباني كقادة تنظيمات أصولية . كما تسمح تلك المساهمة الشكلية الهامشية بإحباط أي محاولة للتنظيم العربي داخل أفغانستان أو بروز قيادات إسلامية عربية تأخذ طابعا جهاديا يسحب البساط من تحت أرجل الإخوان كتنظيم عالمي . فأي شخصية عربية تنظم وتقود العرب داخل أفغانستان كانت بلا شك سوف تدمر الإخوان عربيا وتسحب كوادرهم وتحول التحرك الإسلامي العربي في إتجاه جهادي معادٍ "للصليبية/ اليهودية" ، وهذا يتعارض جذريا مع توجه الإخوان المتفاهم مع الأوضاع الدولية السائدة والمشترك معها في اللعبة السياسية القائمة .
لهذا كانت تلك المعارك الطاحنة وراء الكواليس والتي تميزت بالضرب تحت الحزام ، تلك المعركة التي دارت بينهم وبين أهم شخصيتين جماهيريتين من العرب والذان تأهلا لأسباب

متنوعة ولكن مختلفة ، تأهلا لتجميع وزعامة معظم التيار الجهادي العربي في أفغانستان .
هذين الشخصيتين هما الدكتور عبد ا عزام ، وأسامة بن لادن . وكلاهما ذاق الأمرين من مؤامرات الإخوان، وإن كان الرجلان لم ينقلا المعركة إلي العلن . وأحسب ذلك من أخطائهما البارزة إضافة إلي أخطاء أخرى عديدة .
لقد كان التستر علي الأخطاء والعيوب ، وعرض الأمور بصورة مشرقة غير واقعية على الرأي العام الإسلامي بهدف جذب الشباب وتشجيع المسلمين على التبرع للجهاد ودفع قضية الجهاد وأفغانستان إلي الأمام هي حجج كنت أخالفهما بشأنها كثيرا .
وكنت أرى المكاشفة والوضوح أفيد علي المدى البعيد مهما كانت مشاكلها العاجلة ، ولكنهما نفذا ما رأياه صحيحا ... فقد كانت الإمكانات لديهما تسمح بذلك .

****

عام1983م: ثورة فى الأورجون

مع بداية عام 1983م كان المجهود الإسلامي الشعبي منحصراً في جمع التبرعات العينية للمجاهدين الأفغان. ومقولة أن الأفغان ليسوا في حاجة إلي الرجال كانت هي السائدة ويروج لها الإخوان وباقي العاملين على الساحة الإسلامية الشعبية .
وصلت إلي بيشاور في ربيع ذلك العام لأجد الضجيج واللغط أعلى من أي عام سبق . والوفود الإسلامية الوافدة في قمة نشاطها . لقد جمعت السعودية أبرز الشخصيات الإخوانية مع بعض السلفيين مع عدد ضئل من أبرز ضباط إستخباراتها وكونت (لوبي) إسلامي شعبي ، يضغط من أجل تثبيت زعامة سياف للجهاد في أفغانستان، وأيضا للضغط إعلاميا وشعبيا على ضياء الحق حتى يتوقف عن مساعدة الأحزاب الأخرى. رغم أن ضياء الحق كانت له حساباته المختلفة ، ويعتبر حكمتيار هو الورقة الباكستانية الثابتة والأكيدة على الساحة الأفغانية.
ومع هذا نجحت الضغوط السعودية بإستخدام الأموال لتسكين خواطر قادة الأحزاب الأفغانية وبإستخدام القيمة الدينية للكعبة المشرفة، فجذبت السعودية ووفدها الإسلامي زعماء الأفغان إلي داخل الكعبة كي يقسم الجميع على البقاء في الإتحاد وعدم الخروج عليه وعلى طاعة زعيمه سياف والقسم على حل المنظمات التابعة لهم والإندماج كليا في الإتحاد .
وقد وقع القادة على بيانات تفيد بذلك ، وقامت السعودية والإعلام الإخواني بنشر تلك البيانات علي أوسع نطاق ممكن .
بالطبع لم يكن ضياء الحق راضيا عما حدث ، والقادة الأفغان كانوا في غاية الإمتعاض. وما أن حصلوا على الأموال التي وزعها عليهم الوفد الإسلامي ومسؤولي السعودية لقاء التوقيع على أوراق الإتحاد ، حتى توجه الزعماء جميعا ـ ما عدا سياف طبعا ـ إلى ضياء الحق كي يخبروه بأن ما حدث ليس إلا مجاملات دبلوماسية للوفود العربية،فلا يأخذ مثل ذلك التهريج السعودي مأخذ الجد.
ولكن الصراع الداخلي بين المنظمات صار أكثر حدة ، ليس فقط في مجال الحرب النفسية وحرب الشائعات في بيشاور والخارج ، بل أن الصدامات المسلحة شهدت منذ ذلك الوقت إتساعا ونموا

كبيرا وألقت المنظمات الرئيسية معظم جهدها الداخلي في تنمية الصراع والقتال الداخلي.
لم يكن الإخوان أو السعوديين أو الوفود الإسلامية التي بدأ عددها يتزايد وكمية الأموال التي تحملها لسياف تتعاظم ، لم يكن يخطر ببالهم ـ أو أنهم تجاهلوا عمدا ـ مسألة الإتصال المباشر بالجبهات وكأن ذلك في إعتبارهم من الموبقات .
حتي سياف نفسه كان بعيدا جدا عن الجبهات أو العناية بشأنها . كان غارقا حتى أذنيه في الصراع مع زملائه قادة الأحزاب وكل همه منصب على تجفيف مواردهم المالية الخارجية ، أي الإستحواذ منفردا على نهر الأموال المتدفق من جزيرة العرب. كان ذلك يمكن فهمه لو أن سياف توجه بتلك الأموال ـ التي أكسبته قوة سياسية ومؤيدين وجذبت رائحتها عشرات القادة في الداخل،بايعوه وأعينهم بالطبع على خزينته الممتلئة ـ لو أنة توجه بتلك القوة المالية والسياسية نحو جبهة القتال لكان ما يفعله معقولا ومبررا.
ولكن الجبهات ما زالت تعاني كما كانت في السابق، بل زادت الشكايات القادمة من هناك .
وبيشاور صارت أكثر جاذبية لمن ضاق عليه الحال أو أراد ثراء سريعا. فتوافد عليها علماء وقادة ومجاهدون وأفاقون وسماسرة وجواسيس. والمال العربي المتدفق بلا حساب وبلا بصيرة أدى إلى تعفن سريع في بيشاور من قمتها السياسية إلى قاعها البشري المتمثل في المهاجرين، الذين شاع فيهم التسول والكذب والإحتيال للحصول على نصيبهم من أموال العرب المشاعة .
علمت من بعض الأصدقاء الأفغان أن تشبيها بدأ في الرواج بين الأفغان يقول بأن (العرب مثل الحمير التي تحمل زكائب من المال).
وللأسف فإن هذا التشبيه يمس أكثر فئات المسلمين إخلاصا والذين إلتبس عليهم الأمر ووقعوا في الخديعة . ليست خديعة القادة الأفغان بل خديعة الإخوان المسلمين وحلفائهم السعوديين الرسميين . كانت السعودية تتحرك وتنفق بهدف إفساد العمل الجهادي وتحويله إلي سباق على المال والمكاسب ، وقد نجحت أيما نجاح . وكانت تعمل بهدف إحكام السيطرة على زعماء وعلى الأحزاب ليسهل بعد ذلك التحكم في مصير القضية كلها ـ ويا ليت ذلك لصالح السعودية كدولة ، ولكنه لصالح أسيادهم "اليهود/ النصارى" .
كانت السعودية والإخوان يعلمون أن هناك إمدادات رسمية دولية تصل إلى أحزاب بيشاور. وذلك ضمن عملية سرية تشرف عليها الولايات المتحدة ، بينما تتولى المخابرات الباكستانية مهمة التنفيذ الميداني . كان لكل حزب بما في ذلك الحزب الخاص بسياف (الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان) مبلغا معينا من المال لتوزيعه على الجبهات وكذلك كميات من الأسلحة والذخائر إضافة إلي مرتب شهري لقائد التنظيم في بيشاور .
كانت باكستان تتدخل في نسب توزيع الأسلحة ، وكانت النسبة الأكبر تصل إلى فتاها المفضل حكمتيار ، وأثار ذلك حفيظة زملائه القادة بل وأثار ذلك نقمة أمريكا التي رأت باكستان تفرض آرائها ورجالها في عملية تتولاها أمريكا بنفسها .
وأيضاً تدخل العرب بهذا الشكل ـ بقيادة السعودية ـ أثار حفيظة باكستان فقد إنقلبت الآية وأصبح سياف (رجل السعودية) صاحب الثقل الأكبر في (حركة الجهاد الأفغانى)!! .
في بداية التدخل الأمريكي كان نصيب كل حزب جهادي مبلغ يتراوح بين مليونين وخمسة ملايين روبية باكستانية . ولكن ما أن أتم سياف رحلته الخليجية الأولى حتى منحته السعودية مبلغا أكثر من مجموع ما تتلقاه جميع المنظمات الأفغانية من باكستان لأكثر من عامين .
وهنا كان الزلزال ، فالمعركة الحقيقية كانت بين الزعماء من أجل الإستحواذ على هذه الغنيمة

الهائلة والتي لا تكلف شيئا سوى بضع جلسات والطنطنة بعدة جمل إسلامية مع زخرفتها ببعض الأحاديث والآيات القرآنية . وطبقا لمعلومات أخبرنى بها اسامة بن لان فى حديث خاص:
{{فور توقيع القادة على وثيقة التنازل عن زعامة أحزابهم، تلقى سياف من السعودية مبلغ 480 مليون روبية باكستانية أي ما يعادل 30 مليون دولار أمريكي، نصفها من الأمير عبد ا بن عبد العزيز ولي العهد، إضافة إلى 115 سيارة قدمها لسياف. كما أن بعض الأمراء السعوديين أرسلوا عشرة ملايين دولار أخرى مع السفير السعودي علمدار الذي سلمها لسياف أيضا}} .
كانت المشكلة الأساسية في مجتمع القادة الكبار هي كيفية إقتسام الغنائم العربية .
وتفتقت أذهانهم العبقرية عن أن يتولى القادة الكبار مسؤولية اللجان الرئيسية ، وهذه اللجان يتم تخصيص ميزانيات محترمة لها . وبعد أن توزع الميزانيات فلا أحد يسأل عن كيفية الصرف.
وتبقى الأحزاب كما هي، تنفق من نفس دخلها الأصلي القادم من الأيدي الباكستانية بأوامر أمريكية.
أما الأموال العربية فهي غنائم للقائد وحده يصرف كيفما يشاء أو يدخر كيفما يشاء لا معقب لأمره.
وكان الإتحاد يضم عدا سياف ثلاثة زعماء أساسيين هم حكمتيار ورباني ويونس خالص .
أما حكمتيار فكان يحوزعلى تخوف الآخرين وكراهيتهم .كان سياف ورباني الأكثر تقاربا، في تحالف غير معلن ضد حكمتيار أما يونس خالص العالم الطيب فقد كان مخلصا للغاية لقضية الإتحاد.
لذلك لم يشترك في المناورات الدنيئة لباقي القيادات، و بعد الإتحاد الأخير تقلد مسؤولية رئاسة اللجنة المالية. مهمة تلك اللجنة أن تكون قناة توصيل ، تستلم من سياف الأموال المخصصة لباقي اللجان وتوصلها إليها . لم تكن تلك اللجنة مخولة باستلام أية تبرعات قادمة للإتحاد .
فقد كانت تلك مسؤولية سياف شخصيا أو نائبه الحميم (المهندس أحمد شاه) الذي فرغته لسعودية كي يعمل نائبا لسياف مقابل راتب شهري يصله من المملكة .
مع وصولي إلى بيشاور وجدت الشيخ يونس خالص متبرما ويضج بالشكوى من سياف والقادة والعرب.
<u>وأفاض معي بالشكوى قائلا</u> : { إن "الإخوان العرب" أفسدوا كل شيء وأصبح الجهاد مهددا بالفشل من جراء تدخلهم . هم يأتون ويذهبون وفي كل مرة يخلقون ورائهم جبالا من المشاكل لم تكن موجودة أصلا . إنهم يحاولون شراءنا بالمال . قبل أن يعقدوا بيننا الإتحاد الأخير وزعوا علينا الشيكات وكأنها رشوة حتى نقبل بسياف . ولما جلسنا معهم وبدأت أنتقد سياسة سياف تدخل أحدهم لمنعي من الكلام ، وأخرجت الشيك من جيبي ورميته إليه قائلا :"إذا كان هذا الشيك سيمنعني من الكلام فأنا لا أريده" . لقد جعلونا نقسم داخل الكعبة على الإتحاد وقبل أن نخرج من باب الحرم المكي بدأت الخلافات بيننا. ليس بيننا إتحاد وكل زعيم يعمل لمصلحته ولحزبه الخاص.
أنا رئيس اللجنة المالية وليس من صلاحيتي إستلام أموال التبرعات،وليس من صلاحيتي طلب كشوفات الصرف من رؤساء اللجان ـ الذين هم رؤساءالأحزاب ـ لقد أخذ كل منهم المال لنفسه ولحزبه ، تقسمت بينهم الأموال ولم يصل شيء للمجاهدين .
مثلا : اللجنة العسكرية التي يرأسها رباني صرفنا لها أكبر مبلغ من الميزانية وهو 260 مليون روبية باكستانية وإتفقنا مع رباني أن يدفع للمجاهدين أجرة إنتقال السلاح إلى داخل أفغانستان.
ولكنه دفع فقط لهؤلاء التابعين لحزبه (الجمعية الإسلامية) وعندما جاء له مجاهدو الأحزاب الأخرى قال لهم أن الميزانية قد نفذت .والنتيجة أن قوافل المجاهدين التي تنقل السلاح جلست على الحدود ترفض التحرك إلي الداخل بدعوى أنها لا تملك أجرة النقل} .
....

لقد ضم الإتحاد زعماء أقل أهمية مثل نصر ا منصور ورفيع ا مؤذن وقاضي محمد أمين .
وجميعهم منشقون عن أحزاب أخرى وكونوا أحزابهم المستقلة ، وإنضموا إلى سياف رغبة في أن يدعمهم ماليا وسياسيا في مقابلة زعمائهم السابقين الذين يضمرون لهم الشر.
من هؤلاء السبعة تكون الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان ، وقدم كل حزب عدد من أعضاء الشورى كي يكونوا مجلسا له سلطات إشرافية على الإتحاد وشؤونه .
ومن سلطات هذا المجلس إنتخاب رئيس جديد للإتحاد بشكل دوري ـ كل شهرين في أول الأمر ـ ثم كل عامين بعد قسم الكعبة .
كان المفروض من هذا المجلس أيضا ضمان مصالح كل حزب داخل الإتحاد فقد كان التمثيل متوازنا مع القوة النسبية لكل حزب ، وذلك يضمن تداول السلطة سلميا بين قادة المنظمات وذلك بالتناوب على رئاسة الإتحاد .
وكما نرى فإن المقصود الأساسي لم يكن هو تنظيم شؤون الجهاد بقدر ما كان الإستيلاء على الأموال العربية والمكانة الشعبية التي يمنحها المسلمون والعرب لقادة الجهاد خاصة القيادة السياسية للإتحاد . لأن تلك المكانة الشعبية تترجم أيضا إلي تبرعات وأموال .
إستطاع سياف بدهائة و قدراته المالية الهائلة ومستشاريه من السعوديين وحركة الإخوان أن يمكن لنفسه نهائيا من زعامة (أبدية) للإتحاد .
فقد (إشترى) معظم أعضاء مجلس الشورى وقدم لهم الهدايا العينية ، وبنى لهم البيوت وأمدهم بالكماليات وقدم الخدمات لأبنائهم ومعارفهم في مجال البعثات التعليمية في السعودية والخليج وإسلام آباد .
وأصبح سياف متمكنا من فرض أي شيء يراه على مجلس الشورى. أي أن المجلس صار أحد اللجان التابعة لحزبه أو له شخصيا .
وهكذا أغلق المجال نهائيا على منافسيه لولا أنه سمح بتولي صديقيه برهان الدين ويونس خالص رئاسة الإتحاد مرة واحدة لكل منهما لمدة شهرين للدورة الواحدة وذلك حتى يبعد عن نفسه أي اتهام بالتسلط والإفساد. كان سياف لدينا حتى ذلك الوقت أفضل الخيارات المطروحة على الساحة الأفغانية ، ولم تكن إرتباطاته العميقة بالإخوان والسعودية قد إتضحت لنا بأبعادها الحقيقية.
كنا نرى عيوبه ونمني أنفسنا أنها قابلة للعلاج إذا حقق سياف شرطين ، وقد صارحناه بذلك.
الشرط الأول : أن يترك بيشاور وأن يتحول إلي قيادة ميدانية داخل أفغانستان . فإن ذلك سوف يكون فتحا مبينا للأفغان وكل المسلمين لأن تواجده بالداخل مع إمكاناته المالية وسمعته الإسلامية سوف يدفعان بالعمل الجهادي إلي أبعد مدى وسوف يكون الإنتصار قريبا.ويكفي أن مهازل بيشاور ونزاعاتها التي أغرقت الأفغان والعرب والمسلمين سوف تنتهي .
الشرط الثاني : أن يتصرف كقائد للمسلمين الأفغان وليس كقائد تنظيم يرعى مصالح المنتمين إليه فقط . لهذا ، فعليه أن يقدم كل عون ممكن للمجاهدين حسب أهمية مناطقهم وشدة المعارك عندهم بغض النظر عن أي إنتماء تنظيمي أو قبلي .
كان سياف يوافق معنا على كل ما نقول ، بل ويزايدنا عليه ، ولكنه كان دوما يطلب التأجيل حتى ينتهي من بعض المشاكل العاجلة والخطيرة التي تهدد الإتحاد .
بدأ ينتابنا القلق من بعض التناقضات التي لاحظناها في سياف . فبينما هو يعدنا بالتحول إلي الداخل وتشكيل قيادة ميدانية إذا به يستدعي عددا من أهم العلماء القادة كي يرغمهم بالإحراج

والإغراء على أن يتسلموا وظائف إدارية في الإتحاد .
لقد تكدست بيشاور بالعلماء والقادة العسكريين المشهود لهم وتحولوا إلى وظائف مكتبية بدعوى أن (الإتحاد) في حاجة إلي أمثال هؤلاء المخلصين كي يقف على قدميه ويقوى . وأنه بدون الإتحاد فلن يكون هناك نصر . فما بالك ورئيس الإتحاد هو الذي يطلب ذلك بما له من مكانة (شرعية) و (قدرة مالية) ؟؟ .
كان أول ضحايا هذا الإتجاه هو مولوي يونس خالص ـ إضافة إلى مشاكله الصحية ـ لكنه منذ عام 1981م وهو في بيشاور حتى يقيم إتحادا صحيحا ، فخسرته الجبهات ، ولم ينشئ أي اتحاد.
قابلت الصديق القديم مولوي جلال الدين حقاني . كان أيضا في بيشاور وقد كلفه سياف أن يكون نائبا لرباني في اللجنة العسكرية . كان حقاني غير راض عن اللجنة العسكرية التي لاهم لها إلا دفع أجرة نقل الأسلحة بالبغال والخيل . فهي لجنة نقليات وليست لجنة عسكرية .
إضطر حقاني لمغادرة بيشاور رغم عدم موافقة سياف . فقد كان لدى حقاني برنامج للعمليات ضد مدينة أورجون في ولاية باكتكا الواقعة إلى جنوب ولاية باكتيا(وتربطهما نفس السلاسل الجبلية والوديان بل ونفس القبائل) .
تمكن حقاني من الحصول على نصف مليون روبية باكستانية من سياف لتمويل العمليات في الأورجون . وكنت برفقة حقاني وهو يغادر بيشاور كى أحضر تلك العمليات .
على بعد حوالي 40كم من بيشاور تقع قرية (دارا آدم خيل) التي تديرها القبائل الباكستانية وتتخذها مركزا لتصنيع وبيع الأسلحة ، ثم المخدرات والبضائع المهربة .
كان لحقاني أصدقاء أقوياء من تجار (دارا) كانوا على إستعداد لإقراضه معدات وذخائر بالملايين، على أن يؤجل الدفع إلى حين ميسرة . لم يخرج حقاني من (دارا) إلا وقد فرغ جيبه تماما ، إشترى مدفع واحد مضاد للطائرات (14.5مم) وذخائر للمدفع المذكور ولمدفع الدوشكا الموجود بالجبهة . إضافة إلى ذخائر خفيفة ومنظاراً لمدفع ميدان . وخرج مديونا في آخر النهار ، ولكنه كان سعيداً بتلك الإضافات الجديدة .
كان معنا في الرحلة ثلاثة شخصيات عسكرية ممتازة . الأول الرائد (جولزراك) المدرس السابق في الكلية الحربية والشاعر والمؤلف الأديب . والثاني الضابط محمد أختر الذي طرد من الجيش وسجن عدة سنوات مع سياف بسبب إنتمائه الإسلامي . والثالث ضابط المدفعية سراج الدين ،وقد كان قوي البنية متجهم الوجه ولا أذكر أنني رأيته مبتسما. وإنضم إلينا رابع هو الضابط معافي خان ، كان هو أيضا قوي الجسم ولكنه خجول لطيف المعشر ودود مع كل الزملاء . والأخير إستمرت معرفتي به حتى نهاية الحرب حيث أصبح قائدا بارزا من قادة حقاني .
أما الثلاثة الآخرون فقد كانت تلك بداية عملهم مع (الإتحاد) وتحت قيادة سياف .
كان سراج الدين ومعافي خان كلاهما من رجال المدفعية وكانت مهمتهما تشغيل أحد المدافع لمساندة المجاهدين . أما جولزراك ومحمد أختر فكلاهما كانت مهمته إستشارية وأيضا لجعل هذه المعركة بإسم الإتحاد الإسلامي لمجاهدين أفغانستان . وأظنها كانت المرة الأولى ـ وربما الأخيرة ـ التي يحاول سياف أن يدعم معركة عسكرية ليست نابعة من تنظيمه ، ولكنه حتى ذلك الوقت كان يعتبر حقاني أقرب حلفائه . ويكفي أنه السبب المباشر في إنتخابه رئيسا للإتحاد عام 1980م كما أنه من أكبر الدعاة إلى الإتحاد بين فصائل المجاهدين .
مع الضباط الثلاثة أجريت نقاشات كثيرة ممتعة أفادتني كثيرا في التعرف على أحوال الجيش قبل الإنقلاب الشيوعي وتصرفات الضباط المعادين للشيوعية في الجيش وكيف دبروا عدة

محاولات إنقلابية فشلت جميعها بسبب الإرتجال وسوء التنظيم . كما رتبوا الكثير من عمليات الفرار مع جنودهم وعتادهم وإنضموا للمجاهدين وتأثرت كثيرا بقصص التطهيرالدموي داخل الجيش الأفغاني .

وللحقيقة فإن السوفييت إستطاعوا تكوين كوادر عالية التأهيل داخل قطاعات الجيش والمخابرات والحزب أو الأحزاب الشيوعية ، وكان الإنقلاب الشيوعي عام 1978م خاتمة سلسلة أعمال دؤوبة ومنظمة ينفذها الشيوعيون الأفغان تحت توجيه مباشر من مسؤوليهم في السفارة السوفييتية في كابل . وكان للمسلمين بعض المجهود التنظيمي داخل الجيش، خاصة من طرف حكمتيار، ولكنها كانت سيئة وبدائية لذا كشفت بسهولة وقمعها الشيوعيون بوحشية بالغة.

التصنيع العسكري:

كان الضباط الثلاثة أذكياء ومثقفين على غير عادة ضباط الجيش . وبقدر ما كانت أحاديثي معهم مفيدة ومفعمة بالأمل إلا أنها إنتهت بالدخول إلي أبواب مشاريع عملية أدت إلي تبديل مساري مع سياف والإتحاد، بل أثرت إلى درجة بالغة على تواجدي في أفغانستان وحتى نهاية الحرب ،وربما إلي وقتنا الحالي . ولنبدأ القصة من أولها .

بينما نحن في الجبهة والمناوشات مع العدو على أشدها وكان نجم الموقف هو مدفع الدشكا وراميه العجيب الذي صار مضرب الأمثال في الصبر والصمود والدهاء ، فقد كان مشتبكا بمفرده مع حصن رئيسي للعدو ، ومع الهيلوكبتر الذي يداهمه من آن لآخر ثم مع المدفعية التي تباغته علي فترات متقطعة .

صار الرجل مضرب الأمثال في موقعه المنعزل ، ولا يطيق أحد من المجاهدين أن يصبر معه يوما واحدا أو يومين . بينما هو راسخ كالجبل يشتبك بمفرده مع جيش كامل ، فأثار حماس الجميع وكانت تذهب إليه وفود المجاهدين للتهنئة وتقدم له الدعم من بعيد خاصة ضد مشاة العدو إذا حاولوا التقدم للقضاء عليه . وفجأة توقفت الدشكا وتقهقر الرامي إلى الخطوط الخلفية . فقد نفذت الذخائر. عم الحزن صفوف المجاهدين لتوقف هذه الإشتباكات الرائعة والمثيرة ، وبدأ الطيران بأنواعه يكنس المنطقة موقعا موقعا . إستغرق الأمر حوالي أسبوع حتى إستطاع مولوي (محمد حسن)، قائد الموقع أن يجد عدة صناديق ذخيرة .

هنا تساءلت على إستحياء لشعوري أنني أتطرق إلى أسرار عسكرية فسألت الرائد جولزراك ـ وقد كان أقرب أفراد المجموعة إلى نفسي ـ سألته : (ألا يصنع الإتحاد ذخائر للأسلحة الأساسية؟) .

وفي الحقيقة كنت أتوقع أن سياف قد بدأ منذ مدة في شيء مثل هذا . ولكنني فوجئت بتأكيد جولزراك أن مثل هذا الشيء غير موجود بل أنه ـ على خطورته ـ لم يطرح للبحث ولو لمرة واحدة !!.

وهنا تدخل باقي الضباط وإتسعت المناقشة لتشمل الوضع السياسي للقضية الأفغانية إضافة إلي وضعها الداخلي سياسيا وعسكريا ، وكانت حقا مناقشة مستفيضة ، بل ممتعة ومفيدة والأهم أننا خرجنا في نهايتها بقرار ومسودة مشروع لتصنيع الذخائر على أن أتولى بشخصي مفاتحة سياف وإقناعه وبدء العمل معه في المشروع . وذلك لما يعرفونه من قوة علاقتي به ولكوني عربي ـ وهذه هي المفاجأة ـ فسوف أستطيع تحريك الموضوع أكثر من أي واحد منهم رغم أنهم من الطاقم العسكري للإتحاد!! . وذلك للمكانة الخاصة التي يحظى بها العرب لدى سياف !!.

كانت مبررات العجلة في ذلك الأمر راجعة إلى الموقف السياسي العالمي من قضية أفغانستان ،

إضافة إلي تطورات داخلية خطيرة .
ففي 22 أبريل 1983م إستطاع المبعوث الخاص للأمم المتحدة لدى أفغانستان أن يتوصل إلى إتفاق بين حكومتي كابل وإسلام آباد. يقضي الإتفاق بالسعي عبر مفاوضات غير مباشرة بين الطرفين وبواسطة الأمم المتحدة إلى إقرار تسوية سياسية لمشكلة أفغانستان من أجل وضع أساس دائم لحسن الجوار بين البلدين .
كانت ضربة سياسية غير متوقعة إهتز لها وضع الجهاد وبدأت تظهر أولى معالم التآمر الدولي على المجاهدين ، وبواسطة باكستان المحضن الأساسي للأحزاب والمجاهدين . وكان التوقيت في حد ذاته دعما سياسيا لنظام كابل الذي يحتفل سنويا بيوم الثامن والعشرين من أبريل لذكرى الإنقلاب الشيوعي . فظهر الأمر كأنه هدية أعياد الميلاد تهديها الأمم المتحدة للنظام .
وكانت أول إشارة عن حالة العداء المكتوم الذي تكنه المنظمة الدولية للأفغان وقضيتهم الجهادية.
طبعا حاول أرباب الجهاد أن يردوا بطريقتهم التهريجية على ذلك التحدي الدولي فجاء الأعلان عن الإتحاد السباعي الذي تحدثنا عنه منذ قليل والذي نظمته الإستخبارات السعودية والإخوان وأفراد آخرون لا ينقصهم الإخلاص ولا الأموال ، ولا السذاجة أيضا . وكان الإعلان عن قيام الإتحاد (الورقي) في 22 مايو 1983م . (الموافق التاسع من شعبان 1403هـ) .
ولا شك أن الإتحاد المزعوم كان تفاقما للأزمة السياسية التي يعيشها الجهاد منذ نشأته .
وجاءت الخطوة الدولية ببدء المفاوضات لتزيد الأزمة سوءا وتفتح مزاد البيع والشراء في قضية الشعب الأفغاني بل قضية الجهاد الإسلامي نفسه .
داخليا كانت هناك كارثة لا تقل سوءا. فبعد حملات بانشير التي يقال أنها وصلت إلى سبع حملات عنيفة قام بها السوفييت لتدمير قواعد مسعود في بانشير . هذه الحملات أسفرت مؤخرا عن مباحثات ثنائية بين مسعود والجنرالات السوفييت إنتهت بإعلان هدنة بين الطرفين . وكانت قنبلة أحدثت دويا عنيفا في أوساط المجاهدين في الداخل، ولغطا في بيشاور التي لا ينقصها اللغط .
بعض القادة المخلصين في الجبهات أخبرني وقتها بأن هدنة مسعود إنما هي طعنة في الظهر وبداية النهاية للجهاد ، وفي الداخل كانت تعليقات المجاهدين تدور حول هذا المعنى .
تحدثت مع ضباط الإتحاد ... وكان تقييمنا أننا أمام مؤامرة دولية وإنهيار داخلي عند مسعود قد يكون مؤامرة داخلية كما يعتقد البعض . إذن عاجلا أو آجلا فسوف تقطع المساعدات الخارجية القادمة عبر باكستان ، بل أنها قد تغلق الحدود في وجه المجاهدين في محاولة لفرض تسوية سياسية لقضيتهم لا توافق أهدافهم الإسلامية .
وزاد الطين بلة تسريبات روجتها الصحافة العالمية عن إستعداد باكستاني لقبول حكومة شيوعية إسلامية مشتركة ، يكون فيها بابراك كارمل الزعيم الشيوعي الأفغاني رئيسا للبلاد ، ويكون حكمتيار الزعيم الأصولي المتشدد رئيسا للوزراء . وبهذا يكون الرجلان القويان قادران على فرض السلام على جميع الأطراف ووقف (الحرب الأهلية في البلاد!!) .
كانت تلك أول إشارة ، ولم يصدقها أحد خاصة نحن من السذج المتحمسين، فمهما كانت تحفظاتنا على قادة الأحزاب فلن يقبل أيا منهم بالمشاركة في السلطة مع الشيوعيين ، وكم أثبتت السنوات التالية مقدارغبائنا .
المهم كان إستنتاجنا الأساسي أنه لا بد من السعي نحو الإكتفاء ذاتيا من الذخائر المهمة وتصنيعها داخل المناطق المحررة من أفغانستان تحسبا لاحتمال إغلاق الحدود مستقبلا عند إقرار تسوية سياسية . وقلنا أنه حتى في حالة فشل مثل تلك التسوية أو تأخيرها ، فأن إمتلاك المجاهدين تلك

القدرة التصنيعية والإكتفاء الذاتي في الأساسيات سوف يقوي موقفهم إزاء باكستان وأي طرف خارجي يحاول الضغط عليهم أو التأثير على قرارهم .
كانت إستنتاجاتنا منطقية ومعقولة وتحمس الجميع لها لدرجة أنهم تعجلوا ذهابي إلى بيشاور لبحث الأمر مع سياف والبدء فيه فورا .

أورجون : بين القطاع العسكري والقطاع الإداري

قبل أن نمضي قدما خلف مشروعنا العسكري ، سنلقي أولا نظرات على الأورجون ، تلك المدينة الصغيرة وكأنها قرية كبيرة تقع في وادي تحيط به الجبال ، ولكن على مساحة أقل من مدينة خوست بكثير . يربطها مع خوست طريق لم يكن قد تم رصفه وقطعه المجاهدون منذ سنوات . ظل هناك طريق واحد يربطها مع وادي زورمت وهكذا يمكنها الإتصال مع مدينتي جرديز وغزني . وهذا الطريق أيضا يسهل التحكم فيه وإغلاقه ، ولكن الحكومة الشيوعية إستطاعت عقد إتفاقات سرية مع بعض مجموعات المجاهدين وبعض رجال القبائل حتى يظل هذا الطريق مفتوحا على الأقل أمام قوافل الإمدادات عند الضرورة . طبعا لم ندرك ذلك في بداية الأمر فقد كان هناك من سبق مسعود في عقد هدنة سرية مع الروس ، ولكن شهرة مسعود جعلت لهذا الإتفاق وقع الكارثة .
من الحدود الباكستانية وحتى مواقع المجاهدين حول أورجون ،تحتاج إلى رحلة السيارة تقطعها في أكثر من خمس ساعات عبر طرق سيئة في الجبال وتقطع أيضا بعض الوديان القابلة للزراعة والتي تنتشر فيها القرى المدمرة والتي مازال بعضها مأهولا نسبيا .
أورجون هي عاصمة محافظة باكتكا. تلك المحافظة لم تكن موجودة قبل الإنقلاب الشيوعي ، ولكنها ظهرت بقرار (ثوري) من نور محمد طرقي أول زعيم شيوعي للبلاد الذي أمر بتقسيم محافظة باكتيا إلى محافظتين حتى يسهل التحكم بها إداريا وعسكريا بعد أن إستشرى فيها التمرد المسلح (الجهاد) . وجغرافيا فإن المحافظتين يشكلان وحدة لا يمكن تجزئتها ، فالجبال والوديان وحتى القبائل متصلة بشكل عضوي . والطريف أن ذلك التقسيم أثار مشاكل في حزب يونس خالص .
فقد كان مولوي جلال الدين حقاني هو قائد عام محافظة باكتيا من طرف الحزب ، وما أن أصدر طرقي قراره بالتقسيم حتى أصدر مولوي خالص قرارا مماثلا ، فعين القائد مطيع ا قائدا على محافظة باكتكا الجديدة ، وإنكمشت صلاحيات حقاني في إطار باكتيا الجديدة ، تسبب ذلك في حدوث شرخ داخلي لم يندمل حتى نهاية الحرب.فمكانة حقاني العملية داخل الحزب أخذت تنكمش فتصرف هو بشكل أكثر إستقلالية وراهن كثيرا على إتحاد يأوي الجميع ، ولكنه عانى من الإتحاد أكثر مما عانى داخل حزبه القديم . ولعل حادث تقسيم باكتيا يلفت نظرنا إلى سهولة تجزئة المسلمين وضرب بعضهم ببعض وبإجراءات بسيطة لا تكلف أعدائهم شيئا. وفي المقابل نرى صعوبة توحيد المسلمين وحتى إستحالة ذلك أحيانا. كما يلفت نظرنا إلى خطأ كان شائعا في أفغانستان ألا وهو توزيع المسئوليات العسكرية طبقا للتقسيمات الإدارية القائمة . فالذي يمسك بين يديه خريطة التوزيع الإداري للبلاد فإنه لا يخطئ كثيرا إذا قال أنها أيضا خريطة التقسيمات العسكرية للمجاهدين و بالطبع فإن ذلك خطأ واضح ، فالقطاعات العسكرية للمجاهدين يجب أن تخضع أساسا لاعتبارات جغرافية وليس إدارية .
بمعنى أن سلسلة الجبال المتصلة والديان والمسالك الجبلية والأنهار وطرق الإمداد المستخدمة لخدمة مناطق المجاهدين العسكرية أو المحررة . مثل تلك المناطق تعتبر كل واحدة أو أكثر منها

قطاعا عسكريا قائما بذاته بغض النظر عن التقسيمات الإدارية التي ترسمها الحكومة بغرض تسهيل إدارتها للبلاد ، وحتى بغض النظر عن التقسيمات العسكرية التي يقسم الجيش البلاد على أساسها إلى قطاعات عسكرية ، فالإعتبارات العسكرية تختلف كثيرا لدى الطرفين أي المجاهدين والجيش الحكومي .

بالطبع فإن العوامل الجغرافية هي محور تحديد القطاعات العسكرية للمجاهدين ، مع عدم إغفال العنصر البشري أي السكان وإنتماءاتهم العرقية والدينية ، وكذلك علاقاتهم التاريخية مع بعضهم البعض ومدى درجة التفاهم ـ أو العداء ـ بينهم جميعا . وأيضا مع إعتبار عوامل سياسية مثل الحدود المشتركة مع الدول الأخرى ومواقف تلك الدول من الحرب ، أي درجة صداقتها أو عدائها لنا . ويذهب البعض إلى أن تحديد القطاعات العسكرية يأتي كخطوة تالية لتحديد خطوط الإمداد . وحول خطوط الإمداد تقام القطاعات العسكرية . فيكسب خط الإمداد مناعة دفاعية وتكتسب القطاعات سهولة نسبية في الإمداد .

ويذهب هؤلاء إلى أن الخطة (الدفاعية) التي تدرس مسبقا في تلك الحالة هي خطة الدفاع عن هذا الشريان الحيوي (خط الإمداد) . ويعتبر ذلك إستثناءا واضحا في فلسفة حرب العصابات خاصة في مرحلتها الأولى . فهي دائما تهاجم وتختفي ولا تدافع إلا نادرا ولمجرد كسب الوقت وتوفير مخرج آمن للإنسحاب .

ولكن عندما تظهر القواعد الإدارية الكبيرة (كما حدث في جاور مثلا) . فإن وضع خطة للدفاع تكون ضرورية في تلك الحالة مع تحاشي فلسفة (الدفاع لآخر رجل) أو (الدفاع عن كل شبر من الأرض) . بل أن فكرة الدفاع تتركز حول هدف إيقاع خسائر عالية بالعدو وقتاله في أرض مجهزة سلفا لقتله . مع التسليم بقدرة الجيش النظامي في مرحلتي حرب العصابات الأولى والثانية،على الوصول إلي أي بقعة أرض يريد الوصول إليها.وسوف نرى أمثلة عملية على ذلك .

ونشير هنا إلى إعتقادنا بأن نجاحات مسعود الأولية في قتاله في بانشير يعود إلي أنه تعامل مع وادي بانشير كوحدة عسكرية وجغرافية وسكانية متكاملة . وتحقق له توحيد القيادة العسكرية تحت إمرته المباشرة .

كما أن أكبر نقاط ضعف مسعود ـ في ظني ـ أنه لم يستطع السيطرة على طرق الإمداد الخاصة به ـ والتى تأتي من باكستان ، تلك الطرق كانت تغلق لفترات طويلة أو قصيرة. ليس بالقوات الشيوعية، بل بقوات غريمه حكمتيار.

ومع الوقت تحولت بانشير وما حولها من مناطق الشمال الأفغاني إلى ساحة قتال يدور أساسا بين الفرعين الشهيرين وتحت سمع وبصر بل ومباركة السوفييت وقوات الحكومة الشيوعية وتلك قصة أخرى .

مع تميم العدناني في الأورجون

العرب الذي قابلتهم في أورجون كانوا صورة مشرقة ومتفائلة . وفي الواقع أنني قابلت في ذلك العام مجموعة نادرة من البشر من مختلف الأجناس . يجمع بينهم الحماس للجهاد والحالة الروحانية السامية، خاصة وأن شهر رمضان يجتذب عادة إلى جبهات القتال نوعيات من هؤلاء الذين يفضلون قضاء الشهر الكريم في أجواء خاصة تتميز بها جبهات الجهاد .

يكفي أنني قابلت من العرب في ذلك العام (تميم العدناني) وهو من الشخصيات النادرة والبارزة

والتي إرتبط اسمها بالجهاد في أفغانستان .
كانت تلك زيارته الأولى إلى داخل أفغانستان ، أرسله سياف إلى أورجون على إعتبار أنها معركة ترفع علم الإتحاد . كان زملائي من العرب قد غادروا قبل وصول تميم العدناني وهكذا صرنا وحيدين وربطتنا بسرعة صداقة وتفاهم ، ساعد عليها روحه المرحة المتسامحة وإقباله الطفولي على الجهاد ، بكل الشوق والعفوية . وكان - رحمه ا - يبحث عن الشهادة بنهم ، ولا يبالي بأية إعتبارات قتالية ربما لأنها كانت تجربته الأولى. ورغم أن وزنه يتعدى المئة كيلوجرام.(للمزيد راجع موقفه فى معركة جاجى فى كتاب معارك البوابة الصخرية).
أخبرني أنه يعمل في معهد يتبع شركة أرامكو في السعودية ، حيث يدرس اللغة الإنجليزية - على ما أذكر - وأخبرني أن والده فلسطيني ووالدته مصرية . لهذا كان يتذوق اللهجة المصرية جيدا. وأضحك كلما تذكرت حديثا دار بيني وبينه ونحن نتجول في التلال القريبة من المعسكر نتباحث حول مشكلة الألغام حول حصن العدو الذي يشتبك معه معسكرنا .
قلت له : إنني أفكر في إستخدام حمار يجر خلفه عدة أثقال ثم ندفعه أمامنا نحو الحصن لتفجير الألغام ثم نهاجم بعد ذلك.
قال بحماس : فكرة جيدة ... ما المانع من تنفيذها.
قلت :أخشى أن يتركنا الحمار و (يقمص) إذا سمع إطلاق النار- أي أخشى أن يحرن ويفر هاربا.
ضحك تميم حتى جلس على الأرض وهو يمسك بطنه وألقى بندقيته إلى جانبه وهو يضحك بشدة ويتلوى من ألم الضحك ويردد الكلمة المصرية (يقمص) ويقول: هذه الكلمة لم أسمعها من زمان . . . (يقمص) . . وهكذا ظل يضحك حتى توقف رغما عنه من شدة الألم .
كان ظريفا حتى في أحلك المواقف - وجعلتني تلك الميزة أحبه وأقدره - فمن النادر أن تجد شخصا مرحا ويظل كذلك تحت ظلال السيوف .
وكانت قمة مواقفه الإنسانية يوم زيارتنا لموقع الدشكا الذي ذكرناه سابقا .
ذهب تميم حتى يرى تلك المعجزة، فأخذناه إلى هناك وكنا قرب الظهر . كان عدد من المجاهدين يساعدون رامي الدوشكا في تحسين موقعه ، فوضعوا حول مدفعه عدة أكياس من الرمل .
وتحت أحد الصخور هيأوا له ولمساعده جلسة تظللها أغصان الأشجار للإستراحة وتناول الشاي ثم حفروا خندقا صغيرا مسقوفا بالأغصان والأحجار للإحتماء فيه وقت الضرورة .
الشيخ تميم أصر أن يرمي عدة طلقات على الحصن الحكومي المقابل وكانت تلك أول الطلقات في حياته الجهادية . فأطلقها وسط جو إيماني متدفق فقد دعا ا بتأثر ودعا الجميع معه وبكوا.
ثم ضغط على الزناد مرات فصب خطوط من الحمم المتتابعة على فناء الحصن فإرتمى الجنود أرضا . ساعدنا تميم على النهوض من خلف المدفع ، وبدأ الحصن في الرد برشاشاته الثقلة ولكن بلا تركيز فلم يكن قد نجح حتى الآن في تحديد موقع مدفعنا بدقة .
وما هي إلا دقائق حتى سمعنا صوت طائرات الهيلوكبتر يأتي هادرا من طرف المدينة .
سحبنا الشيخ تميم نحو الخندق وهو متعجب. فلما عرف أننا نريده أن يدخله رفض ووقف قرب فتحة الخندق يلوح بيده للطائرات - وكان يلبس بدلة قريبة من البياض - يسبهم ويدعو ا أن يهلكهم.
كانت أربعة الطائرات تتجه نحونا على خط مستقيم فدخل أحد المجاهدين إلى داخل الخندق و هو يجذب تميم من يده، بينما قمت مع مجاهد آخر بدفعه من الخلف نحو الحفرة فسقط فيها،وقذفنا أنفسنا خلفه فقد صارت الطائرات فوقنا تقريبا. سقط الشيخ تميم على المجاهد الأول الذي أخذ يصيح حتى ننقذه من تحت الجسد الضخم لصديقنا تميم .كنا إثنين فوق تميم ، وتميم بثقله فوق المجاهد المسكين.

لم يكن تميم يستطيع الحركة في هذا الوضع ولكنه بدأ يضحك ويقول للمجاهد أسفل منه:
تستاهل فقد منعتنى الشهادة! ...
أخذنا نضحك جميعا ونحن مكومون داخل حفرة مظلمة والطائرات تصب نيرانها على قمة قريبة .
الموقف الأخير مع الشيخ تميم كان ليلة الخامس والعشرين من رمضان . وكان موعد عملية قررها مولوي محمد حسن قائد منطقتنا . وكان من المقرر أن تتقدم مجموعة نحو الحصن و ترمي عليه صواريخ "آر بي جي" أما المجموعة الأخرى فتشكل حلقة حول الحصن وترمي عليه بالأسلحة الصغيرة خاصة أبراج الحراسة المزودة برشاشات ثقيلة .
كانت المشكلة أن المجاهدين يكرهون تماما إصطحاب شخص ثقيل الوزن أثناء العمليات لأن عملية إخلائه من ساحة المعركة إذا جرح أو قتل سوف تكون مأساة . وقد غادر الموقع منذ أيام إثنان من العرب "من فلسطين أيضا" كان أحدهما ضخم الجثة، ولكنه أكثر شبابا من شيخنا تميم، فكان المجاهدون يرفضون الخروج معه في عملية واحدة . وكان يضطر لإصطحاب صديقه العربى معه في نفس العملية ثم يبدآن في إقناع المجاهدين بإصطحابهما على أن يتكاف العربي الآخر بإخلاء زميله من أرض المعركة إذا أصيب .
أمام مولوي محمد حسن قدمت نفس الكفالة للشيخ تميم ، فقد كان حجمه أضخم من حجم الأخ العربي السابق ، وقد وافق محمد حسن بصعوبة. وفي الحقيقة لم يكن هناك شيء يمكن أن يمنع تميم العدناني من الذهاب إلى القتال .
مع الغروب غادرنا آخر سلسلة في الجبال وتحركنا إلى مدخل الوادي حيث طريق ريفي محاط بالأشجار يخترقه جدول عذب غزير الماء . كنا نعبره أحيانا في النهار أثناء زيارتنا لمركز مولوي أرسلان الواقع إلى غرب مركزنا بعدة كيلومترات، وسط الحقول والأشجار في قرية مهجورة . وما أن تحركنا عدة أمتار في الطريق حتى إنهالت علينا عشرات من قذائف المدفعية مرة واحدة وتتابعت كذلك لفترة من الزمن .
كان يصحبنا الرائد جولزراك ولم يكن في تلك العملية سوى ضيف مثلنا . كان أول همنا تحريك الشيخ تميم بعيدا عن منطقة النيران. كان علينا أن نقفز عبر جدول ماء صغير إلى اليمين ونتقدم داخل الأرض الزراعية، فهناك عدة حفر ومجاري مائية صغيرة جافة ، قفزنا إليها كي نحتضن ترابها الغالي ونمسح وجوهنا فيه بشوق!! . فهل كان قصف العدو لمدخل الطريق عملا روتينيا تصادف مع مرورنا فيه ؟ أم هو كمين مدبر ؟ . لا أدري حتي الآن ... كل ما أعلمه أنه عمل سيء جدا ومتوحش، ولولا دعوات الشيخ تميم وصيحاته المدوية بالتكبير والتهليل لاعتبرت ذاك الحادث من الذكريات السيئة .
كانت قناة الري أصغر من أن تستوعب شيخنا تميم بجثته الضخمة ، فظل معلقا فوقها متعرضاً بذلك لخطر الشظايا المتناثرة . فإنتقلت وإياه إلى منخفض واسع ذو جدار منحدر في إتجاهنا. لم يكن المكان مثاليا ولكنه كان مريحا بالنسبة للضيف. ولحسن الحظ أن العدو حرك نيرانه إلى الغرب من موقعنا فأصبحت النيران خلفنا بمسافة أبعد قليلا فأخذنا نتنفس بهدوء ونستمع بإبتهاج أكثر إلى تكبيرات الشيخ تميم وتهليلاته . والأهم هو أننا بدأنا نبتسم لأول مرة منذ وقوعنا في هذه المصيبة .
بعد مسيرة طويلة ومتعرجة وسط المزارع وكانت مليئة بالتحديات للشيخ تميم ـ وبالتالي لي أيضا كمساعد خاص له ـ وصلنا إلى القرية وساحتها الفسيحة بأشجارها الضخمة، تجمعنا هناك وبدأ توزيع الرجال وتوجيههم إلى أهدافهم . حمل القاذف الصاروخي الشاب (محمد علي) وهو

أوزبكي الأصل إنضم إلى المجاهدين في العام الأول للجهاد قبل وصولنا إلي مركز مطيع ا في زيارتنا الأولى بمدة قصيرة . وهناك تعرفنا عليه ، وعندما تقابلنا هذه المرة تعانقنا بحرارة تليق بزملاء قدامى . لم أدر وقتها أن عاما واحدا فقط تبقى على إستشهاد هذا الفتى الرائع، وبالطبع لم أتصور أن أعيش لأكثر من عشر سنوات حتى الآن بعد ذلك اللقاء الليلي قرب حصن العدو غرب الأورجون .
عبرنا القرية وكان علينا أن نتقدم عبر حقول متدرجة الإنخفاض يصل الفرق إلى أكثر من متر بين كل سطح والآخر . وصل الشيخ تميم رغم التحديات وأطلقنا النار سويا على أبراج القلعة ، ولكن "محمد على" أخطأ القلعة في قذيفتين عبرتا ظلمات الليل نحو المجهول . تأخر رد فعل العدو حتى تراجعنا إلى أول منازل القرية ثم فتح علينا نيران رشاشاته الثقيلة . إمتنعنا عن الرد ولكن من موقعنا الجبلي ردت الدشكا بأقواس رائعة من النيران تعرف طريقها جيدا إلى داخل القلعة.
إختبأنا في مجاهل الحقول فترة من الزمن حتى أنهي العدو قصفه المدفعي على مناطق متفرقة يتوقع وجودنا فيها،وتوقفت رشاشاته الثقيلة عن التمشيط العشوائى. وإنتظرنا حتى تجمع الرجال كلهم، ولم تكن هناك أية إصابات عندنا.
عدنا أدراجنا إلي المركز وكان قمر الخامس والعشرين من رمضان يتلألأ في سماء الأورجون .
كانت تلك آخر مشاركة ميدانية لى مع تميم العدناني . لقد عاد وسجل شريطا مفعماً بالحماس والعاطفة عن رحلته تلك . وتفرغ للعمل مع سياف بكل طاقته الهائلة وصفاته النقية .

إلتقينا قبل وفاته أوإغتياله بعدة أشهر وذلك في سوق صدر في بيشاور. كنت منتظرا داخل سيارتي وكان هو مارا في سيارته ، ألقى السلام علي وهو في سيارته ثم مضى..
لم يتوقف للحديث . كانت علاقتي قد تدهورت مع سياف منذ سنوات ، وإنعكس ذلك على من حوله حتى هؤلاء الذين أكن لهم حبا عميقا من أمثال تميم العدناني وجولزراك .
بعد عدة أسابيع تكرر نفس الموقف وتلقيت من الشيخ تميم سلاما عابرا من سيارته المتحركة على مهل، ولم يلبث أن وصلني خبر وفاته . وما زلت أعتبره أطهر القلوب وأصفى النفوس التي داست على الأرض الأفغانية ووهبت حياتها في سبيل ا ومن أجل أفغانستان . أحيانا لا أستطيع وصفه ـ رحمه ا ـ إلا بأنه أضخم الأطفال الذين إستشهدوا لأجل أفغانستان .
كانت معركة "25 رمضان 1403هـ" في الأورجون منعطفا في تفكيري تجاه المشاركة القتالية مع المجاهدين الأفغان . لم أعد أشك في أن أسلوبهم في القتال لا يناسبنا ، وأننا نكرر ما يفعلوه بطريقة أقل كفاءة وأكثر تكلفة . فما معنى أن يقطع العربي آلاف الأميال ويتكلف آلاف أو مئات الدولارات كي يطلق عدة طلقات على حائط طيني أو حاجز صخري ؟ . وما معنى أن يجلس العربي في الجبهة أياما أو أسابيع أو حتى عدة أشهر ، ثم ينتقل إلى بلاده وهو لم يكد يتعرف على منطقة القتال أو المجاهدين أو أسلوب العمل وطريقته ؟ .
وما معنى أن يكون هناك عربي أوإثنان فى جبهة قتال كبيرة ؟.
لكي يكون هناك عمل عربي يجب أن يكون هناك عرب كثيرون بشكل يكفي للقيام بعمل جماعي بأسلوب مميز . ولكي نحصل على هذا الأسلوب لا بد من تدريب هؤلاء العرب .
فالتدريب على أيدي الأفغان ينقل معه كل الأخطاءالتي يرتكبونها في إستخدام السلاح وتكتيك القتال.
ولكن إذا كان هناك عرب كثيرون ومعسكر تدريب ثم مجموعات مقاتلة عربية:
فكم يكلف كل هذا؟ ومن يدفع ؟ وكيف نحافظ على إرتباط هؤلاء ؟ تحت أية قيادة ؟

وتحت أي تنظيم ؟ وما هو فكر هذا التنظيم في وسط الأمواج المتلاطمة من الأفكار المتضادة والمضطربة التي تموج بها أوساط الشباب المسلم وتجمعاته ؟ .
هذا العام رأيت شبابا عربا أكثر مما رأيت في العام الماضي ، وكانوا معقولين أكثر من ذلك الفوج الإزعاجي الذي سقط فوق رؤوسنا في ليجاه في العام الماضي .
ولكنهم ما زالوا كسحابة صيف ، سرعان ما تمر ولا تترك أثرا على أرض الجهاد . وإن كانت تتحول عند عودتها إلى أدوات رائعة للتعبئة وجمع التبرعات التي تصب في النهاية في أيدي عصابات السياسة في بيشاور .
كل تلك الأسئلة الحائرة لم تجد عمليا إجابة شافية إلا بوصول أسامة بن لادن إلى المسرح الأفغاني عام 1987م كي يقلب كل الموازين ، ويضع قوانين جديدة ويخلق واقعا عربيا جديدا .
ولكنه لم يكن أيضا الحل الأمثل الذي أحلم به . ولكنه على أية حال وضع كثيرا من الأحلام على ساحة الواقع . رضى من رضى وغضب من غضب . فهذا هو أبو عبد ا وعلى العالم أن يتدبر أمره . فكانت لي معه جولات ، وما أمتعها من جولات ! ! .
** من الأحداث التي أثرت على مسيرتنا الأفغانية كان الحادث التالي :
في الصباح الباكر تحركت مجموعة مكونة من ستة من الشباب ومعهم مدفع واحد عديم الإرتداد في مهمة لضرب الحصن بعدة قذائف ثم العودة مرة أخرى . بعد أن أدى الشباب مهمتهم بنجاح ، ونظرا لأنها تكررت عدة مرات بنفس الطريقة ومن نفس الموقع، فقد كانت هاونات العدو جاهزة ، فإنطلقت فورا من داخل القلعة لتدك المنطقة التي ضرب منها الشباب . فإحتمى هؤلاء داخل بيت قريب، فنزلت قذيفة على سطح البيت فإنهار عليهم . تمكن أربعة من الخروج من تحت الأنقاض وطلبوا مساعدة لإخراج زميليهم . فأخرجوا أحدهم مقتولا والآخر بترت ساقه فأحضروه إلى المعسكر على سرير من الخشب والحبال . كان يتكلم وعظام ساقه المكسورة بارزة والدم يتدفق منها وليس بيننا من يستطيع عمل أي شيء . فلا أحد مدرب على الإسعافات الأولية بل ليس لدينا قطعة شاش واحدة ! ! . . بعد ساعة تقريبا فاضت روح الشاب .
أرسلوا في إستدعاء أبيه من قرية بعيدة . وعند الظهر تم دفن الشابين في جمع من المجاهدين وكانت الدماء ما زالت تتدفق من جروحهما . وما أن تم الدفن حتى وصل والد الشاب ـ وكان الشهيد هو إبنه الوحيد ـ جثا الرجل على ركبتيه إلى جانب القبر وجعل ينتحب بشدة حتى خلت أنه سوف يموت إلي جانب قبر إبنه . وكانت تلك المرة الأولي والأخيرة التي أرى فيها أفغانيا ينتحب. لقد بكى جميع الحاضرين فقد كان الشهيدان صغيرا السن ومن ألطف المجاهدين أخلاقا.
ولم يتخيل أحد أننا لن نراهم مرة أخرى . فالمهمة كانت روتينية في نظر الجميع ـ كان ذلك بالتحديد هو المقتل ـ فإذا تحول العمل الهجومي إلى طابع ثابت وروتيني سهل على العدو القضاء على القائمين عليه .
إنصبت نقمتي مرة أخرى على بيشاور ومن فيها . لقد زرت عددا من المستشفيات هناك . ورغم الشكاوى التي لا تهدأ هناك فقد كانت الحالة أفضل من هنا بما لا يمكن مقارنته . هناك مستشفيات باكستانية وأفغانية وعربية وصليبية وعشرات من الأطباء وأطنان من الدواء ـ وإن كان كثير منه فاقد الصلاحية ـ ولكن هناك شيء...ولكن في خدمة من؟ المهاجرين ؟..وما المهاجرون بالنسبة إلى المجاهدين ؟.إذا كان الرجل هنا يموت لعدم وجود قطعة من القطن ورباط من الشاش ، ولعدم وجود طبيب أو حتى ممرض يوقف النزيف...فكم من الأرواح زهقت وسوف تزهق من جراء هذا الإهمال ؟ ... وإلى متى تبقى بيشاور مثل التنين يبتلع كل شيء ولا يشبع

أبدا بل يطلب المزيد دوما . وما نصيب جبهات الجهاد من ذلك التنين إلا نفثات اللهب التي تحرق الجهاد ولا تضر العدو .
كانت مثل تلك الخواطر وراء سلسلة من الجهود لنقل الخدمات الطبية ـ أو جزء منها ـ إلى داخل جبهات القتال . وأسفرت تلك المجهودات عن نتائج طيبة تم معظمها على أيدي غيرنا كما هى العادة دائما، ولكننا أثرنا الكثير من الضجيج حتى حدثت الأستجابة. فكانت نقله الى الأمام . ولكنني لم أجدها أبدا في أي وقت كافية أو تتم على ما ينبغي. ولكن بلا شك فإن إخواننا الأفغان كانوا أسعد حظا وأوفر خدمات من أي حركة جهادية سابقة أو لاحقة حتى وقتنا الحالي .
وكانت أكبر إنتصاراتنا الطبية هي قدوم مؤسسة (إسراء) للإغاثة لتقدم خدمة نوعية متميزة للشعب الأفغاني وكانت أكثر المؤسسات الإغاثية تحررا من النفوذ الضار ، سواء الهيمنة السعودية أو الباكستانية أو الدولية . وفوق كل ذلك كانت محايدة تماما في وسط التيارات الأفغانية ، الحزبي منها والمذهبي .فكانت الأكثر قبولا واحتراما وإن كانت دوما الأقل من حيث الإمكانيات المادية والمالية ، وعوض ذلك مجموعة رائعة من شباب السودان الإسلاميين الواعين الذي عملوا بحماس وصمت وحياد ومازالوا يعملون حتى الآن وسط الفتنة الأفغانية الخانقة ، والضغط الصليبي الحاد، ربما لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .
....
** لثاني وآخر مرة يصحبني صديق من الإمارات إلى الجبهة. كان الأخ (عفيفي) هذه المرة رفيق الدرب إلى أورجون حيث بقى معي هناك لمدة أسبوعين ، ترك فيها أثرا طيباً ما زال يذكره كل من مولوي محمد حسن والضابط معافي خان. ولكنه للأسف لم يكرر المحاولة مرة أخرى . عفيفي كان من جماعة الإخوان ، ومن الشباب النشطين هناك ، وكان مسؤولا عنهم آنذاك الشيخ (محمد مصطفى) رحمه ا . الذى كان موجها تربويا فى وزارة التربية . وكان رجلا محبوبا متحمسا للجهاد ولنشر الإسلام ، قضى فترة لا بأس بها في سجون مصر ، وخرج منها بأمراض مستعصية أدت إلى وفاته يرحمه ا .
دعاني الشيخ محمد مصطفي إلى بيته عدة مرات وكان العديد من الشباب عنده . وسألني كثيرا عن أفغانستان وأحوال الجهاد ، وكان يتجاوب مع رغبات الشباب حوله في تأييد ذلك الجهاد . ولكن إرسالهم إلي هناك كان يتم بحسابات كثيرة وبعد الإتصال مع القيادة في مصرعلى الأرجح.
لذلك لم يذهب من إخوان الإمارات إلي الجهاد إلا أعداداً محدودة جدا كان منهم صديقي عفيفي الذي ظل يتصور حتى آخر رمق أن الإخوان المسلمين هم القيادة الحقيقية للجهاد في أفغانستان، وأن معسكراتهم تملأ جنبات البلاد وعملياتهم تقض مضاجع الروس.
كان الأخ يعيش في وهم كبير، وكلما حاولت إفهامه أن ما يعتقده غير صحيح، نظر إلي بابتسامة لطيفة ولكنها تحمل معاني التوبيخ المهذب،وتتهمني بلا مواربة أنني لا أعلم شيئا لأن الجماعة أسرارها في بئر عميق . وعندما ضاق من إعتراضاتي وكان ذلك في عام 1988م على ما أذكر قال لي : (وماذا تظن عبد ا عزام وأسامة بن لابن ... إنهما مبعوثان من الإخوان وغيرهما كثير ... ولكنك لا تعلم فهذه أسرار الجماعة) . كانت قضية ميؤوسا منها . ولكننا نجحنا في الإبقاء على صداقتنا الحقيقية حتى آخر لقاء بيننا منذ سنوات .
....
قبل أن نترك معارك الأورجون نشير إلى آخر حادث ذو دلالة رأيته هناك . فما أن عدنا من

غارتنا الليلية على الحصن حتى وجدنا مولوي محمد حسن يجهز نفسه لعملية صباحية بالهاون ومعه ضابط شاب ويدعى (توران محمد) وهو من أبناء المنطقة. فقد وصله ليلا رسول من طرف مولوي أحمد جول الذي يعمل في الجبهة الشرقية من أطراف المدينة ،قال أن الأخير إستطاع ليلا رفع الألغام والإستيلاء على الجبل الشرقي الذي يتحكم في المدينة من ذلك الطرف .
وفي الصباح فإنه يتوقع أن يأتي جنود الحكومة كي يشغلوا نقاط ترصدهم فوق الجبل ، وبالطبع فإنهم سيقعون في أيدي المجاهدين الذين إستولوا سرا على الجبل أثناء الليل. ولكنه يتوقع قصفا مدفعيا شديدا من جانب العدو لذا فهو يطلب من مولوي محمد حسن أن يشتبك مع العدو من ناحيته حتى يخفف الضغط عنهم .
فرح المجاهدون بالنبأ السار . وكان أكثرهم قد قضى ليلته في إشتباك الأمس وبعضهم بات ليلته في قرى قريبة حتى يتمكن من تناول السحور . خرجت مع مولوي محمد حسن ومعهما شاب عربي وصل حديثا وشاب باكستاني (سجاد الرحمن) يدرس في الجامعة الإسلامية في إسلام آباد . سار بنا محمد حسن في إتجاه الشرق مسافة طويلة وإذا بالحصن الذي كنا نشتبك معه فى الليل لا يبعد أكثر من مائتي متر عنا . وهنا وضع الشيخ الهاون على الأرض وبدأ يعمل في تجهيز المدفع للرماية . كان الجنود يتجولون فوق أسوار الحصن . سألت الرجل متعجبا كيف يعمل من هذا المكان ؟ . لا شك أن قوة الحصن سوف تقضي علينا في دقائق .
ضحك قائلا : توكل على ا ... إذا ضربوا علينا سنضرب عليهم ... إطمئن إنهم يخافون منا ... وا يحفظنا .
بدأ الهاون في العمل وكانت تلك أبعد مسافة يمكننا الذهاب إليها . ومع هذا وضع الشيخ في قذائف الهاون ضعف عدد حلقات البارود المقرره كحد أقصى . وذلك حتى يحصل على أبعد مسافة ممكنة ولو أدى ذلك إلى خطر إنفجار المدفع .
والطريف أن الجنود على سور الحصن كانوا يستمتعون بمشهد القذائف التي تنطلق من عندنا وهم يقفون بتكاسل . ثم جاءنا الرد المدفعي مشوشا وبعيدا. فضلت عندها أن أنام علي كومة عشب قريبة تاركا الشيخ والضابط في برنامجهما العجيب . فلم أكن قد نمت منذ الأمس. لقد إستنتجت ساعتها أن الجيش يعاني من تفكك داخلي وعدم قناعة بالقتال .
بعد ليلة من ذلك الحدث فوجئنا برمايات كثيفة وإنفجارات فظننا العدو يهاجم وأنه إشتبك مع موقع الدشكا المتقدم .
فأخذنا الأسلحة وصعدنا بسرعة إلي القمم القريبة . وبعد حوالي ساعة علمنا أن عددا كبيرا من الجنود قد فروا من الحصن وإنفجر في عدد منهم ألغام من تلك المحيطة بالحصن ، كما أن الضباط أرغموا باقى الجنود أن يفتحوا النار على الفارين فقتل عدد آخر . وقد وصلنا بعد هذا كله خمسة عشر جنديا منهم جرحى ، وقد تركوا عددا من جثث الزملاء لا يعرفون عددهم . كانوا جميعا من ولايات الشمال الأفغاني قضوا معنا حتى أيام العيد الأولى ثم غادر معظمهم إلى باكستان .

خيانة فى أروجون:

كان من المفروض أن ينهي الوفد العسكري الإتحادي بالتعاون مع حقاني مباحثات مع قادة المنطقة من الأحزاب المختلفة بهدف شن هجوم موحد على مدينة أورجون . طالت المباحثات كثيرا رغم إتفاق معظم القيادات على العمل بشكل مشترك تحت قيادة حقاني . ولكن قائد حزب

إسلامي حكمتيار رفض هذا الإتفاق وأصر أن يكون هو القائد العام . كان ذلك القائد حديث السن والتجربة ولم يكن موضع ترحيب من الآخرين لأسباب متعددة ولكنه أصر . هذا القائد ويدعى (خالد فاروقي) وافق في نهاية الأمر أن يمنع النجدات العسكرية الشيوعية من دخول المنطقة حيث أن موقعه على التلال والجبال المشرفة على الطريق تمكنه من ذلك ،ورغماً عن سهولة العملية لكون الطريق قد تم تلغيمه بكثافة . فقد ضاعت عدة أشهر في تلك المباحثات حتى بدأت المعارك مع دخول الشتاء. إنضمت دبابتان إلى المجاهدين ، في إحدهما ضابط كبير يدعى "نظر محمد" من قبيلة زدران وعلي درجة من القرابة مع الضابط الإتحادي جولزراك.(نظر محمد من أبطال كتاب خيانة على الطريق ـ راجع الكتاب الثالث من هذه السلسلة)

إستخدم المجاهدون الدبابتين في فتح الحصن الغربي للمدينة والذي كنا نشتبك معه . ثم هاجم المجاهدون المدينة نفسها وإقتحموا نصفها، وتهيأ النصف الآخر للإستسلام لولا أن حدثت مفاجأة. جاء الخبر أن القوات الروسية قد عبرت المناطق الملغومة وهي في طريقها إلي المدينة.

أصدر حقاني أوامره إلي المجاهدين بالإنسحاب فورا من الوادي والصعود إلى قمم الجبال . لقد بدأت القوات الروسية حملة مطارة شرسة للمجاهدين ، وكانت الثلوج قد غمرت المنطقة وجعلت حياة المجاهدين لا تطاق . فليس لديهم مراكز إيواء فالطيران يطاردهم في كل مكان والهيلوكبتر توجه نيران الصواريخ والمدفعية . وتسرب المجاهدون إلي خارج المنطقة ، ولم يتبق إلا حقاني وعدد محدود جدا من المجاهدين . وإنتشرت إشاعة بأن الروس سوف يقومون بعمليات إنزال خلف المجاهدين لقطع طريق إتصالهم مع باكستان . لقد كانت تجربة عسيرة بالنسبة لحقاني ، ولكنها لم تكن الوحيدة في حياته من هذا النوع .

كان سبب هذا الإنقلاب أن خالد فاروقي ترك مراكزه فوق الجبال وغادر المنطقة بسبب البرد والثلج وبدون أن يخطر حقاني بذلك . فأوقع بذلك هزيمة مؤلمة بالمجاهدين وأضاع عليهم نصرا لا شك فيه .

مثل هذه الحوادث تكررت بشكل لا يترك لدينا شك في أنها كانت مرتبطة بالصراعات الحزبية والأحقاد الشخصية وأحيانا بأوامر من باكستان كما سنرى تفصيلا في مناسبات لاحقة سوف نتناولها. (أنظر كتاب خيانة على الطريق)

إن رفض فاروقي للإتفاق أخر المعركة عن موعدها المقرر عدة أشهر حتى بدأت في موسم الثلوج الذي لا يناسب المجاهدين بأي شكل ولكنه يناسب العدو بشكل مثالي .

وتاريخيا فإن الروس حلفاء طبيعيون (للجنرال ثلج) أي للشتاء . ودفاعا عن بلادهم فإنهم يواصلون الفرار أمام الغزاة حتى يأتي الثلج فيبدأون هجماتهم المعاكسة . وكانوا ينجحون، وهكذا هزموا نابوليون ثم هتلر .

ونرى كيف أنهم هاجموا أفغانستان في الشتاء ، وهاجموا حقاني نفسه في شتاء 1987م ـ 1988م . ومعظم وربما كل مهامهم المستحيلة في أفغانستان حققوها عسكريا في الشتاء . وفي لحظة كتابة هذه السطور (15 / 12 / 1994م) تقوم القوات الروسية الآن بغزو جمهورية الشيشان الإسلامية ، فى ذروة فصل الشتاء .

إن الشتاء عدو تقليدي لرجال العصابات فطرقهم البدائية تغلق بالثلوج ، ومقارهم في الجبال و الغابات تصبح الحياة فيها صعبة للغاية . وتنقلهم على الأقدام والدواب صعب ويسهل إكتشافه . كذلك فإن أي نشاط عسكري لهم في منطقة ما سوف يجابه بردة فعل من العدو يتمثل كالعادة في قصف القرى القريبة .

وفي ظروف الشتاء فإن هجرة السكان ولجوءهم إلى الجبال القريبة أو النزوح إلى قرى أخرى مسألة غاية الصعوبة يترتب عليها مآسي لا تحتمل. قد تؤدي إلى إنقلاب السكان و إلي مقاومتهم المجاهدن عسكريا وبنشاط ، أو إلى تفريغ المنطقة نهائيا من السكان أى نجاح سياسة الأرض المحروقة التي يتبعها العدو في حرب المجاهدين لحرمانهم من مساندة السكان .
لا يعني ذلك أن قوات العصابات لا تعمل في الشتاء ، ولكن يعني أنها لكي تقاتل في الشتاء فإن المجهود الإداري اللازم لذلك هو مجهود فائق الضخامة ويحتاج إلى إعداد طويل دقيق ومكاف .
لهذا فالعصابات الروسية التي قاتلت الألمان كانت مدعومة بقوة الدولة التي سخرت كل إمكاناتها خلف تلك المجموعات ، وإستخدمت في إمدادها الطائرات التي أسقطت عليهم الطعام والذخائر وحتى الضباط المختصين والأموال والملابس الشتوية .
....
أرسل الشيخ عبد ا عزام مجموعة من الشباب العرب مع معونات إلى حقاني في الأورجون في أول حادثة من نوعها حسب معلوماتي ، وكانت مشكلة أورجون قد دخلت عام 1984م عبر بوابته الشتوية . لم يتلقّ حقاني من الإتحاد غير نصف المليون المذكور سابقا .
وثباته في الأورجون لفت إليه الأنظار خاصة وأن الإتحاد وسياف كانوا يشيعون عن المعركة أنها إتحادية . وكان الحديث عن حقاني يقترن بالجبهات والقتال . والكلام عن سياف يقترن بالحديث عن بيشاور ومشاكل الأحزاب .
وقد خرج حقاني من المعركة وهو يتبنى موقفا أكثر تحديدا حول الإتحاد ودوره وضرورة إرتباطه بالجبهة والقتال، وأن ما يعنيه بكلمة الإتحاد لا يقصد منها بيشاور بقدر ما تعني أفغانستان .
ذهب عدد كبير نسبيا ـ بمعايير ذلك الوقت ـ إلى الأورجون وإن على كان شكل مبعثر ولكنه بشرى للغيث العربي الذي سوف ينهمر على الجبهات . وعدد من هؤلاء الذين ذهبوا لنجدة حقاني كانوا من أفضل من مارس العمل العسكري بعد ذلك في أوساط العرب . وإلتفات الشيخ عبد ا عزام إلي معارك الأورجون وقائد مقاتل مثل حقاني ودعوته إلى مساعدته كانت بادرة عفوية تحولت بعد أشهر إلى سياسة ثابتة تتوجه نحو الداخل "**بواسطة مكتب الخدمات**" .
وكان برنامج حقاني الذي ساعدته في صياغته على شكل مشروع تم توزيعه على المهتمين بالجهاد في منطقة الخليج . وقد وصل إلى الشيخ عبد ا عزام ـ و إلى أسامة بن لادن أيضا.
كان مشروعا نبتته القوية وبلورته جاءت على أضواءاللهب المنبعث من الأورجون، وإشارات الخطر التي إنبعثت من هناك بل وإشارات النصر المحتمل أيضا .
العدو قابل للهزيمة ولكننا نعمل بشكل مأساوي ، كانت تلك ملخص الدروس التي تلقيناها في الأورجون.
عندما غادرنا تميم العدناني إلى بيشاور ثم عاد إلى (بلاد العرب) سجل شريطا عن رحلته إستمعت إليه بعد عدة أشهر . وقد هزني الشريط رغم أنه لم يضف إلي أي معلومة جديدة . ولكن نبرة الإخلاص والنقاء والحماس جعلتني أبكي وأنا أسمعه . حدث لي هذا وأنا أعلم الجانب الآخر من الصورة ـ جانب الفساد والتآمر والخيانة والضعف البشري والقصور العملي. أي تلك الجوانب التي لا يحب المسلم بفطرته أن يعلمها أو أن يحدث عنها أحدا.
فماذا يحدث للمسلم البعيد عن الحدث وهو يسمع مثل ذلك الشريط ؟. ولأول مرة أستمع إلى شريط يحكي عن تواجد مجاهدين عرب في أفغانستان ... فعلا كان الغيث العربي على وشك أن ينهمر تاركا خلفه أغلال التردد والخوف ... ولكن هذه المياه الطاهرة ،على أي الأراضي سوف تمر ؟ ..

. ومن سيستفيد منها ؟ ... المنظمات والأحزاب ؟... الأمجاد الشخصية والتجار والسماسرة ؟ ... أم الإسلام والأمة التي تحتضر تحت أحذية اليهود والصليبيين ؟.
كنت أرى بيشاور بفسادها وقد فغرت فاها لتبتلع آمال الأمة وشبابها وأموالها ودماء أبنائها .
وكنت أفزع وأنا أرى قيادات العمل الشعبي الإسلامي تندفع وتأخذ معها الأمة إلى ذلك الفم المنتن الفاغر في بيشاور . بل ... وهذا هوالأدهى ، أن كثير من تلك القيادات تجهزت هي الأخرى لالتقاط بعض العظام المتبقية من تلك المائدة الآثمة كي تبني لنفسها صرحا أرضيا وضيعا .
شعرت في هذا العام أنه من الأورجون بدأت إنعطافة جديدة ومسارات جديدة ... ليس معي فقط بالمشروع العسكري الوليد ... وليس بقدوم تميم العدناني بطاقاته الروحية ... وليس بالشيخ عبد ا عزام ولفتته الموفقة إلى الجبهات . ليس بهذا كله فقط ... بل أن مجمل الأحداث داخل أفغانستان والسياسة الدولية إزاء ما يحدث فيها قد بدأت تدخل منعطفا آخرا.

مع رباني في (وانا):

كما أن الجبهة هي أفضل مكان لقضاءشهر رمضان ، كذلك فإن أمتع أيام العيد تكون هناك. خاصة إذا لم يهاجم العدو .قضينا يومين من المرح ومسابقات الرماية . وبما أنني كنت صاحب الفكرة فقد إضطررت إلى تمويل برامج الجوائز . إستطعنا الحصول على بعض البيض والحلوى المخزونة منذ العهد الملكي. ولكن، نسيت أن أقول أيضا أن الجبهة هي أفضلمكان تكتشف فيه أن حتى أبشع المأكولات التي ترفضها في حياتك العادية تجدها أشهى من طعام الملوك .
ودعت الجميع ... مودعا ذلك الجو القدسي ... مقبلا بكل أسى نحو بيشاور ثم بلاد العرب .
كان علي أن أقابل حقاني في مدينة ميرانشاه . وأتى معي أيضا مولوي محمد حسن لتعزية حقاني الذي توفيت أخته في شهر رمضان ... وقد ترك الجبهة فجأة عندما علم بحالتها و حضر وفاتها ... وما أكثر الحالات التي تلقى فيها حقاني التعازي .
** (وانا) مدينة جبلية وهي عاصمة الجزء الجنوبي لمنطقة وزيرستان الحدودية ، كما أن ميرانشاه هي عاصمة الجزء الشمالي . والمسافة بينهما تقطعها السيارة العادية في ثمان ساعات .
قضينا الليلة هناك في بيت ريفي ضخم يملكه أحد الأفغان ويستضيف فيه المجاهدين أثناء عبورهم رغم أن أكثر الأحزاب إفتتحت لها بيوتا خاصة في المدينة .
جلسنا في غرفة الضيافة وما هي إلا ساعة حتى سمعنا طلقات غزيرة تملأ السماء نورا والأرض ضجيجا. (لقد وصل الأستاذ رباني) هكذا أخبرنا مضيفنا.وما هي إلا دقائق حتى وجدت الرجل يجلس إلى يساري هادئا وقورا خفيض الصوت . رحبت به بالعربية ففرح كثيرا لكوني عربي فلم يكن هذا وارداً في ذلك الوقت ، أي وجود العرب في تلك الأماكن وإندهش أكثر عندماعلم أنني قادم من الأورجون . وبدأ بيننا حديث طويل .
وبما أننا نجلس على الأرض في بيت طيني وفي منطقة قبلية نائية تهب عليها نسمات الجهاد من أفغانستان فقد تخيلت أنه حديث من القلب خاصة أن الرجل فاجأني بكمية من الصراحة و (النقد الذاتي) لم أتوقعها أو أطلبها منه .
إنتقد رباني العرب وتدخلهم غير المدروس في شؤون الأفغان وأنهم يسببون من الأضرار أكثر مما يقدمون من الفوائد . وأن الإتحاد غير قائم عمليا وأن المشاكل بين المنظمات تتفاقم بسبب محاولات العرب فرض سياف زعيما للإتحاد، وقال:
{ نحن فاشلون ولا نستطيع أن ندير مكتبا في بيشاور ... فكيف ندير دولة في أفغانستان ؟؟}.
ما زالت جملته تلك تدور في ذهني وأنا أشاهد ما يفعله الآن في كابل كرئيس للدولة هناك ،

وكيف أنه إستبقى كل الشيوعيين المتبقين من حطام النظام السابق ، وإستخدمهم في نفس مواقعهم في قيادة الجيش والدولة .وكيف أنه يتحالف بشكل كامل مع بقايا جناح (بارشام الشيوعي) بينما يتحالف غريمه ورئيس وزرائه حكمتيار مع جناح (خلق الشيوعي) .

** واصلنا المسير نحو ميرانشاه وسط منطقة القبائل في رحلة طريفة لا تنقصها الإثارة ... المنطقة محظورة على الأجانب ـ من أمثالي ـ ومحظورة حتى علي الباكستانيين من غير أبناء المنطقة بدون تصريح رسمي من الجهات المختصة . نقاط التفتيش كثيرة يديرمعظمها ميليشيات قبلية وبعضها حرس حدود ، كانت تثير الرعب في نفوس أمثالي .
فلو أنهم إكتشفوا هويتي لكانت سلسلة من المتاعب التي لا يعلم مداها إلا ا .فهناك سجون وتحريات ورشاوى وسرقات ... الخ
حيث يختلط القانون بالفساد الإداري بالهمجية القبلية بالعوامل السياسية والمواقف المتباينة إزاء الجهاد ... فهناك أعداء متربصون في كل مكان ... خاصة في مناطق القبائل التي تبيع ولائها في مواسم متغيرة .
وفي داخل أجهزة الدولة الباكستانية ، كنا نخشى أتباع (بوتو) المنتشرين هنا وهناك ويضمرون أشد العداء للمجاهدين والإسلام ولم يكن نظام ضياء الحق قد إستأصل هؤلاء ولكنه إستبعد رموزهم الكبيرة،حتى تبدلت الظروف السياسية وإغتيل ضياء الحق وعاد هؤلاء لحكم باكستان في (عهدها الديموقراطي) ليذوق الإسلاميون طعم العلقم في إنتظار المذابح والسجون .
كان يقود السيارة مولوي محمد حسن الذي تعلم منذ أسابيع قليلة داخل الجبهة كيف يقود السيارة.
الطرق الجبلية تصبح خطرة أحيانا وشيخنا متوكل دائما على ا ـ ويبدو أنه كان صادقا بدليل أن ا أنجانا رغم سياقته الخطيرة . شعر الشيخ بالتعب فنظره ضعيف رغم النظارة التي يلبسها . وظهره يؤلمه بسبب عرق النسا الذي يضربه بموجات ألم مباغتة وموجعة . لم يكن في السيارة من يستطيع القيادة غيري ، وكيف أقود وأنا عربي من المفروض أن أختبئ بين الركاب حتى لا يفتضح أمري ؟. (توكل علي ا) ، أمرني الشيخ المريض ولم يكن أمامي بد من إطاعة الأمر .
وإتبعنا أسلوبا سهلا ولكنه ناجح . جلس الشيخ إلى جانبي بعمامته الضخمة بينما أرتدي أنا قلنسوة أفغانية أكبسها على رأسي حتى الحاجبين . وكلما مررنا على حاجز بادرهم الشيخ بإلقاء السلام ورفع يده بالتحية . فبدا كأنه من زعماء القبائل المعروفين في المنطقة لأنه تصرف بألفة ويسألهم عن أحوالهم وظنوا أنني سائقه الخاص . فيبادرون فورا إلى فتح الطريق بدون إلقاء الأسئلة ، وما أن نغادر الموقع حتى يضحك محمد حسن من قلبه ويضربني على كتفي قائلا :
(هذه بركات الجهاد يا شيخ) .
في نفس ليلة وصولنا إلى ميرانشاه قابلنا حقاني الذي تحدث معنا بطريقته المعهودة عندما تداهمه الأحداث الشديدة . لا يبتسم مطلقا ، يتكلم بهدوء وتركيز شديد . كنت أغبطه على تلك القدرة . كان يضع جدرا من الصلب البارد بين عقله وبين عواطفه . قدمنا له التعازي أولا، ثم الشكل النهائي للعرض الذي سوف أقدمه لسياف. فقلت له : أولا إن المشروع إتحادي في الأساس فهذه فرصة لتقوية الإتحاد ... وجعله إتحادا جديا يتولى مشاريعا جهادية حقيقية .
ثانيا أن تتولى شخصية إسلامية معروفة ومقبولة ومحترمة وجهادية الإشراف المالي والإداري على المشروع. هذه الشخصية تتولى الدعوة إلى المشروع وجمع التبرعات له والإتفاق مع الكفاءات

الفنية والإدارية في العالم الإسلامي كي تقدم خدماتها للمشروع ... ولا أجد من تتوفر فيه تلك الصفات غير الدكتور عبد ا عزام . ثالثا وجود مثل هذه الشخصية يضمن (إسلامية) المشروع وينجو به من الحزبية.
فهو سيضمن مشاركة الكفاءات الأفغانية في المشروع أيا كان إنتمائها الحزبي. كذلك يضمن توزيع إنتاج المشروع وفوائده علي المجاهدين مهما كانت أحزابهم أو مناطقهم.
وافقني حقاني على كل ما قلت ، بل أنه تحمس بشدة وقال : (هذا أهم مشروع في مرحلتنا الراهنة، وقد كنت على وشك التحرك نحو الأورجون ولكن سوف أرجئ ذلك حتى تتصل مع سياف وتخبرني تلفونيا بالنتيجة) .
زادني كلامه حماسا حتى طار من عيني النوم في تلك الليلة وتحركت مع أول ضوء نحو بيشاور.

مع أمير البطاطين فى بيشاور:

لم يعد من السهل مقابلة سياف . مضت تلك الأيام التي كان فيها اللقاء سهلا لا يكاد يقطعه شيء حتى ينتهي كل ما نرغب في قوله .. وهو كثير . الآن، كان لا بد من عقد عدة مواعيد مع نائبه (أحمد شاه) يعقبها إعتذار أو إخلاف للموعد .. فالرجل مشغول جدا .
عشرات الضيوف العرب حضرت تبارك وتبايع ... وتدفع . لم تعد مجموعتنا الصغيرة في الإمارات هي كل شيء ... عشرات المجموعات مثلنا ... بل أكثر جمعا وأموالا ونشاطا ... توزع الأشرطة، تلقي الخطب في التجمعات الخاصة وربما المساجد . تجمع الأموال وترسل مندوبها إلى بيشاور كي يبايع ... ويدفع .
إكتشفت بسهولة أن مجموعتنا هي الأقل قدرة على جمع الأموال . وأشرطة سياف التي كنا نطبعها ونوزع المئات منها سرا ، أصبحت تطبع بالآلاف ، وإلى جانبها شرائط عبد ا عزام وتميم العدناني وتباع علنا على أبواب المساجد و (المكتبات الإسلامية) . تكثف النشاط الإخواني، وحتى هم لم يعودوا عظماء الميدان الوحيدون. فقد دخلت مجموعات لا حصر لها .
وبرز (السلفيون) على الساحة كي ينافسوا الإخوان بل ويتفوقون عليهم خاصة في السعودية ، في مجال جمع الأموال والدعاية للجهاد الأفغاني ولسياف (أمير الجهاد في أفغانستان، ذلك اللقب الضخم المهيب .
تصادف وجود سيد أحمد شاه صديقنا القديم من أبو ظبي الذي أدخلنا ساحة الجهاد في أفغانستان هو ووالده سيد محمد طاهر . جاء مندوبا عن مجاهدي هيرات ـ مسقط رأسه ـ كي يدافع عن حقوقهم ويطالب لهم بالسلاح والأموال . كان يحمل أطنانا من الشكاوى ضد الأحزاب وإهمالها لمنطقة غرب أفغانستان . السلاح هناك قليل وهناك حاجة لكل شيء . لقد أخذ إذنا من حقاني ويونس خالص وسياف لأن يتفرغ هو لمساعدة مجاهدي الغرب ورعاية مصالحهم في بيشاور وجمع التبرعات لهم من الإمارات وغيرها . قال أنه حصل على كلام جيد من سياف وخالص ولكن لا شيء تم حتى الآن . خالص إعتذر بضيق ذات اليد ولكنه خصص أسلحة وذخائرا وترك لسيد أحمد مشاكل نقلها وتدبير المال اللازم لذلك، وليس هناك سوى الإتحاد وسياف. ولكنه يجد أن اللقاء مع سياف معضلة، فهو منذ أسبوعين يتلقى منه المواعيد ولا يجد منه الوفاء.ضحك قائلا: "إن سياف رئيسكم أنتم العرب وليس رئيس الأفغان ، كلنا غاضبون عليه، أنتم فقط تتخذونه زعيما وتمدونه بأموال طائلة لا يصل المجاهدين منها شيء".
أغضبني كلامه كثيرا حتى أنني رفعت صوتي بالصباح وأسمعته كلاما جارحا مثل: أنتم

الأفغان شعب متمرد ولا يصلح معكم حاكم صالح، بل لا يناسبكم إلا مستبد ظالم مثل طرقي وكارمل ... لماذا لا تعطوا الرجل فرصة وتتعاونوا معه بدلا من تحطيمه وهو في أول الطريق ؟.
كان صديقي في مثل حجمي مرتين على الأقل، ولكنه يتمتع بخلق كريم ومرح طبيعي.
فإبتسم ضاحكا وقال : تعرف ماذا نقول عن صاحبكم سياف ... نحن نقول عنه (مداري) .
"أي ممثل أو مشخصاتي" . أوقفت المناقشة عند هذا الحد . ولكنه حتى يراضينى قال أنه سوف يصطحبني لمقابلة سياف بدون موعد مسبق وإلا فإنني سوف أقضي شهرا آخر في بيشاور قبل أن أتمكن من مقابلته .
أدركت أن صديقي (السيد أحمد) هو أيضا (مداري) ، وإلا ما استطاع أن يدبر لي وله لقاء مع سياف بمثل هذه البراعة . لقد إستفاد من وجودي معه كعربي ، أفضل إستغلال .
توجهنا إلى مكتب سياف بعد صلاة العصر في موقع يبعد أمتارا عن المكان الذي إغتيل فيه الدكتور عبد ا عزام بعد ذلك بست سنوات تقريبا . وفوجئنا بطابور طويل من الأفغان يشبه الطابور الذي يقف على أبواب الجمعيات التعاونية عندنا في مصر أثناءعهدها الإشتراكي.
وكان رجال أمن سياف يشرفون على النظام بصعوبة ولا يدعون أحدا يدخل إلى المكتب من خارج هذا الصف . سألت عن سبب هذه التجمهر فكانت الإجابة أن الإتحاد يوزع بطانيات على المهاجرين ، وأن سياف بنفسه يقوم بهذا العمل !! .
أمسكني (سيد أحمد) من يدي وإقتحم باب البيت بجسارة وتجهم، فإنقض علينا نصف دسته من الحرس المسلحين وأمسكوا بخناقنا . فصاح فيهم صديقي غاضبا،وبصوت جهورى:
"هذا عربي ضيف يريد أن يقابل سياف لأمر هام ... أهكذا تعاملون الضيوف العرب؟".
تغير الموقف إلى النقيض تماما ، فإرتسمت الإبتسامات الواسعة على الوجوه ثم إصطحبنا إثنين منهم إلى داخل البيت الذي كان لا يقل إزدحاما . وصعدنا الدرج إلى غرفة سياف . فوجدناها مليئة بالعرب والأفغان . أقبل سياف وصافحنا وإعتذر لإنشغاله وطالبنا بالإنتظار قليلا .
بعد العشاء إستطعنا الجلوس معه . فأخذنا إلى غرفة أضيق متفرعة من غرفتنا تلك . وكانت أيضا مزدحمة بعدد من الأفغان والعرب الأكثر أهمية من هؤلاء في الغرفة الأوسع ولهم مواضيع أكثر خصوصية، هي كما شاهدنا تسليم شيكات وأموال التبرعات .
سألته عن قصة الزحام فذكر نفس السبب ، أنها بطاطين أتى بها العرب ويقوم هو بتوزيعها .
فأعربت له عن دهشتي لماذا لا يكلف أحد موظفيه بهذا العمل ويتفرغ هو للأهم من الأعمال ؟.
وكانت إجابته لا تقل غرابة، فقال بأن هؤلاءالمهاجرين لا يقبلون أن يتسلموا البطاطين إلا منه شخصيا . لم أقتنع بالإجابة، ولكن دخلت معه مباشرة في الموضوع وشرحت له من منشأ الفكرة إلى حديثي مع حقاني وطلبت منه جوابا فأعرب عن سعادته بالمشروع وأكد أهميته البالغة وطالبني أن نبدأ فورا في البحث عن هذه المعدات في البلاد الخارجية. وأن نظل على إتصال دائم حتى نتابع معا خطوات التنفيذ .
أكدت له أننا نستطيع البحث في أوروبا عن الماكينات وأن نبلغه بالنتائج ، ولكن مجموعتنا في الإمارات فقيرة ولا تستطيع الإشتراك في تمويل المشروع نفسه . ونحن نرغب أن يتولى الإتحاد المشروع بأكمله وأن يقتصر دورنا على إجراء الإتصالات الخارجية أما القرارات برفض أوقبول العروض المطروحة ثم إبرام الإتفاقات النهائية فمتروك له وحده كرئيس للإتحاد فوافق على ذلك بترحاب .

مخاض بعد الهزيمة

المفاوضات بين حقاني وقادة الأورجون من جانب وبين (خالد صديقي) من جانب آخر أضاعت فترة الصيف ومعظم الخريف بلا نتيجة . ولم تجد توسلاتهم إلى حكمتيار كي يضغط على قائده في الأورجون كي ينضم إلى برنامج إجتياح المدينة لكن حكمتيار أيد موقف (صديقي) .
ضاعت أشهر العمل في المحاولات وبدأت العمليات على أبوات الشتاء وما أن نزل الثلج وتقدم المجاهدون وإستولوا على نصف المدينة حتى فتح صديقي الطريق أمام قوات العدو كي تداهم إخوانه في وسط المدينة .
لم تكن تلك كل المأساة فالإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان لم يقدم سوى نصف مليون روبية ولم يمد المعركة بعد ذلك بما يلزم من طعام أو ذخائر ، وكان على حقاني أن يتدبر أمره بوصفه مسئولا عن المعركة ، فأخذ يقترض من التجار لشراء أطعمة وذخائر ويغرق تحت الديون المتراكمة .
ولم يلبث أن أخذ يغرق تحت وطأة هجوم شيوعي كاسح ، لم يخلعه فقط من المدينة بل من كل الجبال المشرفة عليها ثم لاحقه ومن تبقى معه من رجال داخل الجبال .
ولأول مرة في سماء أفغانستان تظهر في العمليات طائرات (**سوخوي 25**) وقد أبلغنا المجاهدين بقدرات خرافية لتلك الطائرة ـ لم نجدها مكتوبة حتى الآن في أي مرجع عسكري كما أننا لم نشاهد مثلها فيما بعد. واستخدم السوفييت بكثافة ألغام الفراشة التي تلقيها الطائرات وهي ألغام تخصصت في بتر القدم ولا تقتل ولا تقطع الرجل كاملة.وفلسفتها هي أن تملأ المجتمع بالعجزة والمعوقين فتزداد مشاكله الإجتماعية وفقره .
صاحبنا (المنياوي) طار من أبو ظبي إلى بيشاور ثم الأورجون كي يقضي مع جلال الدين حقاني ـ صديقه القديم ـ الأيام الأخيرة من محنة الأورجون.ورجع هوالآخر بإنطباع متقارب . فلا بد من تغيير طريقة العمل ، والإتحاد لا بد أن يصبح إتحادا ميدانيا. هكذا كانت رؤيته تقريبا وكنا متفقين تماما .
صاحبنا تكلم مع سياف في مشاكل الإتحاد وضرورة أن يتوجه إلى داخل أفغانستان . كما تكلم معه في مشروع التصنيع وأبلغه بنتائج البحث في أوروبا . وكان المنياوي هو الذي يتولى أمره وأخبره بأن الشركات الأوروبية التي يديرها ضباط متقاعدون تهتم أساسا بالتدريب العسكري ويمكنها أن تساعد في موضوع التصنيع وتوريد الماكينات الضرورية ، وحتى يمكنها إذا أردتم أن تدبر موضوع تهريب أسلحة أو معدات عسكرية تحتاجونها . أعطاه سياف موافقة على التدريب والتصنيع معا . وطلب مندوبا عن الجهة التي ترغب في التعاون كي يتفاوض معه في بيشاور .
ثم دخلت المناقشات في موضوع العرب الذي بدأوا يظهرون في بيشاور فيطريقهم إلى الجبهات، وحول الطريقة المثلى لتوجيههم والإستفادة منهم . وقدم المنياوي إقتراحا بإنشاء مكتب خاص تابع للإتحاد يتولى الإشراف على هؤلاءالعرب والعناية بشأنهم وإعطائهم لإرشادات الضرورية . ومن جانب آخر يتولى هذا المكتب الذي يديره العرب أيضا مهمة الإتصال بالعالم العربي فيما يختص بقضية أفغانستان ، وينقل إليهم أخبار الجهاد وتطورات الأحداث داخل أفغانستان . وأن يكون إتصاله بالهيئات الرسمية والشعبية والإعلامية .
وافق سياف على الفور، على أن يتكفل المنياوي بتأسيس المكتب وتنظيمه.فبادر الأخ بماله الخاص

وجهز غرفة خصصها سياف لهذا الغرض وإتفق مع شابين من العرب أتما دراستهما سابقا في جامعة بيشاور على أن يتوليا مهام المكتب الإدارية إلى حين إستكمال المشروع الذي أسميناه لاحقا (مكتب الإتصال الإسلامي) .وافق سياف على تعيين الشابين فهو يعرفهما جيدا،
وترك المنياوي مبلغا من المال للشابين ليتدبرا أمورهما الشخصية وأمور المكتب إلى حين عودته مرة أخرى لإستكمال المشروع ، وإتفق معهما على الخطوط العامة للعمل .
وقدم المنياوي مقترحا لسياف بأن يبدأ(الإتحاد) أعمالا إستثمارية تتيح له دخلا يكفل له إعتمادا على الموارد الذاتية بعيدا عن التبرعات التي قد تتوقف أو تقل كثيرا. وإقترح أن تكون بعض الإستثمارات عبارة عن مشاريع إنتاجية يشارك فيها المهاجرون وتكون مصدر دخل لهم وللجهاد .
كما أن العرب الذين قد يحضروان مستقبلا للإقامة الدائمة قريبا من الجهاد يجدون فيها أعمالا تكفل عيشتهم ونفقاتهم .
سوف نرى أن هذه المقترحات على خطورتها تعثرت وماتت في بدايات الطريق وبعضها تم إهماله عمدا . لم نكن نحن ولا غيرنا من المسلمين الذين إلتفوا حول التجربة الأفغانية هم الذين يرسمون خطوات العمل الأفغاني وملامحه . كانت أمريكا تحديدا هي التي ترسم الإطار العام وتحدد الأدوار ، وتختار الممثلين ، حتى لا يرفع الستار عن هذه الكوميديا المبكية إلا عن إنتصار الغرب ، وهزيمة المسلمين .

الإنجليز فى بيشاور:

كانت الشركات المهتمة بمثل المواضيع العسكرية التي نبحث عنها كثيرة لدرجة مدهشة .
في كل أنحاء أوروبا وأمريكا ، وكانت المشكلة هي في إختيار أحدها بحيث لا نقع فريسة عملية إحتيال أو ضحية لأحد الحكومات . وأخيرا تم اختيار شركة بريطانية مرخصة مقرها لندن ويديرها ضابط سابق في القوات الخاصة البريطانية . تم التأكد من جدية الشركة بواسطة عدد من العرب المقيمين في العاصمة البريطانية . فبدأت الإجراءات وتم الإتفاق معهم على أن يرسلوا إثنين من مندوبيهم إلى بيشاور للإتفاق مباشرة مع سياف بشأن موضوعين هما: التدريب والتصنيع .
وقبل وصول الوفد البريطاني بعدة أيام ، كنت قد وصلت إلي بيشاور لتنسيق عرضنا المقدم إلي الشركة. وطلب سياف أن يتولي نائبه أحمد شاه أمر المفاوضات نيابة عنه وأن أساعدة في تلك المهمة على أن نطلعه أولا بأول على التطورات كي يقر هو الإتفاق النهائي إذا تم الإتفاق على شيء .
في حوالي العاشرة صباحا وصلت طائرة الخطوط الجوية الباكستانية من كراتشي إلى بيشاور.
وكنت مع نائب سياف نقف على باب المطار نتفحص وجوه القادمين ، في إنتظار إثنين من الأوروبيين أحدهما نحيف طويل القامة والآخر قصير ممتلئ الجسم هكذا وصلتنا مواصفاتهما تلفونيا. وعلمنا إسم أحدهما، ولا أتذكره الآن ولم يكن صعبا العثور عليهما وسط عشرات المسافرين الأفغان والباكستانيين ، وبعض العرب القادمين إلى (أرض الجهاد في بيشاور) لإيصال الأموال إلى سياف.
إصطحبنا الضيفين إلى أرقى فنادق بيشاور، حسب طلبهما المسبق، وحجزنا غرفتين واحدة لهما والأخرى لي ولأحمد شاه . وبدأنا على الفور جلسة قصيرة للتعارف أعقبها جلسة عمل بعد العصر .

منذ جلسة العمل الأولي وحتى نهاية الإجتماعات ، وجدت نفسي وحيدا في إدارة النقاش مع (الخبراء الأجانب) ! ! .
فالمهندس أحمد شاه إما أن يعتذر عن الجلسات أو أن يأتي متأخرا بحجة الإنشغال في جلسات الشورى وغيرها ثم يكمل النوم أثناء الجلسة، وربما كان يتظاهر بذلك حتى لا يشارك بشيء.
عرضنا الإتفاق الأخير على سياف فأقر البنود التالية :
1 ـ تقوم الشركة المعنية بتدريب حوالي سبعين مجاهدا في أربعة دورات تخصصية هي :
أ ـ دورة حراسات خاصة، لحرس سياف فقط.
ب ـ دورة مدافع هاون .
جـ ـ دورة متفجرات .
د ـ دورة تكتيك .
وأذكر أن مدة الدورة من أربعة إلى ستة أسابيع وتكلفة الدورة الواحدة من خمسة إلى ستة آلاف جنيه إسترليني .
كانت التكلفة بنظري باهظة ولكن سياف قرر الموافقة عليها .
أما عن التصنيع فقد كان الإتفاق أن يبدأ بمشروع إعادة تعبئة طلقات الكلاشنكوف والدوشكا والزوكياك. وأن تجهز الشركة عدة عروض للماكينات المتاحة وأسعارها، وما يتعلق بالمشروع من قطع غيار وفنيين الخ .
طالب مندوب الشركة بتجهيز معسكر خاص للدورات، فأجاب سياف بعد إستشارة لجنته العسكرية أنه في خلال إسبوع أو اثنين يمكن تجهيز المعسكر المطلوب . فطلبت منه أن تكون المدة شهرا حتى لا تحضر اللجنة مع المدربين ولا تجد المعسكر جاهزا فنتحمل تكلفة كبيرة ومشاكل لا داعي لها.
أكد سياف على أن يأتي مندوب من الشركة بعد أسبوعين كي يرى المعسكر وتجهيزاته فإن كانت كافية إستدعى باقي أطقم التدريب. وافق مندوب الشركة على العرض بشرط أن تكون تكلفة ذلك خارج نطاق المبلغ المتفق عليه . كذلك أي عملة تأخير نتسبب فيها فسوف نتحمل عقوبات مالية متمثلة في رواتب ونفقات إعاشة في فنادق درجة أولى ! ! .
كنت أشعر بغطرسة الإنجليز وإستغلالهم ... ولكن سياف وافق وأعطى الضوء الأخضر للبدء.
غادرنا وفد الخبراء الأجانب وبقيت في بيشاور فترة إضافية قابلت فيها سياف لمناقشة بعض المسائل على حافة المشروع . فإقترحت عليه أن يكون المشروع إتحاديا بأن يستقدم إليه مجاهدين من جميع الأحزاب،وبعض الضباط من أحزاب مختلفة. وإقترحت أن يكون (جولزراك) هو المسؤول عن العملية كلها نظرا لشخصيته المحترمة وخبرته في الكلية العسكرية ، وخبراته العملية ثم إجادته التامة للإنجليزية . وافق سياف على المقترحات ووعدني خيرا .
وأخبرته أن الفقرةالخاصة بنا في المشروع قد إنتهت عند هذا الحد وباقي الخطوات هي من إختصاص الإتحاد .
ثم غادرت بيشاور وقد غمرتني السعادة بهذا الإنجاز وتلك المغامرة في ميدان غريب وعجيب ... سنبدأ أول خطوات التصنيع العسكري داخل أفغانستان وسنبدأ أول خطوات التدريب الحقيقي المتقدم، وكل ذلك تحت راية الإتحاد وبقيادة موحدة ،لا شك أننا على وشك الحركة الصحيحة في الجهاد.
وقد تأججت تلك السعادة بمكتب الإتصال الإسلامي ، ذلك المشروع الطموح الذي سوف يجمع العرب في وعاء إتحادي واحد وهذا ما كنا نطمح إليه وندعو الإخوان أن يتولوه ولكنهم نكصوا.
وها هو سياف يتولي دور الزعامة الإسلامية الدولية ولكن على أرض الواقع وميادين الجهاد.

سيجتمع العرب ويتوحدون تحت راية سياف كزعيم، والإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانسان كتنظيم.
وسوف يشاركون في العمل الإعلامي والإقتصادي والتدريب الراقي ، والعمل القتالي المتطور.
إذن ستظهر القوة الإسلامية التي نحلم بها منذ سنوات ، قوة التدخل الإسلامي التي تجاهد في كل مكان تستدعيه الحاجة لنصرة الإسلام والمسلمين.
إنها أفغانستان التي سنقلب منها الموازين ونخاطب منها العالم ... فمتى يفهم المسلمون ذلك ؟...
وكلما إرتفعت بي الطائرة في الجو إرتفعت أحلامي فوقها بأميال حتى جاوزت أحلامي كافة تأثريات الجاذبية الأرضية . ولم يمضي وقت طويل حتى كانت الصدمات كالرزايا تجذبني إلى الأرض بقسوة كي أفيق ولو قليلا على فهم الواقع المرير .
تلقى صديقنا المنياوي مكالمة هاتفية من صديقه فى لندن يخبره فيها أن الشركة قد أرسلت مندوبها إلي بيشاور في الموعد المقرر كي يشرف على تجهيزات المعسكر . ولم يجد أحدا في إستقباله هناك وقضى عدة أيام في الفندق يحاول الإتصال مع سياف أو أحمد شاه. وفي آخر الأمر جاءه الأخير كي يخبره أنهم قد ألغوا الإتفاق . ولما طالبه المندوب بتذكرة الطائرة وأجرة الفندق،كما ينص الإتفاق، رفض أحمد شاه قائلا أنها مسؤولية المنياوي وأنه سوف يدفع ! ! .
جن جنون صديقنا المنياوي ... ولم يكن وفي وسعه أن يفعل أي شيء آخر سوى أن يدفع .
وهو ناقم على سياف وأحمد شاه والإتحاد... بل وكل أفغانستان!! .
ولم يمض وقت طويل حتى علمنا أن سياف أمر بإغلاق المكتب العربي الذي إفتتحه المنياوي، وطرد الشابين المسؤولين عنه . وكانت حجته في ذلك ـ والتي أخبر بها المنياوي ـ
أن الشابين غير أمينين وغير موثوقين لديه وذلك رغم أنه هو الذي إختارهما في البداية .
زادت الشكوك في سياف وجديته وحقيقة نواياه .
طالبنا الآخرين بالحرص في دفع الأموال ، والتأكد من أنها تنفق في وجهتها الصحيحة ، وأنه من الأفضل الدفع لصالح مشروعات محددة مع مراقبة تنفيذها أولا بأول، وأن أولوية الإنفاق يجب أن تكون للجبهات والمجاهدين . زادت تلك التنبيهات من عزلتنا ، ومن الإتهامات التي أثيرت حولنا خاصة من الإخوان ،رغم أنهم حتى تلك اللحظة لم يفتحوا علينا نيران مباشرة .
والمتبرعون من غير الإخوان تجاهلونا تماما أو تشككوا فينا فإلتزموا جانب الحذر .
ولعل أكبر إيجابيات تلك التجربة الفاشلة مع سياف هو إكتسابنا صديقا رائعا هوالحاج سيف وهو مهندس قدير وإخواني قديم جدا . وإن كان محسوبا على تيار المعارضة، ويعاني عزلة من أجل ذلك ،بمعنى أنه ليس في الجو الإخواني السائد بل يعارضه . ومع هذا يتمتع بإحترام كبير في أوساطهم نظرا لتاريخه الشخصي وتاريخ أخيه والعائلة في صفوف الإخوان خاصة تجربة الجهاد ضد الإنجليز في قناة السويس .
لقد تحمس الحاج سيف كثيرا لمشروع التصنيع والتدريب وشجعنا في التوجه نحو الجبهات بالقتال والخدمات . ولما كان سيف أكبرنا سنا فقد فرض علينا جناح الحماية ضد هجمات الإخوان ، خاصة عندما حمى الوطيس بعد ذلك بعدة أشهر وأصبحت الإتهامات الهائلة توجه لنا علناً وعلى إتساع القارات الخمس . وكان موقفه شجاعا وجريئا . فقد قال للإخوان وقتها:
(إذا كنتم تتهمون هؤلاء بالعمالة فإتهموني معهم لأنني منهم،هل منكم من يجرؤ على إتهامى؟؟).
ولا أنسى له هذا الموقف أبدا.
فقليل هم الرجال الذين يثبتون على ما يرونه حقا في مواجهة الجماهير التي تسب وتلعن وتكيل الإتهامات. وفي وجه زعامات إنتفخت حتى لم تعد ترى سوى ذواتها المتضخمة.

ورغم سنه المتقدم شارك الحاج سيف في قيادة مجموعتنا وإثرائها بالنقاشات وقد كان يميل إلي الدقة والعناية بالتفاصيل ـ ربما بحكم عمله الهندسي ـ كما كان سريع الغضب سريع العودة إلى الحق وبكل تواضع .

وكانت الشخصية الإخوانية الأخرى التي أحببتها كثيرا وأحترمتها أشد الإحترام هو (الشيخ أبو أسامة) عبد العزيز علي،رغم أننا إلتقينا على فترات متقطعة خلال عدة سنوات .

كانت أوجه شبه تربطه بالحاج سيف ، من حيث الدقة والإستقامة والصرامة والشدة في الحق .

ولكنه كان متخصصا في المجال العسكري نظرا لماضيه في حرب فلسطين . وساهم أيضا في التجربة الجهادية في سوريا ـ بواسطة التدريب، وخرج منها ناقماً على الإخوان والفساد الذى إستشرى فيهم وإنحراف قياداتهم . وكان لا يتحرج في أن يتكلم علنا أمامنا في مثل ذلك، رغم أننا لسنا من الإخوان. لقد أثار سخط الإخوان وغضبهم لكن لم يجرؤ أحد منهم على مواجهته أو الإعتراض عليه في المواجهة . وكانت عبارته المشهورة:

(إنهم ليسوا إخواناً ـ أنا الإخوان ـ أنا إخوان حسن البنا.. إخوان الجهاد في فلسطين وقناة السويس) .

وبيني وبين أبو أسامة كانت بعض خلافات النظر فيما يتعلق بأفغانستان .فبينما كان يرى أن الإنحرافات المتزايدة في مسيرة الجهاد ، سواء على مستوى القيادة أو حتى مستوى الجبهات تجعلنا ننأى باسم الجهاد أن يتلوث بأن نطلقه على هذه الحرب ، كان يرى أنها مجرد حرب وليست جهادا. وكنت أعارضه في هذه النقطة بحجة أخرى معاكسة كانت تسكته، ولكن لم تقنعه تماما . فكنت أقول له: إن أمتنا الإسلامية في حالة إنهيار، وقد فسد دينها ولكننا لا نقول أنها كفرت . فرغم أن صلاتنا ليست بصلاة وكذلك حجنا وزكاتنا وحتى شهادة التوحيد التي نقولها ، كل ذلك لا يتم بشكله الصحيح ـ إلا في نطاق قلة نادرة ـ ومع ذلك لا نقول أن الأمة لا تصلي ولا تصوم ولا تحج ولا تنطق بالشهادتين . إنها تفعل كل ذلك بطريقة سيئة وغير صحيحة ، فقدت معناها أو المطلوب منها، ولكننا نظل نعترف لتلك الأمة بالإسلام، .. وهكذا الجهاد ، فهو كما ترى في أفغانستان ، فيه كل العيوب التي ذكرت ، ولكن هكذا حالنا نحن المسلمون وهكذا جهادنا ... فإذا تحسنت درجات الإسلام عندنا ... تحسنت حالة الجهاد وباقي العبادات .

وفي آخر لقاء لنا بعد فتح كابل وقد خضنا في نفس النقاش للمرة الأخيرة ضحك قائلا:

ـ أنت تخاف أن تقول أنه لم يكن جهادا.

فأجبته : مازلت مصرا أنه كان جهادا ، كان فيه القليل من الإخلاص والمخلصين ، وغالبية من الخبث والخبثاء . ولكنه كان جهادا ... جهادا ناقصا كما هو إسلامنا في هذا الزمان .

كانت بداية تعرفنا بأبي أسامة هي التداعيات التي ترتبت على مسيرتنا القتالية العسكرية في الجهاد، وهي الخطوات التي أعقبت فشل مشروع التصنيع سابق الذكر .

لقد خسرنا الكثير في تلك المسيرة وكسبنا أيضا الكثير ... ومن أهم مكاسبنا كان هذان الرجلان من الإخوان : الحاج سيف وأبو أسامة .

من بابى إلى جاجى:

لعل من أهم معالم عام 1983م في مسيرة الجهاد في أفغانستان هو ظهور اسم (بابي) في قاموس الجهاد.

تكلمت مع حقاني في بيشاور عن رغبتي في إحضار عائلتي إلى باكستان كي أتفرغ للعمل مع

المجاهدين . ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي نثير فيها هذا الموضوع . فأخبرني أن الحكومة الباكستانية وزعت على قادة الأحزاب وقادة الجبهات المشهورين قطعا من الأرض في منطقة خارج بيشاور تدعى بابي على بعد حوالي 20 كيلومترا في الطريق إلى إسلام آباد .
ثم عرض علي أن آخذ قطعة الأرض الخاصة به ، لأنه لا يحب أن يستقر في بيشاور لأن ذلك سوف يغرقه في مشاكلها ، وقد توكل إليه مهام إدارية في الإتحاد تجعله بعيدا عن الجبهات.
وأخبرني أن مولوي أرسلان له قطعة أرض مجاورة له وأنه شرع في بنائها .
أجبته أنني سوف أكون مسرورا بأن أكون جارا لمولوي أرسلان ولكنني مشغول بالنسبة لدراسة الأولاد ، فأولادي عددهم كبير ومعظمهم في سن الدراسة . لذا سوف أبحث إمكانية الإقامة في إسلام آباد عندما أتأكد من وضع المدارس العربية بها .
وعلمت بعد ذلك أن بعض (فاعلي الخير) من السعودية قد إشتروا من حكومة باكستان مساحة واسعة في منطقة بابي ووهبوها لسياف كي يقيم عليها قرية جهادية يستوعب فيها رجاله وموظفيه وقادته، ومشاريعه الجهادية ! ! ومدارس ومستوصفات علاجية ، وحتي جامعات .
وهكذا مع الوقت إبتلعت بابي ليس فقط أموال العرب التي أغدقوها بغير حساب للتنمية وللتعمير، ولكنها إبتلعت عشرات من قادة الجبهات المقتدرين والعلماء الذين دخلوها ولم يخرجوا منها إلا إلى المقابر أو إلى أفغانستان لتولي بعض المناصب في (الحكومة الإسلامية) بعد الفتح. وهي الحكومة التي تدير الحرب الأهلية بين المسلمين حتى لحظتنا هذه .
كنت أرى في بابي مجرد (سيرك) يديره مهرجي الجهاد لمجرد سلب أموال العرب وإبعادهم عن المساهمة الجادة في الجهاد ، وكانوا يحيطونها بجو كاذب مضلل . ويضخون في أسماعهم يوميا عشرات الأكاذيب والإفتراءات ، ويرفعون لديهم أقواما ويضعون آخرين . حتى صارت الصورة التي يتم بثها من بيشاور ـ بواسطة سياف بصفته الجديدة المهيبة ـ وكبار المسئولين حوله، هذه الصورة لا تمت بصلة لصورة الجهاد الحقيقية ولا تساعد بأية حال على معرفة القضية الحقيقية في أفغانستان .
كان سياف وغيره من القادة لا يرغبون إطلاقا في أن يتعمق العرب في صلاتهم الميدانية بأفغانستان والجهاد هناك ، فإن ذلك سوف يفضحهم ويوضح أوجه الزيف في العملية كلها .
كان المطلوب هو أن يحضر العرب إلى بيشاور كي يستمعوا إلى الأكاذيب ويشاهد تمثيليات محبوكة يديرها القادة ومساعديهم ، مع مزيد من الهياج العاطفي المحموم التي تثيره الأشرطة والمجلات الإسلامية التي ضخمت الحديث حول مواضيع فرعية ، أهمها (الكرامات) التي كثر اللغط حولها في أحاديث قليل منها صحيح وأكثرها كاذب.
الكتاب الإسلاميين فى حديثهم عن هؤلاء القادة من الأفغان "الذين يذكرونهم بالصحابة" تمادوا في هذا الإتجاه المدمر، ليس فقط للجهاد في أفغانستان بل لتاريخنا الإسلامي ورموزنا الإسلامية الكبيرة. حتى قال أحدهم عن سياف إنه عمر الثالث في زهده وتواضعه!!.
إلى هذه الدرجة وصل التضليل أو العمى.
والويل كل الويل لمن يعترض أو حتى يتحفظ . فهو إما (عدو للجهاد) ، وقد نلت هذه التهمة مرارا أو هو زنديق ينكر الكرامات ، أو هو يطعن في نزاهة رواة تلك الكرامات وهم من هذه الفئة التي إن قابل أمثالهم البخاري أخذ عنهم أحاديث رسول ا صلى ا عليه وسلم، وأن من يرد هذه فقد رد تلك ! ! .سمعت هذا التهريج وأمثاله بأذني من شخصيات إسلامية كبيرة وعلى قرائنا المستقبليين أن يتخيلوا درجة الإنحطاط التي كنا فيها وانخرطنا بها في أعاصيرالجهاد على أرض

أفغانستان.
كانت بابي هي بوتقة كل ذلك الغثاء ، والهوس الجماعي باسم الجهاد . كانت (حملة إسلامية) لتضليل الأمة الإسلامية ولمنعها من الرؤية السليمة وبالتالي منعها من ردة الفعل الصحيحه .
حملة أوقدها أعداء الأمة وإنساق فيها بعفوية وصدق وإخلاص عدد من كبار رموز الأمة التي دفعتهم الساحة الأفغانية إلى مقدمة الصفوف في أوساط الإسلاميين .
لقد كانت الإستخبارات السعودية هي المهندس الأكبر والمنفذ الأول لهذه الحالة من الفوضى الهوجاء في مجال الفكر الجهادي الذي رافق الحرب الأفغانية ، أو مجال العمل الإسلامي لمساعدة الشعب الأفغاني في مجال التبرعات المالية والعينية، أو مجال القتال فى الجبهات الذي إنفلت في وقت ما بلا ضابط ، وبدون رغبة الأفغان أو السعوديين أنفسهم .
ولكن محاولات إحباطه وتضليله أو إضاعته في مسالك ضارة وغير نافعة للجهاد ، كلها محاولات لم تتوقف منذ اللحظة الأولى ، وحتى بعد نهاية الحرب ضد النظام في كابول.
ولا تذكر (بابي) إلا وذكرت معها شقيقتها (جاجي) ذلك الموقع الحدودي الذي مارس فيها سياف تضليلا عسكريا على جهلاء العرب المتحمسين حتى الموت والمتحرقين للشهادة في سبيل ا وأكثرهم لم يسمع في حياته صوت طلقة أو يلمس بيده بندقية ، ناهيك أن يحضر حربا .
كانت ضغوطات العرب على سياف كي يذهبوا إلى الجبهات آخذة في التصاعد مع تزايد أعداد العرب الوافدين إلى أفغانستان .
تعمد سياف في البداية إرسال المتحمسين العرب إلي جبهات (مضمونة سياسيا) أي تقودها شخصيات مضمونة أي غير طموحة سياسيا ومرتبطة بالإتحاد. فكان الإتجاه الأساسي نحو جبهات جلال الدين حقاني . ولما كبر حقاني إلى حجم أثار توجسات سياف ، تفتق ذهنه عن جبهة أخرى قريبة من كابل هي جبهة (شكردرة) التي يقودها الشاب الذكي الطموح "محمد صديق شكري" الذي كان في طور التلميذ على يد أستاذه وقائده سياف . ولم يلبث القلق أن إنتاب سياف من نباهة"شكرى" الذي أتقن العربية بسرعة وبدأ يتكلمها بطريقة سياف ويحاكيه في إلقائه تماما كأنه صورة طبق الأصل، فحاز إعجاب زواره من الشباب العرب ، وعقد صداقة متينة مع الدكتور عبد ا عزام وروى له عدة "كرامات" لاأصل لها، ولكنها حازت إعجاب الشيخ فأوردها فى كتابه عن الكرامات،والمسمى "آيات الرحمن فى جهاد الأفغان"بعد أن أقسم "شكرى" على صحتها.
كما زادت زياراته له في بيته في إسلام آباد وفي تجمعات العرب، خصوصاالمركز الإسلامي في بيشاور، فزادت شعبية شكري كثيرا. وبدأت التبرعات تنهال على جبهته مباشرة على شكل هبات عينية تسلم إليه شخصيا.
شعر سياف بالخطر فكان لا بد له من أن يتواجد بنفسه فى سيرك للألعاب النارية يرضى نزوات الشباب العرب.
فتفتقت عقليته المتوقدة عن(جاجي)، كأول سيرك أفغانى للألعاب الجهادية،مخصص للسياح العرب.
::
::

عام1984: الإنحراف يتأصل

جاجي كانت نجم عام 1984 بلا منازع بالنسبة للشباب العربي وجماهير المسلمين المتحمسة . لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لي وبالنسبة لقلة نادرة من العرب ، ولا بالنسبة لأكثرية الأفغان سواء القادة أو (الكومندانات) أو حتى الأفراد العاديين .

كنت أراها تهريجا وتضليلا وإستنزافا لأموال العرب والإحتيال عليهم . طريقة سياف في قيادة الإتحاد جعلتني أتشكك في إمكانياته لأن يكون قائدا حقيقيا للجهاد وللشعب الأفغاني . لم يكن أكثر من (قائد آخر) مثل هؤلاء الذين سبقوه.

نفس المنهج ونفس العقلية إلا أنه أكثرهم قدرة على الخداع والمراوغة ففازعلى الجميع. وأمسك بسيف الشرعية وإستولى على الأموال المتدفقة على الإتحاد بصفته رئيسا لذلك الإتحاد، ولكنها تحولت إلى أموال شخصية ساعدته في تقوية مركزه وزيادة عدد أتباعه.

ولم يصب منها شيء إلى داخل الجهاد في الجبهات لأن الإنفاق على الجهاد تمويلا وتسليحا كان قدأصبح مهمة أمريكية. وسياف ـ أو غيره من قادة الأحزاب ـ غير مستعد بالمرة أن يضحي بغنائمه من اموال العرب كي ينفقها على الجهاد نيابة عن الولايات المتحدة.

في ذلك الوقت كانت المخابرات العسكرية الباكستانية تشدد قبضتها يوما بعد يوم على أمور القتال داخل أفغانستان ، وكانت حتى ذلك الوقت تستخدم (الأحزاب الجهادية) في بيشاور كقناة رئيسية للدخول إلى أفغانستان والتعامل مع (القومندانات) المحليين . وسوف نرى أن هذه القناة تم الإستغناء عنها تقريبا في وقت لاحق وتحول الباكستانيون إلى الإتصال المباشرمع كل (قومندان) علي حدة، فتهمشت الأحزاب وتحول الزعماء إلى مجرد بيادق على رقعة اللعبة السياسية.

في بيشاور لم يكن الدور الأمريكي قد إتضحت لنا أبعاده الحقيقية حتى ذلك الوقت. وكنا نظنه هامشيا ،وكذلك دور باكستان والسعودية .

كنا نعتقد حتى ذلك الوقت بما يقوله لنا المجاهدون في الجبهات والقادة في بيشاور، أن باكستان تقدم بعض المساعدات ، ولا نستلم أي شيء من أمريكا. واستنتجت وقتها أن اليد الأمريكية تصافح اليد الأفغانية وهي ترتدي القفاز الباكستاني ، حتى لا ينتقض وضوء الأطهار من قيادات بيشاور .

وعبر الأحزاب البيشاورية تجد المساعدات طريقها إلى قادة الجبهات ، ربما تحسبا للحساسية الأفغانية التقليدية من التعامل مع الكفار وإحتقارهم الفطري للباكستانيين .

كان ذلك لمرحلة إستمرت حتى عام 1987 عندها قلت هذه الحساسية وتطور (الوعي السياسي) لدى القومندانات وعامة الشعب الأفغاني بحيث أصبح يتحمل التعامل المباشر مع الباكستانيين بدون واسطة قنوات الأحزاب في بيشاور ، بل أصبح يتحمل مزيدا من التعامل المكشوف مع الأمريكان والأوروبيين (الكفار) الذين أصبحوا (أصدقاء) ولو مؤقتا وتحت ضغط الحاجة .

قبل أن يتوجه سياف إلى جاجي في زيارته الأولى لها،كنت في مكتبه مع الصديق المنياوي كي نطلعه على آخر تطورات البحث حول مشروع التصنيع العسكري . وكنا نعتزم قضاء بعض الوقت في الجبهات ـ عند مولوي جلال الدين حقاني ـ صديقنا الدائم . فلم نكن قد تجمعنا سوية في الجبهة منذ زيارتنا الأولى لأفغانستان عام 1979م.

كانت مفاجأة لنا عندما علمنا أن سياف قد أسس مركزا عسكريا في جاجي وأنه ينوي نقل مقر إقامته إلى هناك .

كان ذلك أملنا منذ البداية . ولاحظت أن سياف كان متحفظا قليلا وهو يزف إلينا البشرى رغم

علمه بإلحاحنا عليه منذ سنوات كي يتخذ تلك الخطوة . وقال بأنه لن ينقل مقر إدارة الإتحاد إلى جاجي ـ كما طلبنا ـ إلا بعد أن يتأكد من صلاحية الموقع ومناعته . ودعانا إلى مرافقته إلى هناك فوعدناه باللحاق به فيما بعد .
دارت رأسي ولا أكاد أصدق ... هل يفعلها سياف أخيرا .... تلك هي فرصته الأخيرة كي يصبح قائدا حقيقيا للجهاد ... وأن يصبح الإتحاد إتحادا حقيقيا للمجاهدين وليس إتحادا ورقيا بين الساسة . ولكن لماذا يتحرك منفردا؟ ... تساءلنا في إنزعاج ، لكونه يدخل إلى باكتيا ـ تلك المنطقة الحساسة ـ بدون قادتها الكبار ، وعلى رأسهم حقاني وأصحابه الآخرين مولوي أحمد جول ومولوي أرسلان وعشرات آخرين ؟؟ .
جزئية أخرى من الصورة في بيشاور آنذاك رأيناها عند العصر. لقد وصلتنا دعوة من بعض الأصدقاء لحضور إجتماع في (بيت باكتيا) وهو منزل إتخذه مولوي خالص كاستراحة لقادة محافظة باكتيا ومجاهديها عند زيارتهم لبيشاور . ذهبت مع المنياوي إلى هناك بصحبة مولوي (عبد الرحيم أخونزانده) الذي صار وزيرا للعدل بعد فتح كابل. فوجدنا البيت مزدحما بشكل غير عادي . كان هناك ما بين خمسين إلى سبعين من قادة الداخل ليس فقط من باكتيا وباكتيكا ولكن أيضا من غازني ولوجر وغيرها من المحافظات . كانت الوجوه عابسة والكلام يدور بنبرات غاضبة مع تلويح عنيف بالأيدي والقبضات . كان الجو ملبدا وينذر بالخطر . فسألنا مولوي عبد الرحيم عن موضوع الإجتماع وسبب هذا التوتر . فأخبرنا بأن فتنة على وشك أن تقع . هؤلاء هم من قادة الجبهات من حزب خالص "حزب إسلامي" وجميعهم جاء يشكو ويتوعد ، فالضغط العسكري السوفييتي الواقع عليهم يتصاعد بينما ما يصلهم من إمكانات لا يكاد يكفي الحد الأدنى من المطالب . و يسمعون عن الملايين التي يصبها العرب في بيشاور على سياف. وهذا الأخير لا يهتم إلا بحزبه الخاص ، ولا يعير إهتماما لباقي المجاهدين . وحزب خالص أفلس تقريبا ـ أو يكاد ـ بسبب إرتهانه الكامل (للإتحاد) من الناحية المالية .
وهكذا صارحهم خالص أنه لا يملك أكثر مما أعطاهم، وطالبهم بالذهاب إلى سياف .
والأخير أهملهم بل ترك بيشاور من جراء ضغطهم وضغط مجموعات مماثلة قدمت من الداخل تطالب بالدعم في مواجهة موسم قتالي هو الأشد والأسوأ من نوعه منذ دخول السوفييت (وقد تأكد لي صحة هذا التقييم من مصادر مستقلة متعددة) . إذن جاجي كانت لسياف مهربا من ضغوط الداخل ،لا توجها إلى الداخل أو أنها هروب إلى الأمام كما يقولون .
كما أنها توجه نحو مزيد من الإنفصالية الحزبية وليست خطوة إتحادية . وهاهم قواد باكتيا وما حولها يهددون وينذرون ، وكانت أهم البنود العملية المطروحة على جدول أعمالهم هي إقتراح بمهاجمة قوافل (جماعة سياف) أي الإتحاد أينما وجدت ! ! .
لقد إقتربت الفتنة وشمرت عن ساعديها ، فما العمل ؟ .
كان الوضع سيئا في الداخل ، وإستخدم الروس بتوسع أسلوب مهاجمة قوافل إمداد المجاهدين بواسطة الطيران وقوات الكوماندوز . وإستطاعوا تدمير عدد لا يستهان به من تلك القوافل ، بل وعطلوا مسيرها في بعض الطرق ،أي أن المجاهدين بدأوا يخسرون طرق إمدادهم وهذا من مؤشرات خسارة الحرب. ولم يقف الأمر عند ذلك بل أن نشاط الكوماندوز السوفييتي (سباتزناز) قد توسع واشتمل على أسلوب الهجمات المباغتة على مراكز المجاهدين في العمق وتدميرها وقتل من فيها حيث أنه يضرب في أماكن وتوقيتات غير متوقعة وبعد الحصول على معلومات تفصيلية عن الأهداف المقصودة . وذلك بفضل نمو نشاط جهاز الإستخبارات الأفغاني

"خاد" ونجاحه الواسع في إختراق الجبهات القتالية ، فضلا عن بيشاور المهلهلة .
تدفقت علينا أخبار تلك العمليات مثل الصواعق أو السيل المنهمر حتى تخيلنا أن النهاية تقترب.
فمركز مطيع ا قرب الأورجون تم تدميره وقتل من فيه بواسطة قوات الكوماندوز السوفييتية المحمولة بطائرات الهيلوكبتر .
وعدة معسكرات قريبة من الحدود على الجانب الأفغاني تم تدميرها بنفس الطريقة.
وإستخدم الكوماندوز السوفييتي الأراضي الباكستانية نفسها في الهجوم على بعض تلك المعسكرات، خاصة في محافظة كونر، فكانت المفاجأة تامة بأن كان الهجوم قادما من الجهة غير المتوقعة.
وقد تواطأ بعض قادة المعسكرات في قليل من تلك الهجمات أي أن بعضهم كان عميلا (للخاد) وباع المعسكر ومن فيه .
وبعضهم كرر نفس الخيانة أكثر من مرة قبل أن يتم إكتشافه،وبعضهم إستمر في مواقع أخرى ولم تتم معاقبته على الإطلاق .
كانت قوافل الإمداد إلي المحافظات الشمالية ضخمة للغاية وتتكون من عشرات البغال والخيل والإبل ، وقد دمر الروس الكثير منها بواسطة كمائن مذهلة . وكانت تلك القوافل تكتشف بواسطة الجواسيس المنبثين على طرق الإمداد خاصة في المطاعم العامة "السماوات"، أو بواسطة طائرات الإستكشاف، وأحيانا أخرى يتم رصدها من بيشاور وينتقل معها جاسوس محترف ضمن أفراد القافلة نفسها التي تضم إلى جانب أفرادها الأصليين المخصصين للحماية أفرادا عاديين من عابري السبيل أو المسافرين إلى نفس المناطق التي تقصدها القافلة .
لم يكن ذلك كل شيء ... فقد ظهرت الإشتباكات المسلحة بين المجاهدين . وبعد أن كانت محصورة تقريبا في شمال أفغانستان بدأت تزحف حتى وصلت كابل . وإنتقل الصراع السياسي
بين أعداء بيشاور إلى كابل . فإشتبك رجال حكمتيار (حزب إسلامي) مع رجال برهان الدين رباني (الجمعية الإسلامية) ، ودخل رجال سياف لأول مرة رغم حداثة تشكيلهم السياسي فقاتلوا ضد رجال حكمتيار . (الغريب أن هذا ما يدور الآن في كابل ، إذ يقاتل سياف وربانى ضد حكمتيار! !) .
كما علمنا أو أفرادا من الإستخبارات الأفغانية (خاد) قد دخلت في صفوف المجاهدين حول كابل، ويصبون الزيت علي النار ، وبينهم أفراد كانوا ضباطا سابقين في الدولة إنضموا حديثا إلى المجاهدين وتولوا مهام قيادية حول كابل ، ثم بدأت لعبتهم الكبرى في إشعال الفتنة الداخلية.
والغريب أن الزعماء في بيشاور كانوا يدافعون بإستماتة عن هؤلاء المندسين ويشهدون لهم بالإيمان والإستقامة وبأنهم يعملون معهم منذ زمن طويل وأنهم إنضموا إليهم علانية عندما إكتشفت الدولة أمرهم . فاختلطت الحقائق وتداخلت الصفوف وأصبح صعبا معرفة الحقيقة أو ومعرفة من يعمل مع من؟.
أن هذا ما يحدث في كابل ساعة كتابة هذه السطور، فالشيوعيون القدامى في الجيش والمخابرات وقوات الميليشيا وأجهزة الدولة الإدارية قد دخلوا في صفوف الفريقين المتقاتلين في كابل ، فريق رئيس الدولة (رباني) وحليفه سياف وفريق حكمتيار (رئيس الوزراء) وحليفه رشيد دوستم أكبر قائد للميليشيات الشيوعية في أفغانستان قبل سقوط النظام.
ويدفعنا ذلك إلى الإعتقاد إضافة إلى شواهد كثيرة إلى أن الأوراق الإسلامية / الشيوعية كانت مخلوطة تماما داخل الأحزاب ولم يكن هناك التمايز الذي كنا نتخيله ، بأن أحزاب بيشاور ـ خاصة الأصولية ـ هي خالية تماما من أي شائبة غير إسلامية. بل أن عناصر شيوعة عتيقة كانت تتولى مناصب حساسة، ولكنها بعيدة عن الأنظار خاصة أنظار العرب المبهورين

بالتجربة الجهادية المثيرة ، وبالخيالات المدهشة التي أطلق عنانها (الصحافة الإسلامية) والخطباء المفوهون والكتب التي تحلق بقارئها في أجواءالسماوات العلى، وتضعف إرتباطه ووعيه بالمصائب الموجودة على الأرض إلى جانبه وحوله علي كل الساحة الأفغانية .
كانت كابل تحظى بأكبر حشد من الرجال والأسلحة بناء علي طلب باكستان من الأحزاب الأفغانية . فهكذا تقضي الإستراتيجية التي وضعها الجنرال أختر عبد الرحمن مدير المخابرات العسكرية وأقوى رجل في الدولة بعد ضياد الحق . وحسب أقوال الزعماء في ذلك الوقت فإن عدد رجالهم تراوح ما بين 20 إلى30 ألف مجاهد للحزب الواحد .
سياف رغم حداثته إستطاع حشد ثلاثين ألفا حول كابل، حسب تصريحاته الشخصية . وبالطبع تم ذلك على حساب الآخرين فكان من المنطقي أن تحدث الإشتباكات . فقد تحول (القومندانات) ورجالهم إلى سلعة تخضع للعرض والطلب . كان سياف يمتلك القدر الأعظم من السيولة المالية ، فاشترى ما شاء من القادة . أما حكمتيار فيتبنى دائما سياسة الردع والتصفية، خاصة بالنسبة لمن ينشقون عليه أو المناوئين له .
في كتابه (فخ الدب) ذكر الرائد (محمد يوسف) رئيس فرع أفغانستان في الإستخبارات العسكرية أن سياف طلب منه أن يتولى بمفرده مهمة الدفاع عن المنفذ الحدود في (جاجي) .
وكان يرغب ألا يشاركه حزب آخر في تلك المهمة . ويبدو أن الإستخبارات الباكستانية أوكلت إليه المهمة الرئيسية وتركت للآخرين دورا ثانويا كما تدل على ذلك أحداث المنطقة ومعاركها .
كانت المنطقة هامة جدا كمنفذ حدودي تعبر منه الإمدادات من باكستان إلى عدد كبير من الولايات الأفغانية ، وذكر (محمد يوسف) أن جاجي كان يعبر منها ما نسبته 40% من الإمدادات.
لقد إندفع سياف إلى مقدمة الصفوف بذهابه إلى جاجي.فهو يدافع عن منفذ هام ومنطقة استراتيجية في إعتبارات باكستان ، وكان قبلها قد حجز لنفسه مكانا آخرا بارزا في كابل، تطبيقا لنفس الإستراتيجية الباكستانية ، وإن أدى ذلك إلى قتال داخلي حول كابل . وفوق ذلك كله حققت له جاجي مركزا متفوقا لدى العرب فأصبح زعيمهم الأكبر ومثلهم الأعلى ومهوى الأفئدة والأموال.
أدت خطوة جاجي إلى تذمر معظم قادة باكتيا وعلمائها المجاهدين . ومع ذلك لم تعتبر حكومة باكستان سياف إلا عميلا للسعودية حليفها اللدود ، بينما ظل حكمتيار من لحظته الأولى وحتى الآن هو فتى باكستان الأول فوق الساحة الأفغانية . ومن هنا فإن العلاقات الداخلية بين الدول (الحليفة) أمريكا / باكستان / السعودية كلما تعرضت إلى (مشاكل عائلية) فإنها تنعكس في موقف كل دولة من حليف الدولة الأخرى . فعندما غضب ضياءالحق من السعودية قال لسياف في أحد المواقف : (إن الأموال لا تصنع الزعماء ، فإن لم تفعل ما أقول فسوف أعيدك من حيث أتيت) .
ولا يمنع هذا من أنه أضطر أحيانا إلى تأديب فتاه المدلل حكمتيار عندما رفض الأخير مقابلة الرئيس الأمريكي فقال له ضياء الحق : (نحن الذين صنعناك ويمكن أن ندمرك في ثوان) وأبلغه ذلك عن طريق مدير المخابرات .
وقد عانى حكمتيار من فترات التوتر في العلاقات الأمريكية الباكستانية،حيث وجه إليه الأمريكان حملات إعلامية شديدة وتصريحات عنيفة من مسؤوليهم .
ولكن سياف رغم إنتمائه الكامل للحكومة السعودية فقد فرض نفسه على الإدارة الباكستانية ، في المجال السياسي الذي كان حكرا على باكستان ، فها هي السعودية تنجح في فرض زعيم على كل المنظمات التي كانت ضمن الحديقة الخاصة لباكستان .
ثم ها هو سياف يفرض لنفسه ـ ومن ثم لحليفته السعودية ـ مجالا بارزا على الساحة العسكرية في

مكانين خطيرين بالنسبة للإستراتيجية الباكستانية وهما كابل العاصمة والهدف النهائي للحرب كما تراه باكستان ثم جاجي ، أهم المنافذ الحدودية على الإطلاق .
كانت المنافسة الباكستانية مع حلفائها تدور في الخاف ولكنها كانت عنيفة في بعض الأحيان إلى درجة سالت فيها بعض الدماء ، وسوف نتعرض لبعض تلك الحالات في حينها .

نكسة المشاريع الكبيرة:
شعرنا بإقتراب كارثة الإقتتال الداخلي يخيم فوق باكتيا وبالفشل النهائي يخيم على المشروع الإتحادي . فإجتماع (القومندانات) في بيت باكتيا ينذر بالخطر . وقررنا التحرك بسرعة لتلافي الكارثة . إلتقينا مع عدد من كبار قادة باكتيا مثل جلال الدين حقاني ومولوي أرسلان ومولوي أحمد جول ثم نصر ا منصور. ثم إتصلنا بالرائد جولزراك الذي كان ضمن اللجنة العسكرية في الإتحاد وقتها.كانت النتائج إيجابية للغاية وتبلورت في إقتراح محدد وافق عليه الجميع.
يقول الإقتراح :
إن سياف وضع قوته وسمعته بل وسمعة المجاهدين كلهم لكونه رئيسا للإتحاد في مقابلة حصن صغير في جاجي هو حصن تشاوني . لذا فإن العدو سوف يركز قواته للدفاع عن هذه البقعة المحددة، بل سوف يوجه هجوما معاكسا إلى معاقل سياف في جاجي، لخلعه من هناك وتدمير مراكزه، بما يحمله ذلك من إهانة وضربة معنوية لجميع المجاهدين. البديل الذي يقترحونه هو شن هجوم شامل على نطاق محافظة باكتيا كلها ضد كل مراكز العدو . ويستغرق الهجوم حسب الإقتراح من ثلاثة إلى أربعة أشهر . ويتوقع القادة أن ذلك الهجوم الذي لم يسبق له مثيل من حيث إتساعه الجغرافي وأعداد المجاهدين والقيادات الكبيرة المشاركة فيه ، ولأول مرة بإسم الإتحاد الجديد وزعيمه سياف ، سوف يسفر عن تشتيت قوات العدو وإيقاع خسائر فادحة في قواته وأنه سوف يخسر حتما عددا من المواقع الهامة قد يكون من بينها حصن تشاوني وربما أماكنا أخرى أكثر أهمية .
كانت الخطوة طموحة وجذابة ، ولا أنكر أنها إستولت على كياني كله ـ كانت تنتابني تلك الحالة أمام الخطط العسكرية من هذا النوع ـ كنت أراها رائعة من الوجهة العسكرية لكونها غير تقليدية وطموحة وجريئة ، وكنت أراها رائعة من الوجهة السياسية ، فالإتحاد بين المجاهدين سوف يصل أخيرا إلى الميدان القتالي ، وهذه من بشائر النصر الكبرى .
إتفق الجميع على تكليف الرائد (جولزراك) بوضع تفاصل الخطة ثم حساب تكلفتها المالية ، إضافة إلى كميات العتاد وأنواع الأسلحة المطلوبة لكل موقع . وافق جولزراك بسرور وحماس.
قضى الرائد أربعة أيام فى إعداد الخطة التفصيلية مع الخرائط اللازمة كما أعد جميع الكشوفات التي تحتوي التفصيلات الدقيقة . وقد تعاون معه القادة في إمداده بكافة البيانات الضرورية عن مواقعهم وعدد مجاهديهم والأسلحة والذخائر المتوفرة ، والأهداف المحتملة لديهم ، ثم إحتياجاتهم للعمليات القادمة ... إلى آخر تلك التفصيلات .
في خضم تلك الخطة الطموحة تقدمنا بإقتراح أولي فيما يختص بالدور العربي في تلك المعركة الكبرى . فإقترحت أن يتولى العرب الجانب المالي ، أي جمع الأموال اللازمة للمعركة ، ثم الإشراف على عملية الإمداد والتموين أثناءالعمليات بحيث تتلقى كل مجموعة مقاتلة المقادير اللازمة من مواد الإمداد التي تقررها القيادة العسكرية . والجانب العربي يتولى أيضا تنظيم

المشاركة المباشرة في المعركة للشباب العربي المتطوع .
قفز في ذهني مباشرة اسم أبو أسامة (عبد العزيز علي) ولم أكن رأيته قبلا ، فهو رجل عسكري مجاهد،وذو سمعة عالية وهيبة في صفوف الإخوان . فهو بخبرته العسكرية وحزمه وهيبته قادر في ظني على إدارة هذا العمل وفرض الإنضباط والإلتزام على كل الأطراف المشاركة فيه.
أما صلاته وسمعته في أوساط الإخوان ، فسوف تكفل ـ في ظني أيضا ـ مباركة إخوانية وربما مشاركة جدية في المشروع، أوعلى أضعف الإحتمالات سوف تكف أذاهم عنا فلا يهاجمون العمل ويجهضونه كعادتهم إزاء أي عمل غير نابع من عندهم .
إتصلنا تلفونيا بصديقنا الحاج سيف في الإمارات وأخبرناه بإيجاز أننا نريد أبو أسامة لأمر هام طرأ هنا . فأدرك على الفور أنه تطور إيجابي وخطير. فأعطانا رقم هاتف أبو إسامة في الكويت ودار معه حوار ساخن ... وكانت أول مرة أتحاور معه ويكاد أن يكون جوهر ذلك الحوار هو نفسه الذي دار معه في آخر لقاء بيننا بعد فتح كابل بعدة أشهر. قال لي أبو أسامة هاتفيا:
ـ ماذا تريدون مني؟ ليس عندي وقت كي أضيعه مع هؤلاء ... إنهم مجموعة نصابين لا يريدون الجهاد بل يريدون جمع الأموال ، هذا ليس جهادا ، هذا قتال عادي ، ليس عندهم خلق المسلم ولا خلق المجاهد ... أوصيكم بتقوى ا ... كونوا جادين.لا تخدعوا المسلمين وتقولوا هذا جهاد ... هؤلاء الزعماء يريدون السلطة ويريدون الزعامة ويكذبون على المسلمين.
أجبته بأننا علمنا كل ذلك ولكن جد الآن وضع مختلف قد يغير الأمور ، وأن وجوده حيوي في هذا الأمر .
رق قلب الرجل وقال:
ــ لقد نصحتكم وقلت لكم ما عندي فإذا كنتم تعتقدون حقا أن هناك أمل فسوف أحضر إليكم، كي نرى ... وأوصيكم بتقوى ا .
تحركنا التالي كان في إتجاه يونس خالص . وكنت لم أره منذ عامين تقريبا . تقابلنا معه ومع نائبه حاجي دين محمد صديقنا القديم ،في أحد مكاتبهم في بيشاور بعد صلاة الظهر . وكان لقاء عاصفا... ولكن عاصفة عاتية تهب من إتجاه واحد ، وهو إتجاه الشيخ خالص . لأكثر من ساعة والشيخ يهاجمنا (بصفتنا العرب ، كل العرب) الذين أفسدوا الإتحاد وظلموا الأحزاب وفرضوا سياف ، وأضروا الجهاد في الجبهات بعد أن أغرقوا بيشاور بالأموال . وساعدنا حقاني بالأموال حتى وهنت روابطه مع حزبه. (وكنا معنيين بهذه النقطة بصفتنا أقرب العرب إلى حقاني في ذلك الوقت) .
لم يترك لنا الشيخ فرصة لإلتقاط الأنفاس . ولم نكن مستعدين حتى للمجادلة . سمعنا الهجوم ونحن نبتسم بروح رياضية . فقد كنا نحب الرجل ونحترمه كثيرا ـ وما زلنا كذلك.
فالإخلاص والصراحة سمته الأصلية ، وعيبه الأكبرسرعة الغضب وردود الفعل السريعة غير المدروسة ومن هنا جاءت أكثر أخطائه . ويبقى أنه من هذه الفئة القليلة التي تعود إلي الحق سريعا عندما يزول عنها الغضب ، أو يتبين لها الصواب. والغريب أن مجموعة من أقرب وأفضل أصدقائي تجمعهم تلك الصفة منهم أبو أسامة والمنياوي وسيف ثم شيخنا الفاضل يونس خالص .
بعد أن أفرغ مولوي خالص جعبته من الغضب قام ليتوضأ وصلينا معه العصر.
وكأنه أحس بالندم لهذا الهجوم الذي لا نستحق معظمه ، فكلمنا بهدوء يشبه الإعتذار،فقال:
(سوف أترككم مع حاجي دين محمد وأنا معكم في كل ما تتفقون عليه) ...
لم ينتابني أدنى شك في صدق قوله وبدأنا بحثا مفصلا مع حاجي دين محمد حول المشروع .
بدأ الرجل معنا بشيء من التحفظ وسأل : لماذا باكتيا؟ ... لم لا تبدأون مشروعا كهذا في

جلال آباد؟. لم أشأ أن أخوض معه في جدال مطول وإختصرت الموضوع في جملة واحدة :
- إذا نجح مشروعكم هذا في باكتيا فسوف يكون من السهل تطبيقه في أي مكان آخر.
فتخلى عن تحفظهوأعلن موافقته التامة للمشروع ووعد بدعمه بكافة ما يملك من إمكانات، فربطنا بينه وبين الرائد جوازراك لبحث التفاصيل والإتفاق عليها .
إذا تمت هذه الإتصالات الواسعة من داخل أي مكتب تابع لتنظيم معين، حتى ولو كان مكتبا للإتحاد، فسوف تكون مواقف الأفغان منحازة ضد المشروع أو معه حسب المكان المنطلق منه وعلى هذا الإعتبار المنحرف سوف يتأرجح مستقبل المشروع . فكان من الأنسب البقاء في أحد فنادق بيشاور بعيدا عن المكاتب الأفغانية . لم يكن المنياوي يطيق مزاجي المتواضع في المسائل المعيشية، بينما كان من الممكن أن أتحمل شطحاته الأرستقراطية في هذا المجال .
فاختار فندقا من الدرجة الأولى وتكفل بالمصاريف فوافقت . كانت موجة من الحر اللافح تجتاح باكستان وكانت الصحف تعتبرها الأشد من نوعها منذ عشرات السنين . تمتعنا بالتكييف المركزي للفندق ، وكانت الإجتماعات العديدة تدور في غرفتنا خاصة وأكثر المشاركين في المشروع يكاد يختنق من موجه الحر التي لم يشهد لها مثيلا في حياته .
وكان مولوي أرسلان يمازحنا قائلا :إنني أحب أن أزوركم كثيرا لأن غرفتكم باردة .
وصل أبو أسامة وشاركنا على مضض في البقاء في الفندق بعد أن أكد له المنياوي أن ذلك يتم على حسابه الخاص وليس من أموال المسلمين. ثم صب علينا حمم هجماته الثقيلة وعلى أمثالنا من (المطبلين والمزمرين) لهؤلاء (المجرمين) من قادة الأحزاب . وقال أنه إجتمع بهم مطولا في عام 1980م وفي نهاية الأمر أعلن رأيه الصريح على الملأ قائلا :
- "إن الحكم الشرعي فيكم هو أن نحتجزكم في غرفة واحدة لمدة يوم ، فإما أن تتفقوا جميعا على إمارة رجل منكم أوأن نقتلكم جميعا ونختار شخصا آخرا للإمارة" .
وكم أعجبني ذلك الرأي وتمنيت دوما لو أنه نفذ فعلا ، إذن لجنبنا الإسلام والمسلمين مصائب عظيمة وقعت عليهم في أفغانستان ، وعلمنا أن وجهة نظر أبو أسامة تلك قد وصلت إلى القيادات العليا في الإخوان، لذا فإنني أعتبرهم قد ساروا عمدا في طريق الإنحراف والتضليل .
وكما حدث مع مولوي خالص أنهى أبو أسامة هجومه الصاخب ، وشعر أننا غير معنيين بأكثر تلك المشاكل فبدأ يستمع لنا بهدوء . وسردنا على أسماعه كل شيء بالتفصيل .
أبدى الرجل إعجابه بالمشروع وإن كان مازال متشككا في جدية القيادات - خاصة سياف - وقال أنه لا يمانع في خوض التجربة حتى نهايتها وحتى نتأكد جميعا من حقيقة هؤلاء الناس ، ولكنه أضاف فقرة جديدة إلي المشروع ذلك بأنه لابد أن ينفق سياف على المشروع من أموال الإتحاد - ضمانا للجدية في الإلتزام وأيضا حتى لا ينظر للمشروع كأنه مناسبة أخرى (لنهب أموال العرب) على حد تعبيره . أما إذا عجزت أموال الإتحاد فإن العرب يتكفلون بتدبير المبالغ المطلوبة . وافقنا على ذلك وإتفقنا بالطبع على أنه سيتولى تمثيل الجانب العربي في المشروع
وأن يضع تحت إمرته من العرب الأشخاص المناسبين والضروريين للعمل .
كانت تقديرات "جوازراك" أن المعركة سوف تتكلف شهريا مبلغا يتراوح بين ثلاثة إلى خمسة ملايين روبية شهرياً وذلك لفترة قد تمتد إلى أربعة أشهر.
كنا نعلم أن دخل سياف شهريا - من تبرعات العرب - يفوق بمراحل تكلفة المعركة كلها طوال الأربعة أشهر المقترحة.

** تحركت قافلتنا المهيبة ، في عدة سيارات عبر مناطق القبائل في باراشينار ثم "تريمنجل"
ثم صعدنا الجبل الشاهق في طريق غير ممهد حتى وصلنا منطقة جاجي الأفغانية التي تكسوها غابات الصنوبر . تجمعنا في مركز سياف داخل إحدى الخيام ، وكان عدد الخيام لا يزيد عن أربعة . قالوا لنا أن سياف (في المقدمة) وكان أبو أسامة قد كتب بالأمس رسالة لسياف يخبره فيها بوصولنا ويطلب مقابلته ، وقد حدد سياف موعد المقابلة على ظهر نفس الرسالة وتركها في المركز مع الحرس وقد حدد موعدا في الظهر أو بعد ذلك بساعتين أو ثلاث "إذا كان وضع الحرب يتطلب ذلك!!" (حسب نص الرسالة التي مازلت أحتفظ بها) . لم أسترح لتلك الجملة وشعرت فيها بالتصنع والمبالغة . بدأت جلستنا بعد صلاة المغرب . بدأها أبو أسامة بأن طلب بإخراج كل من ليس له صلة بالموضوع . فأخرج سياف رجاله وبقي فقط شاب سعودي يدعى نزار وهو من كبار الممولين لسياف كما علمنا ، وبالتالي لم يشمله الإستثناء .

فبدأ الإجتماع وكانت الجلسة تشمل سياف ، مولوي جلال الدين حقاني ، مولوي أرسلان رحماني ، مولوي أحمد جول ، مولوي نصر ا منصور و مولوي عبد الرحيم أخونزاده .

أما على الجانب العربي فكان أبو أسامة ، المنياوي والعبد الفقير إلى ا ، والدكتور عبد الرحمن، ثم الشاب السعودي نزار.

طرح أبو أسامة المشروع مبينا أهدافه وأهميته ودور كل طرف في المشاركة المطلوبة ، والدور الإتحادي المنشود .

إستوفى أبو أسامة عرض الفكرة ، وبدأت النقاشات التي شارك فيها الجميع تقريبا ، وحانت ساعة القرار . وتعلقت الأنفاس ترقبا لما سينطق به سياف .

فأثنى على الفكرة وأيدها ووعد خيرا ثم سكت ...

تقدم أبو أسامة وطالب بموقف أكثر تحديدا . وسأل كم ستدفع في تمويل المعركة؟ ومتى نبدأ؟

فأنا لا أحب التسويف وكثرة الإجتمعات فإذا كنا قد قررنا أن نبدأ فلنبدأ الآن ... إن ميزانية المعركة كما حسبها جولزراك هي ثلاثة ملايين شهرياً ضعها الآن على الطاولة ولنبدأ العمل فورا.

وهنا أخذت الحماسة الشاب السعودي نزار وإنبرى قائلا :

ـ أنا أدفع تكلفة الشهر الأول والأموال معي في بيشاور.

وعلى عكس ما كان متوقعا إنزعج سياف لهذا القول وطالب بعدم إتخاذ أي قرار مالي، وعدم قدرته على ذلك، حتى يعرض الأمر على مجلس الشورى في بيشاور في جلسة الأربعاء المقبل.

(كانت جلستنا تلك ليلة الأول من رمضان 1404هـ ـ الموافق الخميس الأول من يونيو 1984م)

شعر الجميع أنه يتهرب ويسوف . فالكل يعرف أن الأموال كلها تصب عنده وأنه صاحب القرار الأول والأخير . وأن ميزانية الإتحاد هي ميزانية صورية لا تقارن مع ميزانية سياف التي تتعاظم يوما بعد يوم بالتبرعات المباشرة القادمة من السعودية والخليج وغيرها .

لم تجد إعتراضات أبو أسامة حتى رضخ مؤخرا ونظر إلينا نظرة ذات مغزي وكأنه يقول :

ألم أقل لكم؟ .

توقفت المناقشات عند ذلك الحد وطلب سياف أن يجتمع على إنفراد بالقادة الأفغان . ثم أخذهم إلى خيمة قريبة وتكلم معهم حوالي ساعة . ثم حضروا إلينا وهم يتهيأون لصلاة العشاء ثم النوم .

ولم يطلعونا على الموضوعات التي بحثوها فتخيلت أنهم بحثوا مزيدا من التفاصيل الإجرائية حول المشروع . وليس مدهشا أن أقول أنني كنت ـ كالعادة ـ مخطئاً .

في الصباح المبكر ليوم الخميس الأول من رمضان 1404هـ ـ تهيأنا للرحيل ، وأكدت الإتفاق

مع سياف بأنني سوف أنتظره في بيشاور إلى يوم الأربعاء حتى أقف على نتيجة عرض المشروع على مجلس الشورى . ودعنا سياف عند الخيمة وذهبنا إلي الطريق في إنتظار باقي أعضاء الوفد حتى تتحرك السيارات دفعة واحدة .وأثناء الحديث قال أحد القادة ـ وأظنه مولوي أحمد جول ،بأن سياف لن يحضر جلسة الشورى القادمة .

فصححت له معلوماته وأخبرته أنه سوف يحضر وقد أكد لي ذلك منذ قليل وهو يودعني . فأكمل الرجل قوله بأن سياف في حديثه الخاص معهم ليلة أمس قال أنه غير موافق على المشروع جملة وتفصيلا وأنه مضطر لإظهار الموافقة أمام الضيوف العرب،وطالب القادة الأفغان من الحاضرين ألا يفتحوا باب النقاش مرة أخرى في الموضوع حتى لا تسوء سمعة الأفغان لدي العرب ! ! .

إنفجر أبو أسامة غاضبا وكلم أحمد جول كلاما شديدا ضد الأفغان وضد قادة الأفغان ووصفهم بالخداع . وسأله مستنكرا لماذا لم تخبرنا بذلك بالأمس ، ثم إلتفت نحوي ونحو المنياوي وبدأ يصرخ في وجوهنا ويؤنبنا بشدة:

ـ ألم أقل لكم فلم تصدقوني!! إنهم مجموعة كذابين ، لقد أهدرتم وقتي وعطلتم أعمالي ... حسبي ا ونعم الوكيل ... .

تذرعنا بالصبر وطلبت منه الإنتظار حتى يوم الأربعاء ومن بعدها فليقل ما يشاء ، فإن سياف قد أكد لي منذ قليل أنه سوف يحضر ، ولعل هناك إلتباس في الفهم . فضحك بتهكم و قال لي :

ـــ "أنتم بلهاء وستظلون بلهاء ... لن يحضر سياف ... ولن ينفذ المشروع ... الذي يريد أن ينفذ مشروعا كهذا لا يعرضه على مجلس الشورى فيفضح سرية العمل ، ويعطله في مناقشات مطولة وتصويت ... إن سياف يريد الأموال فقط ولا يريد الجهاد ... إنه يلعب بالجهاد و (ينصب) ـ أي يحتال ـ على العرب ...أنت تريد في المشروع أن تسحب الخزينة من تحت يده ويتولي العرب بأنفسهم جمع الأموال وصرفها والإشراف على توزيع الإمدادات ومراقبة سير العمليات ... صح النوم ... وهو كيف يسرق وينهب ويكذب على العرب؟"" .

كان المنياوي صابرا على مضض ولكنه لم يتمالك نفسه فإنفجر في وجه أبي أسامة ونحن في تريمنجل أسفل الجبل، وبنفاذ صبر وصراخ مرتفع طالبه أن يصبر ! ! .

كان الجو قائظا في باكستان، وكان السفر طويلا وشاقا ونحن صيام لا يريد أحد منا أن يبدأ شهر رمضان بالإفطار ، وسادنا الوجوم والصمت باقي اليوم حتى أفطرنا في ضيافة مولوي منصور في مدينة كوهات وهناك قضينا الليل .

بقيت مع المنياوي في بيشاور عدة أيام في إنتظار إنعقاد جلسة الشورى ، وإنتظار سياف . لم أكد أكمل يوما واحد في بيشاور حتى زارني شاب سعودي ، من هؤلاء الذين إكتسبوا شهرة في المجال الأفغاني وكان قاسما مشتركا في معظم الوفود التي تروح وتجيء للوساطة أن الصلح أو عقد الإتحادات . كان سلفيا ولكنه ذو سمعة عالية لدى الأفغان لمكانته الكبيرة ومساعداته المالية السخية ونشاطه مع الأفغان . جلس وحدثني عن تجربته الفريدة عندما عقد الإتحاد الأخير بقيادة سياف ، وكيف أنه مع علماء السعودية الكبار إصطحبوا القادة السبعة إلى داخل الكعبة ، وجعلوا يقسمون بالأيمان المغلظة على البقاء في الإتحاد وعدم الخروج عليه والإنخلاع من زعامة أحزابهم وحلها وتسليم كل مقدراتهم وأسلحتهم وأموالهم للإتحاد ولا يعصون لزعيمه أمرا.وكيف كان الواعظ السعودي يقف وسط الكعبة يدعو والزعماء السبعة يؤمنون، ويلعنون كل من يخرج من الإتحاد أو يتمرد عليه.وأن ذلك إستمر أكثر من نصف ساعة حتى أيقن القوم أن الإتحاد الذي لا رجعة فيه . فبعد كل هذه الإيمان داخل الكعبة ماذا يتبقي من الإسلام لأي مخالف لها ؟.

أعرب الشاب الضيف عن أسفه لأن بعض القادة بدأوا يتفلتون من أيمانهم المغلظة التي شهدها بنفسه داخل الكعبة .
وفي نهاية الحديث سألني عن سبب المشكلة بيني وبين سياف. ألجمتني الدهشة وسألت: أية مشكلة؟.
قال :كنا بالأمس (أول رمضان) في زيارة لسياف في جاجي وكان حانقا عليك وعلى زميلك المنياوي وأبو أسامة المصري .
زادت دهشتي وقلت له :لقد غادرناه في صباح نفس اليوم ونحن في أطيب حال ولا شيء بيننا سوى الإخوة في ا . رد الشاب :إنه يتهمكم بمحاولة تخريب الإتحاد ، وتشجيع (المولوية) ـ أي العلماء ـ على الخروج من الإتحاد وتشكيل حزب خاص بهم ،و بأنكم مرتبطون بأجهزة إستخبارات أجنبية تحرككم ضد الإتحاد وضد (الجهاد الأفغاني) . وقد قال عنك أنك مرتبط بالمخابرات الأمريكية والمنياوي بالمخابرات الألمانية ، وعن أبو أسامة أنه حاقد على الجهاد.
ضحكت ، وشر البلية ما يضحك ، فقد وقع ما لا أتوقعه على الإطلاق أو حتى يخطر في بالي.
يبدو أن سياف قرر أن يسحقنا ... تساءلت في نفسي عن السبب، كان يمكنه ببساطة أن يرفض المشروع أو يؤجل بحثه . هل شعر أن هناك من فهم حقيقته وسوف يطعن في أهليته؟،
فبدأ هو بالهجوم ، وهاجم بأسلحة الدمار الشامل بالإشاعة وتلويث السمعة ... مستغلا سمعته العالية ومصداقيته كزعيم إسلامي للجهاد . بل وأبرز زعماء وأمراء ـ الحركة الإسلامية ـ على الإطلاق وأميرا للجهاد في أفغانستان، أهم قضية في عالم اليوم ،ومسنودا بالقوة الدولية للإخوان المسلمين التنظيم الأكبر والأضخم والأكثر نفوذا في عالم الحركة الإسلامية،و بالحكومة السعودية، صاحبة الحول والطول وكنوز قارون من (البترودولار) .
هذا العملاق يتحرك لسحقنا نحن ؟ ... فمن نحن ؟... وماذا معنا من قوة وماذا خلفنا من سند ؟ ... وإلى من نشكو ؟ ... ومن يحكم بيننا ؟ ... وإذا تكلمنا فمن حتى سيستمع إلينا ؟
ومن يصدقنا إذا تكلمنا ؟ ... وهل يخطر في بال مسلم على سطح الأرض في لحظتنا هذه أن سياف يكذب ويحتال ويسرق ويتآمر مثل بقية (الزعماء) على سطح المعمورة ؟ .
لخصت ما حدث لضيفي الشاب السعودي وأوضحت له أن الأمر أبسط من هذا وهو لا يتعدى محاولة للإتفاق على برنامج عسكري تحت رئاسة سياف كأمير للجهاد ، وكان بصحبتنا عدد من خيرة العلماء المجاهدين ، وأيضا فإن الخطة قد أشرف عليها وأعدها أفضل ضابط لدى سياف وهو الرائد جولزراك ، وأنني جالس الآن مع المنياوي في بيشاور بلا عمل سوى إنتظار حضور سياف وإصدار قرار مجلس الشورى .
إنصرف الضيف ، ولم تنصرف الهواجس .. وفي اليوم التالي تأكدت الإشاعة وإنتشرت وأخبرني طبيب عربي بأنه سمعها متداولة في مجالس بعض العرب ، فهم يتحدثون عن المؤامرة التي يحركها بعض العرب ويذكرون الأسماء التي لا يعرفون أصحابها بإستثناء قلة منهم تعرف أبو أسامة .أصبحت إقامتنا شاقة ونحن نعد الساعات. إنصرف المنياوى وبقيت وحيدا فى بيشاور حتى جاء يوم الأربعاء .
في الصباح إستأجرت (ركشا) حتى مبنى مجلس الشورى وكان يقع في مبنى واسع لمدرسة تبعد عن بيشاور عدة كيلومترات على طريق إسلام آباد. قابلت مولوي نصر ا منصور وكان يشغل منصب سكرتير الإتحاد ويتولي سكرتارية مجلس الشورى. فسألته عن الأخبار، فقال بأن سياف لم يحضر ولكنه أرسل رسالة خطية إلى حكمتيار الذي يتولى رئاسة هذه الجلسة ولا ندري ماذا كتب فيها .
إنتهت الجلسة مع أذان الظهر فسألت مولوي منصور عن أخبار مشروعنا فقال : عند أذان الظهر

قام الأعضاء يريدون الإنصراف للصلاة وكان حكمتيار على المنصة فطلب منهم الإنتظار لسماع ما جاء في رسالة وصلته من سياف . فإنتظر الأعضاء وهم وقوف ، فقرأ عليهم محتويات الرسالة بسرعة ومن ضمن ما فيها طلب من سياف بأن يعتمد المجلس مبلغا للعمليات العسكرية في باكتيا. فأشاح الأعضاء بأيديهم وكل منهم يدلي بتعليق مختلف وانصرفوا إلى الصلاة وإنتهت الجلسة!! .

قلت له : هكذا ؟ ... قال : هكذا ... . فسألته : وماذا نفعل الآن؟ . فإقترح الإنتظار إلى الأسبوع القادم ، فربما يحضر سياف . فقلت له : وربما كان ذلك غير ممكن .

ثم سألته عن موضوع بانشير ، وكنت أعلم بأن المجلس يبحث منذ شهرين في إقتراح بإرسال مساعدات مالية إلى هناك.

وكانت العمليات الأخيرة قد إنتهت منذ عدة أشهر ولم يصل إلى بانشير أي شيء من الإتحاد.

فقال مولوي منصور : لقد أقر المجلس مساعدة أحمد شاه مسعود بمبلغ مليوني روبية. فعلقت على ذلك قائلا إن المبلغ قليل ثم أنه يذهب بعد فوات الأوان .

فرد قائلا : ليته يصل ، فقد إعترض بعض الأعضاء من جماعة حكمتيار قائلين بأن المبلغ يجب ألا يذهب كله إلى مسعود بل يجب أن يوزع بالتساوي على قادة جميع الأحزاب في بانشير، وبناء على هذا الإقتراح قرر المجلس تشكيل لجنة وإرسالها إلى بانشير لتقرير الطريقة المثلى التي ينبغي أن يوزع بها المبلغ المذكور في حالة وصوله ! ! .

ضحكت حتى كدت أنسى همومي ... هل ما أسمعه الآن أحد المشاهد الهزلية في مسرح (نجيب الريحاني) ؟ أم أنه من مشاهد شورى المجاهدين؟ ...

وسألت مولوي منصور: أهكذا يدار الجهاد؟.لقد صدق أبو أسامة، إن مشروعنا لن يرى النور أبدا.

ثم قصصت عليه ما وصلني عن سياف فإندهش لما يسمعه .

تمنيت أن أغادر بيشاور بأسرع ما يمكن ،فالمشروع الذي ظنناه فرصة سانحة لتحويل المسار الجهادي للعرب والأفغان ، نحو الجدية والإتحاد الحقيقي ، إنقلب علينا بأسوأ العواقب وكان أسوأ كارثة نواجهها في عملنا الأفغاني .

تأثرت بشدة كل خطواتنا التالية ،فقد أصبحنا نواجه قوى لا طاقة لنا بها، وجميعها قوى تملك من قدرة الفعل والتأثير القدر الهائل ، بينما لا نملك نحن أي شيء من ذلك .

** في منتصف رمضان إجتمعنا في أبو ظبي حتى نبحث في آثار الكارثة التي حدثت وماذا يمكننا عمله بعد ذلك . لقد وصلت تعليمات سياف إلى دوائر الإخوان في الإمارات ومصر ، حتى إلى الجماعة الإسلامية في باكستان . الجميع الآن يعرف المؤامرة والمتآمرين ، ويتمنى القضاء عليهم خدمة للإسلام .

كان الحاج سيف هو الأكثر شجاعة وهجومية . فقد هاجم الإخوان بعنف ودافع عنا دفاعا مجيدا ، وأظهر في ذلك شجاعة أدبية نادرة . فقد كان من الممكن أن يحرقه الشرر المتطاير من تلك الإتهامات ويقضي عليه معنا . وسمعتها منه وهو يخاطبهم بحدة:

إذا كنتم تتهمون هؤلاء بأنهم عملاء فاتهموني معهم لأنني منهم، هل يجرؤ منكم أحد على إتهامي؟ ...

كان الرجل العجوز فارسا حقيقيا في ميدان يشكومن ندرة الفرسان . ميدان العدل والصدق ، وقول الحق في المواقف الصعبة ، لقد رأيت الكثير من صناديد القتال يجبنون في أمثال تلك المواقف .

لم يكن موقفنا على كل هذه الدرجة من السوء التي توقعناها . فقد كان إقحام أبي أسامة معنا

عملا رائعا قوي موقفنا وأضعف موقف الخصوم . فالرجل ذو هيبة ومصداقية داخل الإخوان ، رغم كونه دائم الهجوم على سياساتهم .
لو يوجه سياف أي اتهامات للقادة الأفغان الذين رافقونا إليه، ولكنه وجه إتهاما مبهما يمس الجميع ولا يتهم أحدا بالتحديد . وإن كان حقاني تأثر مستقبلا بهذا الإتهام الذي روجه سياف سرا ، بأن حقاني يسعى نحو إنشاء حزب مستقل ـ وكانت تلك التهمة كفيلة بالإضرار بسمعته والإضرار بالمساعدات التي كانت تأتيه بشكل مباشر من العرب الذين تعرفوا على نشاطه الجهادي في الجبهات .
الدكتور عبد ا عزام ـ العربي الأول علي الساحة الأفغانية ـ مال إلى جانبنا ولم يشارك في هستريا العداء ضدنا خاصة وهو تلميذ سابق في معسكر أبو أسامة الذي أقامه في أغوار الأردن في الستينات كي يدرب فيه أفراد الإخوان . لذا رفض الإتهامات التي يروجها سياف ولكن بهدوء حتى لا يعرض علاقته مع سياف للخطر ، وحتما أنه رأى أن ذلك أسلم لمصلحة المسلمين ، فليس من الحكمة أن يثير مشكلة كهذه لا تتعلق إلا بشخصين أو ثلاثة وتؤدي هذه المشكلة إلى الإضرار بعلاقته مع سياف التي يرى أنها مؤثرة للغاية في علاقة العرب بالجهاد وبالتالي في مستقبل الجهاد ذاته .
ومع هذا فقد أعجبني موقف الحاج سيف ووجدته أكثر أخلاقية وأكثر إسلامية بالتالي .
فإذا نحن تركنا (للأمير) الكبير حق النيل من الأعراض والتجاوز علي العباد ، فنحن إذن نجهز في (طاغوت) ولكنه إسلامي ! ! إذا جاز ذلك الجمع بين النقيضين . وهكذا أصبح سياف حاليا ومعه حكمتيار ورباني وغيرهم . فقد إعتادوا التجاوز على الشريعة ولم يقف في وجههم أحد ليأمروينهى ، وكان من المسموح ـ كما هي حالتنا ـ هضم حقوق الصغار الضعفاء حتى لا يغضب الأمراء الأقوياء أولو الحل والعقد .
فدار الزمن وتحول الكبار إلى طواغيت يقتلون بلا حساب ويطأون أجساد المظلومين ويتجاهلون الشريعة .
لم يكن موقفنا سيئا للغاية لكون الأيام القليلة ما بين جلسة الشوري التي تكلمنا عنها وبين مغادرتنا بيشاور لم تمض بلا فائدة .
فقد تناقشنا فيما يمكن عمله ، علي ضوء أنه لم تصلنا إجابة صريحة ومباشرة من سياف.
وعلى إعتبار أن القادة الذين تكلمنا معهم مازالوا مرحبين بالفكرة وأبدوا إستعدادا لتنفيذها ولو علي نطاق داخلي فيما بينهم حتى يكتشف سياف صحة خطتهم وإستحالة تحقيق شيء في الميدان العسكري بالشكل الذي يعمل به عندها يمكنه أن يلحق بهم أميرا على المشروع.
وطالما أن العرب أصبحوا جزءا عضويا في المشروع فلا بد من وضع إطار لهذا التواجد .
فقررنا أن مكتب الإتصال الذي كنا نفكر فيه وعرقله سياف، لا بد من إحيائه مرة أخرى مرتبطا بالمشروع .
كانت الفكرة واضحة . العرب يتحملون التمويل ولا بد أن يشرفوا على عملية الإمداد ـ وكونها تسير طبقا للخطة العسكرية وليس الإعتبارات الشخصية أو القبلية أو الحزبية ـ وكان من المفهوم بيننا أن (مكتب الإتصال) طالما هو في ذلك الموقع فإن إشرافه على المتطوعين العرب يصبح ممكنا ومفيدا . فإذا توافرت عناصر عسكرية ذات خبرة فهي تشارك على مستوى القيادة العسكرية مع الأفغان ـ وبالنسبة للأفراد فيمكن توجيههم إلى معسكرات التدريب.
وكانت إتفاقات قد تمت مع مولوي منصور بشأن إستخدام معسكر قيس التابع له في تدريب العرب

قبل إشراكهم في المعارك .
فالتواجد العربي القتالي سوف يمتد من القيادة حتى الخطوط الأولى للقتال مرورا بعمليات التدريب وعمليات الإمداد . فهو إذن تواجد شامل فعال قائم على خطط للعمل العسكري الجماعي في المناطق الأكثر أهمية للعمل الجهادي .
وهذا الحل السعيد الذي إرتأيناه قد حل مشكلة التمويل التي كانت تعترض فكرتنا الأصلية ـ بإنشاء قوة تدخل سريع إسلامية ـ فتلك القوة سوف تنشأ من باطن العمل الجهادي نفسه وباستخدام نفس مصادر التمويل .
كان من مهام مكتب الإتصال بحث المشاريع التي تفيد الجهاد ثم العمل على تنفيذها . وكان على قمة الإهتمام في ذلك الوقت موضوعي التصنيع والتدريب .
فور وصولنا إلى بيشاور في رحلتنا وقبل أن يتحرك سياف إلي جاجي كنا قد أمسكنا خيوطا جديدة في الموضوعين .
بالنسبة للتصنيع وجدنا أن مولوي نصر ا منصور قد أنشأ مصنعا للذخائر في منطقة (دارا) (50 كم من بيشاور في منطقة القبائل) وذلك بالتعاون مع الرائد (رشيد) صديقي القديم .
كانت مفاجأة سارة وغير متوقعة . طلب مني المنياوي أن أذهب منفرد لرؤية المصنع مع مولوي منصور و (رشيد) ، وذلك لسببين الأول أنه اعتبرني مسؤولا عن مثل تلك الموضوعات فهي لا تشغله كثيرا ، والسبب الثاني أنه غير مرتاح لهذا (الميجور رشيد) .
ولم يكن ذلك مستغربا من صديقي الصعيدي ذو المزاج الحاد .
عبرنا (دارا) وقبل صعود جبل (كوهات) المرتفع إنحرفنا يمينا في طريق ترابي حتى إحدى القرى الداخلية في بطن الجبل . وفي بيت واسع ذو سور مرتفع كان مصنع الذخائر يخطو أولى خطواته. كانت المعدات قليلة وقديمة تم شراؤها من السوق المحلية ـ وهذا هو الحل الأسهل والمتاح ـ كان هناك فرن لصهر المعادن وفرن للمعالجة الحرارية، وثلاث مخارط إحداها ضخمة جدا . هذا عدا المكابس ومكشطة واحدة ... وهكذا . كانت المعدات أكثر مما توقعت .
كانوا يعتمدون على التيار الكهربائي المأخوذ من شبكة الحكومة وهي لا تكفي لاحتياجات المصنع . وكانوا يعملون في حفر بئر لتوفير المياه ، كذلك بناء عدة غرف للطاقم الدائم للمشروع . كان المصنع مسجلا باسم أحد زعماء المنطقة المحليين وكان صديقا لمولوي منصور، فليس مسموحا للأفغان أو لغيرهم من الأجانب بالتملك أو إفتتاح تلك المشاريع في المنطقة .
كانت خطة التصنيع طموحة ، فقد إنتهوا من تصنيع جسم قذائف الهاون 82مم وكانوا بصدد الإنتهاء من كبسولة التفجير الخاصة بها .
وتناقشنا طويلا مع رشيد والفنيين وهم من أهل المنطقة، حول الذخائر الخفيفة والمتوسطة للرشاشات. وامتد النقاش ليشمل أساس فكرة الإكتفاء من العتاد الأساسي للأسلحة ... ثم كيف ننقل كل هذا إلى أفغانستان لأن الفكرة هي الإستغناء عن باكستان ـ التي قد تغلق حدودها في أي وقت.
فقال مولوي منصور أنه ينوي نقل المصنع بعد إستكماله وإنهاء التجارب الضرورية إلى داخل أفغانستان في (أورجون) في منطقة جبلية حصينة قبائلها موالية له.
ومن أجل حماية ذلك الموقع فإنه ينوي تجهيز قوة خاصة قوامها حوالي مائة مجاهد مدربين تدريبا عاليا .
وهنا تحولنا تلقائيا إلى الشق الثاني من مشروعنا وهو التدريب ، فعلمت أن لديهم معسكر تدريب يدعى معسكر قيس في المناطق الحدودية قرب أفغانستان . في منطقة صدى القبلية ،

(وهي المنطقة التي إفتتح فيها سياف معسكرا للتدريب وإتخذ العرب منها موقعا خاصا للتدريب منذ عام 1985م تقريبا) .
إنها نفس المشروعات التي نبحث عنها ... هذا هو التدريب الخاص في معسكر قيس ، بينما نبحث عنه في أوروبا ... فمن يقوم بهذا التدريب وما هو مستواه ؟ وما هي خطة الإستفادة منه ؟ هل هو تدريب للقتال في أفغانستان كلها ،أم لمجرد حراسة مشاريع مثل هذا المصنع ؟ .
أجابني مولوي مصور ورشيد عن تلك التساؤلات ... وعلمت أن الذي يقوم بالتدريب في المعسكر ضباط متقاعدون من الجيش الباكستاني . ولا أدري الآن إذا كانت تلك المعلومة صحيحة أم لا ... فقد كان دور باكستان في التدريب مجهولا لدينا كذلك عمق تدخلها في المواضيع العسكرية للمجاهدين ... وإن كنت أظن أن مولوي منصور ورشيد كلاهما صاحب نزعة إستقلالية شديدة وما زلت أستبعد أنهما كانا تحت نفوذ باكستاني مباشر في مشاريعهما تلك، ويقوي هذا الظن أن جميع تلك المشاريع قد أفشلتها باكستان كما سنرى.
كان رشيد ينوي إعادة تدريب وتنظيم جماعة مولوي منصور من مختلف المحافظات وقال أنه بدأ دورات لرفع كفاءة قادة المجموعات وعقب الإنتهاء منها سوف يشرع مع مولوي منصور في عملية إعادة التنظيم لقوات الداخل طبقا لخطة متكاملة .
غير أن المشكلة المالية تقف حائلا صعبا دون ذلك البرنامج الطموح . فإقترحت أن يتحول البرنامج من خطة صغيرة لتنظيم صغير إلى خطة إتحادية تشمل كل المستعدين للإنخراط فيها ، فتكون العملية بالتالي هي عملية إعادة تدريب وتنظيم قوات المجاهدين الأفغان تحت قيادة واحدة.
وطالما أن العرب بدأوا يتوافدون وتزداد تدريجيا مشاركتهم المالية والبشرية ، فلا بد أن نجعل لهم دورا متناسبا مع قدراتهم على المشاركة .
مثل مجالات الدعوة والتخطيط ومعسكرات التدريب والمجموعات القتالية ، وفوق هذا كله توفير مصادر التمويل للبرنامج القتالي ... بعيدا عن سيطرة الدول والحكومات بأنواعها .
كانت الفكرة جذابة ويصعب رفضها. وظلت قدراتنا علي التنفيذ أدنى بكثير من قدراتنا على الحلم، خاصة وأن أعداء هذا الإتجاه جهزوا خطوطهم الدفاعية وشنوا هجوما وقائيا ناجحا ..
فدمروا آمالنا بشكل كامل ولكننا أوجدنا بعض البدائل طبقا للإمكانات المتاحة، ونفذنا بها بعض الأعمال الناجحة . كما أن المعسكر المعادي لنا لم يستطع إجهاض الدور العربي كله ، وإن نجح في إهدار معظمه .
قادة باكتيا الذين حاولوا معنا في جاجي طالبونا بالإستمرار في المحاولة . ومولوي جلال الدين حقاني بدأ مشروعا صغيرا داخل قاعدته في جاور لإنشاء ورشة صغيرة لإصلاح الأسلحة .
يقوم بالعمل فيها عمال مهرة من منطقة القبائل على أن يتدرب على أيديهم عدد من الشباب الأفغاني من صغار السن . ولما تبين له عدم اكتمال تجهيزات جاور قرر أن يبدأ قريبا من الحدود داخل باكستان حتى تتم تجهيزات الداخل ـ أي كما فعل مولوي منصور في مشروعه .
حقاني قرر بدء عمليات عسكرية من مناطقه كنوع من الدعم لسياف في جاجي وكنوع من البداية العملية للمشروع المتفق عليه ولو على نطاق صغير .
وقدمنا له مبلغا صغيرا كان معنا لتشجيعه على البدء بلا تأخير .
وكان المبلغ 635 ألف روبية باكستانية ، على أن نحاول توسيع العمليات من جهته وزيادة المعونات المرسلة إليه في أقرب فرصة أو أثناء زيارته لمنطقة الخليج مع موسم الحج القادم .
أحد المتبرعين من قطر إقتنع بفكرة مصنع الذخائر فوعد بمساعدة مالية.

مع الشيخ الجزائري:

إذن كانت هناك حركة في الإتجاه المطلوب . أما التقدم غير المتوقع فجاء مع زيارة الشيخ أبو بكر الجزائري إلى بيشاور .وكان وقتها يتمتع هو وباقي علماء السعودية بسمعة طيبة واحترام كبير في أوساط بيشاور العربية .

جاء الشيخ لاستطلاع الأحوال ومحاولة الإصلاح ، كعادة (العلماء المخلصين) في ذلك الوقت . في بيت هادئ بأحد الضواحي غير المطروقة جعلوا للشيخ مضافة خاصة به . وبناء على موعد مسبق ذهبت لزيارته برفقة الطبيبين عبد الرحمن و سيد أحمد .وكانا يعملان في خدمة المهاجرين الأفغان ويؤسسان هيئة إغاثية جديدة هي (إسرا) . وكلاهما كان على علم بتطور مجهوداتنا، ورغباً فى مناقشة الشيخ فى هذا الأمر على أمل إصلاح مسيرة الجهاد . كان الشيخ الجزائري برفقة الدكتور (العظمة) من السعودية ، وجلسنا جميعا لتبادل وجهات النظر والمشورة .

فوجئت بفراسة الشيخ الجزائري وإلمامه العميق والصحيح للوضع في بيشاور ، وقد كانت قلة نادرة تمتلك تلك الرؤية الصحيحة للوضع من خلف كل تلك الضوضاء والصخب المضلل .

قال الشيخ أهم ما عنده وهو : (لقد قضيت أكثر من شهر مع هؤلاء القادة وأنا على يقين أنهم لن يتحدوا وأن كل منهم لا تشغله سوى مصالحه الشخصية ، لقد ذكروني بقادة جبهة التحرير الجزائرية عندنا في الجزائر ، إنهم نفس النوعية) .

لقد أثبتت تجربة أفغانستان عمق تلك الرؤية وصدقها، فالإدعاءات الإسلامية لقادة أحزاب بيشاور الجهادية لم تتعد كونها قشرة طلاء مصطنعة لحقيقة غير إسلامية ، وربما معاديه للإسلام .

شرحنا له الكثير من التفاصيل حول مشروعنا وأهدافه وهي باختصار:

محاولة تجميع المساعدات العربية في وعاء واحد تشرف عليه هيئة واحدة. علي أن يتم توجيه تلك المعونات داخل أفغانستان، وفقا لمشاريع محددة ، يشرف العرب بأنفسهم على سلامة سيرها .

وقلنا له إن العرب يجب أن يتوقفوا عن دفع أموالهم لقادة الأحزاب، أو ضخها في باكستان و بيشاور للإنفاق على المهاجرين ، فيضعف بذلك الجهاد وينتهي، وتتحول قضية أفغانستان إلى قضية لاجئين .

إنتهت الجلسة بقناعة تامة من جانب الشيخ وقال : هذا هو مشروع المستقبل سوف أتكلم مع العلماء والتجار والأمراء والمسؤولين ، وسوف أقترح عليهم تشكيل لجنة تطوف بالدول الإسلامية تدعو إلى مساعدة الجهاد ، وهذه اللجنة تشرف على جمع المعونات وتوجيهها بما يرضي ا ويقوي الجهاد .

إعتبرنا وقتها إنضمام الشيخ الجزائري إلي المعسكر المنادي بتوجيه الأنظار والمجهودات إلى داخل أفغانسان ، إعتبرنا ذلك نصرا لا شك فيه ، وإن كنت قد شعرت بالقلق من أن تتولى السعودية ، القفز فوق هذه الموجة ، وتطويعها لمفهومها الرسمي ، الذي هو غير إسلامي من وجهة نظري وقتها . وقد دعاني إلي القلق حديث الشيخ الجزائري عن (الأمراء والمسؤولين) ، فذلك يهدد التحرك المنشود بأفدح العواقب ... وكان علينا أن ننتظر لنرى النتائج .

ولم يطل إنتظارنا كثيرا فقد كان موسم الحج لهذا العام هو نقطة إنقلاب في المشاريع العربية في أفغانستان . وحدث ما توقعته بأن قفزت الحكومة السعودية إلي داخل القطار الجديد ،

وأمسكت معظم مفاتيح التوجيه فيه . فجاء تيار العمل داخل أفغانستان مكبلا بالرؤية السعودية الرسمية ، من حيث يشعر أو لا يشعر، قادة ذلك التوجه . ولكن السياسة السعودية فشلت في نهاية الأمر بنسبة معينة بحيث أسفر العمل داخل أفغانسان عن بعض الفوائد الحقيقة للتوجه الجهادي في الحركة الإسلامية العربية .

بن لادن فى شباك جاجى

نجحت (مدينة الألعاب النارية) التي افتتحها سياف في جاجي، وبهرت شباب العرب المندفع حماسا ، وجماهير الرفاهية في السعودية. فكانت بالنسبة للجميع عالما جديدا مفعما بالروحانيات والإثارة . وفتحت شلال الدولارات على صاحب الملهى .

وصمم سياف شبكة ملاهية بشكل مدهش . فملهى الإستقبال والتهيئة في (بابي) القريبة من بيشاور ، وملهى آخر للألعاب النارية وقمة الإثارة النفسية في جاجي ، الملاصقة تماما لحدود باكستان ، بعد حوالي ثمان ساعات بالسيارة في رحلة عجيبة في أرض القبائل التي تذكر المرفهين بأجواء ألف ليلة وليلة والشاطر حسن .

وبلغ الإتقان حدا كبيرا ، حتى أن أحد كبارالدعاة فى ابوظبى قام بزيارة الى تلك الملاهى، وجلس يحكى عن مغامراته لشباب الإخوان الملتفين حوله ، ويصف لهم كيف أنه تحرك سبعة ساعات كاملة في سيارة وهو يقطع الأرض الأفغانية المحررة من بابي حتى جاجي ! ! .

لقد تصور الرجل لفرط طيبته وحماسته أن أفغانستان تبدأ من بابي ، وأن المسافة بين الملهى الأول (بابي) إلى الملهى الثانى (جاجي) هي أرض قد حررها سياف ! ! .

ولا أدري إذا كان هو قد أوهم نفسه وخدعها ، أم أن فريق التمثيل التابع لسياف ،من كبار أنصاره من أفغان وعرب ـ قد كذبوا عليه وأوهموه .

إصطادت شباك سياف الكثير من الأسماك العربية ، وكانت أكبر الأسماك التي وقعت في الشباك في بدايات تكوين (جاجي) هو أبو عبد ا (أسامة بن لادن) الذي كان هناك في أواخر رمضان 1404هـ ، أي بعد وقوع أزمتنا الكبرى مع سياف بحوالي ثلاث أسابيع .

لا شك أن سياف شعر بسعادة بالغة بهذا الصيد الثمين ، فأبو عبد ا هو أكبر المتبرعين و المناصرين لجهاد أفغانستان ـ أو من أكبرهم ـ وبالتالي فهو أكبر مصادر التمويل لسياف .

لقد كسب سياف من وقوع ذلك الصيد في شباكه عدة ملايين من الدولارات في وقت قصير .

ولكنه لو كان يدري الغيب أو تنبأ بتوجيهات أبو عبد ا مستقبلا ، لتمنى عدم حضور أبي عبد ا ولمنعه من دخول جاجي بل ودخول أفغانستان إن استطاع .

لا شك أن زيارة أبو عبدا غير المتوقعة قد فتحت صفحة جديدة وحاسمة في الدور العربي داخل أفغانستان . لم يكن أحد يدري بذلك أو يتوقعه ، حتى أبو عبد ا نفسه .

إن حياة أبي عبد ا أخذت منحنى جديدا بزيارته تلك إلى جاجي وهى أول زيارة له لأرض أفغانستان ـ وسوف نستعرض تلك الزيارة في وقفة خاصة ـ ولكننا نقفز الآن إلي نتائجها المباشرة كي نربطها بنتائج تحركاتنا التي كانت تدور في نفس الوقت ، لنرى إلى أي حد إلتقت النتائج وإختلفت في آن واحد .

لنتوقف قليلا مع ذكريات أبو عبد ا في زيارته الأولى لأفغانستان(كما وردت في كتاب صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان ـ الجزء الأول ـ للكاتب باسل محمد) .

يقول تحت عنوان جاجي نافذة على بعض الحقيقة: {حتى الربع الأول من عام 84 كان تردد أبو عبد ا (أسامة بن لادن) على الجماعة الإسلامية في لاهور لتسليم التبرعات دوريا ... وحثيثا ... ومتواصلا . لكن أسامة ظل متهيبا من دخول الجبهات أو حتى مجاوزة لاهور وإسلام آباد إلي بيشاور ... وعندما تطوف ذكريات هاتيك الأيام في ذاكرة أبي عبد ا يستعرضها بمرارة كبيرة ويقول: حتى عام 1404هـ ظل التهيب من المشاركة الجسدية ماثلا أمامي بشتى السبل والوسائل ، والأعذار كثيرة في هذا للمثبطين ، وإن كان تثبيطهم بحسن ظن حيث أنهم ألفوا هذا الجو في العالم الإسلامي ... وعلى هذا الحال إستمرينا للأسف وأقول للأسف الشديد إلى رجب عام 1404هـ حيث دخلنا لأول مرة معسكرات القتال والجهاد في الداخل }...

وعن نفس هذه المثبطات يتحدث د. عبد ا عزام فيقول :

(كان الأخ أسامة بن لادن قد جاء إلى إسلام آباد عام84 م يحمل مساعدات ، وكان متهيبا من أن يصل بيشاور ، فبعض العقلاء كانوا يوصونه بذاك حتى لا توضع عليه العيون وحتى.. وحتى ... فقلت له لا تستمع لأحد وإذهب إلى جاجي فالشيخ سياف هناك ....)

وعلى هذه الفقرة نعلق ونقول بأن حالة الخوف والرهبة كانت سائدة وثقيلة جدا في أوساط الشعوب الإسلامية وأوساط الإسلاميين الحركيين أنفسهم ... الرهبة من القتال والتي يغطونها بتأويلات شرعية عديدة مثل إشكال فرض الكفاية وفرض العين في القتال، ومثل الدعوة والإعداد ، وإذن الوالدين وإذن قادة التنظيمات ... الخ .

وهناك خوف ورهبة أخرى أشد هي الرهبة من (الإستخبارات) التي صارت تمنع الغالبية العظمى من الإسلاميين من فعل أي شيء اللهم تلك الأشياء البسيطة التي ترصدها الإستخبارات أيضا وتختزنها لديها كي تستخدمها ضدهم عندما يستدعي الأمر إلقاء القبض عليهم وتعذيبهم لوقف نشاطهم . أي أن الخوف من الإستخبارات ، منع هؤلاء من فعل ما يجب فعله ولكنه لم يمنعهم من كشف أنفسهم للإستخبارات بألف خطأ وخطأ.

وتعليق حول دور الجماعة الإسلامية الباكستانية كوسيط (مؤتمن) من جانب المسلمين خاصة هؤلاء الذي يأخذون بتوصيات الإخوان المسلمين في العالم العربي . فقد كانت الجماعة الإسلامية في نظر هؤلاء هي مصدر المعلومات الموثوقة ، والتقديرات الدقيقة ، والنزاهة التي لا ترقى إليها الشكوك فيها يتعلق "بالجهاد الأفغاني" . فكانت الجماعة هي القناة الرئيسة لتوصيل التبرعات العربية ومن مسلمي أوروبا إلى مجاهدي أفغانستان .

وحسب معلوماتي في ذاك الموضوع ، أن كل تلك الثقة أو معظمها لم تكن في محلها . وفي ظني أن دور الجماعة الباكستانية تجاه قضية أفغانستان كان أبعد ما يكون عن الصفة الإسلامية . فقد كانت الجماعة وما تزال تمثل إمتدادا باكستانية / أمريكيا داخل القضية الأفغانية . ومن حيث الأمانة فإنها لم تكن فوق الشبهات وأذكر مشكلة كانت بينهم وبين صديقنا أبو أسامة (عبد العزيز علي) بشأن ستة سيارات إسعاف توسط هو بشأنها كي تنقل من ألمانيا ـ تبرعا من الجالية الإسلامية هناك ـ إلى إخوانهم الأفغان . وبعد عدة أشهر جاء أبو أسامة إلى باكستان ليجد أن السيارات تعمل في أحد مستشفيات الجماعة قرب مدينة لاهور الباكستانية .

فغضب وثار ولكن كبار مسؤولي الجماعة طمأنوه بأن هذه المستشفيات أيضا تقدم خدماتها إلى المجاهدين الأفغان (المسافة بين لاهور وبيشاور أكثر من 400كم) . وقد كان التوسع الكبير

فى مشروعات الجماعة ومنشآتها منذ بداية الحرب الأفغانية موضع تساؤل بل وتندر داخل باكستان وأوساطها السياسية والإعلامية .
وفي ظني أن دور الجماعة الباكستانية لا يقل سوءا ـ إن لم يزد ـ عن دور الإخوان تجاه أفغانستان بل والقضية الإسلامية في العالم .
ومازالت الجماعة الباكستانية تعتبر حتى الآن أحد أعمدة القتال الدائر في كابل ـ إلى جانب حكمتيار ضد رباني وسياف ـ ولها مراكز تدريب داخل أفغانستان يتخرج منها العشرات ثم يتوجهون للقتال في كابل عدة أشهر ـ وذلك تمهيدا للقتال في كشمير مستقبلا ! !
ولم يحدث خلال فترة الجهاد التي قاربت أربعة عشر عاما ضد الشيوعيين في أفغانستان أن إفتتحت الجماعة معسكرات تدريب لعناصرها من أجل الجهاد في أفغانسان .
بل لم يكن سرا إتفاق الجماعة مع (ضياء الحق) على ألا تدعو الجماعة أفرادها أو الشعب الباكستاني إلي الجهاد في أفغانستان.
وقال لهم ضياء الحق :(لا أريد قضية أفغانستان هما شعبيا ... ويجب أن تظل محصورة في إطار المساعدات الإنسانية) . ولم تخترق الجماعة ذلك الإتفاق ولو لثانية واحدة .
وذلك لم يمنع أفرادا من الجماعة من الذهاب إلى أفغانستان والجهاد هناك ـ وهذا ما حدث مع أفراد من الإخوان المسلمين أيضا ـ ولكن ذلك تم خارج سياسة الجماعة ، وإجتهادا من أشخاص لم يتمالكوا مشاعرهم الإسلامية وإنساقوا خلفها رغما من أوامر الجماعة وسياستها المعلنة .
ولعل أكبر إنجازات الشيخ عبد ا عزام كانت كسر حالة الجمود والخوف والقيود المصطنعة التي كبلت الشباب المسلم ومنعته من المشاركة الإسلامية في ميادين القتال . سواء تلك العقبات النابعة من الجماعات الإسلامية نفسها وما تثيره من رهبة أكثرها على غير أساس واقعي ،وبعضها صحيح قطعا.
وقد تبنى أبو عبد ا نفس المنطلق ـ منطلق إيقاظ الأمة وبث روح الجهاد والقتال في سبيل ا بين شباب المسلمين ـ وشباب الجزيرة بشكل خاص .
كانت منطلقات الرجلين متطابقة ، ولكن أسلوب عملها متباين كما سنشرح ذلك .
أما المنطلق الذي كنت أسعى إلى تحقيقه فيمكن إعتباره منهجا ثانيا من ناحية المبدأ ـ وطريقا ثالثا من حيث العمل.فلم أكن أرى في ذلك الوقت أن إلهاب عواطف الأمة وإثارة حماس شبابها للقتال، ليس هدفا نسعى إليه حاليا ، فالأجدى هو نشر الوعى المتبصر وليس الحماس الأهوج.
وأنه من الخطر إثارة المشاعر الملتهبة،فى ذلك الوقت تحديدا، لإعتبارات عديدة منها:
1ـ أنه لا يمكن إبقائها على نفس الوتيرة من الحماس . إلا إذا مارسنا سياسة غوغائية مثل تلك التي إتبعها عبد الناصر أو القذافي وصدام وغيرهم من القيادات الثورية الفاسدة.
قد نضطر في سبيل ذلك إلى الكذب أو التصنع ، إلى غير ذلك من الأساليب غير الإسلامية التي لا نوافق عليها بالطبع."**وقد حدث ذلك بكل أسف**"
2ـ أن الحماس عبارة عن وميض مؤقت مفعوله كبير جدا ولكن لوقت محدود للغاية . وإذا لم يصل المتحمس ـ والمصيبة إذا كانت جماهير من المتحمسين ـ إلي هدفها الذي تحمست له بسرعة فإنها تصاب بالإحباط وخيبة الأمل واليأس. وقد يدفعها ذلك إلى البحث عن مسارات جديدة (غير الإسلام والجهاد) .
3 ـ الأعداد الكبيرة إذا أقدمت على الجهاد فمن المستحيل إستيعابها لا في بيشاور ولا في جبهات القتال . والتكلفة المالية سوف تكون فوق الطاقة . والإنضباط قد يكون معدوما ، والنتيجة

النهائية قد تكون صفرا .
والبديل هو قبول مجموعات صغيرة جدا من الشباب وتأهيلهم تأهيلا عاليا (دينيا ـ عسكريا ـ سياسيا) ليكونوا بمثابة كوادر ـ أو قيادات مستقبلية . وحول هؤلاء يمكن تدريجيا بناء قوة تتزايد طبقا للإمكانات المتاحة وظروف العمل العسكرى ، تكون بمثابة خزان الخبرة الجهادية.
ويمكنها مساعدة المسلمين في أي مكان طبقا للأحداث والظروف القادمة .
كنت في بداية أحداث أفغانستان أتخيل أن الإخوان المسلمين هم المؤهلون لأداء ذاك العمل. ولم أكن وقتها أدرك الصورة الحقيقية لما صار إليه الإخوان المسلمون . وإن تلك الجماعة التي كنت أفكر فيها ليس لها وجود. وأن الإسم التجاري قد تمت سرقته، ولأغراض الإحتيال يستخدمه أقوام آخرون.
كما نرى من حوار الشيخ عبد ا مع أبي عبد ا أنه شجعه على الدخول إلى أفغانستان وأن يذهب إلى جاجي لأن سياف هناك . فدخول سياف إلى جاجي رغم أنه لم يقصد منه دفع العرب وتشجيعهم على الجهاد ، بل فقط مجرد إمتاعهم بعرض مثير لإطلاق النار بهدف إستجلاب إعجابهم فتخرج الأموال من الجيوب . ولكن النتائج غير المقصودة كانت كثيرة جدا في أفغانستان.
فكثير من عرب الجزيرة والسعودية الذين إعتبروا سياف أميرا للجهاد وأكثرهم أعطاه البيعة في تلك الأيام ، قد ذهب خلفة إلى الجبهة ، وبعضهم وعلى رأسهم أبو عبد ا كان ذو شأن عظيم ومساهمات ميدانية كبيرة وغير متوقعة لا تتوافق إطلاقا مع أهداف سياف ـ الإنتهازية ـ ولا أهداف القوى الدولية والإقليمية التي تدير أحداث أفغانستان من وراء ستار.
كان سياف قد أنشأ معسكرا للتدريب الصوري في جاجي ـ على نفقة متبرع عربي .
(الشيخ صالح كامل من السعودية) الذي قال : أريد أن تكونوا كتيبة بدرية عددها 313 مجاهدا كمجاهدي بد ر ، فسمي المعسكر كتيبة بدر .
التدريب الصوري (في كتيبة بدر) والقتال الصوري (في جاجي) تحول فيما بعد على يد الضيف الخجول (أسامة بن لادن) إلى تدريب حقيقي ومعارك حقيقية أحرجت كثيرين ـ وعلى رأسهم سياف ـ وكشفت الكثير من الأقنعة والزيف الذي تشرنق حول الجهاد .
نعود مرة أخري إلى ذكريات أبي عبد ا الواردة في الكتاب المذكور حيث يقول عن زيارته الأولى:(فوجئت بالوضع متدنيا جدا جدا من ناحية الإمكانيات وفي جميع الأشياء، الأسلحة والطرق والخنادق ... وإستغفرت ا سبحانه وتعالى العلي العظيم ، وشعرت أنني أذنبت بسبب سماعي لبعض الإخوة والمشايخ والأحباب فلم أدخل إلى الداخل خشية أن يسبب ذلك حرجا أمنيا ، وشعرت أن هذا التأخير لأربع سنوات لا تكفره إلا شهادة في سبيل ا ...) .
وهذه الفقرة توضح مدى الحرج الذي شعر به الرجل ، وندم على تقصيره وسماعه لنصائح غير صحيحة . ولكنه لم يدرك سبب هذا التدني الذي رآه ولم يحدد أسبابه ، بل قبل تلقائيا ما يقوله سياف تبريرا لهذا الإنحطاط في الإعداد بالنسبة لأهم موقع بالنسبة له ، موقع القيادة العامة التي يباشرها بنفسه وبإسم المجاهدين جميعا الذين يمثلهم الإتحاد رسميا . كان سياف يدعى بأن ذلك غاية إمكاناته ، فليس لديه ما يكفي لتغطية مطالب المهاجرين ، وجبهات أفغانستان التي تحوي ما لا يحصى من المجموعات التي هي في حاجة إلى كل شيء .
كان أسامة بن لادن والشيخ عبد ا عزام يصدقان تلك الدعاوى الكاذبة ، وظلا كذلك حتى وقت متأخر جدا . وحتى إذا سمعا أو رأيا ما يشكك في سلوك سياف وتصرفاته والإنحرافات التي لا تخطئها عين في سلوكيات كبار مسؤولي وقادة مجموعاته ـ في معظمهم ـ بل وتفشت تلك

العيوب في كل الأحزاب ومعظم الجبهات ، كان الرجلان يفضلان الصمت والتغاضي ، حتى لا تفسد علاقتهم مع القيادات الشرعية للجهاد ، وحتى لا ينفض الشباب المتطوع ويرجع عن الجهاد بعد أن تم جذبه بصعوبة بالغة ، بواسطة الكتب والشرائط التي رسمت صورة شفافة جدا وروحانية ، لا نقول كاذبة ، ولكن نقول أنها تمثل شريحة صغيرة وفي تناقص دائم داخل التيار المجاهد في أفغانستان. أما الصورة العامة فهي يوما بعد يوم تزداد كآبة ، ويتزايد الإنحراف بشكل مخيف ، حتى أن المسيرة كلها أضحت مهددة .

لقد حافظ الرجلان على علاقات طيبة وودية على قدر ما أمكنهما طوال الفترة التي قضوها في الجهاد مع القيادات الرسمية لهذا الجهاد ـ خاصة سياف .

ومن جهتي فقد اعتبرت ذلك خطأ على المدى البعيد لأنه تضليل للمسلمين عن الحقيقية ، التي سوف تظهر رغما عن الجميع في يوم ما ـ طبقا لقاعدة : "من الممكن أن تخدع بعض الناس لبعض الوقت ، ولكن لا يمكنك خداع كل الناس كل الوقت" .

كنت وقتها ـ وما زلت ـ من أنصار فكرة كشف كل الحقائق أمام الجميع لأن تلك الحقائق معلومة تماما في كل العالم ـ ما عدا الوسط الإسلامي المتفاعل مع قضية أفغانستان ـ فإنه محروم من تلك المعلومات بل أن معلومات مضللة ومثيرة للعواطف هي التي تروج بشدة بين أوساطه ، وما غير ذلك من معلومات ينظر إليها وإلى قائلها نظرة شكر وريبة . وهذا ما حدث تماما معي . إضافة للهجمات الساحقة التي شنها سياف وأعوانه من العرب . فتقلص دوري وإنكمش بل أصبح مشبوها ومطاردا معظم الوقت

وعلى الجانب الآخر ، فإن سياسة الشيخ عبد ا وأسامة بن لادن قد أدت نتائج إيجابية لا يمكن إنكارها . فقد نجحت في إجتذاب آلاف الشباب المسلم من كل أنحاء العالم، معظمهم شارك في الجهاد وإستفاد كثيرا من دروسه النفسية والمعنوية ، وبعضهم تدرب بدرجات متفاوتة. وإن كان الجميع قد إكتسب قدرة ومناعة فى مواجهة الأخطار الماحقة للقتال غير المتكافئ أمام قوى عظمى مثل السوفييت .

مثل هذا الإقبال الجماهيري الواسع ، والمشاركة المباشرة في الجهاد ما زالت آثارها، وسوف تظل لمدى بعيد، تتفاعل وتؤثر علي مسيرة الأحداث فى البلاد الإسلامية، والعربية خاصة.

ولا شك عندي أن ظهور الجهاد في فلسطين ، والجزائر، وكثير من أحداث مصر يعزى بشكل مباشر إلى هؤلاء الشباب المجاهد الذي أطلق عليهم الإعلام الصهيوني لقب (الأفغان العرب) حتى صارت مصطلحا دوليا للتعريف بهؤلاء الطلائع المجاهدة .

ولا شك أن السياسة الجماهيرية التي إتبعها الرجلان ، والتي تعني ضمنا ستر العيوب ، ومهادنة القادة قد أنتجت سلبيات خطيرة ، فقد حدث ما كان متوقعا عندما إكتشفت بعض قطاعات المتطوعين العرب صورة ما يحدث على حقيقته ، فكانت صدمة قاسية لم يتحملوها ، وحملوا تبعته اللرجلين معا ، أو لأحدهما . بعض الشباب إرتكس إلى مجال التكفير الذي شمل القادة الأفغان، والقائدين العربيين أبو عبد ا والشيخ عبد ا ،وبعضهم أدخل جميع الأفغان أومعظمهم إلى حظيرة الكفر .

أما المتعدلين من قطاع الصدمة فقد غادر بصمت يجتر أحزانه ، ولا يدري أحد ما هي ردود فعله على تجربته تلك وإن كان يمكننا تخيل بعضها .

إن السياسة المرنة التي إتبعها الرجلان مكنتهما من فعل الكثير من الأعمال الإيجابية ـ مع كمية لا بأس من السلبيات ، وسياستي المتشددة منعتني ـ إلى جانب أسباب أخرى ـ من تنفيذ الكثير

من المشاريع التي كنت أحلم بها. ومع ذلك فلو افترضنا جدلا عودة عقارب الزمن إلي الوراء فأظنني سوف ألتزم بنفس الموقف ، وأظن أن الرجلان أيضا لن يغيرا كثيرا النهج الذي إختاراه للعمل. نعود إلى نفس الكتاب لننقل منه الفقرة الأخيرة من نفس الفصل (جاجي ... نافذة على بعض الحقيقة) حيث يقول :

{ في موسم حج هذا العام 1404هـ ـ سبتمبر 84م ـ كانت قناعة الدكتور عبد ا عزام والأخ أسامة بن لادن بإمكانية تحقيق دور أكثر إيجابية للعرب في أفغانستان قد تبلورت تماما ...

فلما إجتمعا في تلك الأيام المباركة مع الشيخ سياف ـ الذي قدم إلى الحج أيضا ـ لم يلبث أسامة أن طرح الفكرة وأبدى حماسا غير محدد لتحقيقها . يقول د. عبد ا :حججنا في ذلك العام وجلسنا مع الشيخ سياف ، وطرح الأخ أسامة فكرة تجميع العرب في تجمع واحد لحمايتهم وتربيتهم وحتى يأنسوا بإخوانهم . وقال الأخ أسامة :

أنا متكفل بكل عربي يأتي، سكنا وتذكرة ومصروفا وأسرة ...منذ خروجه من بلده وحتى يعود إليها. وحددنا مع الشيخ سياف راتب الأخ العربي وزوجته وماذا يكفيه مع البيت وما إلى ذلك .

كانت الفكرة قائمة في ذهني ولكن ا عز وجل ساق الأخ أبا عبد ا فدعمنا ماليا ... .

ويتحدث أبو عبد ا عن ذلك الإتفاق فيقول :ذكرت للشيخ سياف وبوجود الشيخ عبد ا عزام أن العرب بدأت أعدادهم ترتفع تدريجيا ويا حبذا لو تأذن لنا ـ بحكم أنه أمير المجاهدين ورئيس الإتحاد يومها ـ في إنشاء مكتب أو بيت نستقبل فيه هؤلاء الإخوة العرب ونستفيد من طاقاتهم .

فأذن لنا في ذلك ... وفعلا تأسس المكتب بعد الحج مباشرة ومضى العمل تدريجيا ...

ثم يضيف د. عبد ا عزام رحمة ا :

كنت قد أخرجت فتوى **(الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان)** وإستنفرت الإخوة العرب والمسلمين في كل مكان أن يأتوا ، وذكرت لهم على أنه إذا وطئ العدو شبرا من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده ، والولد دون إذن والده،والمدين دون إذن دائنه ، والتلميذ دون سؤال شيخه ، وإبن الحركة الإسلامية دون أن يستشير حركته وقادته ... ونقلت نصوصا للفقهاء في هذا ووزعتها،وغضب من غضب ورضي من رضي،وعتب من عتب.

إخواننا عتبوا علينا وأقاموا زوبعة في وجوهنا بأنك تغري الشباب بالتمرد علينا ...

فقلت لهم الشرع فوق الجميع ، فوق الحركة وفوق كل شيء} .

فكرة تجميع العرب وتحقيق دور أكثر إيجابية بدأت أخيرا تتحرك وقد توفر لها عنصران هامان من عناصر النجاح ، الدكتور عبد ا كعالم وخطيب مجاهد ومقبول في الأوساط الإسلامية خاصة الإخوان ، وبالتالي لم تتبرع جماعة ما بزرع الألغام في طريقه . والعنصر الثاني هو أسامة بن لادن الشاب المتحمس الذي ينتمي إلى أسرة عريقة ثرية وقوية إجتماعيا ، إلى درجة يمكن إعتباره أحد أمراء السعودية لولا أنه ليس من العائلة المالكة.

وكان لأسامة بن لادن علاقات قوية مع الإخوان ، وساعدهم بقوة أيام جهادهم ثم محنتهم في سوريا وساق إليهم ملايين الدولارات.

وهكذا كانت بداية طريقه في أفغانستان خالية من أية ألغام تبثها الجماعات الإسلامية العربية خاصة الإخوان . أما على الجانب الأفغاني ، فسياف لم يكن سعيدا ـ في إعتقادي ـ لهذا الإقتراب الشديد للعرب من الساحة ، ودخولهم مجال المشاركة الفعلية الإيجابية، فذلك كفيل أن

يكشف الكثير من الحقائق أمام أعينهم . ولا شك أنه سوف يتضرر من ذلك .
كان الوضع الذي يتمناه هو دوام ذلك البرنامج المخادع الذي بناه في بابي وشقيقتها جاجي .
أما باقي زعماء الأحزاب في بيشاور فقد كان ذلك مدعاة لإثارة مشاعر الحقد والحسد والكراهية .
بعض تلك المشاعر أفصح عن نفسه وبعضه الآخر ظل مكتوما حتى ظهر في وقت متأخر.
لقد شاهد الزعماء أعداد العرب تتزايد وتلتف حول سياف وتهيل عليه ملايين الدولارات ومعونات عينية لا تحصى ، من معدات وسيارات وملابس وأحذية وأطعمة ... الخ .
كل ذلك يتكدس في مخازن سياف بصفته رئيسا شرعيا للجهاد في نظر العرب ، الذين لا يكادون يفقهون شيئا عن طبيعة القضية الأفغانية وطبيعة شعبها .
وكما نرى فإن أبو عبد ا تكفل بالأموال اللازمة لاستيعاب العرب ، فلم تعد هناك مشكلة تمويل، والشيخ عبد ا بخطبه ومقالاته وأشرطته ألهب القلوب فتوافد العرب أفواجا بعدما تصدي الرجل بنجاح ضد لكل (الألغام الفقهية) التي وضعتها الجماعات في طريق الشباب الراغب في المشاركة في الجهاد.
ولا ننسى أن الإجماع الدولي على مساعدة أفغانستان ، قد أرغم الحكومات العربية على إعطاء الضوءالأخضرللتيارات الإسلامية فيها كي تنشط في إتجاه مساعدة الأفغان ، ومهاجمة الشيوعية الملحدة .
وكان ذلك عملا لا بأس به بل وحتى نافعا ، طالما هو يصرف الأنظار عن إسرائيل والولايات المتحدة ومخططهما الذي كان يتقدم بسرعة ونجاح لا نظير له في سبيل الإستيلاء علي المنطقة بالكامل وإلي الأبد.

جهاد.. بلا خطة:

أخيرا ... وصل العرب أفغانستان ... وتوافرت لهم الأموال اللازمة ... وها هي القيادة التي لا شك فيها ولا نزاع بشأنها متمثلة في عالم جليل وخطيب مفوه هو الدكتور عبد ا عزام ...
فما هو البرنامج ؟.
كان ذلك في نظري هو الطامة الكبرى . ولم أشعر في يوم ما بأن النشاطات العملية التي تولاها الدكتور عبد ا تمثل بأية حال برنامجا صحيحا، هذا إذا كانت برنامجا وليس مجرد سلسلة أعمال عشوائية كما أظنها.لا شك أن كمية من الفائدة وصلت إلي الجهاد من مشاريع الدكتور عبد ا ،ولكن لا أظن أنني رأيت عملا مدروسا أو منفذا بعناية خلال ذلك السيل من الأعمال الصاخبة التي تولاها (مكتب الخدمات) ،الذي أنشأه الدكتور عبد ا بتمويل أساسي من أسامة بن لادن .
أما مشاريع أبو عبد ا (أسامة بن لادن) فهي دوما جاهزة وفورية وحاسمة . فبعد غارة الطيران الأولى التي شاهدها قرر أن يبدأ في بناء أنفاق وملاجئ في جاجي وأن يصلح الطرق. وهذا يستلزم إحضار المعدات اللازمة من السعودية وله هناك شركة مقاولات قوية .
يقول كتاب (الأنصار العرب) في نفس الفصل الذي نقرأ فيه عن تلك التجربة:
{وهكذا وضع أبو عبد ا يده على الجرح الحقيقي أو على مقربة منه ... وبات على قناعة كافية بأن أسلوب المساعدات الماضية التي لا تكاد تبلغ الجبهات غير صحيح ...
وبحكم خبرته المتخصصة وتجربته مع إخوانه في حفر أنفاق مكة الشهيرة بدأت فكرة نقل هذه التجربة إلى جبال جاجي تداعب مخيلته ، ولم تأخذ وقتا طويلا لتتبلور لديه ، ولتتحول

من مجرد فكرة طموحةإلى حقيقة واقعية نفذها بنفسه .
يقول أبو عبد ا : ازدادت قناعتي بعدما رجعت من زيارة أفغانستان بأهمية الطرق والأنفاق للمجاهدين هناك ... الطرق نظرا لقلتها ولضيقها إن وجد منها شيء ... والأنفاق حتى يضع المجاهدون أسلحتهم ومستشفياتهم وأماكن راحتهم في الجبال بعيداعن قصف الطيران .
ولكن ـ وبكل أسف ـ لم أبدأ الفكرة حتى عارضني الكثير من الناس ... وأقصد هنا بالناس الطيبين المحبين للجهاد والإسلام . وذلك لشدة الهالات الملقاة على عقول المسلمين عن الكفار الروس والأمريكان أنهم قوى عظمى وأنهم لا يقهرون،وأن لديهم الأجهزة والإستخبارات وما شابه ذلك ... وأكثرها مضخم كثيرا عن حقيقته ، ولو آمن الإنسان بهذا التضخيم لما تحرك. فقيل لي أولا كيف ستخرجها من المملكة ؟ ثانيا : كيف ستدخلها إلى باكستان وبأي صفة ؟ ... ثالثا : المنطقة التي ستعمل فيها (جاجي) المشهور أن فيها عددا من غير الموالين للمجاهدين الذين ينقلون الأسرار للأعداء ، وأنت لاتحمل دراجة عادية ... هذه الآليات أشبه بالمدرعة ... فأول ما يدخلوا ستأتي الطائرات وتضربها ... قلت: وا إذا حدث أعذرنا ا سبحانه وتعالي وإلا فنشتغل.
ومن فضل ا يسر سبحانه وتعالى هذا الأمر كله ، من خروجها إلى دخولها وحتى وصولها إلى هنا . أدخلناها باسم المجاهدين عن طريق الهلال الأحمر السعودي ، وساعدنا السفير جزاه ا خيرا أبو محمد "توفيق علم دار" ساعدنا جدا في إدخالها ... وبدأ العمل} .
لقد بدأ أبو عبد ا برنامجه بالإحتياجات التي تعرف عليها خلال تجربته الأولي المباشرة لأرض الجهاد ... وظلت أعمال أبو عبد ا ترتدي ذلك الطابع في أغلبها ، أي طابع التجربة الذاتية المباشرة ، والقرارات الفورية الحاسمة . وبقدر ما في هذا الأسلوب من مزايا وجاذبية ، جذبت كثيرين من العرب إلى ذلك الرجل الحاسم ، الذي يقاتل بنفسه وماله ، صامدا في الميدان ، هذا إلى جانب ميزات شخصية عديدة لدى أبو عبد ا . ورغم الصداقة والثقة التي ربطتني به بعد ذلك بسنوات ، إلا أنني كنت غالبا في مقدمة المعارضين في كثير من مشاريعه الحساسة . في مقدمتها جاجي ثم جلال آباد بعد ذلك .
لم يتحرك أبو عبد ا هو الآخر طبقا لتصور مسبق ، ولا وفق خطة متكاملة ، ولم ينفذ هو الآخر مشروعا متكاملا . ولكنه إندفع كالإعصار في تنفيذ عدد من المشاريع التي رآها من موقعه هامة جدا ولا تحتمل التأجيل . كان أسامة بن لادن أكثر عملية من الدكتور عبد ا ، وأكثر (قتالية) وغراما بالمعارك ، ولا شك أن ذلك يحسب له ، خاصة في زمان كان فيه الجبن والقعود والذلة شعارا ومنهج حياة ، لدى معظم الأمة ، بل أيضا لدى جماعات وطلائع إسلامية ! ! . ولكن إندفاعات أبو عبد ا التي ينقصها التبصر، فإلي جانب فوائدها الجانبية تسببت في آثار سلبية كثيرة إنعكس بعضها عليه شخصيا وسببت له معاناة كان يمكن تجنبها ، ولعمله نكسات كان يمكن تلافيها . ومع ذلك فإن نشاط أبو عبد ا قد إحتوى بعض النقاط الرئيسية التي كنت أفكر فيها ، ولم أستطع تنفيذها لأسباب كثيرة .
فقد أقدم أبو عبد ا مباشرة إلى الجبهة وجعلها محور نشاطه . فكما رأينا أنه تحمس لمشروع (تحصين) جاجي وتطوير (بنيتها التحتية) بواسطة الطرق والأنفاق ، ثم دخل تدريجيا إلى مجال القتال في جاجي أيضا ثم تطرق إلي موضوع التدريب ثم التنظيم كما سنرى لاحقا .
كان ذلك أقرب التصورات إلى الصواب طبقا لما كنت أفكر فيه ولكنني كنت ضيفا دائما في نادي المعترضين على طريقة التنفيذ ومعترضا دوما على الجانب السياسي لذلك النشاط .

بمعنى السياسية الأفغانية التي إتبعها أبو عبد ا ،ومحورها الإعتراف بالشرعية الأفغانية : سياف، ويليه في الأهمية من وجهة نظره (حكمتيار ـ رباني ـ خالص) . ويشاركه في تلك الرؤية الدكتور عبد ا ، بل هي من صنع الشيخ عبد ا نفسه .
بالطبع طرأت تغيرات تدريجية على موقف أبو عبد ا ، ولم يعثرعلى الموقف الصحيح إلا بعد فتح كابل حيث إكتشف ـ وصارحني بذلك ـ "إنهم جميعا لا يصلحون" .
لقد إكتشف زيفهم في آخر لحظة حيث ترك الساحة ولم يعد مرة أخرى إليها .
كانت الرهانات الأفغانية لأبو عبد ا رهانات خاسرة ، بدأت بسياف وإنتهت بحكمتيار ، أي أنه سار سياسيا من سيئ إلى أسوء. ورهاناته السياسية عربيا كانت خطيرة وغير مقبولة ـ من وجهة نظري. فقد راهن على الموقف السعودي ، ومسؤولي المملكة في باكستان.
وقد إستنتجت أن خطته هي الإستفادة من الموقف المعلن والمندفع من جانب المملكة لمساندة الأفغان ضد الغزو السوفييتي وذلك من منطلق إسلامي. لقد قدمت المملكة مساعدات سخية للأفغان رسميا وعلنا . كان ذلك هو الضوء الأخضر لأجهزة الدولة والأجهزة الشعبية وللعلماء وطلاب العلم وخطباء المساجد والصحف الإسلامية الرسمية ، لقد إنطلق الجميع بأقصى سرعة مستفيدين من الضوء الأخضر، وكل يغني على ليلاه . هناك من تحرك إرضاء ، وبعضهم لإرضاء الملك ، بعضهم لإرضاء أسياد الملك (الولايات المتحدة) .
وبعضهم أشرك تلك الأهداف بعضها ببعض لينال رضى الجميع . وهكذا فعل ضياء الحق مثلا الذي تحرك لتقوية سلطانه في باكستان ، ولإرضاء أمريكا ، وكل ذلك، كما قدر هو، في سبيل ا !!.
وفي ظني أن معظم من تحركوا لأفغانستان تحركوا لضرب عدة عصافير في آن واحد ، تؤدي كلها إلى دخول الجنة في نهاية المطاف . وهؤلاء أول من إرتد عن العمل الجهادي ومد يده ولسانه للبطش به عندما صدرت أوامر (ربه الأصلي) أي الولايات المتحدة .
ولا شك عندي في أن مسؤولي السفارة السعودية في باكستان خاصة في تلك الفترة لم يكونوا سوى فريق عمل من الإستخبارات السعودية جاء ليعمل خصيصا في القضية الأفغانية إلي جانب جهاز الإستخبارات الباكستاني (آي إس آي) ،وكلاهما تحت قيادة فريق الإستخبارات الأمريكية المقيم في باكستان تحت رعاية وإشراف السفارة الأمريكية في إسلام آباد .
وعلى هذا ليس بمستغرب أن يكون السفير ومدير مكتبه كلاهما يحمل رتبة عسكرية ، فقد كانت هناك مهام عسكرية عديدة من المفروض أن تقوم بها السفارة تجاه أفغانستان .
لقد كان هناك جسر جوي من السعودية إلى باكستان لنقل العتاد العسكري الذي تجهزه المخابرات الأمريكية كي ينقل إلى (أحزاب المجاهدين) الأفغان،"**أنظر الخريطة فى نهاية الكتاب**".
ولم تكن مهام السفارة السعودية عسكرية فقط ـ وإن كان أهم المناصب يشغلها العسكريون ـ ولكن هناك مهام أخرى كثيرة سياسية وإستخباراتية .مشروع طموح كالذي قدمه أبوعبد ا ، ليس غريبا أن يحظى بمساعدة (توفيق علم دار) والسلطات الباكستانية ، فالمشروع يصب لتدعيم سياف الرجل الأول للسعودية داخل أفغانستان (حتى ذلك الوقت وقبل بروز نجم مولوي جميل الرحمن).
ثانيا فإن تدعيم نقطة جاجي الحدودية يعتبر تأمينا إضافيا لنقطة حساسة للأمن الباكستاني، وللخط الرئيسي لإمدادات المجاهدين (تمر منه 40% من الإمدادات حسب ما قاله العميد محمد يوسف في كتابه "فخ الدب").
إذن المشروع حتي الآن يتماشى مع السياق العام ولا يخرج عليه ، بل على العكس يدعمه ويزيده قوة ويكسبه شعبية ، وهذا مكسب إضافي . فلم يكن غريبا أن يتحمس السفير وتأتي المعدات

ويبدأ العمل .
وأقول أن الرجلين الدكتور عبد ا وأبا عبد ا كلاهما كان حريصا على عدم إغضاب المملكة أو إثارة مخاوفها ، وقدما في سبيل ذلك ضمانات وتطمينات في ظني أنها لم تكن مناسبة كما أنها لم تفد في تغيير سياسة المملكة . فقد جاءت المساعدات والتسهيلات عندما كان ذلك يخدم الخطة العامة ـ الأمريكية في الأساس ـ ثم توقفت المساعدات والتسهيلات بل وبدأت الحرب الساخنة ، عندما تغيرت الظروف وتبدلت المصالح ، فشاركت المملكة في إغتيال الدكتور عبد ا . ثم حاولت تدمير عمل أسامة بن لادن في أفغانستان ، وبذلت في ذلك الكثير ثم حاولت تجميد الرجل نفسه داخل المملكة ، ثم ها هي تسعى إلى قتله حتى الآن وهو خارج البلاد بعد أن سحبت منه الجنسية السعودية وجمدت أمواله .
إن تعاون الحركات الإسلامية مع أنظمة (مرتدة أو صليبية) هو خطأ شائع يحتاج إلى مراجعة شرعية أولا من ثم حساب المصالح والمفاسد . لقد أدرك الإسلاميون بعد فوات الأوان أن حكومتي السعودية وباكستان لم تتحركا قط لخدمة الإسلام في أفغانستان ، بل لخدمة الولايات المتحدة الأمريكية أولا وأخيرا . وفات هؤلاء أن يلاحظوا أن المساعي التدميرية للحكومتين في مسيرة الجهاد لم تتوقف لحظة ، وإن إختبأت في البداية تحت ستار كثيف من المعونات الإنسانية والأسلحة وغيرها. ولكن الأسلوب التي قدمت به تلك المساعدات كان أشد تدميرا لقوى المسلمين من طائرات السوفييت ودباباتهم .
إن السفارة السعودية في إسلام آباد إعتبرت أن مشروع جاجي هو مشروعها والسفير ـ ومدير مكتبه ـ وغيرهما قاموا بزيارات (نصف سرية) أحيطت بمهرجان دعائي وعاطفي في أوساط العرب وإتحاد سياف . وظلت الأنف واليد والعيون السعودية وسفارتها شديدة الإلتصاق بالرجلين الكبيرين د.عزام، وأسامة بن لادن. وأحيط كلاهما بعناصر تجسسية كما يحاط الإصبع بالخاتم وقد أثر ذلك إلي حد كبير في خطط ومشاريع الرجلين ومدى إنضباطها وفقا لشروط المملكة.
وحرص الرجلان الكبيران قولا وعملا على تأكيد أنه لا شيء عندهما يجري في الخفاء وليس لديهما أسرار، وأن برامجهما (في الجبهات والمعسكرات بوجه خاص) هي برامج علنية جماهيرية مفتوحة للجميع وليست موجهة ضد أحد سوى السوفييت، ولا شأن لها بالمنطقة العربية عامة، والسعودية خاصة. في تلك المعسكرات كانت هناك بالتالي محظورات جوهرية:
ـ بعضها يتعلق بالمسائل الشرعية ، خاصة موضوع الحاكمية .
ـ وبعضها مسائل سياسية. فلا يسمح مثلا المساس بقدسية الأحزاب الجهادية الأفغانية، خاصة الثلاثي الإخواني وعلى رأسه سياف .
ـ وبعضها مسائل فنية مثل تدريس علم المتفجرات أو مسائل حرب العصابات .
هذه الخطوط الحمراء إنتهكت أحيانا ـ ولكنها معظم الوقت وإجمالا ظلت محترمة.
غني عن القول أن لذلك ثمنا فادحا على الدور العربي نفسه ، وعلي التشويه الفكري والحركي والتنظيمي الذي أصابه .
وفي مقابل ذلك كانت الفوائد هي أن هذا التجمع العربي كان الأكثر ثروة وإمكانية في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة . وطالما أن تلك الإمكانات كانت تحت المراقبة ، أو مشروطة، وأن هذا التجمع ظل يعاني من الفراغ الذي ملأته تحركات مرتجلة مع شحن عاطفي لا مكان فيه للفهم ، فقد إنتشرت في هذا التجمع أمراض وإنحرافات عديدة. فلم يكن أبدا تجمعا ملائكيا أو فوق الشبهات. بل كان صورة مصغرة للأمة المسلمة بأسرها بكل ما فيها من مزايا وتشوهات

وبالتالي صورة مصغرة للحركة الإسلامية كلها، بكل ما تحمله من مثاليات وإنحرافات وأوجه قصور
ونعود إلى حديث د.عبد ا عزام عن فتاويه التي أغضبت الجماعات الإسلامية، والمقصود هم الإخوان المسلمون تحديدا.
فقد رأوا أن أفغانستان والتيار الجهادي المتنامي هناك أخذ يجذب عناصر شابة مخلصة من (ثلاجات التبريد والتجميد) التي يقيمها الإخوان في البلاد العربية،إلى ساحات الجهاد والقتال الشرس في أفغانستان . وهنا ثارت الشجون التنظيمية وصراع الزعامات والمصالح.
فها هو عبد ا عزام يصبح أكثر جماهيرية ومصداقية من المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر.
ثم تثار تساؤلات عن منهج الجهاد نفسه ، وهل هو فريضة مقيدة بالسوفييت والشيوعية أم أنها يمكن أن تشمل اليهود والغرب "الصليبى/صهيونى" خاصة في فلسطين ؟.
وإذا كانت الحكومة الأفغانية في كابل كافرة لأنها ألعوبة في يد الشيوعيين السوفييت، فما هو الحكم الشرعي للحكومات العربية في مصر ... وسوريا ... والعراق ... والسعودية ؟ .
وما هو الفرق بين الكفر الشيوعي والكفر الغربي الصليبي أو الكفر اليهودي ؟ .
كلما مضت السنون بالجهاد في أفغانستان زادت الأسئلة المطروحة حرجا .
وكان الخوف الأكبر لدي أعداء الإسلام ، وبعض الحركات الإسلامية ،أن ينتصر الإسلام فى أفغانستان ويثبت الجهاد جدواه في تغيير الواقع المظلم للمسلمين .
لهذا كان لا بد من إفشال التجربة الأفغانية الجهادية، وكان لا بد من تشريد وتدمير العرب الذين تأثروا بالتجربة وأثروا فيها. وهذا ما حدث فعلا ، وذلك كان البرنامج الأمريكي الجديد والذي بدأ فور إتمام السوفييت لانسحابهم من أفغانستان.
(الحرب الأمريكية على أفغانستان فى اكتوبر 2001م كانت استكمالاً لذاك البرنامج الأمريكى . ومن أجل القضاء المادى النهائى على المجاهدين العرب الذين أثرت فيهم التجربة الأفغانية ، هذا الى جانب اهداف اقتصادية واستراتيجيه *. راجع كتاب صليب فى سماء قندهار) .*
وكان أول ضحايا تلك المرحلة الخائنة هو الدكتور عبد ا عزام الذي أغتيل بطريقة وحشية في بيشاور تحت أنظار تلاميذه ومريديه وهو في طريقه كي يؤمهم في صلاة الجمعة .
نقول أن الإخوان المسلمين قاوموا الدكتور عبد ا عزام وعملوا سرا على إفشاله ، بل إفشال التجربة الأفغانية الجهادية ، فكانوا وسيطا رئيسيا لإقناع فصائل الأفغان وأحزابهم على قبول حكومة إسلامية شيوعية مشتركة في كابل تضمنها وتساندها موسكو وواشنطن والدول العربية
(القيادى الإخوانى السورى عدنان سعد الدين كان من نجوم تلك المرحلة).
بدأ دور "الوساطة الإسلامية" بعد عام 86عندما أعلن جورباتشوف أنه سيترك أفغانسان.
أما أبو عبد ا فقد قاسى منهم الأمرين ، أثناء "أزمة" جلال آباد ، ومحاولة أبوعبد ا توحيد (جبهات العرب) التي إنقسمت على نفسها في جلال آباد وصارت "دويلات جهاديةعربية".
فقد أفشل الإخوان مجهودات أبو عبد ا واتهموه بالعمالة للحكومة السعودية!!.
وقالوا بصراحة وبلا مواربة : "لن نسمح بأن يتحول أبو عبد ا إلى رمز في أفغانستان" .
كانوا يريدونها ساحة قفراء إلا من دم الشهداء ، فلا زعامة جديدة ـ ولا فكر جديد ـ ولا تنظيم جديد ينبت في أفغانستان على نيران المعارك في ضوء الرؤية الفقهية الجديدة التي كان يحركها الدكتور عبد ا عزام ، والخطوات العملية الجسورة ـ رغما عن كل شيء ـ التي يدفعها أسامة بن لادن .

والعجيب أن كل هذا الحصار وكل تلك الأخطاء لم تمنع من أن تكون أفغانستان هي نقطة تحول للعالم أجمع وللمسلمين وطلائعهم بشكل خاص . وما تبقى من سنوات في هذا القرن الميلادي ثم القرن الذي يوشك على الإنبلاج ، تشير كل الدلائل أنه سوف يحمل بصمات أفغانستان، وبصمات (العرب الأفغان) أو أبطال العرب المجاهدين في أفغانستان وسوف يحمل بلا شك بصمات الدكتور عبد ا عزام وأسامة بن لادن أيضا .

(حمل القرن الحادى والعشرين أول بصمة وضعها اسامه بن لادن ، بطريقة خاطئة ، وتحمل سمات الاستدراج الامريكى للرجل ، فبرر لهم تنفيذ مخطط مسبق يجعل ذلك القرن هو قرن الحرب الساخنه على الاسلام ، وبزوغ إسرائيل الكبرى ..قبل الحكم اليهودى السافر للعالم من عاصمة مملكتهم القدس !!) .

مقترحات قادة الجهاد:

حضر جلال الدين حقاني إلي الإمارات قبل أن يتوجه إلي الحج . ومع جماعتنا هناك التي أطلقت على نفسها (لجنة أبو ظبي لمناصرة الجهاد الأفغاني) وكانت قد ضمت قليلا من الأعضاء الجدد ، وأقامت شبكة إتصالات لا بأس بها مع الأشخاص والجهات المهتمة بالموضوع الأفغاني بصرف النظر عن نقاط الإلتقاء أو الإختلاف في وجهات النظر .

وقد تولي الحاج سيف توجيه تلك السفينة الغريبة .

عقدنا جلسات مطولة مع حقاني،وتبلورت الآراء عن تصور مشترك داخل اللجنة للموقف السياسي ولبرنامج المساعدة الإسلامي الذي ينبغي أن يقدمه المسلمون للمجاهدين الأفغان .

وقمت بصياغة ذلك في تقرير تم توزيعه على نطاق ضيق داخل دائرة المهتمين ، ومنهم الإخوان المسلمون بالطبع ،وكذلك كبار المتبرعين والناشطين في الإمارات وقطر والسعودية.

أما حقاني فقد إصطحب معه عشرات من نسخ الجزء الثانى من ذلك التقرير، و يبدأ بعنوان (مقترحات قادة الجهاد) ، ذلك لأن الجزء الأول يحمل تصويرا سلبيا للأحزاب والإتحاد، ويمكن أن يضعه في مأزق حرج مع تلك الجهات ومع العرب المتحزبين لسياف .

وزع حقاني ذلك التقرير على كبار الناشطين من العرب في موسم الحج ، ومنهم الدكتور عبد ا عزام. وأتصور أنه وصل أيضا إلي أسامة بن لادن أو علي الأقل أنه سمع بمحتواه.

قبل أن نورد نص التقرير ، أشير إلي أن مثل تلك التقارير لم تلق تجاوبا يعتد به ، وإن كانت قلة نادرة أعجبت بمحتواها وتحمست له . وبشكل عام تعرضت أمثال تلك التقارير للإتهام وإلي الربط بينها وبين مؤامرات خطيرة تحاك ضد الجهاد ، أو أن من يكتبها أو يروجها إنما هم جهات علمانية أو يسارية خاصة وأن أسلوبها (غير إسلامي) بمعنى أنه لا يستدل بالآيات والآحاديث وليس لديه أدلة شرعية . وأن محتويات التقرير مسائل ظنية و (شغل سياسة) وبالتالي فهي شيء غير مرغوب فيه على أقل تقدير .

<u>ونسوق فيما يلي نص ذلك التقرير كاملا :</u>**

بسم ا الرحمن الرحيم

ينقسم عالم الجهاد في أفغانستان إلي قسمين متباعدين .

<u>القسم الأول</u> : السياسيون المحترفون في بيشاور .

<u>القسم الثاني</u> : المقاتلون في داخل الأراضي الأفغانية .

وسنحاول أن نستعرض بإيجاز الوضع الراهن لكلا المجموعتين

<u>أولا : السياسيون المحترفون</u> :

أفراد هذه المجموعة هم معارضون سابقون لحكومات أفغانية متعاقبة منذ عهدي ظاهرشاه وداوود ثم الحكم الماركسي الذي جاء به إنقلاب نور محمد طراقي.
وقد قَصرتْ الحكومة الباكستانية مجال العمل السياسي علي هؤلاء الأشخاص وأحزابهم التي كونوها في مدينة بيشاور الباكستانية .
وقد شهد العمل السياسي لهولاء منذ نشأته عدة إنقسامات كما تميز بعدم الإنسجام و غموض الأهداف وإن كانت الأهداف المعلنة متقاربة بل متطابقة أحيانا إلا أن ذلك لم يؤد إلى ما كان متوقعا من تفاهم وتنسيق .
بل العكس هو الذي حدث ، وهذا يدفع إلي الإعتقاد بأن الأهداف غير المعلنة لهؤلاء السياسيين تتناقض مع ما هو معلن عنها كما قد يشير أيضا إلي إرتباطات سياسية مع قوى أجنبية متعارضة المصالح مما أدى بدوره إلى هذا التصارع بين هؤلاء القادة .
وقد حاول القادة تحسين صورتهم أمام العالم الخارجي فحاولوا إقامة إتحاد لجمع أحزابهم ولكن المحاولة أسفرت عن مزيد من الإنقسام وبعد سنوات تبلور الوضع عن اتحادين متمايزين .

الإتحاد الأول :

وهو الإتحاد الثلاثي تحت قيادة السيد أحمد جيلاني وعضوية كل من صبغة ا مجددي ومحمد نبي محمدي. ومن ناحية عسكرية فإن فاعلية هذا الإتحاد ضعيفة جدا وإن كان لمحمد نبي بعض العلماء الجيدين يحاربون في الداخل . أما أتباع الطريقة الجيلاينة فتركيزهم الأساسي في ولاية باكتيا وسمعتهم في الميدان غير جيدة .
ومن ناحية سياسة ينادي الجيلاني صراحة بعودة الملك ظاهر شاه لحكم أفغانستان تحت غطاء إتفاق دولي يضمن حياد أفغانستان ، أي يتمتع الشرق والغرب بنفوذ متساوي فيها.
هذا ، ويحظى هذا الإتحاد بمباركة أمريكا والقوى التابعة لها في آسيا.
كما أن فكرة عودة الملك السابق تلاقي تحبيذا متزايدا داخل أوساط المهاجرين والأهالي والرازحين تحت الإحتلال الروسي . وهذا ناتج عن طول المعاناة وعدم ظهور بارقة أمل لحل مشاكلهم إضافة إلي الطريقة العقيمة التي يدار بها الجهاد داخل أفغانستان والفوضى واللامبالاة في صفوف الأحزاب في بيشاور .
يلاحظ وجود عدد كبير من الماركسيين الذي فروا من أفغانستان نتيجة لتقاتل الأجنحة الشيوعية (خلق وبارشام) وقد إنضم هؤلاء إلي صفوف الأحزاب المكونة لهذا الإتحاد بعد إعلان (توبتهم) .
ولكن يعتقد أن إنضمامهم هو وسيلة إسترضاء للسوفييت وتلميحا لهم بإمكان التعاون .
الوضع المالي لهذا الإتحاد جيد بسبب إغراق المعونات المالية عليه من القوى الدولية المؤيدة لاتجاهه، كذلك معونات الأسلحة التي يقوم ببيع غالبيتها العظمى داخل الأسواق الحرة في باكستان.
هذا في الوقت الذي لا يكاد ينفق هذا الإتحاد شيئا على أمور الجهاد في داخل أفغانستان .

ثانيا : الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان .

وهو برئاسة عبد رب الرسول سياف ويضم أحزاب كل من برهان الدين رباني وغاب الدين حكمت يار ويونس خالص بالإضافة إلى تنظيمين صغيرين إنشقا عن أحزاب الإتحاد الثلاثي وإنضما لهذا الإتحاد وهذين التنظيمين بقيادة نصر ا منصور ورفيع ا مؤذن .
ومن ناحية سياسية فإن هذا الإتحاد يطالب بإقامة حكم إسلامي حقيقي في أفغانستان ورفض أي حل آخر. ويجمع القادة المكونون لهذا الإتحاد على هذا المطلب ظاهريا ولكن إحتدام الصراعات السياسية بينهم في بيشاور والقتال المستمر بين أتباعهم في أنحاء متفرقة من أفغانستان يلقي ظلالا

من الشك حول صدق إلتزامهم بهذا الشعار .
فبينما لم تنقطع الإشتباكات بين أعوان غلب الدين وبرهان الدين من ناحية،وإنفجار الإشتباكات بين أتباع غلب الدين وسياف في محافظة ميدان ، بل ومنع أتباع سياف من الدخول أصلا إلي بعض المحافظات بواسطة أتباع برهان الدين وغلب الدين. كل هذا وغيره كثير ، يلقي ظلالا من الشك حول حقيقة توجهات هؤلاء القادة .
ولما كان هذا الإتحاد هو معقد أمل المسلمين خارج أفغانستان في إيجاد قيادة سياسية وعسكرية تصل بالجهاد الإسلامي في أفغانستان إلي غاياته، لكن هذا الأمل لم يتحقق وفشل هذا الإتحاد في تحقيق أي من الأهداف المرجوة وتحول إلي حزب صغير يقوده سياف قيادة مركزية قليلة الثقة فيمن حولها. وبينما يمتلك هذا الحزب قدرات مالية كبيرة إلا أنه يعاني من ضعف الأتباع في الداخل وإنعدام الكفاءة الإدارية في بيشاور .
وللأحزاب الداخلة في هذا الإتحاد أتباع كثيرون يحاربون بإسمها في معظم أنحاء أفغانستان إلا أنها لا تمارس عليهم قيادة حقيقية، ويقتصر دورها على إعادة توزيع الأسلحة والأموال التي تتلقاها في بيشاور علي أتباعها في الداخل، في مقابل تعهد هؤلاء بعدم التعاون مع أتباع الأحزاب الأخرى ـ وأحيانا يتم الإتفاق على مقاتلة أتباع الأحزاب الأخرى في المنطقة ـ
وإن كان القتال في الداخل يتم غالبا نتيجة لسوء توزيع السلاح على أفراد مشبوهين أو لتفريغ الجبهات في الداخل من العلماء القياديين الذي إستشهدوا أو جذبتهم الأحزاب ولجان الإتحاد إلى بيشاور لكي تبتلعهم الدوامة السياسية العقيمة في بيشاور .
وبوجه عام تميزت أحزاب هذا الإتحاد بالسلبيات التالية :
1 ـ عدم القدرة على الإتحاد فيما بينها فقرار الإتحاد بين الأحزاب يبقى فى يد الحكومة الباكسانية وحدها ،بصفتها الجهة التي سمحت بتكوين هذه الأحزاب وهي التي تقوم بتمويلها وتسليحها وإعطائها تسهيلات الحركة على أراضيها.
لم يتم إختيار هؤلاء القادة من جانب الشعب الأفغاني أو المجاهدين في الداخل بل إختيروا من جانب حكومة باكستان .
3-مؤهلات الزعامة لهؤلاء القادة هي الأموال والأسلحة التي تصلهم من الخارج وليس لكونهم قادة حقيقيين للقتال (فيما عدا يونس خالص) لهذا ينعدم تقديرهم الأدبي لدى مجاهدي الداخل.
4-الأحزاب وكوادرها والإتحاد بمؤسساته الإدارية ،جميعها بعيدة عن القتال. لهذا إنعدمت لديها الحساسية لحاجات المجاهدين وضعفت إستجابتهم لمتطلبات الجهاد، فبعدت الشقة بالتدريج بين بيشاور والجبهة وساد بينهما الجفاء وسوء الظن .
5 ـ يقوم السياسيون في بيشاور بتوزيع الأسلحة والأموال في الداخل طبقا للارتباطات الشخصية والقبلية وليس طبقا للإحتياجات الفعلية للجهاد .
6 ـ تستهلك بيشاور أكثر من ثلثي الموارد المالية للإتحاد ـ طبقا للمصادر الرسمية للإتحاد ـ وذلك على اللجان الإدارية المتضخمة ،ومعسكرات التدريب حول بيشاور التي لا تؤدي هدفا مفهوما، فالتدريب الذي تقدمه لا قيمة له عمليا،لتدني مستواه وعدم مطاقبته لاحتياجات الجهاد .
7 ـ تحتفظ باقي الأحزاب بما يسمى بمعسكرات التدريب قرب بيشاور وعلى الحدود ـ وهي بالمثل لا تخدم أغراض الجهاد ـ ويلقي وجودها بهذه الصورة أحد احتمالين :
أ ـ إما أنها ميليشيا تابعة للقائد بغرض رفع إسمه أمام الحكومة الباكستانية والوفود الإسلامية الزائرة .

ب ـ أو كون أفراد هذه المعسكرات قوة إحتياط عسكري في خدمة الحكومة الباكستانية لغرض الأمن في المقاطعات الحدودية في مواجهة الأحزاب المعارضة (الباكستانية) .
8 ـ تتحمل تلك الأحزاب المسؤولية الكاملة عن عمليات الإقتتال في الداخل سواء نتيجة سوء توزيع السلاح أو بالإتفاق المسبق على تدبير تلك المعارك .
9 ـ تتحمل تلك الأحزاب المسؤولية الكاملة عن عرقلة كافة المحاولات المبذولة بين مجاهدي الداخل للتنسيق العسكري فيما بينهم وتلك الأحزاب تقوم فورا بمنع الأسلحة والإمدادات عمن يثبت لديها قيامه بهذا العمل من بين أتباعها في الداخل .
10 ـ إهدار الإمكانيات المالية في غير أغراض الجهاد .
11 ـ عرقلة تقدم القادة البارزين في الداخل ونشر الشائعات عنهم وحجب أخبارهم عن المسلمين في الخارج .
12 ـ عدم تنمية طاقات الجهاد ودفعه نحو إستقلال أكبر عن باكستان وغيرها . وذلك بعدم الإقدام على إقامة مشاريع تصنيع وصيانة الأسلحة بداخل الأراضي المحررة وكذلك المشاريع الإقتصادية في الداخل التي تكفل الإستقلال الإقتصادي ولو جزئيا .
13 ـ تركيز قواعد تلك الأحزاب ـ وجميع نشاطاتها داخل بيشاور وكأن هذا الوضع دائم ولا رجعة فيه ـ ولو كانت تلك الأحزاب تسعى فعلا نحو تحرير أفغانستان لعملت على تغيير هذا الوضع بسرعة، فهو يمثل خطورة التصفية عند أي بادرة تغير في الخط السياسي لحكومة باكستان . ولكن تلك الأحزاب مطمئنة لهذا الوضع لأنها في واقع الحال ليست إلا امتدادا أفغانيا للنظام الباكستاني القائم .لهذا فهي تتحرك في إطار النظرة الإستراتيجية للحكومة الباكستانية في هذا الصراع المسلح ولم تتخذ خطوة واحدة تثبت غير ذلك حتى الآن .
14ـ صرح الزعماء السياسيون أنهم غير قادرين بأي شكل على إدارة البلاد ـ وأنه في حال تسلمهم السلطة فإن الشعب سيثور عليهم لعدم كفاء تهم ـ وهذا قد يفسر إلى حد ما عدم حماستهم لحل القضية بسرعة وميلهم إلى تطويلها .

ـ الوضع في الداخل وقادة الجبهات ـ

يوما بعد يوم يتناقص قادة الجبهات المخلصون إما بالإستشهاد أو باستدراج العمل السياسي في بيشاور لهم . وقد ملأ هذا الفراغ الناتج عناصر سيئة أو عديمة الخبرة في أكثر الأحوال .
بينما يعاني من تبقى من المخلصين مرارة القتال الضاري بدون دعم حقيقي أو قيادة مخلصة تقوم على رعاية وقيادة مجمل حركة الجهاد في البلاد لتكون منها حركة قوية قادرة على دحر العدو .
ولقد بذل هؤلاء محاولة لتلافي هذا الوضع فاجتمع عدد كبير منهم في العام الماضي1983 و إتخذوا عدة قرارات هامة في التنسيق فيما بينهم في النواحي العسكرية والتموينية .
وهذه الخطوة على أهميتها الفائقة فإنها لم تتقدم كثيرا في مجال التطبيق لعدة أسباب :
1 ـ جوبه هؤلاء القادة بحالة من التشكك من قادة بيشاور وتم التضييق عليهم في مجال الإمداد والتموين .
2 ـ هؤلاء القادة في حالة قتال مستمر مع العدو وليس لديهم الفرصة لتطوير تعاونهم العسكري والإداري. هذا بالإضافة إلى فقرهم المادي الذي لا يساعد على تنمية قدرة جبهات القتال والعمل على إستقلالها عن إمدادات بيشاور ولو إلى حد ما .
وللخروج من هذه الورطة لم يكن أمام القادة إلا أحد خيارين وهما :
أ ـ إما ترك الجهاد والذهاب إلى بيشاور وخوض الصراع السياسي هناك في سبيل الحصول

على المعونات ، وفي هذه الحالة ستبتلعهم دوامة بيشاور وستنقطع صلتهم بالجهاد وهو ما حدث لكثيرين .
ب ـ الخيار الثاني هوقبول عروض المساعدة المطروحة من وسطاء الدول الغربية والذين يطوفون جبهات القتال على شكل أطباء وصحفيين ـ وهذا ما قبله قائد بارز مثل أحمد مسعود في بانشير ـ وهي عروض يرفضها هؤلاء.
وبينما يتصل مسعود بباقي قادة الجبهات لإقناعهم بالسير تحت لوائه يقف القادة المسلمون في الداخل عاجزين عن تطوير التعاون بينهم والحفاظ على الجهاد الإسلامي في أفغانستان .

مقترحات قادة الجبهات

1 ـ تقدم بعض قادة الجبهات في الداخل بآراء محددة لبعض الإخوة العرب حول مطالبهم وشروطهم فيمن يرتضونه قائدا عليهم :

أولا : مطالبهم لاستمرار الجهاد:

1 ـ توفير الإمدادات التموينية والذخائر للمجاهدين بصفة مستمرة .
2 ـ العمل على تقوية الجهاد بعدم تحريض أحزاب بيشاور للمجاهدين بعضهم على بعض .
3 ـ إتخاذ الإجراءات الضرورية التي من شأنها رفع الفاعلية القتالية للمجاهدين وتأمينهم ضد تقلب الوضع السياسي في باكستان .

ثانيا : شروطهم في القيادة المطلوبة للمجاهدين :

1 ـ أن تكون القيادة إسلامية ،من صفوف المقاتلين، تعيش فوق الأراضي المحررة من أفغانستان، ووسط المجاهدين وفي نفس ظروفهم المعيشية .
2 ـ تسيطر هذه القيادة على أعمال القتال في الجبهات وعلى الإمداد .
3 ـ أبدت تلك القيادات عدم إستعدادها لقبول أي قيادة لا تتوفر فيها تلك المواصفات بما في ذلك قيادات بيشاور السياسية التي تقاعست عن إدارة وقيادة القتال في الجبهات .
4 ـ **اقتراح هام :**
هذا وقد أبدت القيادات الإسلامية البارزة في داخل أفغانستان إستعدادها لعقد اجتماع موسع لقادة الجهاد البارزين، من المقاتلين داخل الجبهات، بحضور ممثلين عن العرب العاملين على دفع عجلة الجهاد، وبحث السبل اللازمة لإيجاد إتحاد إسلامي حقيقي داخل الجبهات، وتطوير الجهاد وتقويته حتى يصل إلي غايته المرجوة، ووضع مخطط عملي لذلك، وبذل أقصي الطاقات لتنفيذه.

ملامح عامة لمشرع عربي لدعم المجاهدين الأفغان

الهدف من هذا المشروع هو تقديم الدعم المباشر الفعال لمجاهدي الداخل وتقوية الجهاد وتفادي الفتنة السياسية في بيشاور .
أولا : تكوين لجنة إسلامية عالمية موثوق بها قادرة على الحركة وإستقراء الأحداث،وتوضع تحت تصرفها إعتمادات مالية مناسبة وتتولى هذه اللجنة وضع الخطط الكفيلة بتحقيق هذا الأهداف ـ ومتابعة تنفيذها، ويكون مركزها في إحدى دول الخليج .
ثانيا : إقامة مكتب إتصال في بيشاور، مهمته تحقيق الإرتباط بين اللجنة العربية ومجاهدي الداخل ،ومتابعة إيصال المساعدات إليهم ومتابعة تنفيذ المشروعات المتفق عليها لكي تقام على الأراضي المحررة مثل تصنيع الذخائر وصيانة الأسلحة والخدمات الطبية ... الخ .

ثالثا : ضباط الإتباط وهم مجموعة عربية أفغانية مهمتها ربط حركة الجبهات في الداخل مع مكتب الإتصال، وإيصال المعونات ومتابعة المشروعات المختلفة في الجبهات ، كذلك قضاء فترات طويلة هناك لمعايشة أوضاع المجاهدين وأحوال القتال وتقديم تقارير ومقترحات إلى مكتب الإتصال في بيشاور .

المشروعات المقترحة لتقوية الجهاد

1 ـ إقامة صناعة ذخائر الأسلحة الخفيفة والرشاشات الثقيلة كمرحلة أولى وذلك داخل المناطق المحررة التي يسهل الدفاع عنها وإخفاء المنشآت في كهوفها الجبلية .

2 ـ الإمداد بوسائل إصلاح أسلحة صغيرة، للقيام بالإصلاحات الجارية وإبدال قطع الغيار مع إقامة ورش ثابتة للقيام بالإصلاحات الرئيسية .

3 ـ إنشاء مراكز للتدريب المتقدم لقوات المجاهدين، والإقتراب بمستواهم من مستوى تدريب القوات الخاصة،وإعطاء الدورات التخصصية في هندسة الميدان، وهذا بدوره يؤدي إلى إختصار وقت المعارك وتكاليفها وخسائرها البشرية .

4 ـ إنشاء مدرسة لتدريب الكلاب على إكتشاف الألغام والمتفجرات وهي مشكلة خطيرة يعاني منها المجاهدون .

5 ـ العمل على إحلال أنواع جديدة من الألغام الحارقة المصنعة محليا ـ وهذا ممكن عمليا وبسهولة ـ ولكنه يحتاج إلى تمويل .

6/ أ ـ إنشاء مراكز إسعاف متقدمة مزودة بوسائل إسعاف عاجلة ومن 1 ـ 2 ممرض مدرب .

6/ ب ـ إنشاء مستشفيات ميدانية في مراكز قيادة الجبهات وتزويدها بالأطباء والمعدات والأدوية .

7 ـ تبني استراتيجية قتالية جديدة فبدلا من الوضع الحالي حيث تركز الأحزاب قوتها كلها حول كابل في إنتظار إنسحاب الجيش الروسي للإنقضاض على مركز الحكم والإستيلاء على السلطة . علينا أن نعمل على بناء قواعد قتالية فعالة على أوسع رقعة من البلاد والقتال بأسلوب حرب العصابات والإستنزاف المستمر في كافة المناطق وقطع محاور الإمداد حتى ينشر الروس قواتهم فوق رقعة واسعة من الأرض فتزداد خسائرهم في المعدات والأفراد ويزداد العبء المادي وتزداد صعوبة المواصلات وتنخفض الروح المعنوية للعدو ، وبناء على هذه النظرة الجديدة تصبح تقوية المقاطعات الشمالية والغربية أمرا هاما وهي مناطق مهملة في الوقت الحالي .

8 ـ العمل على تخزين أكبر كمية ممكنة من جميع أنواع الذخائر والوجبات الجافة في داخل الجبهات بغرض الإكتفاء الذاتي لمدد طويلة .

9 ـ إستحداث برنامج إتصالات بين قادة الجبهات بالوسائل السلكية واللاسلكية ومراكز بريد متنقلة بحيث تكون الرسائل الكتابية منتظمة بين الجبهات وكذلك الإتصال اللاسلكي .

10 ـ تحديد القدر الأدنى من التعاون العسكري بين الجبهات الذي يهدف إلى عدم إتاحة الفرصة للعدو للإستفراد بإحدى الجبهات وتركيز ضرباته البرية والجوية عليها .

وفي مثل هذه الحالات لا بد من الإتفاق على وسائل المساندة بين الجبهات فمثلا في حالة حدوث هجوم موسع يتم تنشيط العمل العسكري على نطاق واسع لإجبار العدو على نشر قواته وعدم تركيزها على جبهة واحدة لسحقها .

(إنتهى التقرير)

…………………………………………………

ملاحظات حول التقرير

يحتوي التقرير تشكيكا في التوجهات الحقيقية لقادة الأحزاب .

وهو ما أثبتت الأحداث صحته خاصة بعد فتح كابل ـ حيث ظهر أن إقامة دولة إسلامية غير مطروح في تفكير هؤلاء ، بل أنهم هاجموا المجاهدين العرب إما صراحة (رباني) ، أو ضمنا (سياف) . أما حكمتيار فقد إستخدمهم في قتال منافسيه فإحتضنهم في خطوطه الأمامية.

إشعال القتال الداخلي والفتن الداخلية ، له أسبابه الإجتماعية بلا شك ولكن الجهاد في بدايته أخمد تلك الفتن بشكل تام تقريبا .

حتى أننا شاهدنا جبهات تقاتل فيها عدة قوميات أفغانية جنبا إلي جنب ، ومن عدة قبائل مختلفة ، ولكن الأحزاب أيقظت الفتن ودفعتها بقوة حسب المخططات المملاة عليها .

وما زالت تلك وظيفتها في أفغانستان حتى تمزقت البلاد وسادها الخوف وإنعدام الأمن والكراهية العرقية، وإنحسرت أحكام الإسلام وإختفى شعار الدولة الإسلامية تقريبا، وهذا ما نشاهده الآن وقت كتابة هذا الموضوع ـ والكلمة العليا الآن هي للأمم المتحدة والدول الصليبية .

حوى التقرير أول تعريض بمسعود ، وارتباطه بالدول الغربية . وفي الحقيقة أن موضوع مسعود ظل غامضا إلي حد ما بالنسبة لي ، ولم يتضح بشكل كامل إلا في لحظات دخوله كابل على طائرات عبد الرشيد دوستم أشهر قائد للمليشيات الشيوعية . والأغلب أن مسعود مع إرتباطه بالروس، مثل إختراقا فرنسيا لجبهة أفغانستان على غير رغبة من الولايات المتحدة الأمريكية سيدة الغرب وقائدة العملية الكبرى في أفغانستان ضد السوفييت.

وكان لبريطانيا إختراقها أيضا ولكنها ظلت أكثر إنضباطا من فرنسا . ففي عهد رئيسة الوزراء البريطانية (مرجريت تاتشر) إختارت بريطانيا بلا رجعة زواجا كاثوليكيا مع الولايات المتحدة الأمريكية . لذلك حرصت بريطانيا على لعب أوراقها الأفغانية تحت سمع وبصر الولايات المتحدة . ومن أوراقها الملك ظاهر شاه والسيد أحمد جيلاني (زعيم حزب جبهة محاز مللي أفغانستان) . وجانب من العداء والقتال المرير بين مسعود وحكمتيار يمكن إرجاعه إلي إختلاف جهة التمويل ، والولاء بالتالي .

وجبهة الحلفاء لم تخل هي الأخرى من أزمات حادة ، تمت ترجمتها إلي قتال بين الأتباع على الساحة الأفغانية .وعندما تعدت السعودية حدودها وتخطت صلاحيات باكستان ، جوبه سياف بقتال داخلي من جانب حكمتيار أو غيره من الأحزاب (مقابل معونات باكستانية) .

وعندما تضخم دور (مولوي جميل الرحمن) في ولاية كونار، وبمساعدة السعودية أقام إمارته السلفية ، إتحدت جميع الأحزاب الأفغانية ، على مستوي القيادات في بيشاور وقادة جبهاتهم في كونار ، لأول و آخر مرة في تاريخ الحرب الأفغانية ، ودمروا دولة جميل الرحمن في كونار.

ودبر حكمتيار عملية إغتيال الرجل نفسه بواسطة شاب عربي متحمس جدا للجهادالأفغاني ولزعامة حكمتيار .

أما عن ملامح المشروع العربي المقترح لدعم المجاهدين الأفغان :

البند الأول فيه هو تقريبا إقتراح الشيخ أبو بكر الجزائري وتلك اللجنة الإسلامية العالمية التي مركزها إحدى دول الخليج كانت ستتحول إلي لجنة تابعة لحكومة السعودية ، فالتمويل في أغلبه سعودي ، ومقر اللجنة غالبا سيكون أيضا هناك . فهذا الإقتراح لم يكن ليغير الوضع السائد ، بل سوف يكرسه ويعطيه، ظاهريا، طابعا إسلاميا عاما.

البند الثاني والثالث التي تتحدث عن مكتب الإتصال لتحقيق الإرتباط بين اللجنة العربية ومجاهدى الداخل ومتابعة إيصال المساعدات إليهم ومتابعة تنفيذ المشروعات المتفق عليها مثل تصنيع الذخائر وصيانة الأسلحة والخدمات الطبية ... الخ ، كان ذلك ما قام به الدكتور عبد ا عزام فيما بعد تحت إسم (مكتب الخدامات) مع فارق جوهري هو أننا كنا نتحدث عن مشاريع عسكرية ، وعملية إمداد وتموين تخدم عمليات قتالية متفق عليها ، على غرار ما حولناه في باكتيا وإعترض عليه سياف . ولكن الدكتور عبد ا عزام إنطلق بمفهوم مغلوط تماما بناء على تقييماته الخاصة التي إستقاها من بيشاور التي تتميز دوما بأجواء مشوشة ومعلومات معكوسة .

لقد كان مفهوم الدكتور عبد ا (إغاثيا إنسانيا عاطفيا) ولم يكن ذو توجه عسكري على الإطلاق .

أراد الرجل إغاثة جميع جبهات المجاهدين في جميع أفغانستان حتى لا يتوقف الجهاد .

وليس ذلك بالمنطلق الصحيح عمليا . ففي الحروب لا يمكن مراعاة العدل والمساواة للجميع، حتي ولو كانوا جميعا مقاتلين ، فهناك خطة عسكرية تراعى فيها الأولويات.

وخطة الإمداد والتموين (اللوجستيك) تتبع الخطة العسكرية خطوة بخطوة ولا تنفصل عنها .

ولما كانت الأحزاب لا تمتلك خطة عسكرية ، بل أنها تنفذ عمليات بالقطعة بناء على طلب الإستخبارات العسكرية الباكستانية التي تملك الخطة العامة ولا تطلع عملائها إلا علي التفاصيل المطلوب تنفيذها هنا أو هناك ، وبالتالي فإن الشيخ عبد ا إنطلق على سجيته الطيبة الروحانية يبعثر مئات الملايين من الدولارات على أرض عطشى ولا ترتوي . وبغير خطة أو خبرة أو نظرة بعيدة للأمور .

في نظري أنه كان يمكن أن يتبنى مشاريعا على نمط مشروع باكتيا العسكري ، ويتكفل بإمداده، وقد كان يستطيع ذلك. وكان بإمكانه أن يجمع قادة الداخل حوله في تنفيذ تلك العمليات.

ولكنه بالطبع سوف يواجه حربا شعواء من حكومة باكستان وأسيادها ، ومن الأحزاب العفنة في بيشاور لكونه قد خرج عن السيناريو الموضوع لتلك الحرب، بأن تظل حربا بالوكالة يخوضها المسلمون لصالح أمريكا تحت راية الجهاد .

في ظني أن إتحادا بين الدكتور عبد ا وقيادات الداخل المخلصين وباستخدام ذلك التمويل الضخم الذي توفر له ، ومئات الشباب الذي بدأوا يتوافدون للجهاد ويتحرقون شوقا للشهادة ، كان يمكن للدكتور عبد ا أن يحدث إنقلابا جهاديا في أفغانستان.

ولكنه فضل المهادنة مع الجميع حتى تسير السفينة بهدوء ويستفيد من كل الطاقات الإسلامية ، بما فيها طاقات المملكة وطاقات باكستان وزعيمها ضياء الحق الذي كان الدكتور عبد ا عزام يحسن الظن به كثيرا، بل يعتبره بطلا إسلاميا .

على أسوأ الإفتراضات فإن إتباع الدكتور عبد ا سياسة هجومية ـ كتلك التي أقترحها التقرير ـ فإنه كان سيتعرض للحرب وتشويه السمعة والحصار ، وبالتأكيد القتل أيضا . ولكن أليس ذلك هو ما حدث بعد خمس سنوات تقريبا من تاريخ إفتتاح مكتب الخدمات؟، حيث أغتيل الرجل و عاش آخر أيامه في حالة حصار وتشويه وهجوم من الجميع،حتى أصدقائه قادة الأحزاب الأصوليةوعلي رأسهم سياف ـ وكانت السعودية أكبر ممموليه هي أكبر المشاركين في قتله ـ وكل أو معظم الذين تسلموا منه معونات داخل أفغانستان إتهموه بأنه كان منحازا وأنه فرق بين صفوف الأفغان ، وأن "الجهاد الأفغاني" قد تدهور بوصول العرب وتدخلاتهم الخرقاء في الشؤون الأفغانية الداخلية .

إنشاء مدرسة لتدريب الكلاب علي إكتشاف الألغام:

... مشروع لم ير النور حتى الآن، أفغانستان ـ تحتوي على أكبر عدد من الألغام في

العالم أي أن عدد المسلمين المتوقع أن يقتلوا بالألغام هو الأعلى من نوعه بين الأمم .
ورغم أن الوضع آخذ في التدهور فإن مشروعا بسيطا كهذا لا يمكن تنفيذه ـ ربما حتى تقرر دول الصليب إقامته لنا ـ حتي تحقق مصالحها في مكان ما في وقت ما .

الألغام الحارقة المصنعة محليا:

هو حلم صغير ومع ذلك لم يتحقق ولم نكد نرى أي شيء مصنع محليا ، بل أمضينا الحرب كلها مع (المستورد) . حتي تعبئة الطلقات الصغيرة لم ترالنور ! !..
بعد إنتهاء الحرب سمعت عن بعض (مشروعات تصنيع عسكري) لهذا الحزب أو ذاك وظلت كلها بلا دليل كما أنها جاءت بعد فوات الأوان ، اللهم إلا إذا كان الهدف منها الإستقلال ذاتيا في خوض الحرب الأهلية لإفناء أفغانستان وشعبها . المجاهدون العرب، خاصة جماعة أسامة بن لادن كان لهم السبق في مسائل عديدة وحيوية منها التصنيع ،ولكن في مجال ضيق وهو تصنيع المتفجرات مع تطوير في أجهزة التحكم عن بعد وقضايا تدريبيه عديدة بلغ بعضها شأنا محترما .
كان ذلك ضمن موضوعات خرجت عن نطاق الحصار والسيطرة المضروبة على النشاط العربي في أفغانستان .

المستشفيات الميدانية: كانت من الموضوعات التي أثارتها لجنتنا الموقرة وخطت فيها خطوات صغيرة أثارت حماس الباقين حتى أصبحت الخدمة الطبية التي قدمت إلى المجاهدين الأفغان ـ كما أعتقد ـ هي الأفضل من نوعها لأي حرب عصابات فيما مضى .
لقد أنشأنا عدة عيادات صغيرة للغاية ـ أكثرها يعتمد على ممرض متنقل ـ وإمكانية بدائية لنقل الجرحي لكن تعمل قريبا جدا من الخط الأول.وكانت الوكالة الإسلامية للإغاثة (إسرا) هي أول من تبنى ذلك التوجه في العمل الطبي وجعله لصيقا بالعمل الجهادي . وبعد ذلك تقدمت الهيئات العربية الأكثر قدرة وعملت ما يمكن إعتباره الكثير ـ وقامت المؤسسات الصليبية بالمنافسة في نفس المجال ـ وكانت أوسع إنتشارا جغرافيا لأنها لم تضع لنفسها تلك الحدود التي رسمتها الهيئات العربية حول عملها، مثل الشروط العقائدية أى إشتراط صحة العقيدة قبل تقديم الخدمة الإغاثية.
أو الشروط السياسية ،مثل ضرورة موافقة سياف على المشروع ومكانه، وشخصيات الأفراد والتجمعات التي يمكنها الإستفادة منه. وقد تساقطت بعض هذه الشروط مع الوقت.

البند السابع: من مقترحات التطوير يكاد يكون أخطر المقترحات وأكثرها إستحالة علي التنفيذ لأنه من إختصاص الكبار ، وليس من إختصاص (الأدوات) التي تنفذ حربا بالوكالة ، من أمثال (حضراتنا) من المجاهدين المتحمسين .
لقد تحمس بعض الصغار للفكرة ، ووصفها قادة الأحزاب خاصة سياف بأنها مؤامرة أمريكية / روسية لإفشال الجهاد!!.
بعد عدة أشهر من كتابة التقرير تناقشت مطولا مع (الرائد رشيد) في معسكر (قيس) الحدودي.
وكان لديه تصور إستراتيجي مفصل قمت بتسجيله وصياغته بالعربية . ثم أطلعت عليه الدكتور عبد ا عزام طالبا منه عدم تصويره لأنه بخط اليد ، حتى نقوم بطباعته أولا .
ولكن مساعده (أبو أكرم) قام بتصويره وعرضه على سياف الذي وصفه بأبشع النعوت وأنه أخطر المؤامرات ، وقال أنه (منشور) موجه ضده شخصيا . ولكن بعد حوالي عامين قام الدكتور عبد ا عزام بنشر معظم ذلك التقرير في مجلة (الجهاد) التي يشرف عليها ـ ولم يشر بالطبع إلى من أعد التقرير ـ وقال أنه له بعض التحفظات على تلك الدراسة . أظنه يعني الجانب السياسي الذي يدين الإتحاد وسياف والمنظمات والسعودية ... ولكنه يشيد بروح التجديد

والعمق فيها ويطلب من المسلمين الإهتمام بتلك الدراسات . لم يشر بالطبع إلى أن أسلوبها غير إسلامي وأنها ذات طابع مادي يوحي بأن وراءها شيوعيون أو علمانيون كما قال بعض جهابذة بيشاور من العرب .
الطريف أن (أبا أكرم) وكان الدكتور عبد ا عزام قد إستدعاه من الأردن كي يستفيد من خبراته التي إكتسبها مع منظمة التحرير كمدرب ومسئول طبي ، قد غادر باكستان غاضبا وقال لي بالنص : (هؤلاءالقادة خبثاء ، وا إن حذاء ياسر عرفات أشرف من أكبر لحية فيهم).
كانت تلك لحظة نادرة من لحظات الصدق مع الذات.
ومع ذلك لم يتم تنفيذ سطر واحد من تلك الدراسة القيمة لا قبل نشرها ولا بعد ذلك.رغم أن سياف إقتبس بعض ما بها من تعبيرات جديدة لم تكن معروفة إطلاقا في ساحة بيشاور المليئة بالعبارات الإنشائية الطنانة . فبدأ يتكلم عن (مراحل حرب العصابات) ، وكيف أنه الأن في مرحلة كذا وقد أنهى مرحلة كذا ... فهتف وكبر له مريدوه الذي يطربهم الكذب خاصة إذا جاء من زعيم ذو لحية عظيمة .
البند الثامن : (تكديس أكبر كمية ممكنة من الذخائر والوجبات الجافة داخل الجبهات لتحقيق الإكتفاء الذاتي لفترة طويلة) هذا البند يفقد الكثير من معناه ما لم يرتبط باستراتيجية للعمليات، لتحديد المناطق والكميات والأنواع المطلوبة طبقا للبرنامج العسكري .
وبالتالي لم يكن المجاهدين بقادرين على القتال لفترة طويلة أو تنفيذ برامج واسعة قد تؤدي إلى قلب موازين القوى لصالحهم . لذا كان من المتوقع أن تنتهي الحرب بلا انتصار عسكري بعد مصالحة سياسية ولكن ذلك المخطط إنهار بسبب نجاح المجاهدين في اقتحام مدينة خوست، ولعوامل أخرى سوف نذكرها في وقتها .
البند التاسع : إستحداث برنامج إتصالات بين قادة الجبهات ... .حتى ذلك الوقت كانت أجهزة اللاسلكي الكبيرة تستخدم بندرة . أما الأجهزة الصغيرة للإتصال القريب بين المجموعات فلم أرها في الجبهات إلا في عام1985 م . وكانت معنا في مجموعتنا العربية آنذاك ، وكانت فاشلة تماما وخرجت من الخدمة بسرعة . ولكن العرب أدخلوها بكثرة بعد ذلك ونشروها في معظم أفغانستان ، وعلى نفقتهم الخاصة ، وكانت تلك من مساهماتهم القليلة ولكن كثيرة النفع والمعاكسة للخطة الأمريكية في تحجيم المجاهدين بطرق شتى .
البند العاشر: إقتراح تعاون بين الجبهات لمنع العدو من الإستفراد بجبهة وتصفيتها.
وهذا أيضا إقتراح لم ير النور على الإطلاق طوال فترة الحرب . بل أن العكس قد حدث . فإذا نجح المجاهدون في قطاع ما فإن الغيرة ـ أو التآمر ـ يدفع آخرين لفتح الطرق أمام نجدات العدو كي تهاجم (إخوانهم المجاهدين) وإستعادة التوازن في المنطقة . وحوادث من هذا النوع لا تكاد تحصي ، وفي ظني أن تلك الخيانات لم ترتكب على مستوى قادة صغار أو كبار داخل الجبهات فقط بل أيضا على مستوى قادة الأحزاب وبالطبع فإن ذلك مرتبط بوتيرة تصاعد الحرب وخطوطها الحمراء التي ترعاها الولايات المتحدة بواسطة باكستان.
فلم يكن مطروحا للبحث مجرد إحتمال إنتصار المجاهدين عسكريا ، وعندما خطر في ذهن الجنرال ضياء الحق أن يقفز فوق ذلك الحاجز عام 1988م إغتاله أصدقاؤه الأمريكان وأعداؤه الروس في أول عملية مشتركة لهم (على حد علمي آنذاك) في فترة الحرب الباردة ، ولعلها كانت أول نموذج لتعاونهما المشترك في فترة ما بعد الحرب الباردة أو النظام الدولي الجديد كما أسماه الأمريكان .

....

تحولات جديدة

عاد حقاني إلى أبو ظبي بعد إنتهاء موسم الحج وهو متفائل حيث لمس تجاوبا وإتجاها ملموسا للتحرك نحو الداخل، وزيادة الوعي لدى كبار الأنصار العرب بسلبيات بيشاور وخطورتها .

فقد تقابل هناك مع الدكتور عبد ا عزام وعرض عليه المقترحات الجديدة وأبدى الرجل تفهما وحماسا للتوجه ذاته ،وكذلك الشيخ أبو بكر الجزائري الذي روج لنفس الإتجاه الذي وعدنا به في بيشاور ـ ولم نكن نعرف أسامة بن لادن وقتها ـ وربما كان إسمه مجهولا لدينا ـ ولكنه وغيره من أصحاب المال والنفوذ والحماس قد وصلتهم أصداء تلك النداءات .

وقد فاتح الدكتور عبد ا وأسامة بن لادن سياف في بدء العمل في ذلك الإتجاه بالشكل الذي ذكرناه سابقا. ورجع الدكتور عبد ا إلي بيشاور كي يبدأ برنامجه الجديد .

أما حقاني فكانت جهوده في الإمارات قد قطعت شوطا بعيدا. ولما كانت أضواء السعودية كلها مسلطة على أفغانستان والجهاد ، طبقا للقاعدة المشهورة.. أقلعت دولة الإمارات خاف المملكة وأضاءت أيضا جميع الأضواء الخضراء .

وتقابل رئيس الدولة (الشيخ زايد) مع حقاني ، وتلاقت الطبيعة الصحراوية الجافة بالطبيعة الجبلية الصلدة والجسورة.وأظن أن زايد كان يشعر أن حقاني صديقه ويكن له إحتراماً خاصاً.

وقد إستطلع موقفه بشأن البحث عن حل سياسي للحرب مع السوفييت،وفاجأه موقف حقاني وثقته في نصر عسكري . وكان سكان الإمارات ـ وأظن أيضا بدو الجزيرة كلهم ـ في حالة دهشة وإنبهار وإعجاب بهؤلاء الأفغان الجبليين وشجاعتهم الأسطورية في القتال ضد الروس. وخاطب ذلك فطرة كامنة وتاريخا بعيدا يوم أن كان بدوي الجزيرة رجلا حرا وشجاعا ... وذلك قبل أن يطفح عليه النفط الأسود اللزج فيطفئ فيه كثيرا من أنوار الفطرة وإشراقة الإسلام .

تقابل حقاني، بصفته الإتحادية، كنائب لرئيس اللجنة العسكرية للإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، تقابل مع عدد من حكام الإمارات وكبار المسئولين في الدولة ، وألقى محاضرة في (لواء البدر) في رأس الخيمة حضره عدد كبير من الضباط وتكلم حقاني من ناحية إسلامية قتالية عن المعارك مع السوفيت والقوات الشيوعية، وقاطعه الضباط عده مرات بالهتاف والتكبير.

كانت مفاوضات ومطالب حقاني تدور في إطار صفته الإتحادية ووافق معه زايد على عدة خطوات "ثورية" لخدمة الشعب الأفغاني،وفقا لمقترحات حقاني . فمثلا وافق على إعطاء مكتب مجاني للإتحاد مع تسهيلات لهذا المكتب . ووافق على سياسة إستقدام عمالة أفغانية للعمل في الإمارات بما يخدم قضية دعم الأسر المحتاجة والمتضررة وأسر المجاهدين طبقا للوائح عمالة يجهزها قسم عمالي في مكتب الإتحاد بالدولة . وكان على وشك الموافقة ـ أو أنه وافق فعلا ـ على منح مكتب الإتحاد بالدولة الحق في الحصول على (مستهلكات جيش الإمارات) من الملابس (والبحث لاحقا في موضوع المعدات.وكانت معلوماتنا تفيد بأن تلك المستهلكات تكفي وتفيض عن حاجة المجاهدين في الملابس والأحذية وغيرها) .

كانت تلك الموافقات السخية وغيرها في إنتظار عودة حقاني حتى يراجع زايد بشأنها ويحصل منه على قائمة موقعة من طرفه للدوائر المختصة .

أعوان سياف من العرب (الإخوان) ومكاتب سياف في الإمارات لم يعجبها هذا التقدم الذي أحرزه حقاني،خاصة وأن إتصالات سياف بهم تركز منذ موسم الحج على أن حقاني أصبح خارجا

علي الإتحاد بل ويعمل على هدمه . وأنه بصدد تنفيذ (مؤامرة) لتكوين حزب خاص به، يجمع حوله أنصاره و"المولوية" الآخرين في أفغانستان . وأن خلف حقاني تقف مجموعة مشبوهة من العرب العملاء ، ومعظمهم في أبو ظبي وعلي رأسهم فلان وفلان (عني وعن المنياوي) .

لم يكتف سياف بذلك بل أرسل من بيشاور تلكس إلى مندوبه في أبو ظبي ، ويدعى خان محمد ،يطالبه فيه بتحويل ذلك التلكس إلي الديوان الأميري . ويقول فيه بالنص :

(الإخوة الأعزاء ، أي شخص يأتي إليكم يطلب المساعدة للمجاهدين ، فيما عدا مندوبنا خان محمد ، فإنه يأخذ هذه المساعدات لنفسه . ونحن نرجوكم أن توجهوا كل مساعداتكم لنا من خلال خان محمد . المخلص بروفوسير . أ . ر . سياف رئيس الإتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان).

أحدث التلكس ضجة في أبو ظبي والإمارات،وسعي به مندوب سياف وبعض أنصاره من العرب (الإخوان) وطافوا به لدى كل من يهمه أمر أفغانستان ، وكانت إهانة واضحة لحقاني ، ولكنها أضرت بالموقف العام من الأفغان وهزت الثقة بهم ، فإذا كان حقاني ليس موثوقا لدى رئيس الإتحاد فمن يكون موثوقا ؟ هذا لأن حقاني معروف في الإمارات،منذ سنوات طويلة، بأنه واحد من أشهر قادة الجبهات المقاتلين ، بينما (خان محمد) مندوب سياف شخص يتمتع بسمعة سيئة لدي الأفغان أنفسهم .باقي مندوبي الأحزاب لدى الدولة فسروا التلكس أنه موجه ضدهم أيضا وأنه سوف يضر بعملهم ، وربما وضعهم تحت طائلة القانون ، بصفتهم محتالين . إنتقل التوتر إلى أكبر مركز للأفغان في الإمارات وهو المنطقة الصناعية في العين ، التي تأوي عدة آلاف من الباتان في أحد أحياء الصفيح ، التي لا تدخلها الشرطة إلا بإذن مسبق .

الحرب الأهلية بين أعوان المنظمات والدائرة على أشدها في شمال أفغانستان وحول كابل ، كادت أن تنتقل إلي المدينة الصناعية وغيرها من تجمعات الأفغان .

بذل حقاني جهوده لتفادي الأزمة، وعقد إجتماعا في أبو ظبي مع جميع المندوبين ، لوضع ميثاق عمل وتكوين لجنة واحدة تنطق بإسم الأفغان ، حتى لا يفقد الجميع مصداقيتهم . وأن تكون رئاسة اللجنة بالتناوب بين المندوبين، وأن يشرف على اللجنة مجموعة من العرب المتعاطفين، مع مندوب من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية وهي الوزارة التي تتعامل معهم رسميا .

على أن تكون تلك اللجنة بعيدة عن الحزبية وخلافات بيشاور وأن تعمل وفقا لميثاقها الداخلي لخدمة المجاهدين كافة .

وتمت كتابة ذلك الميثاق الذي ينظم اللجنة الموحدة ، ونوقشت مع مدير مكتب وزير الأوقاف، وأقرها المندوبون بالإجماع . ولكن ما أن سافر حقاني إلى بيشاور حتى نقض مندوب سياف العهد ،بأوامر من سياف كما قال،وتمسك بصفته الرسمية كمندوب للإتحاد الشرعي في بيشاور.

إنفضت اللجنة وبدأت الحرب الباردة بين مندوبي الأحزاب ومكاتبهم التي إنتشرت مثل حبات الجدري على جلد الإمارات ، فأثاروا دهشة الأصدقاء والغمز واللمز من الأعداء الشامتين ،

شهدت تلك المكاتب ما لا يحصى من المخالفات والإختلاسات . وإحترف بعض القائمين عليها لعبة الجباية لصالح أحزاب بيشاور مقابل عمولة عالية .

وإذا شكت بيشاور في أمانة أحدهم إنتقل للعمل كمندوب لحزب آخر . فتنقل معظمهم بين الأحزاب السبعة يحصلون فيها على خطابات تزكية لدى السلطات ويباشرون جمع الأموال وتوزيع مجلات الجهاد الصادرة عن أحزابهم،مع أخبار الجبهات،التي تنسب كل ما يحدث من قتال إلى الحزب الذي يحملون بطاقة تزكية صادرة عنه .

لم يكن ذلك مقصورا على الإمارات، بل أن الإمارات كانت أكثر المناطق إنضباطا إذا قيست بغيرها في الخليج،حيث دخل عديد من المندوبين في الأعمال التجارية والإستثمار الخاص .
إختصارا ، تفشى الفساد في العمل الأفغاني ليطفح في بيشاور إلى الأمام نحو الجبهات ، وإلى الخاف حيث مناطق جمع التبرعات. كانت مدرسة واحدة للمتاجرة بالشعارات الإسلامية مقابل قوة المال والقوة السياسية .
ولا بد أن نذكر أنه كما أن الجبهات كانت تحوي فئة من المخلصين الذين يندر أمثالهم في هذه الدنيا ، فإن الخطوط المالية في الخليج قد حوت قلة من هؤلاء أيضا . وللأسف فإن الخبث كان هو الذي يتزايد يوما بعد يوم ، وعلى جميع المحاور .
والطريف أنه حتى الآن (ونحن في العام الثالث للفتنة في كابل) فإن العديد من هؤلاء المندوبين مازال يجمع التبرعات من الخليج بدعوى مواصلة الجهاد ضد الطرف الآخر الذي خان الإسلام وتحالف مع الشيوعيين!!.

....

مطلوب للقتل:

لما كانت دعوتنا ترتكز على ضرورة تواجد العرب في قلب العملية الجهادية في أفغانستان ، للمشاركة وتصحيح المسار ، فقد كان لا بد أن يبدأ أحد للتفرغ لهذا العمل . وأسعدني الحظ أن أكون المتفرغ الأول من قبل لجنة أبو ظبي لمساندة المجاهدين الأفغان ، وقد كنت أيضا المتفرغ الوحيد من بين أعضاء اللجنة . فقدمت إستقالتي من جريدة الفجر التي قضيت بها أمتع سنوات حياتي العملية في الإخراج الصحفي ، وإتفقت مع جريدة الإتحاد علي أن أمدهم بالمقالات والأخبار من الساحة الأفغانية وهذا ما كنت أفعله منذ عام 1979م. ولكنه بداية من عام 1985م بدأت في نشر تلك المقالات بإسمي ،بعد أن كنت أنشرها سابقا بلا توقيع .
لقد إعتبرت نفسي منذ الرحلة الأولى إلي أفغانستان قسما إعلاميا للمجاهدين عامة ، ولكن ليس لصالح حزب أو جماعة أو فرد ، إلا فيما يحقق كل طرف من مصلحة عامة للمسلمين و الجهاد طبقا لما أظنه صحيحا .
كان من المقرر أن أنظم قاعدة العمل في بيشاور . فلا بد من مقر أو مكتب ومجموعة من الشباب ، أما إتصالات الداخل ومشاريعه فتبدأ من نفس الخيوط التي تجمعت لمشروع باكتيا.
كانت ميزانيةالعمل متواضعة جدا ولكن خطتنا مبنية على دراسة المشاريع المقترحة ثم إقناع الآخرين بتنفيذها إما بأنفسهم أو بالإشتراك معنا بحيث نتولى عملية المتابعة والإشراف.
لهذا فقد كنت أعتبر دورنا هو دور إستطلاع وتوجيه.
كنت أظن ، بتواضع طبعا، بأننا قادرون على إجراء بحث أدق وأشمل والنفاذ إلى أعماق الميدان الأفغاني ومشاكله أكثر من العرب الآخرين.
الميزة الكبرى التي كنا نمتلكها هي تحررنا من المعوقات الشائعة مثل الإنتماء الحزبي أوعبادة الشخصيات،أو العاطفية الهائمة،أو العمل لجهات رسمية (حكومية أو إسلامية).
وما سوى ذلك ما كنا نتميز عن أحد ، بل كنا نأتي في ذيل القائمة .
بعض المزايا شاركنا فيها آخرون ، وأهمها إعتبار العمل القتالي هو صلب الجهاد.وكل النشاطات الأخرى لا بد أن يكون هدفها النهائي تقوية القتال و مساندته .
وبهذا لا تكون المشروعات الإنسانية أو الإغاثية أعمالا تائهة في الفضاء ، بل مرتبطة بالخطة

العسكرية والمجهود القتالي . وهكذا ينبغي أن تكون مشروعات التعليم والصحة والطرق والإنشاءات بأنواعها والزراعة و الصناعات ...
وقد شاركنا أسامة بن لادن في جزء من تلك الرؤية وهو التقييم القائل بأن القتال هو صلب الجهاد .
أما الدكتور عبد ا عزام والمؤسسات العربية فتعاملت في الغالب مع تلك النشاطات كجزئيات منفصلة ، قد تساعد أحيانا المجهود القتالي . ولهم بعض العذر في ذلك لكون العمل القتالي مجهول الإستراتيجية (فهي مخبأة بالخزانة الباكستانية) وما يظهر منه هو بعض المعارك المتناثرة هنا وهناك كبيرة أو صغيرة لكن بلا سياسة واضحة للعمليات .
في الوقت الذي كان فيه الدكتور عبد ا عزام ينشئ مشروعه الجديد في بيشاور تحت اسم (مكتب الخدمات) من أجل أهداف متقاربة من مبادئ عملنا ، كنت في نفس الوقت أتابع عملنا السابق في نفس الإتجاه ، ولا يدري أي منا عن الآخر سوى أخبار متناثرة .
كانت سمعتي في الحضيض وقتها في بيشاور ، وقد وصلني تهديد على لسان سياف بأنه سوف يقتلني إذا حاولت القدوم إلي بيشاور وكذلك صاحبي المنياوي .
من حسن الحظ أن أكثر العرب الذين بدأوا يتزايدون في بيشاور لم يكونوا يعرفون سوى إسمي ، إذن لوجدت مشقة كبيرة وقتها وأنا أتحرك في بيشاور على إستحياء لا خوفا من تهديدات سياف ، ولكن تفاديا لأن يجذبنا سياف إلى ميدان المهاترات العلنية التي لا أجيدها ولا تناسب عملنا.
كانوا يسمعون إسمي وإسم صاحبي مقرونا بمؤامرة غربية خبيثة لتخريب الإتحاد لصالح حزب جديد ينشق عنه يقيمه المولوية (العلماء) .
قام المنياوي في صيف 84م بالإتفاق مع خمسة من الشباب العرب على أن يعملوا معنا (مكتب أبو ظبي) في تقديم العون للمجاهدن داخل الجبهات . وافق الشباب وإستأجر لهم المنياوي بيتا في بيشاور حتى يكون مقرا لعملنا في بيشاور .
وافق الشباب تحت ضغط ظروفهم في بيشاور،والجو في بابي الذى لم يعد يوافقهم .
شاركوا في قتال جاجي حتى ملوا من أسلوبه العقيم ... هجوم على حصن تشاوني القريب بنفس الطريقة التي لا ينتج عنها شيء سوى مزيد من الجرحى والشهداء.
وعندما إشتدت الحملة ضدنا في بيشاور سمع بها الشباب ، فإنسحبوا من العمل بهدوء وإنزووا في أحد المكاتب التابعة لحقاني في بيشاور .
وعندما ذهبت هناك في شهر أكتوبر كان قد تبقى منهم أربعة فقط، متميزين فعلا خلقا وعقلا ، لم يستسيغوا ما يحدث في بيشاور ، وصدمتهم صورة المجاهدين والمنظمات الأفغانية وفوضى العرب ، وبعدما سمعوه في بيشاور ملأهم الشك فينا ، وإرتابوا في نوايانا .
بعد عدة أشهر من العمل والنقاشات المطولة بدأوا يقتنعون بما نعمل، وإن كان منهم من لم تمحي شكوكه بالكامل بل بقت كذلك ربما لسنوات . كانت هذه العصابة مكونة من :
- أبو حفص المصري ، وهو أول من قابلته من أفراد المجموعة وأكثر أفراد المجموعة تحفظا وشكوكا ، وقد تحول إلي العمل مع أسامة بن لادن منذ معركة جاجي وهو مجاهد حاليا في القرن الإفريقي ومطلوب للإعدام في مصر ـ كشأن أي مصري قاتل في أفغانستان .
(تولى ابو حفص رئاسة اللجنة العسكرية فى تنظيم القاعدة منذ عام 1996م – واستشهد فى الحرب الأمريكية على أفغانستان فى غارة جوية على مقر عمله فى قندهار عام 2001م).
- عبد الرحمن المصري ، وهو الوحيد الذي عمل معي بلا تردد ، وربطتنا صداقة ميدانية عميقة حتى إستشهد عام 1988م .

عبد الرحمن العراقي ، وقد خدم في الجيش العراقي وفر إلى إيران أثناء الحرب، ومنها إلى باكستان ، عندما قابلته كان قد فقد الثقة تماما في الجهاد في أفغانستان، وفي المجاهدين الأفغان والعرب . كان متشككا في كل شيء وفاقد للثقة في أي تحسن على أي مجال . عقليته عملية ومنظمة وقدم إقتراحات جيدة للعمل سوف نستعرض بعضها .
ولكن فقدانه للثقة وضعف الأمل أفقداه القدرة على ممارسة التغيير. وكان يسخر من عملنا ويقول :(أنتم كمن يعطي حقنة مقوية لجثة ميت ... إن الجهاد الأفغاني قد مات وأنتم تعملون على تقويته)، كانت رؤية سوداء ولكنها لا تخلو من الصحة. هاجر بعد سنوات وحصل على جنسية سويسرية. وعاد بعد نهاية الجهاد محاولا الإستقرار مع أسرته . وكان قد رزق إبنتين،
وخاف عليهن من الجو الأوروبي،ولكنه أعتقل مع بناته في الحملة ضد العرب (مارس93م)
فإضطر إلى المغادرة إلي مكان مجهول(ربما كان الشيشان).

عبد الصبور(وديع حداد)، وهو لبناني تحول إلى الإسلام من النصرانية ، كان مثاليا حالما ، نشطا ودئوبا وصبورا . وكان الأكثر جدية في أداء أي عمل يكلف به .
هاجر إلي أمريكا وتزوج هناك وحصل علي الجنسية الأمريكية .عاد في آخر عام من الجهاد ثم هاجر مرة أخرى تحت ضغط المطاردة الباكستانية للمجاهدين العرب .
(عبد الصبور : سجين حاليا فى أمريكا بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة ، على أثر تفجير سفارات امريكا فى نيروبى ودار السلام عام 1998م) .

كان من الصعب جدا زيادة عدد أفراد مجموعتنا بعد أن ساءت سمعتي وأصبحت مطلوبا .
وبعض شباب العرب المتحمسين أخبرني بعد ذلك بسنوات أنه كان يبحث عني كي يقتلني بعد ما سمعه من سياف . ولحسن الحظ أن هؤلاء حضروا معارك جاجي 1987م بقيادة أبو عبد ا وفيها إكتشفوا حقيقة سياف، وبالتالي بحثوا عني كي نكون أصدقاء.
كانت قدراتنا على العمل محدودة وإن كنا قد تطرقنا خلال فترة قصيرة إلي مجالات واسعة يحتاج كل واحد منها إلي مجموعة عمل كبيرة كي تغطيها . إكتشفنا مجالات واسعة جدا لم يكن في قدرتنا السير فيها بعيدا لقلة الأفراد والأموال وظروف الحرب النفسية .
فإكتفينا بإجراء بعض الدراسات وكتابة عدة تقارير عن مجالات العمل الجهادي ومتطلباتها ثم وزعناها علي المهتمين . وإكتشفنا أن ذلك إستخدم كورقة ضدنا بواسطة سياف والإخوان وصوروا ذلك بصبغة تآمرية مرعبة .
وكان أنجح مجهوداتنا البسيطة والتي تركت أثرا كبيرا بعد سنوات عديدة هي :

قسم الأبحاث والمعلومات:وبدأ بتكوين مكتبة جيدة كان لها أثر لم نتوقعه بعد سنوات طويلة . فقد إهتممنا بشراء كتب بالإنجليزية عن أفغانستان ـ وهي كثيرة جدا وأدهشنا غزارة ما يعرفه الغرب عن تلك البلاد الإسلامية مقابل جهلنا الذي يكاد يكون تاما ـ فيما عدا المعلومات المتداولة في بيشاور من مهاترات وأكاذيب وإشاعات ، هذه كانت بضاعة بيشاور وظلت كذلك حتي دمرت باكستان التجمع العربي هناك .
جمعنا أيضا كمية من الخرائط الجغرافية والسكانية والإقتصادية ثم بدأنا بعد ذلك بالإهتمام بالكتب العسكرية وعلى مدى سنوات كان لدينا عدد لا بأس به من الكتب العسكرية الممتازة بالعربية والإنجليزية وحتى بالفرنسية .
والأهم من ذلك كله إهتمامنا الأكاديمي بحرب العصابات وقد كان للرائد رشيد دورا هاما في ذلك المجال . فقد حاضرنا في معسكر قيس لعدة ليال عن حرب العصابات ، وعن برنامج إعادة

تنظيم الجهاد في أفغانستان على أساس علمي من حروب العصابات.
وقد كان ذلك مدخلا غاية في الأهمية تأثرت به حتى الآن ، وأثر على باقي زملائي كذلك.
وقد جمعت تلك المحاضرات في المذكرة التي تحدثت عنها سابقا ، وأرجو أن أتمكن من طباعتها بشكل مستقل في وقت ما .
وقد إستعار رشيد عدة كتب من المكتبة العسكرية في راولبندي وأعطاها لنا ، وللأسف لم نستطع إعادتها كلها إليه، بغير قصد أو سوء نية . وعمل عبد الصبور في ترجمة بعضها .
وقد أنهى بسرعة ترجمة كتاب عن حرب العصابات في أندونيسيا من تأليف عبد الحارث ناستيون ـ وهو كتاب فتح لنا أيضا المزيد من نوافذ المعرفة في ذلك المجال ، الذي حملت راية التبشير له منذ تلك الأيام وحتى الآن ـ وكان لي بعض الكتابات حولها أي حرب العصابات وقد نتعرض لبعضها في كتابنا هذا ـ وقد إكتسب هذا العلم بعض الأنصار،وبصعوبة وبعد شكوك من جانبهم،ولكنه حتى الآن لم يجد هذا العلم ما يستحقه من عناية في الأوساط الإسلامية المجاهدة.
كانت مكتبتنا ـ أول مكتبة "غير إسلامية" ـ في أوساط العرب وشاعت عنها أخبار مخيفة تتناقل سرا بأنها تنشر فكرا علمانيا مشبوها .
وتعرض الشباب معي إلي حملات نفسية رهيبة لا أدري كيف صمدوا لها. حتى أن بعض الضيوف طلبوا من الإخوة إطلاعهم على تلك الكتب ، بعضهم تأكدت شكوكه وأصبحت يقينية بأن هذا فكر مشبوه وغير إسلامي . وبعضهم تجاوب وحتي تحمس وعمل معنا ، ولو لفترة بسيطة وعددهم لم يتجاوز أصابع يد واحدة مكتملة العدد .
ولكن عددا لا بأس به أصبح متعاطفا أو محايدا وتزايد عدد هذا المعسكر خاصة بعد معركة العرب في جاجي . فقد إكتسبت بعدها عددا من الأصدقاء الجدد ، وتلك في نظري من عظائم الكرامات التي حدثت في جهاد أفغانسان .
بدأنا برنامج التدريب الذي كنا نحلم به ، بدأت به مجموعتنا نفسها في معسكر قيس .
كان معسكرا هادئا قليل العدد ، فيه مجموعة من قادة المجموعات الممتازين لدى الشيخ نصر ا منصور يدربهم إثنان أو ثلاثة من الجيش الباكستاني ـ أفهمونا أنهم متقاعدون ويعملون بالأجر في المعسكر ـ قضى إخواننا شهرين أو أكثر وبدأوا مع قراءاتهم الشرعية والتدريب مع قراءة كتب في حرب العصابات . وكانت تلك الفترة، حسب شهادتهم حتى آخر وقت، بأنها أفضل فترة تأهيل وإستيعاب صادفوها .
قام عبد الرحمن العراقي وعبد الصبور بعمل أول دراسة ميدانية عن أحوال التعليم داخل وخارج أفغانستان (للمهاجرين) ،أمضوا فيها أكثر من شهرين وكلفت مبلغا من المال كان بالنسبة لنا كبيرا جدا . ولكن من تلك الدراسة التي أعطيناها للمؤسسة الإسلامية للإغاثة (إسرا) إنبثقت المجهودات العربية في مجال التعليم .
لذا فإن تلك الدارسة في نظري كانت الأوسع فائدة في كل نشاطاتنا في ذلك الوقت وربما لوقت طويل .
أما عملنا في مجال العمل العسكري مع المجاهدين فقد تعثرت ولم نستطع متابعتها على الشكل الذي كنا نريده ، وبدأنا في محاولة توحيد العمل العسكري والإمداد بين جماعتي جلال الدين حقاني ونصر ا منصور في باكتيا . وفوجئنا أنهم بدأوا يطالبوننا بسداد فواتيرهم وقضاء ديونهم . وهو أمر لا نستطيعه فليس الهدف أن نصبح مجرد دافعي فواتير .
وللأسف أن هذا ما إنحدر إليه المجهود العربي ورسخه عمل الشيخ عبد ا عزام في عملية

إمداد الجبهات التي سنتحدث عنها .
ولم يلبث أن توقف مشروع نصر ا منصور لصناعة الذخائر بعد أن أغلقت باكستان المصنع ومنعتهم من العمل في هذا المجال وهددتهم ، فتوقف العمل فيه إلى الأبد.
أما مشروع حقاني في جاور فلم يجد من يموله نظرا لأن سمعته قد تضررت هو أيضا بعدما شن سياف عليه حملة في أوساط العرب ووصمه بالتآمر لتكوين حزب خاص . وهكذا توقف الشق الثاني من مشاريعنا الصناعية .
أما عن الأبحاث السياسية فلم أكد أعمل فترة قصيرة نسبيا حتى فوجئت بكمية المعلومات الضخمة التي حصلت عليها ـ وكنت أعمل بطريقة صحفية في حلقة إتصالات ليست كافية ـ وإن كانت أكبر من الحلقة المعتادة للأفراد . فمثلا علمت عن طريق رشيد وزملائه في معسكر قيس ما يدور في أوساط الضباط الباكستانيين عن أوضاع أفغانستان والمنطقة،والموقف بين بلادهم والهند . وتصادف أن إستضاف مولوي منصور ضيوفا من أمريكا يعملون في وزارة الخارجية ،حسب قولهم، جاءوا لإستطلاع الأمور. فزاروا معسكر قيس ليوم واحد أو اثنين ، ثم ذهبوا إلي جاجي مع جماعة منصور ثم عادوا بعد عدة أيام وقد كسرت نظارة أحدهم ولكنهم كانوا في قمة النشوة والسعادة . هؤلاء أيضا تكلموا كثيرا وإستمعت إليهم وسألتهم .
كانت مدهشة كمية المعلومات التي حصلتها في وقت قليل ومفجعة إذا قورنت مع عالم التجهيل في بيشاور .
وشعرت أنها مؤامرة علي العقل المسلم والشخصية المسلمة . هذا التسطيح للأمور ، وحجب المعلومات ، ونشر الشائعات ، وإحراق البخور في جو النشوة الروحانية الهائجة بحماس .
هناك وضع العرب في قفص اللعبة الدولية وتحت رحمة لاعبي الدرجة الثالثة من قادة الأفغان كي يمتصوا أموالهم ثم يدفعوهم إلي ساحات الألعاب النارية،وبعد ذلك ساقوهم في خطوط المعارك الأولي ، كي يقاتلوا نيابة عنهم ، ولصالح أمجاد القادة وسمعتهم ـ كما حدث في معارك العرب في جاجي ثم جلال آباد .
لكن الحديث بالأرقام أو عن التخطيط أو عن العلم العسكري كان يعتبر روحا مادية بعيدة عن الإيمان ، أو أنها نشاط عقلي يناقض الإيمان .وظل الحال كذلك إلى ما بعد معركة جلال آباد التي كانت ضربة قاسية للعرب فقدوا فيها أكبر عدد من الشهداء على مدار الحرب.
ظهر من بعدها نزوع إلي التفكير والتفهم للأمور وإستخدام العقل . وإن كان لتلك المعركة من مزايا فقد كان ذلك التوجه العقلاني (إذا جاز لنا التعبير) هو أحد نتائجها الإيجابية .

....

ونقدم تقارير كتبتها في تلك الفترة تصور الموقف العام وقتها والطريقة التي كنا نحاول أن نعالج بها المعضلات ، وهي خمسة تقارير كتبت في آخر شهرين من عام 1984م في الرحلة قبل أخيرة من إنتقالي الدائم إلى هناك في بدايات العام التالي أي في 1985م .

....

التقرير الأول

التاريخ 24 / 10 / 1984م

الشـ ـ ـتاء الحرج

يمثل عام 1984م انعطافا حادا نحو الإنهيار بالنسبة للمقاومة الأفغانية على جميع الجبهات وفي شتى أوجه النشاط ، والأشهر القليلة المتبقية من فصل الشتاء هذا العام مع بدايات العام القادم وحتى ربيع 1985م سيشهد أوضاعا جديدة تماما وتطورات قد تكون حاسمة بالنسبة لمستقبل المقاومة .

الخطر الداهم والمعلق فوق رأس المقاومة الأفغانية يتمثل في التعاون السوفييتي الهندي لإسقاط الحكومة الباكستانية الحالية لكي يفتح الباب في باكستان لإنقلاب عسكري يأتي بحكومة جديدة تنتهج خطا سياسيا مخالفا لذلك الذي تتبعه الحكومة الحالية .

تفاصيل المخطط الهندي السوفييتي وضعت في طشقند خلال زيارة أنديرا غاندي التي تمت سرا هناك . في ذلك الوقت كانت حكومة الهند تواجه مشاكل حادة مع طائفة السيخ وإضطرابات دينية وعرقية عديدة ومتتالية أصبحت تشكل خطرا على تماسك الدولة الهندية .

وكالعادة في مثل هذه الظروف فإن المخرج أمام أي حكومة هو اللجوء إلى حرب خارج الحدود للمحافظة علي الوحدة القومية للدولة. وفي حالة الهند بالذات فإن العدو الذي يمكن محاربته وإحراز النصر عليه هو باكستان . وبالنسبة للسوفييت فإن حربا بين الهند وباكستان تؤدي إلى هزيمة عسكرية ولو محدودة بالجيش الباكستاني ستؤدي حتما إلى سقوط الحكومة وظهور نظام أكثر مرونة وتفاهما مع السوفييت،ويقبل بفرض حل سياسي في أفغانستان، يثبت الأطماع السوفييتية في تلك الدولة، ويوقف نشاط المقاومة الأفغانية .

يقال أن الخطة قد تم إعتمادها وتحدد الهدف العسكري للهند بالهجوم على كشمير ومنطقة البنجاب (لاهور) وإحتلال أرض في كلا الجبهتين أو كشمير على الأقل . وتحدد وقت الهجوم في الشتاء وإستلمت الهند معدات هجومية خاصة بالمناطق الثلجية، مدرعات ودبابات، وحشدت حتى الآن أكثر من خمسة عشر فرقة عسكرية على الحدود مع باكستان في المنطقتين المذكورتين.

بالنسبة لباكستان فإن الدفاع عن كشمير شتاء أمر صعب أمام هجوم مدرع لعدم إمتلاك باكستان معدات ملائمة لصد الهجوم .

إنشغال أمريكا بالمعركة الإنتخابية جعل قيادتها غير قادرة على مواجهة مواقف كبيرة بهذا الحجم . أما واجبات السوفييت في هذه الخطة فهي :

1 ـ تشديد الضغط علي قواعد المجاهدين في كافة أنحاءالبلاد خاصة طرق الإمدادات . والقواعد العسكرية الأساسية . وقد نجحت في تنفيذ هذه المهمة حتى الآن بشكل لم يسبق له مثيل. فتمت لهم السيطرة على كل بانشير تقريبا،كذلك المناطق الغربية المحاذية لإيران .

2 ـ نقل التهديد العسكري حتى حدود باكستان بتكثيف العمليات علي الحدود وقصف مواقع باكستانية بالطيران وزرع الألغام وعمليات التخريب يقوم بها عملاء. وهم يعدون العدة الآن لعمليات واسعة ضد المحافظات الحدودية مثل باكتيا وننجرهار وقندهار. والهدف من ذلك إرغام باكستان على حشد قوات أكبر في منطقة الحدود مع أفغانستان لتتاح فرصة أفضل للهند في توجيه ضربتها بنجاح .

3 ـ زيادة تيار الهجرة المتدفق من أفغانستان إلى باكستان عن طرق قصف القرى ودفع السكان للفرار حتى تزداد الأعباء والمشاكل الإجتماعية والإقتصادية على باكستان .
4 ـ تدعيما للمجهود العسكري ضد المقاومة الأفغانية وضد الحكومة الباكستانية إستقدمت موسكو خمسة فرق عسكرية جديدة إلي كابل وبهذا تصبح القوة العسكرية الروسية قادرة عند الحاجة على شن هجوم عسكري خاطف ضد باكستان وإحتلالها في أقل من أسبوع واحد، أو البقاء داخل حدود أفغانستان وتطهير قواعد المجاهدين ثم تقديم العون الكافي للجيش الأفغاني لتخطي الحدود مع باكستان والإستيلاء على المناطق الخلفية التي يستخدمها المجاهدون للتدريب والإمداد مثل شاترال ـ باراشنار ـ بيشاور ـ كويتا .
على أي حال فإن المبادرة العسكرية داخل أفغانستان هي الآن في أيدي القوات السوفييتية بشكل كامل . وليس أمام المقاومة الأفغانية في أكثر المناطق التي تشهد العمليات الآن غير التراجع غير المنظم . وأعلنت القيادة الشيوعية في كابل مرارا أن هذا الزخم الهجومي لن يتوقف حتى يتم القضاء على المقاومة الأفغانية وتغلق الحدود .

الوضع الداخلي :

تعرضت معظم القواعد الهامة للمجاهدين داخل أفغاستان لعمليات تمشيط قوية وفعالة أدت إلي إنهاء الخطر الذي تمثله تلك القواعد على إستقرار الحكم في كابل .
ولم يتبق غير مناطق قليلة جدا لم تطلها إجرائات التمشيط السوفييتية وذلك في مقاطعات ننجرهار وباكتيا . أما قندهار فقد أغلقوا الطرق المؤدية إليها منذ أيام . وقد بدأت حملات علي مواقع المجاهدين في ننجرهار بحصر واحدة من أقوى قواعدهم في منطقة (أزيراك) التابعة ليونس خالص . وتدور الآن معارك عنيفة . وإتبع الروس نفس أسلوبهم المعتاد ، البداية بالقصف الجوي ثم إنزال القوات المحمولة جوا لقطع خطوط الإمداد أو التراجع عن المجاهدين ثم الهجوم البري بالقوات الميكانيكية والمشاة . وما زالت الوعود تتوالى من كابل وموسكو أن هذا العام سيشهد نهاية المقاومة وإغلاق الحدود الأفغانية . وتسربت معلومات من كابل إلي المجاهدين أن حملات مركزة يجري إعدادها ضد باكتيا وقندهار قريبا وخلال هذا الشتاء .
وجاءت الأنباء مؤخرا بوصول القوات إلى الأورجون وقصف قرى باكتيا .

أوضاع المدنيين :

المدنيون هم الهدف الأساسي من هذه الهجمة العسكرية القاسية . فتصفية المجاهدين جسديا مسألة مستحيلة فهم قادرون على الإنسحاب والتراجع عندما تكتسحهم موجة هجوم لا يستطيعون لها دفعا . وخسائرهم البشرية إلى حد ما قليلة . كما أن عملية إغلاق الحدود التي يتوعد بها السوفييت وحكومة كابل هي أيضا مطلب مستحيل فالحدود طويلة جدا ويمكن إختراقها من أماكن كثيرة . ولكن إغلاق الممرات المعتادة يجعل عملية الإمداد والتموين مسألة شاقة ومرهقة بالنسبة للمجاهدين ولكن لا يجعلها مستحيلة تماما .
يبقي الهدف الرئيسي للسوفييت من عملهم العسكري الضخم هو إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف المدنيين لإنهاء رغبتهم في المقاومة وإيصالهم إلى درجة اليأس من إمكانية إستمرار الجهاد أو تغيير الحكم الشيوعي القائم .
لهذا ، يعمد السوفييت إلى تدمير القرى وإزالتها من الوجود وإيقاع أكبر قدر من الخسائر البشرية والمادية في صفوف المدنيين . ويمكن القول أن الروس قد نجحوا إلى حد كبير في إضعاف الروح القتالية لدى المدنيين بل في صفوف المجاهدين أيضا وساعدهم في ذلك السلبيات الكثيرة الموجودة

في صفوف المجاهدين من مستوى القيادات إلى مستوى الوحدات الصغيرة .
وتوافر إحصائيات دقيقة أمر مستحيل في أفغانستان ولكن الصورة التقريبية للتركيب السكاني
هي كالتالي :

4.500 مليون مهاجر إلى باكستان وإيران
1.000 مليون مهاجر إلى دول أوروبية وآسيوية أخرى
1.500 مليون شهيد
6.000 مليون سكان العاصمة والمدن الكبرى تحت سيطرة الحكومة
4.000 مليون سكان الأرياف والجبال وغيره
17.000 مليون الإجمالي .

والمعروف أن الجهاد هو حالة خاصة ذات صبغة إسلامية من حالات ما يسمى (بالحروب الشعبية) أو (حرب العصابات) أو (حرب الأنصار) إلى آخر تلك المصطلحات والتي يقصد بها قتال يقوم به شعب مستضعف ضد غزو أجنبي لأراضيه مزود بكافة الأسلحة والقوات النظامية . في حين يفتقر هذا الشعب لمقومات الحرب النظامية ضد الغزاة ولا يبقى أمامه سوى شن حربه الخاصة التي تتفق وإمكاناته .
وتلك لحروب التي تخوضها الشعوب ضد جيوش غازية تعتمد أساسا على قوات حرب العصابات التي تتحرك لضرب الخصم في كل مكان معتمدة على أسلحة بسيطة ولكن إعتمادها الأساسي بعد إعتمادها على ا سبحانه وتعالى هو على دعم الشعب وتعاونه مع تلك المجموعات المقاتلة .
لهذا تلجأ الجيوش الغازية إلى تدمير الإرتباط القائم بين الشعب وقوات العصابات.
وفي حالتنا هذه بين الأفغان كشعب وبين المجاهدين . لهذا كانت سياسة الأرض المحروقة التي يتبعها الروس حاليا ودفع السكان إلى الهجرة إلى الدول المجاورة أو الهجرة إلي المدن للعيش تحت سيطرة الحكومة وإشرافها .
وبالنظر إلى الجدول السابق يتضح أن سكان الأرياف قد إنخفض عددهم إلى حد الخطورة وبالنسبة لمساحة أفغانستان فإن عدد أربعة ملايين يشير إلى أن الأرض شبه خالية وهذا يحرم المجاهدين من وسطهم الطبيعي الذي يتحركون فيه ويمدهم بالمساعدات اللازمة من رجال وطعام ومعلومات ومساعدات آخرى كثيرة . إن السكان بالنسبة للمجاهدين مثل الماء بالنسبة لأسماك الأنهار على حسب قول المجاهدين أنفسهم ، فإذا جف النهر فإن الأسماك حتما تختنق وتموت. وسكان الريف هم الفئة الأكثر أهمية بالنسبة للمجاهدين لأن مناطق الريف والجبال هي مناطق النفوذ التقليدية بالنسبة للمجاهدين. بينما تمثل المدن منطقة السلطة الحكومية.
وفي المرحلة الحالية فإن الروس إستغلوا موجه إندفاعهم الأخيرة وتحطيم أكثر مراكز المجاهدين وقواعدهم الأساسية لكي يدعموا سلطة الحكومة على سكان الريف . فبدأت الحكومة في عمل حصر لسكان القرى وصرف بطاقات هوية لكل أسرة تسجل فيها بيانات كاملة عن الأسرة . وتكون القرى عرضة للمداهمة في أي وقت وعند تواجد شخص زائد عند أسرة ما فإنه يعتبر من (المخربين) وتعرض الأسرة بكاملها للعقوبة الجماعية . كذلك بدأت الحكومة في منع إنتقال المواطنين بين المحافظات إلا بتصريحات خاصة من السلطات وأي شخص يسافر بلا تصريح يعتبر (مخربا) والعقوبة معروفة سلفا . وهذه الإجراءات تحرم المجاهدين من الحركة إلى القرى أو بين المحافظات وكذلك تسهل للحكومة إحكام رقابتها على الأرياف

وسهولة تجنيد القرويين في الجيش ودفعهم لمحاربة المجاهدين .
ويمكن أن نشير أيضا إلى المتاعب التى تعرض لها المدنيون في القرى من جانب المجاهدين .
وهي متاعب دفعت الكثيرين إلى الهجرة إلى خارج أفغانستان أو إلى المدن تحت رحمة الحكومة. وفي بعض المناطق تقدم القرويون بطلبات إلي الحكومة لإعادة إحتلال أراضيهم وتخليصهم من أذى المجاهدين . ففي ظل الظروف المعيشية الصعبة التي يحياها سكان القرى لجأ المجاهدون إلى مطالبتهم بالعشر كضريبة شرعية ، هذا بالإضافة إلى واجبات الضيافة التي تفرض على السكان ، فعليهم أن يزودوا المجاهدين بالطعام والحليب وأحيانا المبيت .
وأعداد المجاهدين عادة أكثر مما تستدعيه ضرورات العمليات في المنطقة فأخذت العملية طابع البلطجة أكثر منه واجبا شرعيا .
بالإضافة إلى تعدد المجموعات في المنطقة الواحدة وكل مجموعة تريد أن تأخذ حقها كاملا من السكان الفقراء أصلا. ولجأ بعض المجاهدين للحصول على حقه من السكان بالضرب والتهديد و أحيانا القتل . فلجأ السكان إلى التصرفات السابقة الذكر . أما في المدن فالأحوال لا تقل سوءا.
فقد أصبحت المدن مكدسة فوق طاقة إستيعابها، والمهاجرون يفتقرون إلى معظم مستلزمات المعيشة من سكن وطعام وملابس. وأصبح أكثر الأعمال ربحا بالنسبة لسكان المدينه هو التعاون مع الحكومة التي تدفع بسخاء لكل من يبدي شيئا من التعاون ولو كان تافها.
وبالتالي أصبحت حركة المجاهدين داخل المدن أكثر صعوبة لكثرة الجواسيس فيها .
بل وترسلهم إلي مراكز المجاهدين حول المدن لجمع المعلومات لقاء مكافئات كبيرة .

الموقف السياسي :

إذا كان هناك من مسؤول عن الإنهيار الحاصل في جبهة الجهاد والهزيمة العسكرية الحالية فهو بلا شك قيادات الأحزاب بلا إستثناء . فتلك القيادات ركبت موجة الجهاد منذ بدايتها وأعلنت نفسها المسئولة عن تلك الحركة والقائدة لها . وهو إدعاء باطل من أساسه ولكنه على أي حال أتاح لتلك القيادات شرعية الحصول على المساعدات المالية والعينية التي تدفقت لمساعدة المجاهدين والمهاجرين وإنتفخت الأرصدة المالية وضاقت المخازن بالمساعدات العينية فوصلت إلى الأسواق لتباع على قارعة الطريق بأسعار بخسة . بينما أصحابها الشرعيون يتضورون جوعا ويتركون مواقعهم للروس لعدم وجود ملابس أو غطاء يقيهم ثلج الجبال .
وإمتلأت الساحة السياسية للأحزاب بالصراخ والإتهامات والصراعات والمناورات ومسرحيات الوحدة والإتحاد، إلى آخر المهازل التي ضخمت السلبيات وعاقت الجهاد، كما ضخمت معها الأرصدة المالية لكثيرين وتحولوا من فقراء معدمين إلى أصحاب ملايين يحميهم حرس مسلح وتفرد لهم الصحف صفحاتها . والسياسي البارع هو شخص يربح دائما وخاصة إذا كانت بضاعته غالية كمشكلة بحجم المشكلة الأفغانية وبضاعته فيها دماء مليون ونصف مليون إنسان وآلام التشرد والضياع لأربعة ونصف مليون آخرين . وكما إستفادت القيادات من إنتفاضة الجهاد تستعد الآن للإستفادة من الإنتكاسة العسكرية التي تعيشها المقاومة .
وتفيد الأنباء التي نقلها أفغان قادمون من أوروبا كانوا على إتصال وثيق بمفاوضات جينيف بين الحكومة الباكستانية والحكومة الأفغانية وإشراف الأمم المتحدة ، أن تلك المفاوضات قد أشرفت على النجاح والتوصل إلى حل سياسي للأزمة وإعلان حكومة أفغانية في المنفى تشارك في الحل السياسي القادم . أفادت تلك المصادر أن برهان الدين رباني قد وافق على تلك المفاوضات مع الوفد الباكستاني في جينيف. وكان رباني يمثل تحالفا من الأحزاب الأفغانية

يضم القادة جيلاني ـ مجددي ـ محمد نبي ـ يونس خالص . وبهذا لا يكون خارج هذا الإتفاق من الشخصيات المشهورة سوى جلب الدين وسياف . ويبدو أن الحكومة الباكستانية لا ترغب في خروج كافة الأوراق من يدها في وقت واحد . فإشتراك كافة الأحزاب الأفغانية في الحل السياسي ممكن جدا ولكن لن يتبقى في يد الحكومة الباكستانية أوراق تلعب بها في المستقبل ضد الوضع السياسي القادم من كابل إذا أبدى روحا عدائية ضد باكستان . لهذا فمن الحكمة إبقاء حزب أو إثنين لحالة الطوارئ إذا لم تسر الأمور في المستقبل علي ما يرام، فيمكن إذا إستخدم الحزبين الباقيين في أعمال إزعاجية تدفع حكومة كابل إلى مواقف أكثر معقولية مع جارتها باكستان .

ـ ملامح الحل السياسي المقترح ـ

- قطع المعونات والتسهيلات الممنوحة من باكستان لمقاومة الأفغانية .
- إغلاق الحدود الباكستانية في وجه رجال المقاومة .
- قبول الحكومة الأفغانية الجديدة بوجود عناصر مختلطة من الأحزاب المقاومة والأحزاب الشيوعية كأفراد في الحكومة .
- وجود عدد من القواعد العسكرية الروسية في البلاد بشكل دائم .
- من المفهوم سلفا أن الحكومة الجديدة ينبغي أن تكون صديقة للسوفييت وتقبل بشرط السوفييت في تسيير المسائل الدفاعية والأمنية والتعليمية والسياسية والإقتصادية ...الخ . كما ينبغي لها (إحترام) الإتفاقات التي سبق وأبرمتها الحكومات الأفغانية السابقة .

ـ موقف باكستان من الحل السياسي ـ

- توافق باكستان علي مثل هذا الحل تحت وطأة الخوف من التهديد العسكري السوفييتي والهندي الذي يهدد وجود باكستان كدولة ويعرضها للتفتت والضياع .
- عدم ثقة باكستان في دعم حلفائها لها وقت الشدة ،خاصة وأن لها تجارب سابقة مريرة معهم . فليس هناك أمة على الأرض ترحب بتساقط الصواريخ النووية على أراضيها من أجل سواد عيون دولة أخرى . وباختصار فباكستان لا تثق في شجاعة أمريكا أمام التصميم والعزيمة التي يبديها السوفييت .

ـ موقف الأحزاب الأفغانية ـ

- تماما كمنظمات الثورة الفلسطينية وكثير من الأنظمة العربية فإن المنظمات والأحزاب الأفغانية تشعر بعدم شرعيتها، وإغتصابها لصفة الجهاد وتمثيل المجاهدين،إضافة إلى عدم إمتلاكها أي قدرة ذاتية لإدارة الجهاد بمعزل عن إرادة الحكومة الباكستانية،والإمدادات الهائلة التي تأتي عن طريقها أو فوق أراضيها برضاها وموافقتها . فليس لهذه الأحزاب إلا أن توافق على أي شيء توافق عليه الحكومة الباكستانية إن سلما أو حربا .
- بدأت بعض القيادات في تسويق روح الهزيمة سرا وبثها في صفوف الأفغان مهاجرين ومجاهدين . وتقول الدعاية إن المجاهدين عاجزون عن صد الروس وأن المقاومة أصبحت غير ممكنة .
- أبدت الأحزاب سلبية مدهشة ومثيرة للتساؤل بل تدعو إلى الإتهام أمام أخبار تقدم القوات الشيوعية وتحطيمها معاقل المجاهدين وإغلاقها لأكثر الممرات الحدودية .

اليوم الأربعاء(24-10-1984م) وعلى سبيل المثال ذهب مولوي أرسلان رحماني وهو من قادة الجبهات المشهورين إلى مجلس الشورى وطلب بحث الإجراءات الواجب إتخاذها

بسرعة لصد الهجمات الروسية على نقاط الحدود، وخاصة أن الأخبار وصلت في يوم سابق بإغلاق ممرات قندهار، ووصول قوات سوفيتية إلى أورجون، وسعيها لإغلاق الممرات في باكتيا وشن حملة على باكتيا، بدأ الطيران بالتمهيد لها عن طريق قصف القرى ومراكز المجاهدين .
وكان الرجل يكاد أن يبكي، ولكن مجلس الشورى رفض بحث هذه المسألة. أما سياف رئيس الإتحاد فقد أراد أن يطيب خاطر الشيخ فوعده ببحث هذه المسألة يوم الإثنين القادم!!.
ومن المعروف عن رئيس الإتحاد أنه إذا وعد بشيء فإنه حتما لن ينفذه .

ـ موقف أمريكا من الحل السياسي ـ

إذا قارنا موقف الولايات المتحدة بموقف الأحزاب الإسلامية الأفغانية فالنتيجة هي أن الحكومة الأمريكية هي الطرف الوحيد الذي إتخذ الموقف الإسلامي الصحيح!.
لقد رأت أمريكا أن الحل السياسي سوف يعطي للسوفييت كل مميزات الإحتلال العسكري بدون التكلفة الباهظة ماديا وسياسيا، التي يتكبدها السوفييت من جراء هذا الإحتلال. كما أنه يفوت الفرصة السانحة أمام المعسكر الغربي في إستدراج السوفييت وإستنزافهم في (المستنقع) الأفغاني حسب تعبيرهم . لهذا رفضت الحكومة الأمريكية الإقتراح وأبلغت ذلك للمتفاوضين في جينيف فأسقط في يد الوفد الباكستاني كما أسقط في يد وفد (المجاهدين!) .
وتأجل البحث إلى المفاوضات المنتظرة في فبراير القادم. والوفد الأفغاني هو الرابح أيا كان القرار ، فالسلام يعني السلطة والمشاركة في الحكم ، والحرب تعني الملايين من الدولارات وآلاف من قطع السلاح توزع على الأحباب أو تباع في الأسواق كيفما إتفق .
يقال أن تأكيدات أمريكية وصلت إلي الحكومة الباكستانية بأن أمريكا لن تسمح بتدمير باكستان وأنها ستتدخل إذا لزم الأمر ضد أي غزو هندي أو سوفييتي لأراضيها . وأن الأسطول السابع والخامس يجولان في المحيط الهندي قريبا من شواطئ باكستان حتى يزول الخطر .
وأمس الثلاثاء "23-10-1984م" وصل إلى إسلام آباد "ريتشارد مورفي" السكرتير لشئون الدولة الأمريكية إلى إسلام آباد قادما من نيودلهي. ويبدو أنه يحمل تأكيدات أكثر (ا أعلم بمدى جديتها) ولكنها الأمل الوحيد الذي تتعلق به باكستان لعبور هذا الشتاء الحرج .

ـ الموقف الإسلامي ـ

الأقطاب الإسلامية الفاعلة على الساحة الأفغانية قطبان ترتيبهما حسب الأهمية :
1 ـ الإخوان المسلمون .
2 ـ الحكومة السعودية .
وكلا القطبين يعمل حاليا على نسق وترتيب واحد في معالجة الأزمة الأفغانية، حتى أنه قد تكون وفد مشترك من الحكومة السعودية والإخوان زار بيشاور مؤخرا في مهمة سياسية، الهدف منها تثبيت رئاسة سياف للإتحاد الإسلامي وإظهار التأييد له حتى لو إنفض باقي الزعماء من الإتحاد وبقي سياف منفردا ،وهو الوضع الحادث حاليا في واقع الأمر.

1 ـ الإخوان المسلمون ـ

قبل بحث موقفهم السياسي قد يكون من المفيد وصف وضعهم التنظيمي وفكرهم الحركي من خلال صورة أدبية مبسطة .
يشبه تنظيم الإخوان الحيوان المنقرض المسمى (الديناصور) الذي كان يتمتع بجسد ضخم لا يمكن مقاومته، ولكنه بطيء الحركة وعقله صغير جدا لا يتناسب مع هذا الحجم الضخم . كان من نتيجة هذا التكوين غير المتناسق أن تمكنت حيوانات قارضة صغيرة سريعة الحركة وذكية من

أكل بيض الديناصور الضخم صغير العقل، بطئ الحركة، الكثير الأكل بصورة دمرت البيئة من حوله . وفي النهاية إنقرض الديناصور بفعل هذه القوارض الصغيرة حتى البيئة من حوله لم تعد تحتمله ولم تكف الموارد المتاحة لإطعامه .
تنظيم الإخوان بالمقابل يتمتع بالضخامة العددية والإنتشار الأفقي الواسع وتأثيره الدعائي في الأوساط الإسلامية . وهو بهذه المواصفات يمثل الجسم الرئيسي للعمل الإسلامي .
هذه الضخامة الديناصورية في الحجم يقابلها فكر حركي ضحل وإمكانية حركية ضئيلة جدا وعقل غير قابل للتعامل مع الواقع الحي .
وهذه الأسباب أدت إلى هزيمة الإخوان وبالتالي العمل الإسلامي ككل في مواجهات حاسمة معروفة ولا داعي لذكرها .
بنفس هذا المنطلق الديناصوري تدخل الإخوان في قضية أفغانستان.
وحركوا الجماهير الإسلامية للتعاطف ومساندة هذه الحركة، كحركة جهاد إسلامي .
وتولى الإخوان من خلال جهازهم الديناصوري مهمة التصرف المباشرفي دعم جهاد أفغانستان ولكن العقل الديناصوري القاصر لم يكن قادرا على إدراك الأبعاد المعقدة للعملية الأفغانية، وكان تقييمه للوضع مسطحا ويفتقر للواقعية والعمق .فأججت مجهودات الإخوان في بيشاور صراعات الزعامة فيها والتنافس الشرس على الأموال وتكديس المعونات . منطلق الإخوان في تقديم الدعم للمنظمات الأفغانية كان حزبيا وكان همهم منصبا للبحث عن زعيم يحمل فكر الإخوان لكي يوجهوا إليه الدعم والمساندة المادية والمعونية . وتقلبوا في إختيار الزعماء ،بداية من صبغة ا مجددي ثم برهان الدين رباني ثم جلب الدين وأخيرا سياف كاختيار نهائي، أعلنوا صراحة أنه لا رجوع عنه .

ـ الحكومة السعودية ـ

قدمت الحكومة السعودية مساعدات كبيرة لجميع الزعماء الأفغان بلا إستثناء ومساعدات أخرى للمهاجرين من خلال الهلال الأحمر السعودي. ولما تزايد التيار الشعبي في المملكة نحو تأييد القضية الأفغانية وكان هذا التيار متأثرا أساسا بدعايات الإخوان المسلمين وتصورهم للوضع السياسي الأفغاني، فقد كان الرأي العام الإسلامي في السعودية خاضعا لتصورات الإخوان المسلمين . لهذا فهو تيار منفعل ومتعاطف مع سياف كزعيم والإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان كمؤسسة. وأصبغت دعاية الإخوان على سياف والإتحاد قدسية غير قابلة للمناقشة، وبالمثل كان الرأي العام السعودي . وجاء أيضا الموقف الرسمي للحكومة السعودية مطابقا للتيار الشعبي الموجود . ووضعت الإمكانيات المالية الفلكية للمملكة وتأييدها المعنوي الضخم لدعم زعامة سياف أيا كان موقف الزعماء الأخرين.
وتجدر الإشارة إلى أن التأييد القادم من السعودية جاء مبنيا على مؤثرات مذهبية. فقد عمد علماء السعودية إلى نشر المذهب السلفي بين الأفغان، وحصلوا على رضا بعض القادة وخاصة سياف، فأقاموا معهدا في لاهور لنشر السلفية ومنحوا إعانة مالية للمنتسبين إليه. وقد إنضم إلى المعهد عدد من أعضاء مجلس الشورى الأفغاني . وطبعت كمات كبيرة من الكتب السلفية ووزعت بين الأفغان .
وبهذا تطابق منطلق الإخوان الحزبي مع منطلق السعودية المذهبي ليكون تيارا حادا ستظهر له تأثيرات كبيرة في المستقبل بل أن آثاره بدأت تظهر من الآن هي :
1 ـ كراهية متنامية من جانب الأفغان تجاه العرب يزكيها العلماء المتعصبون وقادة الأحزاب ،

على إعتبار العرب وهابيون جاءوا تحت ستار المساعدة الإسلامية بغرض نشر المذهب الوهابي الذي يعادل الكفر عند العوام وهم أكثر الشعب الأفغاني .

2 ـ كراهية من جانب الأفغان لجماعة الإخوان المسلمين فمنذ سنوات خلت قبل الإنقلاب كانت العلاقات متوترة بين العلماء وأجيال الشباب الإسلامي الجديد الذى يحمل أفكارا عصرية، بإعتبار أن هذه الأفكار أفكار إخوانية لا تتطابق مع روح الإسلام . أما الآن فقادة الأحزاب الذي أخرهم الدعم الإخواني المادي و الأدبي لسياف، لا يمانعون فى الدعاية ضد الاخوان الذين تدخلو لفرض زعامتة عليهم .

3 ـ تورط الإخوان في هجوم مباشر ضد قادة أحزاب عديدين مثل جيلاني ـ مجددي ـ محمدي ـ برهان الدين رباني ـ جاب الدين حكمتيار ، وقد وجه الزعيمان الأخيران تهديدات مكشوفة للإخوان لإيقاف الهجوم الشخصي عليهما .

ونتيجة لهذا فقد تقلصت قدرة الإخوان على المناورة إلى درجة كبيرة وأصبحوا الآن فى قبضة سياف الذي لا مجال لهم للعمل إلا من خلاله .

وهكذا إنقلب الوضع فبدلا من أن يكون سياف أداة للإخوان في أفغانستان تحول الإخوان إلى أداة في يد سياف يستخدمهم في توطيد مركزه الأدبي وسمعته في العالم الإسلامي، وبالتالي ضمان مورد مالي ضخم من التبرعات ،متدفق باستمرار، يضمن لسياف تفوقه المالي المطلق على كافة الأحزاب .

ـ إمكانيات العمل في المستقبل ـ

يشترط لاستمرار العمل الجهادي الفعال في أفغانستان بقاء الدولة الباكستانية صحيحة ومتماسكة ومستقرة . وبمعني أدق ، أن تمر الأزمة الحالية في هذا الشتاء الحرج وأن يبقى النظام السياسي في باكستان بلا تغير لفترة طويلة أخرى حتى يعاد تنظيم المقاومة الأفغانية لحرب عصابات طويلة المدى .

الشرط الثاني : أن تبرز من صفوف الأفغان قوة فعالة قادرة على تحليل الوضع الراهن والإستفادة من سلبيات المرحلة الماضية والتخطيط الواعي لحرب منظمة طويلة المدى ضد الجيش الروسي والعقيدة الشيوعية .

الشرط الثالث : لكي تنتصر حركة الجهاد في أفغانستان لا بد من توسيع رقعة المشاركة الإسلامية في تلك القضية أفقيا ورأسيا وقصر دور الأفغان في مهام محددة .

فمن المنطقي أن يتولي المسلمون الجانب السياسي للقضية وكذلك الجانب التنظيمي المتعلق الأمور الإدارية كافة بما فيها إدارة معسكرات التدريب .

ومن الضروري أن يتولى المسلمون الإشراف الدقيق والمنظم علي الجانب اللوجستيي (الإمداد وتموين الجبهات العسكرية) .

ومن المنطقي والضروري مساهمة المسلمين في الجانب المتعلق بالأبحاث الإستراتيجية و السياسية المتعلقة بالقضية، ووضع فلسفة عسكرية وتطوير التكتيك العسكري وفقا لمتطلبات الجهاد وتدرج مراحله .

من المنطقي والضروري (أسلمة) القضية على النمط القائل بتدويل القضية . هذا وإلا سوف نفاجأ بتحول درامي لمسار القضية نحو القومية، وربما نحو القبلية وإقامة دويلات الإقليات.

وهو ما يسعى الروس إليه بإحياء القوميات واللغات القبلية والتأكيد عليها لشرذمة الشعب إلي كتل متناحرة وإبعادهم عن التجمع الواحد تحت راية عقيدية واحدة هي الإسلام .

الشرط الرابع : يفتقر الجهاد الأفغاني منذ بدايته إلى عنصر التنظيم والفكر، وإعتمد على جانب القتال فقط . ومن المفترض في العالم الإسلامى جبر هذا العجز بإنشاء قنوات تنظيمية إسلامية أفغانية لضبط المسائل المشار إليها سابقا . وإنشاء مؤسسات فكرية لمعالجة المسائل التي تطلب البحث النظري والعلمي .

الشرط الخامس : مسألة إيجاد زعامة مركزية لمجمل الجهاد الأفغاني بصورة عاجلة فكرة خاطئة من أساسها . وهي قضية شائكة لظروف التدخلات الخارجية الكثيرة التي أحاطت بها والنزعة الفردية والقبلية للشعب الأفغاني. فقضية الزعامة وإيجاد الزعيم، قضية ستحل مع مرور وقت طويل نسبيا . وينبغي التركيز الآن على إنشاء المؤسسات المنظمة القادرة علي إدارة الجهاد بدون التركيز على الشخصية الفردية للزعيم في الوقت الحالي فهي قضية لن يحلها إلا الشعب الأفغاني بنفسه والتدخل الخارجي حتى من المسلمين لن يزيد القضية إلا تعقيدا .

الشرط السادس : الحرب على الأساس القبلي لم تعد صالحة للمرحلة المقبلة ولا بد من الإسراع بتكوين وحدات صغيرة جيدة التدريب لتقاتل بالأساليب الحديثة لحرب العصابات، مع بذل العناية الفائقة بأمور (اللوجيستيك) الخاصة بها ـ كي تتمكن من العمل في العمق تحت ظروف قاسية وبدون توقف أو إعتماد على الأهالي .

الحرب بهذه المواصفات ستكون أقل تكلفة بالنسبة للمجاهدين وأقل إزعاجا بالنسبة لسكان القرى ـ لأنها ستخفف عبء إعاشة المجاهدين عنهم ـ إلي جانب ذلك ستكون أكثر إرباكا للعدو وإنهاكا لقواته وإضعافا لهيبة الحكومة وسيطرتها . وهذا هو المطلوب في المرحلة الراهنة .

الشرط السابع : العمل على منع هجرة السكان من أفغانستان والعمل على إعادة أكبر قدر ممكن إلى داخل البلاد، وصرف المساعدات المالية والإقتصادية لمن تضرر منهم بحرق المزروعات أو هلاك الماشية، كي يبقوا في الأرض ولا يهاجروا، مع تقديم خدمات تعليمية وصحية وأمنية لهم من جانب المجاهدين، وعدم مطالبتهم بأي إلتزام مادي إطلاقا .

وبذلك يستعيد المجاهدون ثقة السكان وتعاونهم ويخفف عبء المهاجرين عن باكستان التي قد يؤثر تدفق الهجرة على حالتها الإقتصادية والأمنية والسياسية .

الشرط الثامن : إستغلال تجمعات المهاجرين لتجنيد قوات حرب العصابات للمجاهدين، ووضع برامج تربوية للأطفال على أسس إسلامية عسكرية لضمان استمرار الجهاد لعدة أجيال قادمة، حتى يتم دحر الجيش الروسي عن أفغانستان وملاحقته وإجلائه عن مجمل الأراضي الإسلامية في آسيا الوسطى .

الشرط التاسع : لمساعدة الأفغان على تكوين القدرة الذاتية علي التخطيط طويل المدى والإدارة الناجحة، لا بد من إعطاء صلاحيات أكبر للمثقفين الإسلاميين وعدم ترك نواحي التخطيط والإدارة للعلماء فقد أثبتت المرحلة الماضية عدم قدرتهم على هذا العمل .

كما ينبغي التركيز على إنشاء أجهزة تنفيذية ذات كفاءة بدون التركيز أو وضع هالات التمجيد حول القيادات الفردية .

هذه أهم إشتراطات إستمرار العمل الجهادي في أفغانستان للمرحلة القادمة .

فهل يبرز في صفوف الأمة الإسلامية من هم قادرون على التنفيذ ؟

عسي ا أن يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ا ولا يخافون لومة لائم .

* * * * *

التقرير الثاني :

خطوات عملية في الجهاد الإسلامي بأفغانستان

ليس من الممكن التعرف بعمق على أبعاد أي مشكلة بدون الإقتراب المباشر منها ودراستها ميدانيا على أرض الواقع . ومازال المسلمون حتى الآن أكثر الأمم تخلفا في إدراك هذه البديهية ... حتى بالنسبة لدراسة قضاياهم المصيرية فما زلنا نعتمد أثناء دراستنا لقضايانا علي تلك الأخبار والتحليلات التي تصلنا أساسا من أعدائنا وعبر وسائلهم الدراسية والإعلامية .

وإذا حاول المسلمون الإقتراب من إحدى قضاياهم لدراستها فليس لديهم الصبر الكافي للبقاء في ميدان المشكلة فترة كافية. وتلك المشاكل والقضايا تحتاج إلي سنوات وسنوات من المتابعة الدقيقة والبحث المضني للوصول إلي أعماقها .ناهيك عن تأثر الدارس المسلم بخلفياته الحزبية أو المذهبية التي تجعله يحدد موقفه من المشكلة سلفا وقبل شروعه في الدراسة مما يجعل دراسات الإسلاميين إنفعالية وليست موضوعية .

كما أن العقول الإسلامية الجيدة والمؤهلة للبحث العلمي والتحليلي، مشغولة بوظائفها الحياتية ويبقى للمشاكل الحادة أناس ليسوا على مستوى البحث والدراسة .

وبدون الخوض كثيرا في تلك المشكلة الحساسة ـ مشكلة قصور العقل الإسلامي الحديث ـ عن متابعة قضايا أمته ، فإن قضية أفغانستان أكبر مثال على فشل العقلية الإسلامية وسطحيتها، والطابع الإنفعالي الساذج لشخصية المسلم الحديث.

أن معظم من تعرضوا لهذه القضية وإنفعلوا بها وتصدوا لحل مشاكلها لم يقرأوا في حياتهم كتابا واحدا عن أفغانستان.

بل أن كثيرن منهم لم يطالع خريطة أفغانستان ولم يعرف مواقع مدنها الرئيسية .

هذا في الوقت الذي تذخر فيه المكتبات بعشرات الكتب عن أفغانستان باللغة الإنجليزية تتناول أدق التفاصيل عن هذه الدولة منذ فجر التاريخ وحتي اليوم وفي شتى نواحي الحياة الإجتماعية والإقتصادية ... الخ .

لم يفكر المسلمون الذين يرغبون في تحرير أفغانستان في تحرير عقولهم من الجهل بهذه القضية، ولم يعرفوا حتى الآن حقيقة ما هي أفغانستان ومن هو شعب أفغانستان ؟ .

علينا على الأقل أن نترجم كثيرا من هذه الكتب ونتعرف أولا علي القضية التي نحن بصددها ثم نجمع معلوماتنا بوسائلنا الخاصة ، ثم نعايش القضية بتفاصيلها ساعة بساعة وبعد هذا يمكن أن يكون لعملنا تأثير في مجريات الأحداث. هذا إذا كنا جادين فعلا فيما نقوله عن دحر الشيوعية ورفع راية الإسلام إلى آخر هذه الشعارات الرنانة التي لا يدعمها أي فعل حقيقي .

للأسف فإن المسلمين خاصة العرب ، أكثر الناس جهلا بحقيقة المشكلة وأكثرهم سذاجة في الحركة وتخبطا في القضية، مثل الأعمى الذي يتخبط ويحطم ما حوله . هذا لأن الجهل عمى والتعصب الحزبي عمى والتعصب المذهبي عمى ثالث .

لهذا جاءت فكرة لجنة الإمداد التي هي قيد الإنشاء الآن . جاءت متأخرة خمسة أو ستة سنوات كاملة ولكنها خطوة صحيحة على أي حال . ولا يدفعنا ضعفنا الحالي إلى هدمها أو تركها تذبل، بل العكس ينبغي تقويتها ودعمها وتوسيع نشاطها لتكون قاعدة علمية وعملية لمعالجة قضية إسلامية حساسة للغاية ونموذج جديد للعمل الإسلامي المنظم .

ولكي نصل بها إلي الشكل والفاعلية المنشودة نحتاج إلى وقت طويل ومثابرة ومجهودات ضخمة

ولكن لا بديل عن ذلك .

عمل هذه اللجنة بوجه عام ينقسم إلى :

أولا : قسم الأبحاث والمعلومات ـ

أ ـ أبحاث متعلقة بدولة أفغانستان تاريخيا ، جغرافيا ، إجتماعيا . ومصادر هذا البحث أساسا الكتب التي نشرت باللغة الإنجليزية والخرائط الغربية التي توضح الثروات وتوزيع السكان و التضاريس الجغرافية الخ ... (بدأ العمل في هذا القسم ولكن بدون ترجمة إلي العربية حتى الآن) .

ب ـ أبحاث سياسية ميدانية عن التطورات السياسية علي الساحة الأفغانية مثل الأحزاب والجماعات المختلفة وموقف الدول الصديقة والمساعدات المقدمة للمقاومة وأنواعها الخ ... (بدأ العمل في هذا القسم) .

جـ ـ المتابعة المتصلة بأخبار القتال في الداخل وتطورات الوضع العسكري والإجتماعي في الداخل . (بدأ العمل في هذا القسم) .

د ـ قسم الأبحاث والدراسات العسكرية التي تتعلق بتطوير العمل العسكري للمقاومة الأفغانية في المرحلة القادمة وتطوير مستوى التدريب ونشر الثقافة العسكرية . جاري الإعداد لهذا العمل وتم الإتفاق مع بعض ضباط المجاهدين لإعداد بعض الكتب وطباعتها للغات : البشتو ـ الفارسي ـ العربي . وينتظر أن يظهر الإنتاج خلال شهر أو شهرين .

ثانيا : قسم الخدمات المباشرة ـ

أ ـ محاولة تقديم خدمات إدارية للمجاهدين وتنظيم أعمالهم الإدارية .

ب ـ محاولة إيجاد عمل مشترك بين الجماعات الجيدة النشيطة في الداخل وخلق رباط تنظيمي بينهم، خاصة في جهاز الإمداد والتموين (اللوجستيك) وجهاز العمل العسكري .

جـ المساهمة في برامج التدريب والعمل علي تطويرها. ومن خلال برامج تدريبية متطورة يمكن ربط المجاهدين من مناطق مختلفة ،وحتي من جماعات مختلفة لتخطي حواجز التعصب القبلي والحزبي، وذلك بالتعاون مع ضباط مثقفين إسلاميين من الأفغان .

ملاحظة : الأقسام أ و ب بدأت من خلال المكتب المشترك في ميرانشاه بين جماعة نصر ا منصور وجلال الدين حقاني، ولو أن العمل في مرحلته البدائية . أما القسم جـ فقد بدأ العمل الفعلي من خلال معسكر تابع لنصر ا الذى أخذنا فيه صلاحيات عمل جيدة. والمعسكر مبني أصلا على هذا الأساس وبدأ أشخاص من المكتب ـ مكتب الإمداد ـ في العمل فيه.

د ـ توسيع مجال الإتصالات والتعاون مع جماعات المجاهدين المخلصة في مناطق مختلفة من البلاد مع إعطاء الأولوية للمناطق الإستراتيجية الهامة . (بدأنا التعاون مع جماعة نورستان، الذين أعلنوا دولة إسلامية في منطقتهم ولكنهم يعانون من مشاكل كثيرة، منطقتهم هامة جدا لأنها المعبر الأساسي إلي بانشير ومناطق الحدود مع روسيا) .

هـ ـ قسم المشروعات : يهدف إنشاء مشاريع داخل الجبهات إنتاجية أو تصنيعية أو تكتيكية (أنفاق وملاجئ) . (لم يبدأ العمل بعد)

من المعروف كل أوجه النشاط السابقة مازالت في مراحلها المبكرة جدا، ولم تمتد جذورها إلي الأرض بالشكل الكافي، وما زال ينقصنا أشياء كثيرة ووقت أطول حتى نصل إلى الصورة العملية المطلوبة . ومازلنا في مرحلة إستكشاف أرضية الواقع وتشكيل جهاز بشري صالح للعمل، وهي من المشاكل الكبرى . كما أن العمل بوجه عام حتى يصبح مؤثرا وقضية أفغانستان حتى تأخذ مسارها الصحيح فإنها تحتاج جبهة إسلامية قوية تساندها بشكل علمي ومنظم .

ويتفرغ للعمل بها عدد كاف من الشباب المثقف الذي توزع عليه مهام محددة في مجالات مختلفة بناء على خطة مدروسة ومحكمة . علينا أن نسعى في هذا مهما طال الوقت لأن ذلك دعامة رئيسية للنصر ولا مهرب منه .
إن ا سبحانه وتعالى لا يخاف وعده وقد وعد عباده بالنصر على الأعداء مهما كانت قوة الأعداء وجبروتهم . وكتاب ا شاهد على هذا في مواضع كثيرة . ولكننا حتي الآن لم نف ببيعتنا ولقد عصينا أمره تعالي في قوله (وجاهدوا في ا حق جهاده) ولم نفعل ذلك حتى الآن . فهل آن لنا أن نقدم نصيبنا في الصفقة لكن ننتظر الثمن وهو إحدي الحسنيين ؟
نرجوا أن نفعل وحسبنا ا ونعم الوكيل.

بيشاور الأربعاء 24 / 10 / 1984م

****

التقرير الثالث

الإنقســ ـ ـامات

تتعرض الأحزاب الأفغانية إلى إنقسامات عديدة تزيدها ضعفا ، فلقد شهدت الفترة الأخيرة عدة إنقسامات تمثلت في إنفصال بعض قادة الجبهات البارزين عن أحزابهم وسعيهم إلي تدبير شئونهم بأنفسهم بعيدا عن تأثير الأحزاب .

- أبرز هذه الإنقسامات هو إنفصال أحمد شاه مسعود قائد بانشير عن حزبه الجمعية الإسلامية بقيادة رباني وبدأن مسعود ينشئ ،مكاتب خاصة له في بيشاور وأوروبا.
- إنفصل بروفوسور فريد، وهو قائد بارز في الحزب الإسلامي (قلب الدين) في منطقة كابل.
- منذ عدة أشهر إنفصل جلال الدين حقاني عن حزب اسلامي يونس خالص وبدأ يعمل مستقلا عن حزبه . كما واجه حزب خالص عدة إنقسامات أخرى .

وهذه الإنقسامات في الداخل جاءت متلازمة مع النكسات العسكرية في الداخل وأبرزها :

- استيلاء السوفييت على وادي بانشير كله وإحتفاظهم بنقاط مراقبة على قمم الجبال على طول الوادي .
- الإستيلاء على وادي كونار بأكمله .
- السيطرة على ولاية قندهار وإغلاق ممراتها .
- تمشيط مدينة هيرات ومحافظات الغرب وإخلائها من المراكزالقوية للمجاهدين .
- تصفية أقوى مراكز المجاهدين في جلال آباد، التابع لحزب قلب الدين ،وتوجيه ضربات قوية لمركز خالص القريب منه .
- تصفية مراكز المجاهدين في الجبل الأسود (تور غار) في منطقة غزني .
- تصفية قاعدة قلب الدين القوية في أورجون والإستيلاء على أسلحتها ومعداتها بالكامل .
- بداية حملة كبيرة على نورستان منذ أيام بغرض تصفية جيوب المقاومة بها وإحكام السيطرة على مدخل بانشير الشمالي وإغلاق الممرات التي تعبر نورستان إلى بادخشان ومناطق الشمال الأخرى.

هذا وقد تعرض حزب سياف إلى نكسة عسكرية في جاجي بعد فشل حملته الضخمة على الحصن الصغير الموجود بها، وبعد أن وزع عدة ملايين على قبائل جاجي (المبلغ غير معلوم و يقدر ما بين 10 ملايين إلى 30 مليون روبية باكستانية) ،إنقلبت القبائل عليه وأخذت سلاحا وأموالا

من الحكومة وقتلت في الشهر الماضي واحدا من أبرز قواده في جاجي .
وقد طلب ثلاثة من قواد سياف في جاجي منذ أيام الإنضمام إلى حزب نصر ا منصور ولكنه رفض منعا للمشاكل مع سياف .
وسياف يواجه إنشقاقا آخرا من أقرب معاونيه وحلفائه السياسيين . فهناك أنباء عن إنشقاق يقوده نائبه المهندس أحمدشاه بالتعاون مع مولوي فياض المساعد العسكري لسياف مع قاضي أمين لتكوين مجموعة مستقلة عن سياف .

البحث عن الإتحاد ـ

من العسير جدا إستمرار وضع الإتحاد الإسلامي لمجاهدين أفغانستان على وضعه الراهن لمدة سنة أخري. فموعد الإنتخابات قد إقترب وقادة الأحزاب المشاركة في الإتحاد مجمعين على إقصاء سياف .
سياف نفسه في أضعف حالاته . فداخل أفغانستان لم ينجح طوال مدة زعامته من بناء قوة عسكرية يعتد بها . له عدد كبير من الأعوان في المنطقة حول كابل . وكلها من النوعيات الرديئة من المقاتلين، وأكثر القواد عنده سبق وخدموا كمليشيات في الحكومة الشيوعية . ونشروا في مناطقهم الحالية النزاعات ، فأصبحت سمعته في الداخل سيئة . كذلك فشله الأكبر في جاجي التي أراد لها أن تكون معركة ترفع من أسهمه في داخل أفغانستان وعند أعوانه من العرب .
وأراد هذا النصر أن يكون خالصا له لذلك رفض العرض الذي تقدم به قادة باكتيا لخوض الحرب إلى جانبه في كل المحافظة ،ولكنه خاف أن يسرقوا منه الأضواء خاصة وأن فيهم قواد نالوا شهرة في الخارج ولهم سمعة عالية في داخل أفغانستان من أمثال مولوي أرسلان رحماني ومولوي نصر ا منصور ومولوي جلال الدين حقاني ومولوي أحمد جول .
لهذا شرع في مهاجمة هؤلاء وإتهمهم بالتآمر ضد الإتحاد بالتعاون مع عناصر عربية مشبوهة .
على أي حال سياف يملك أغلبية الأصوات في مجلس الشورى العالي نتيجة للإنقسامات العديدة في صفوف الأحزاب والمعونات المالية الكبيرة التي صرفها سياف للمتعاطفين معه فأصبح يملك أكثر من نصف عدد الأصوات وهذا يكفل نجاحة في أي إنتخابات قادمة .
في خلال العام الحالي بذلت عدة محاولات لخلع سياف من الزعامة كذلك قرر عدد من القادة إقامة إتحاد آخر وترك سياف منفردا في إتحاده .
لقد حاول رباني ، خالص ،مجددي ، إعلان إتحاد جديد ولكن السعودية لم توافق وكذلك باكستان.
أدرك الرؤساء أنه لا بد أن يتم خلع سياف داخليا ، لهذا فهم مجتمعون هذه الأيام بشكل مركز جدا في محاولة لإقصاء سياف عن زعامة الإتحاد .
ومجلس الشورى العالي المكون من قادة الأحزاب الداخلة في الإتحاد،منعقد منذ عدة أيام بحضور سياف والموضوع المطروح هو تعديل صيغة الإتحاد وإقصاء الرئيس الحالي.

ترتيب الأوراق ـ

لقد رتب رؤساء الأحزاب مواقفهم في الفترة الأخيرة في لقاءات سرية وأسفر الموقف عن تيارين متضادين ولكنهما متفقين على شيء واحد وهو إبعاد سياف عن الرئاسة .
في مجلس الشورى العالي يطالب الرؤساء جميعا، فيما عدا سياف طبعا ، أن يكون الإتحاد في شكل إئتلاف حزبي، بمعنى أن يحتفظ كل حزب بلجانه الأساسية (العسكرية ـ المالية) وأن يتم العمل المشترك في باقي اللجان. وفي الواقع فإن الحكومة الباكستانية لن توافق على غير هذا الوضع.

ورغم أن سياف يعلم كما يعلم باقي الرؤساء موقف الحكومة الباكستانية إلا أنه يصر على الإتحاد الإندماجي لإحراج باقي الزعماء وإدانتهم أمام الرأي العام الإسلامي والخليجي بالذات، الذي لا يدرك حقيقة هذا الوضع ولا يستطيع زعماء الأحزاب شرح حقيقة الوضع لأنه يكشف عجزهم وتبعيتهم السياسية للحكومة الباكستانية .

وبهذا يبقي سياف مهيمنا على الرأي العام الخليجي ومئات الملايين من الدولارات التي تتدفق من هناك، ولكن الزعماء يبدون إصرارا على تغيير صيغة الإتحاد وزعامته .

ولكن من المرشح لقيادة الإتحاد القادم ؟

هناك تياران متنافسان ولكل منهما أنصاره وثقله السياسي والعسكري .

أولا : الإتجاه الأول بقيادة برهان الدين رباني، وهو لدى الأفغان يمثل تيار الإخوان المسلمين. ويشمل كذلك سياف وقلب الدين ، وهو تيار غير محبوب عامة بين الشعب، خاصة بعد إرتباطه في السنوات الأخيرة بالمذهب السلفي ،وهو تيار متهم بالعمل على تغيير المذهب الحنفي واستبداله بالسلفية، وهذه الإشاعة قلصت شعبية الزعماء الثلاثة كثيرا . ومن ناحية سياسية فإنه لا فرق يذكر بين الأفكار والتوجهات السياسية لبرهان الدين رباني وسياف . كلاهما يمثل لدي الغرب وباكستان والخليج التيار الإسلامي المعتدل . بينما يمثل قلب الدين التيار دور الثوري المتطرف. وفي حال نجاح برهان في تزعم الإتحاد فإنه سيحظى بنفس التأييد الخارجي الذي يحظى به سياف حاليا. فله علاقات سابقة قوية بالإخوان المسلمين والسعودية وهما حليفا سياف الرئيسيان. داخل أفغانستان فإن رباني له ثقل أكبر بكثير من ثقل سياف ولكنه في الفترة الأخيرة ضعف لإنفصال قادة بارزين عن حزبه، كذلك فإن قتاله المتواصل ضد قلب الدين في الداخل منذ العام الأول للجهاد وحتى الآن، قد أضر بكلاهما كثيرا في الداخل وأضعف قواتهما عسكريا وتأييد الأفغان لهما .

ثانيا : الإتجاه الثاني بقيادة نصر ا منصور. وهو يمثل العلماء وهم القوة الإسلامية البارزة في أفغانستان، والقيادة التقليدية للشعب الأفغاني.هذه القوة تتجمع لمواجهة السلبيات التي أحدثها تيار الإخوان المسلمين (قلب الدين / رباني / سياف) وتريد أن تنزع الزعامة من هذا المحور الذي علقت في رقبته أكثر سلبيات ومصائب السنوات الستة الماضية .

داخل أفغانستان هذا التيار يعتبر الأقوى في وسط المجاهدين وهم أكثر تعاطفا وتعلقا به .

وعيب هذا التيار قصوره التنظيمي وقلة خبرته السياسية .

أما منصور فإن ابتعاده عن الأضواء طوال السنوات الماضية قد أفاده كثيرا وهو مقاتل قديم وذو إتجاه عملي. وفي الحقيقة فقد إستطاع في مظلة الصمت الذي لاذ بها، تكوين قاعدة صلبة للعمل داخل أفغانستان ممكن أن تشكل مفاجأة السنوات القليلة القادمة.

***(جزء كبير من أعضاء وقادة حركة طالبان كانوا من تلامذة واتباع مولوى منصور . وكان إبنه سيف الرحمن أحد كبار قادتهم العسكريين .**

مولوى منصور إغتيل قرب جارديز – وتشير أصابع الأتهام الى جماعة حكمتيار . أما إبنه سيف الرحمن فقد إختفى اثر معارك قوية مع القوات الامريكية فى (زرمات) ويشاع أنه استشهد هناك) .

أما سياسيا فإن هذا التيار لن يحظى بتأييد عربي أو عالمي فقيادة العلماء لدي العالم الغربي والخليجي مرتبطة بتجربة الإمام الخميني المريرة بالنسبه لهم.

ولهذا إذا سيطر هذا التيار على قيادة الجهاد فإن نجاحه داخليا ممكن بشرط الإعتماد على أهل الخبرات من غير العلماء أما نجاحه عربيا ودوليا فيبدو أمرا أكثر صعوبة .

(بيشاور في 19 / 11 / 1984م) .

****

التقرير الرابع:

مقابلة عمل مع الدكتور عبد ا عزام

(الجمعة 30 / 11 /1984م)

تمت مقابلة الدكتور عبد ا عزام ومناقشته في البرنامج المقدم إليه في "**84/11/19م**"
لم يقرأ الدكتور غير مقدمة البرنامج .ثم حولنا إلى مساعده للمناقشة الذي سبق وإطلع على **البرنامج المقدم،وكان رأيه كالتالي :**

أ ـ البحث المقدم ممتاز من ناحية المجهود .

ب ـ أهم الخدمات المطلوبه هو إنشاء قسم للأبحاث والدراسات وتجميع المعلومات . وطالبنا بإنشاء هذا القسم وأبدى إستعداده لتقديم أي مساعدة مادية .

جـ تعهد بإستقدام إثنين من المترجمين لدعم قسم الأبحاث الموجود لدينا .

د ـ باقي البرنامج يبدو له خيالي وغير قابل للتطبيق ويرى أن القضية ميئوس منها.

هـ أوضح أن نشاطهم ينحصر في التالي :

1 ـ إرسال مندوبين من طرفهم مع المجاهدين إلى الجبهات لتوزيع المعونات العينية .

2 ـ محاولة إنشاء معسكر تدريب يشرف عليه العرب ويتدرب فيه مجاهدوا الأحزاب الثلاثة المتنافسة (سياف ـبرهان ـقاب الدين) .وبدأت إستعدادات المعسكر فعلا على مضض من جانب الزعماء الثلاثة الذين يبدون تبرما من ضغوطات العرب .

3 ـ المساعدة في إنشاء مدارس بالداخل وبدأوا بمساعدة 3 مدارس .

4 ـ تقديم مساعدات مالية للشباب العرب المتواجدين لمساعدتهم علي البقاء والإستمرار .

5 ـ التخطيط لإقامة صناعات إستثمارية في باكستان مثل الملابس والأحذية يخصص إنتاجها وربحها للمجاهدين .

- هذا ويتميز الدكتور عبد ا بالإخلاص الشديد وسلامة الطوية ولكن هذه المزايا تجعله فريسة سهلة لخداع القادة الأفغان وأكاذيبهم . ومعلوماته عن أوضاع الجهاد مستقاة من جماعة الإتحاد وهي معلومات خاطئة مليئة بالمبالغات .
- مجهودات الدكتور لخدمة الجهاد هي مجهودات خيرية ولكن غير مترابطة في برنامج مدروس .
- يفتقد الدكتور دعم الجماعات الإسلامية خاصة الإخوان ويوجه إليهم إنتقادات لموقفهم السلبي من أفغانستان.
- لقاء الدكتور لنا كان طيبا للغاية . وإستقباله العلني لنا وترحيبه أحبط مخطط سياف لعزلنا عن العرب الموجودين ونشره الإشاعات عنا والتشكيك في (هوياتنا) .
- كان كلام المهندس سيف مع الدكتور عزام في مناسبة سابقة خير تمهيد لنجاح لقاءنا والوصول إلى تفاهم سريع رغم التشويش الحاصل من سياف .

برامجنا تحت التنفيذ .

قبل الحديث عن برنامجنا العملي من الأفضل أن نرسم صورة سريعة للجو النفسي المحيط بالعاملين في قضية الجهاد بوضع عام وبالعرب المتواجدين هناك وخاصة مجموعتنا .

أولا ـ الأفغان :

- المبادرة العسكرية إنتقلت إلى يد السوفييت كاملة ولم يعد هناك قاعدة قوية للمجاهدين في

الداخل لم يجر تحطيمها .
 في مقابل ذلك كانت مقاومة المجاهدين ضعيفة وغير منظمة وبهذا إرتسمت صورة الإنتكاسة والتهاوي .
 ضربات عنيفة جدا وجهت للمدنيين فزاد تدفق الهجرة وكاد الريف أن يكون خاليا إلا من المتعاونين مع الشيوعيين . أخبرنا رباني أن أخطر ما يواجه المجاهدين في الداخل هو المجاعة بعد خراب الريف وليس ضربات السوفييت رغم قوتها .
 فقد الشعب والمقاتلون ثقتهم في القيادات ، وينظر إليهم كجامعي ملايين وتوجه عامة الناس إلى حل مشاكلهم الخاصة وجمع الأموال لإعالة أسرهم بأي طريق سواء من الأحزاب أو الحكومة أو أي مجال عمل خارج أفغانستان .
 حتى رؤساء الأحزاب لا يخفون نبرة الهزيمة واليأس .
 قادة الجبهات المخلصين (قلة نادرة) مصممون على القتال حتى الشهادة ، ولا أمل لديهم في تحقيق تقدم .
 إتحاد بيشاور إنهار تماما ، ولم تظهر أي بادرة عملية عن محاولة إتحاد في داخل الجبهات .
 كثرت حوادث التسليم من المجاهدين خاصة حول كابل (رجال من جماعة قلب الدين و جماعة سياف سلموا نصف منصات الصواريخ الموجودة لديهم للحكومة).

ثانيا ـ العرب غير المقيمين

 الأثرياء من السعودية يدعمون سياف بقوة وبشكل شخصي بغض النظر عن موقف الإتحاد ، ويندر أن يشذ سعودي عن تلك القاعدة . هناك جماعة عمل سعودية مرتبطة بسياف بشكل دائم سواء بالبقاء أو الرحلات المكوكية المتقاربة، ولا نعلم هل هذا مجهود شعبي أم حكومي؟.
 أموال الخليج بوجه عام تصب عند سياف إلا ماندر.
 الشباب المتحمس الذي لا يمتلك أموالا يتوجه بشكل عام إلى سياف ، وقليل منهم يتوجهون إلى برهان وقلب الدين . هذا الشباب فقد الثقة والأمل في الجهاد الأفغاني بعد أن إطلع علي ما يجري في الجبهات .

ثالثا ـ العرب المقيمون :

هم بشكل عام لا يستطيعون العودة إلى بلادهم بسبب مشاكل سياسية مع الحكومات أومتحمسون جدا للجهاد وفضلوا البقاء.
 أكثر المتحمسين عادوا إلى بلادهم يائسين .
 الذين يتوقعون المتاعب لدى عودتهم بقوا مرغمين فاقدين الأمل في الأفغان وفي الجهاد .
 وعلى رغم قلتهم (حوالي 20 شخصا) فهم ممزقين في اتجاهات حزبية مختلفة ، والإتهامات بالعمالة لأجهزة المخابرات تنشر بينهم الريب والشكوك .
 ليس لديهم أي خبرات عملية تنظيمية وإن كان بعضهم يجيد بعض الرياضات .
 فكرهم غير ناضج ـ خياليون ـ تنقصهم القيادة .

رابعا ـ مكتب الإمداد

قوته أربع أشخاص . بالنسبة للمستوى العام لهم فيعتبر أفضل من باقي العرب المتواجدين خاصة بعد إتضاح أبعاد العمل بالنسبة لهم . ولكن آثار حرب الإشاعات التي شنها سياف ما زالت موجودة وتوجد بعض الشكوك على الأقل في جديتنا في الإستمرار.
نصف المجموعة يائس من مصير الجهاد والنصف الآخر معنوياته مرتفعة جدا .

وبشكل عام ، فإن عملنا المنظم ورؤيتنا المحددة والشاملة للوضع في أفغانستان أعطتهم شعورا بالثقة والتفوق على باقي الشباب الموجودين. وقلت شكوكهم بعد أن إرتبطنا بالدكتور عبد ا عزام . هم يشعرون الآن أنهم الطليعة على الأقل في فهم الأمور .

مشكلتنا مع سياف :

كانت المشكلة الكبرى لدي وصولي هي الحرب النفسية الشديدة التي شنها سياف ضدنا بالإسم، وأبلغ بها كل العرب من يعرفنا ومن لا يعرفنا، فأصبحت لنا سمعة سيئة كأعداء للجهاد ولوحدة المجاهدين . كذلك كانت الحرب ضد جلال الدين على مستوى بيشاور والسعودية ودول الخليج كرجل خارج عن الجماعة مخدوع من قبل عناصر مشبوهة (هم نحن طبعا) .

وصولي قبل جلال الدين ومنفردا إلى بيشاور أذهل العرب وسياف. خاصة وأنا بدون غطاء حماية من أحد. حتى جلال الدين حقاني الذي ربطوا بيننا وبينه في مؤامرة واحدة لم يكن موجودا في ذلك الوقت .

يبدو أن سياف كان ينتظر منا أحد تصرفين إما الذهاب إليه للإعتذار وتقديم التبريرات ، وهذا يضعه في موضع الوصاية علينا وقد يقدم على إهانتنا أمام العرب . والثاني هي أن نبدأ حربا شخصية عليه، وهو حتما يمكن أن يكسبها على أرضيه بيشاور، فهو الأقوى أنصارا ومالا وسمعة أدبية بين العرب . وهذا يتيح له إخفاء سبب الخصومة الرئيسي وهو عدم صلاحيته للقيادة وسعيه نحو الزعامة والمجد الشخصي .

عدم إقدام سياف على إتخاذ إجراء ضدي في تلك الفترة وأنا وحيد في بيشاور وبعد أن صرح ضدنا تصريحات نارية مثل:
(لن أسمح لمثل تلك العناصر بأن تخرب الجهاد وتقسم صفوف المجاهدين) ،ثم تخاذله عن إتخاذ إجراء ما، أضعف موقفه وأضاف إلى رصيدنا نقطة جوهرية .

في هذا الوقت كان عبد ا عزام يبحث عني ويطلب لقائي .لكنني تجاهلت الأمر وظننت أنه مبعوث من قبل سياف وسيطلب مني إما الإبتعاد أو العمل لسياف . وقد كنت مخطئا في ذلك وتم لقائنا الأول معه بعد أكثر من شهر من وصولي وتبين لي أنه يسير مستقلا عن سياف ويفرض عليه أشياء لا يرغب فيها سياف وإن كان الدكتور عزام مازال يفضل سياف عن باقي الزعماء .

لقاءاتنا العملية مع الدكتور عزام وترحيبه الحار بنا أفادنا كثيرا وكسر الجدار الذي أراد سياف أن يحاصرنا خلفه .

بداية البرنامج :

بالنسبة لمشروع باكتيا، وجدنا أن الأحداث قد تخطته كثيرا وأن فرصة الصيف الماضي قد ضاعت ومن الصعب تكرارها مرة أخرى. وفي تقديري أن هذه واحدة من الأخطاء الكبرى لسياف .

جماعة جلال الدين وجماعة أرسلان وضعا أساسا لبرنامج إمداد مشترك وأقاموا عدة مكاتب في ميرانشاه وبغر . وكان النشاط مركزا في ميرانشاه وذهبنا إلى هناك على فترات متقطعة حتى تم تنظيم العمليات الإدارية الموجودة وحصر المشتريات المختلفة التي تمت منذ اتفاق باكتيا وحتى تاريخه، سواء نقدا أو بالدين .

مع جماعة نصر ا منصور تم الإطلاع على برنامجهم الحالي والمستقبلي . وذهبنا إلى معسكر تدريب تابع لهم (معسكر قيس) قرب باراشينار، وقضى أعضاء اللجنة في المعسكر

فترات طويلة بشكل جماعي أو فردي، وتم التأكد من جودة نشاط المعسكر (ملاصق تماما للحدود الأفغانية) ويكاد يشبه معسكرا ميدانيا حيث يشارك المتدربون في العمليات ويعودون لإستئناف التدريب .
 تم تقديم مساعدات مالية للمعسكر خاصة بعد أن أقدم الإتحاد على تقليص مساعدته للمعسكر ثم إيقافها تماما.
 عثرنا على جماعة نورستان ولهم مكتب شبه سري في بيشاور. وعلمنا أنهم أقاموا دولة إسلامية في منطقتهم تحت اسم (دولة إنقلاب إسلامي أفغانستان) برئاسة مولوي محمد أفضل .
وكنا نستعد لزيارة المنطقة للإطلاع على حقيقة الأوضاع خاصة بعد أن علمنا التالي :
1 ـ المنطقة محررة منذ العام الأول للجهاد .
2 ـ أنها الممر الأوحد لإمدادات بانشير خاصة بعد حصار الطرف الجنوبي لبانشير من قبل قوات حزب إسلامي .
3 ـ أن المسيطر الحقيقي على مقدرات نورستان هم شخصيات من حزب شعلة الشيوعي الموالي للصين .
ولكن للأسف فإن الزيارة لم تتم بعد أن عرقلها لنا وزير خارجية الدولة الذي كانت شخصيته مريبة وضيق الأفق .
 جاء وفد من نورستان وطلبنا منهم عشرة أشخاص لتدريبهم . وبعد إطمئنانهم لنا أعطونا عشرة شباب ،جهزناهم وأرسلناهم للتدريب في معسكر قيس، لكي يعملوا كمدربين في المستقبل داخل نورستان تحت إمرة مولوي أفضل .
في المعسكر أبدى الشباب إنضباطا وجدية ومازالوا منتظمين في التدريب وأعتبرهم أفضل عناصر المعسكر طاعة وإنضباطا.
 تمت مناقشة تفصيلية لبرنامج عمل في أفغانستان في ظل الظروف الجديدة ، وهذا هو أهم أعمالنا في تلك الفترة على الإطلاق .
الفترة الراهنة فترة يأس وهزيمة ولا أحد ينظر إلى المستقبل إلا بيأس . والبرنامج المقدم مبني على دراسة وممارسة عميقة ويحتاج إلى جبهه دعم إسلاميه والمطلوب تحديد الدور الإسلامي في هذا البرنامج .
 بدأ الروس في برنامج ضخم لتعليم الأطفال وتلقينهم مبادئ الشيوعية ، وزاد عدد الشباب المتدربين في موسكو وطشقند زيادة كبيرة، في الوقت الذي لا يوجد فيه أهتمام ذو قيمة بالشباب المسلم والأطفال .
بدأنا في دراسة عن التربية والتعليم بالنسبة للأفغان ، سواء في المهجر أو في داخل البلاد .
وإتفقنا مع عدة أشخاص من ذوي الخبرات التعليمية المتخصصة ـ وهم أفغان مسلمون ـ لدراسة البرامج التعليمية للمرحلة الإبتدائية سواء الأفغانية أو الباكستانية أو الإيرانية أو العربية أو الأمريكية . ومن ثم وضع برامج تعليمية جديدة للأطفال الأفغان في الداخل والخارج .
والعمل جار بنشاط كبير في هذا القسم، كنشاط بحث ودراسة .
 بدأ قسم المعلومات في العمل وهو أنجح الأقسام وتحمس له شباب المجموعة كثيرا وكذلك جماعة الدكتور عبد ا عزام .
قدرة القسم ضئيلة جدا حتى الآن ولكن نتائجه كانت مدهشة بالنسبة للعاملين . فقد إكتشفوا بساطة الحصول على المعلومات سواء العادية أو الهامة فقط بشيء من المواظبة والبحث ،

وكان أهم إنجازات هذا القسم هي :
1 ـ الحصول على الدراسة المرفقة عن أفغانستان والإعداد للمرحلة المقبلة . شارك أعضاء اللجنة في المناقشات وتسجيل النقاط ـ وتمت الصياغة النهائية بمعرفة اللجنة .
2 ـ بداية الترجمة في كتب حرب العصابات لتدريسها للعرب والأفغان للخروج من مرحلة العمل الجاهل العشوائي ، ووقوبلت الفكرة بحماس شديد وبدأ العمل في التنفيذ .
3 ـ الحصول على مخطط كامل عن نظام جهاز المخابرات الأفغاني وأسماء العاملين في مراكز القيادة وطرق عملهم . المكسب لنا من هذا العمل معنوي أكثر منه مادي فهو يعني قدرتنا على الحصول علي معلومات هامة جدا بشيء من الإهتمام والبحث .
4 ـ وضع نواة لمكتبة عسكرية وقسم المعلومات عن أهم نشاطات الجبهات في الداخل . وتم الإتفاق مع جماعة الدكتور عزام على الإشتراك في هذا القسم بكتابة التقارير عن زيارات عناصرهم للداخل والإحتفاظ بها لدينا . ثم تزويدهم بالتقارير المتوفرة لدينا عن المناطق التي ينوون زيارتها .
 سيشترك ثلاثة من عناصر المكتب في معسكر التدريب الذي يقيمه الدكتور عبد ا عزام للأحزاب المتنافسة وذلك بهدف تقديم العون في التدريب والإشتراك في تقييم التجربة بعد انتهائها ـ (أعربنا لهم أن التجربة لن تنجح ولكنها قد تسفر عن بعض النقاط الإيجابية التي يمكن الإستفادة منها فيما بعد) .
 أقيمت علاقة صداقة مع زعامات بانشير ممثلة في د. عبد الحي نائب مسعود وأقمنا معه صداقة شخصية جدا ـ وهو في الحقيقة من النوعيات المثقفة و الإسلامية الممتازة ـ وتواعدنا معه على اللقاء في بانشير عند ذوبان الثلوج في الربيع القادم .

....

<u>التقرير الخامس</u>

حصاد المرحلة

التاريخ (19 / 12 / 1984م)

ـ

كان من المقرر ـ طبقا للتخطيط السوفييتي أن تنتهي مشكلة أفغانستان هذا العام ، وبعد خمسة سنوات من العمل الدائب على مختلف الأصعدة نضجت الظروف هذا العام لكي يوجه السوفييت ضربتهم القاضية للمقاومة الأفغانية ، مستثمرين في ذلك كافة الظروف المواتية وعلى رأسها أخطاء المقاومة الأفغانية نفسها.

<u>الخطة السوفييتية كانت ذات شقين رئيسيين :</u>

الأول : تصفية قواعد المقاومة الأفغانية داخل أفغانستان وتقطيع خطوط إمداداتها الداخلية .

الثاني : توجيه ضربة عسكرية لباكستان ـ عن طريق الجيش الهندي ـ وإسقاط الحكومة الحالية . وبهذا تقطع خطوط الإمداد الخارجي عن المقاومة الأفغانية وتنتهي تماما .

ولقد نجح السوفييت تماما في الشق الأول ، ولكن إغتيال أنديرا غاندي أفشل البند الثاني من الخطة . وبهذا أصبح الباب مفتوحا لإستمرار الحرب في أفغانستان ، وإن كان الجهاد قد توقف.

<u>الموقف داخل أفغانستان :</u>

 أدت الحملة السوفييتية الأخيرة إلى تحطيم كافة القواعد القوية لرجال المقاومة .
 أدت الحملة إلى إنتقال المبادرة العسكرية إلى يد السوفييت والتزام المقاومة جانب الدفاع وهذا يعتبر هزيمة لرجال حرب العصابات في العرف العسكري .
 ضعف معنويات المقاتلين وظهر هذا جليا في سقوط أكثر القواعد بلا مقاومة تذكر وتسليم بعض المقاتلين أنفسهم وسلاحهم للعدو .وعجز كثير من قادة الجبهات عن تجنيد عناصر كافية للدفاع عن مناطقهم .
 تركيز القصف ضد القرى زاد تيار الهجرة وأصبح الريف شبه خال وهذا يضاعف من صعوبات رجال المقاومة في استئناف نظامهم من جديد .
 لحق الإنهيار العام بقادة الداخل الأقوياء وأصبحوا عاجزين لا حيلة لهم . وتوتر علاقاتهم مع قادة الأحزاب أضعفهم ولم تتح الأحداث لهم فرصة تكوين واقع جديد للمقاومة .
 الطابع القبلي للمقاومة ساعد على سرعة الإنهيار وسوف يحد كثيرا من قدرتها علي إستئناف نشاطها مرة أخرى بالصورة المطلوبة في المستقبل .
 الأهالي داخل أفغانستان أصبحوا تحت سيطرة جيش الإحتلال والحكومة الشيوعية . وفقدوا الأمل في المقاومة المسلحة . أخطاء المقاومة وعدم إنضباطها لم يترك تعاطفا كافيا من الأهالي تجاه المحاربين .
 تزايد النفوذ الشيوعي بين الشباب والأطفال والمنظمات الشيوعية تعمل بلا هوادة في تكوين كوادر شيوعية جديدة وتدريبها داخل الإتحاد السوفييتي . وقد وصل عدد أعضاء الحزب الشيوعي الآن أكثر من 40 ألفا معظمهم من الشباب .
 تضاعفت قوة جهاز المخابرات وأصبح تعداده أكثر من تعداد القوات المسلحة . وهو أفضل منها تدريبا وتنظيما ـ وإن كان أقل في مستوي التسليح ـ هذا الجهاز إخترق كافة تنظيمات المقاومة سواء في الجبهة أو في بيشاور . وأصبح يشكل تهديدا ليس فقط للمقاومة بل أيضا لأمن باكستان .

موقف المهاجرين :

بلغ تعداد المهاجرين أكثر من ثلث تعداد الشعب الأفغاني . ومازال تيار الهجرة مستمرا بمعدل 8 آلاف كل شهر وفقا لمصادر حكومية باكستانية . يتميز موقف المهاجرين بالتالي :

1 ـ فقدان الرغبة في الجهاد والإتجاه نحو حل المعضلات المعيشية .
2 ـ فقدان الثقة في القيادات السياسية للأحزاب وتحميلها مسئولية الكارثة وإتهامها بتجميع الثروات والسعي نحو الزعامة .
3 ـ تسرب النفوذ الكنسي بين صفوفهم من خلال العمليات الإغاثية والصحية والتعليم *

(بعد ذاك التقرير بعده سنوات كشفت مصادر باكستانية عن تنصير عدد من المهاجرين الأفغان – وتضاربت التقارير حول عددهم ما بين عدة مئات الى عدة آلاف . ولم يكن فى افغانستان نصرانى واحد قبل هذه الحرب . وتعتمد امريكا حاليا بعد إحتلالها لأفغانستان على هذه الفئة واكثرهم أبقى انتمائه الدينى سريا) .

4 ـ إنهيار البنيان الإجتماعي القديم وفتح المجال لظهور أخلاقيات جديدة لم تكن معروفة لدى الشعب الأفغاني .

القيادات السياسية في بيشاور :

1 ـ **سياف :**

يفتقر إلى القدرة على التنظيم ـ ويمتاز بنهم شديد للسلطة ـ وتجمعت في يده قدرة مالية فائقة .

هذه العوامل الثلاثة عجلت في نهاية الدور السياسي لسياف، فقد إكتسب كراهية قادة الأحزاب وأصبح شغلهم الشاغل تبديله وتنحيته من رئاسة الإتحاد. وهو متهم لديهم بثلاثة اتهامات رئيسية:
1 ـ مخالفة إتفاق مكتوب معهم بعدم السعي إلى تكوين جماعة أو حزب مستقل .
2 ـ الإستحواذ على أموال الإتحاد لتقوية جماعته وإنفاقها بطريقة أضرت بالجهاد .
3 ـ تخريب أحزابهم بإستخدام الأموال في شراء أتباعهم في بيشاور والجبهات . وهذا بدوره إدى إلى نشوء صراعات مسلحة في الداخل .
كذلك فإن الفشل الذريع لحملة جاجي الذي وضع سياف وأنصاره في الخارج كل ثقلهم لكي يكسبوها ـ فتكون دعما سياسيا لسياف داخل أفغانستان وخارجها ـ فشل هذه الحملة والنتائج السلبية التي أسفرت عنها أدت إلى عكس المطلوب منها تماما وكان سياف شخصيا أول ضحاياها سياسيا .

2 ـ **جلب الدين ـ برهان الدين :**

مازالت العداوة التقليدية قائمة بينهما ، وهما أكثر الزعامات قدرة على العمل المنظم .
ولكن القتال الداخلي بينهما قضى على شعبيتهما داخل أفغانسان . وأضر بقواتهما المسلحة ماديا ونفسيا . وبالتالي أصبحت فرص عملهما في المستقبل أقل إحتمالا للنجاح،ما لم يتبع كلاهما أو أحدهما على الأقل أسلوب جديد للعمل .

3 ـ **يونس خالص ـ نصر ا منصور :**

هما ممثلي العلماء في الإتحاد السباعي (إتحاد سياف).
خالص ترك الإتحاد رسميا وأظهرعلنا إتهاماته لسياف . نصر ا منصور مازال في الإتحاد ويعارض بصورة خفية رئاسة سياف ولا يرحب بزعامة قلب الدين أو برهان الدين ، ولكنه ممكن أن يوافق عليها في ظروف معينة .

4 ـ **الإتحاد الثلاثي : جيلاني ـ مجددي ـ محمدي** :

مازال ثابتا على موقفه وأقل عرضة للإهتزاز لأنه أقل إنغماسا في العمل العسكري . ويبدو أكثر تماسكا وإستعداداً لإقتناص أي ظروف سياسية مناسبة للصعود إلى السطح . يبدو أن محمدي قد أزيح من زعامة حزبه وقد يمنع حزبه عن العمل ولو بدون إعلان رسمي عن ذلك.

مصير الإتحاد :

مشكلة الإتحاد هي أساسا مشكلة توزيع أموال المساعدات العربية . ثم ثانيا الشرف السياسي لتمثيل حركة المقاومة الأفغانية وما يصاحب ذلك من أضواء عالمية . القرار النهائي في شكل الإتحاد وشخصية الزعيم ليس قرارا أفغانيا .
الأوفر فرصا في تولي رئاسة الإتحاد في المرحلة التالية هو برهان الدين رباني ، وفي ظروف إستثنائية جدا قد يصبح نصر ا منصور هو الزعيم .

مصير المقاومة :

إستمرت المقاومة الأفغانية 6 سنوات بلا قيادة وبالإعتماد على قيادات محلية معتمدة على تحريك القبائل . وشهد العام الحالي إنهيار هذا النظام . ولما كانت الحرب ستستمر لأن الظروف الإقليمية والعالمية تتطلب ذلك ، فمن المرجح أن يظهر بديل للتركيبة السابقة .
الأحزاب الحالية لم تظهر أي بادرة لتغيير أسلوبها في العمل أو طريقتها في التفكير . وبناء على ذلك يصبح حتميا ظهور بدائل جديدة تطرح نفسها علي الميدان نستعرضها فيما يلي :
1 ـ بديل إسلامي جديد يطرح رؤية جديدة للمشكلة ويبتكر حلولا جديدة مستفيدا من سلبيات

وأخطاء المرحلة الماضية . وفرص هذا التيار ضعيفة جدا لأنه سيواجه مقاومة عنيفة من قادة الأحزاب . ستبدأ المقاومة بحرب نفسية بإطلاق الإشاعات والإتهامات وستصل سريعا إلى درجةالصدام المسلح . هذا بالإضافة إلى إنعدام المساندة الخارجية والدعم المادي الإسلامي .

2 ـ التيار القومي الأكثر تهادنا مع العلمانية . هذا التيار له قوته السياسية والمادية ممثلة في جبهة الإتحاد الثلاثى ، بالإضافة إلى عدد لا يستهان به من رجال الصفوف الثانية وما بعدها في أحزاب الإتحاد السباعي . أما في الجبهات فجميع الدلائل تشير إلى أن هذا التيار لن يجد صعوبة كبيرة في إجتذاب أعداد كبيرة من الأصدقاء والأعوان . هذا التيار يجد تعاطفا كبيرا من الغرب وسوف يجد ـ وهو يجد الآن فعلا ـ دعما قويا وفعالا* .

***(حامد كرزاى الذى عينه الإحتلال الامريكى رئيسا لأفغانستان ، كان يعمل ضمن ذلك التيار ، ومن خلاله أقام إرتباطات مع المخابرات الامريكية التى تبنته ونقلته الى الولايات المتحدة حتى جاء دوره بعد اعوام حين نفذت امريكا حلمها بالسيطرة على أفغانستان ، مفتاح اسيا الوسطى.. *انظر كتاب صليب فى سماء قندهار*) .**

3 ـ التيار الشيوعي الموالي للصين (حزب شعلة أجاويد) :

هو الأقوى تنظيميا على أرض أفغانستان لذلك فهو على المدي الطويل الأوفر فرصا في السيطرة.
لم يعان من الإنقسامات والتصفيات التي تعرض لها التيار الشيوعي الموالي للسوفييت والحاكم في كابل . وتلك التي تعرض لها رجال المقاومة الإسلامية.

ومنذ البداية صدرت أوامر بكين إلى حزب شعلة الموالي لها لكي يحل نفسه ويندمج في الأحزاب الإسلامية . بهذا لم يعد لبكين ظهور علني في المشكلة. وإكتسبت شعلة فرصة التغلغل داخل تشكيلات المقاومة والإستفادة من أخطائها ومواصلة عملها في الخفاء في إنتظار الفرصة المواتية للظهور .
لن يسفر هذا التيار عن وجهه إلا في الفصل الأخير من اللعبة .

ولكن إنهيار القيادات الإسلامية سوف يمده بفرصة ذهبية في إحكام قبضته على قيادة الحرب في الداخل .

موقف الحكومة الباكستانية :

لا يمكن تجاهل أن أمن باكستان قد تعرض للخطر بسبب المقاومة الأفغانية .
بل أن وجود باكستان كدولة كان معرضا للتصفية من قبل التحالف السوفييتي الهندي.
الذريعة المباشرة التي يتخذها السوفييت هي مساندة باكستان للمقاومة الأفغانية . ولا شك أن القصور التنظيمي للمقاومة وضعف فاعليتها العسكرية قد ضاعفا العبء علي باكستان،وأصبحت متطلبات الإمداد الضخمة،نتيجة سوء التوزيع والتخطيط والتدريب، عبء يثقل كاهل باكستان ويستدعي مجهودا كبيرا ملموسا يمكن للسوفييت رصده وإدانة باكستان عليه . (2)
كذلك التواجد الضخم ـ غير المثمر ـ للمقاومة في مدينة بيشاور وكثرة المكاتب والسيارات والأفراد المسلحين أضاف خطورات أمنية وإجتماعية أثقلت الحكومة المضيفة.
المعجزة التي أنقذت باكستان بقتل أنديرا غاندي لا يمكن لأحد أن يطالب بتكرارها مرة أخرى .
لهذا ستعمل الحكومة الباكستانية على تقليص فرص ظهور هذه المخاطر مرة أخرى .
لا بد إذن من إنتهاج سياسة جديدة تجاه المقاومة الأفغانية تترك هامشا أمنيا واسعا لحكومة باكستان .
لقد بدأت ملامح هذه السياسة في الظهور ولكنها لن تأخذ صورتها النهائية قبل إنتخبات 23 مارس 1985م ، والأوضاع السياسية الجديدة التي ستعقبها .

ملامح السياسة الباكستانية الجديدة هي :

1 ـ إبعاد المقاومة الأفغانية عن مدينة بيشاور ومنع ظهورها العلني في هذه المدينة . وبوجه عام تقييد حركة الأفغان بالمدينة .
2 ـ إخراج هيئات الإغاثة المتعلقة بالأفغان من مدينة بيشاور .
3 ـ ضبط الحركة عبر الحدود مع أفغانستان وفرض بعض القيود عليها .
4 ـ تخفيض أوجه الدعم التي تقدمها حكومة باكستان للمقاومة وإيقاف بعضها .
5 ـ إجراء بعض التعديلات في أحزاب المقاومة وعلاقاتها الداخلية خاصة فيما يتعلق بالإتحاد . (3)
6 ـ إستبعاد بعض القيادات الأفغانية من العمل ، وتقييد فرص عمل بعض الشخصيات وإتاحة فرص أكبر لشخصيات أخرى بما يحقق متطلبات باكستان في المرحلة القادمة أمنيا وسياسيا.(4) .

الموقف العربي الرسمي :

هو موقف مرتبط بالموقف الأمريكي من الأزمة إهتماما أو تجاهلا . وفي ظل إهتمام الإدارة الأمريكية بتنشيط الحرب الأفغانية من زيادة الدعم لها فمن المتوقع إزدياد الدعم العربي للمقاومة . ومن غير المسموح به أن تأخذ أي مساعدات رسمية طريقها للمقاومة من غير طريق الحكومة الباكستانية ـ أو على لأقل موافقتها الضمنية . ومحاولة إحدى الحكومات العربية تقديم العون المباشر لسياف أثار حفيظة الحكومة الباكستانية . لهذا فقط أعطت الضوء الأخضر لإزاحة سياف وإستبداله .
السياسة الرسمية العربية سعت عمدا أو بحسن نية إلي شق الصفوف الأفغانية وإضافة (بترول جديد) على نيران الخلافات الأفغانية . فقد سعت الأموال العربية لنشر الخلاف المذهبي بين (أهل الحديث) و أتباع (المذهب الحنفي) . كذلك بين التيار السياسي المحسوب على الإخوان المسلمين وبين العلماء الأفغان التقليديين .(5)
ولقد أحرزت السياسة العربية نجاحا كبيرا وذلك للإستعداد الفطري لدى الأفغان للإنزلاق في الخلافات . ولشدة الإغراء المادي للدولارات العربية في ظل الفقر المدقع وصراع الزعامات في بيشاور .

الموقف الشعبي العربي :

فقد الشباب العربي ثقتهم في الجهاد الأفغاني لكثرة السلبيات التي شاهدوها أثناء إقترابهم من ساحات الجهاد . وبذلت الزعامات الأفغانية قصارى جهودها في تزوير الصورة الحقيقية لما يجري على الساحة الأفغانية ولكن ما ظهر للشباب العرب من الحقائق كان كافيا لدفعهم إلى الهروب من الساحة الأفغانية مصابين باليأس والإحباط. (6)
الجماعات الإسلامية بقيت بعيدة عن ساحة أفغانستان طول الوقت، باستثناء جماعة واحدة كان تأثيرها بوجه عام سلبيا على حركة الجهاد، لتركيزها على المنطلق الحزبي أكثر من تركيزها علي المنطلق الإسلامي . (7)
****

تعليقات على التقرير الخامس (حصاد المرحلة)

(1) ... يجعلنا هذا التقرير نتذكر الوضع الخطير الذي كان يمر بالجهاد في أفغانستان في ذلك العام . لقد إستهلكت حرب أفغانستان ثلاث زعماء سوفييت: بريجنيف، صاحب قرار الغزو، ثم أندروبوف ثم شيرنيكو.
فبرزت أزمة زعامة في الكرملين بعد أن إنتهى الحرس الحديدي للنظام من هؤلاء الذين يتبعون

النهج الإيدلوجي المتصلب . وزحفت دماء جديدة وأفكار جديدة نحو الكرملين الذي أصيب بالشيخوخة والشلل الفكري . جاءت موجة جورباتشوف التي تريد تطوير النظام وتطوير الشيوعية حتى تتلافى الإنهيار وتتماشى مع العصر . ولم يكن في إستطاعته أن يملي آراءه (الثورية الإصلاحية) على المؤسسة العسكرية ، خاصة فيما يتعلق بقضية أفغانستان التي كان يرى أنها ورطة لا طائل من ورائها، وأنها خطأ جسيم وقع فيه بريجنيف . ولكن المسألة تتعلق بكرامة الجيش وهيبة الدولة في العالم . وكان القرار ـ فيما يبدو ـ أنه قد أعطي الجيش فرصة أخيرة لإنهاء مشكلة أفغانستان وإخضاعها بالقوة قبل أن يباشر هو السعي السياسي لحلها بالتفاهم مع الولايات المتحدة . وكان ذلك عام1984 م أثقل الأعوام وطأة على الشعب الأفغاني وعلى دولة باكستان ، التي سمحت للمجاهدين بإستخدام مناطقها الحدودية مرتكزا للإمداد وكقواعد خلفية لعملياتهم. كان المجاهدون يجدون قبولا عاما لا شك فيه بين الشعب الباكستاني المتعاطف بسلبية ،ومن قبائل الحدود خاصة الإقليم الشمالي الغربي وعاصمته بيشاور ، وهم قبائل من الباتان التى لها إمتدادات على جانبي الحدود كما أن لها تاريخا مجيدا في الحروب ضد الإستعمارالبريطاني ونزعة إستقلال فطرية .

على رأس باكستان كان الجنرال ضياء الحق الذي ربط بلاده بالتبعية الأمريكية ، ولم يتوان عن إبتزاز الأمريكان إلى أقصى حد مقابل مغامرته بنفسه وبلاده في مواجهة السوفييت في أفغانستان . كان لا بد للسوفييت كي يكسبوا حرب أفغانستان، أن يسقطوا نظام ضياء الحق ويستبدلوه بنظام صديق لهم وأقل ميلا للغرب. لأن احتلالهم العسكري لباكستان لم يكن ممكنا بدون تحطيم الخطوط الحمراء مع الولايات المتحدة والمجازفة بقبول حرب نووية، وهو إختيار مرفوض تماما . كان لا بد من توتير الوضع الداخلي في باكستان عن طريق عمليات تخريب وإرهاب ثم ضربة عسكرية على الحدود تقوم بها الهند .

وهكذا يتهيأ المناخ إما لإنقلاب عسكري موالي للسوفيت أو لوصول آل بوتو إلى الحكم بواسطة حزب الشعب، الذي ترأسه بي نظير إبنة ذو الفقار علي بوتو الذي أعدمه ضياء الحق .

وحزب الشعب المذكور يمتلك جيشا كاملا في السند إضافة إلي آلاف الأعضاء المدربين تدريبا عسكريا راقيا في الإتحاد السوفييتي على أعمال الإرهاب وحروب العصابات .

تولي حزب الشعب متعاونا مع جهاز المخابرات الأفغاني (خاد) وبعض أجهزة المخابرات لدول متحالفة مع السوفييت في إدارة عمليات إرهاب كبيرة شملت أجزاء كبيرة من باكستان وركزت بشكل خاص على منطقة الحدود في بيشاور وبلوشستان ثم منطقة كراتشي .

الخطر العسكري الهندي زال تقريبا ـ ما عدا التوترات الروتينية ـ بعد إغتيال أنديرا غاندي ، التي إغتالها أحد حراسها من طائفة السيخ ، وهي الطائفة التي تدعمها باكستان ـ آنذاك ـ طبعا بموافقة أمريكية . فقد قامت الهند بمجازر ضد الطائفة وإقتحمت معبدها الذهبي المقدس في ولاية أمرتسار الهندية وجاء إغتيال أنديرا غاندي إنتقاما صارما. وإن كان العديد من التقارير ذات الإعتبار قد أشارت في ذلك الوقت إلى أن الولايات المتحدة هي التي دبرت حادث الإغتيال ، تفاديا لحدوث أزمة عالمية كبرى ـ إن لم يكن حربا نووية ـ فالرئيسة الهندية كانت المحرك الرئيس للبرنامج العسكري ضد باكستان لإحراز مكاسب لصالح بلادها . ذلك البرنامج الذي بدأ في التحرك عندما تقدمت القوات الهندية لتحتل معظم الممرات في جبال سياتشين الجليدية علي المثلث الحدودي بين الهند وباكستان والصين .

وبمصرع أنديرا غاندي إطمأن ضياء الحق نسبيا علي مستقبله وإنحسر الخطر الهندي ـ وبقيت

حرب الإرهاب داخل باكستان كخطر رئيسي .
أما الخطوات العسكرية للسوفييت داخل أفغانستان فقد إعتمدت الحرب الخاطفة والضربات المفاجئة ضد قواعد المجاهدين الثابتة ولقوافل الإمداد القادمة من باكستان . وكانت نسبة نجاحهم عالية ، وقد أذهلتني النتائج التي سمعتها بنفسي ضد بعض المواقع التي أعرفها ، وكثير غيرها لا أعرفها ... وعلى سبل المثال :
- مسعود في بانشر توقف تقريبا عن القتال ، وتحول إلي محادثات سياسية مع الحكومة والسوفييت تتركز حول تدعيم زعامته في المنطقة .
- إستولي الروس في هجوم مباغت بالكوماندوز على مركز (خالد صديقي) في أورجون واستولوا على 400 كلاشنكوف ، 17 هاون ،5 شاحنات حسب أقوال مجاهدين من المنطقة ، ولا أدري سر وجود هذا العدد الكبير من البنادق لديه .
- هوجم مركز مطيع ا في أورجون أيضا ، وقتل من فيه ودمرت المعدات .
- في جبل (تورغار) المشرف على طريق جلال آباد / كابل هاجم الكوماندوز مواقع جماعة حكمتيار وإستولوا على الأسلحة الثقيلة وقتلوا عددا من المجاهدين .
- عدد كبير من قوافل الإمداد وقعت في كمائن روسية ، وهوجمت بقوات الكوماندوز وطائرات الهيلوكبتر ، وكانت الخسائر فادحة . أما المناطق الصحراوية التي تعبرها قوافل المجاهدين من باكستان إلى هيرات الملاصقة لحدود إيران فقد كانت أشد خطورة لكون الأرض منبسطة ومكشوفة .
وقد لاقى كثيرون حتفهم ودمرت قوافل عديدة . وهناك قتل أول شهيد عربي أرسله الدكتور عبد ا من مكتب الخدمات وإسمه عبد ا الفيلكاوي . وكنت قد حذرت الشيخ عبد ا من إرسال أحد من ذلك الطريق ، أو إرسال الشباب العرب إلى الشمال في وقت الشتاء ... ولكنه تجاهل النصيحة .
- كذلك هوجمت مواقع المجاهدين في جاجي وفر رجال سياف آخذين معهم معدات الطرق التي أحضرها أسامة بن لادن، وكان منها إثنان بلدوزر باعوها للتجار في مدينة تريمنجل الباكستانية القريبة من الحدود . كما نهبوا معسكرهم وباعوا الأسلحة والذخائر وإدعوا أن القوات الحكومية أخذت كل شيء .
وهذه صورة كانت قد أصبحت معتادة في أوساط المجاهدين الذين تسربت إلى صفوفهم فئات منحطة من السراق والقتلة والجواسيس .
كان القتال الداخلي مستعرا في الشمال بين مسعود ورجال حكمتيار، وشارك الباقون في تحالفات متغيرة . وإنتقل القتال حول كابل أيضا وشارك فيه رجال سياف ، وكان أشد ضراوة من قتال الشمال لأن القيادات في بيشاور إهتمت بتحريك إمدادات كبيرة للمتقاتلين ، وكابل تعتبر أقرب بكثير من مناطق الشمال بالنسبة لمراكز التموين على الحدود الباكستانية .
ومن جهتها قدمت حكومة كابل أسلحة وذخائرا للطرفين المتقاتلين!! وشن السوفييت هجمات واسعة إستعادوا فيها مناطق كبيرة حول كابل طردت منها رجال حكمتيار ورجال سياف .
أما (صديق شَكَري) القائد الشهير لدى سياف، فقد مواقعه مرتين أمام الحكومية التي إستولت منها على كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة الثقيلة.
ولكن ذلك لم يمنع سياف من إمداده بما يلزم كي يفتح مراكزا جديدة ليستقبل فيها العرب الراغبين في رؤية القتال قرب كابل .

وهنا توجد ملاحظة هامة وهي ، أن ضرب قواعد المجاهدين في غارة كوماندوز خاطفة لم يكن ليمنع المجاهدين من العودة والبقاء فيها وإحضار أسلحة جديدة من بيشاور .
فلم يكن الجيش الأحمر يبقى على إحتلال دائم لأية مناطق في عمق الجبال أو تبعد كثيرا عن مراكزه الرئيسية بحيث تكلفه جهدا شاقا في إمدادها وحمايتها .
وبالمثل في طرق الإمداد ، فإن ضرب قوافل كثيرة على تلك الطرق لم يؤدي إلى إغلاق دائم لهذه الطرق ، وبعد فترة تطول أو تقصر تعود قوافل جديدة من نفس الطريق . ونادرا ما تم إغلاق طرق الإمداد بشكل دائم . فإما أنها تتوقف لفترة حتى تهدأ الأحوال ، أو أنها تتحول إلى مسارات جانبية عن المناطق الخطرة . فتصبح طويلة وشاقة أكثر من ذي قبل ، وبالتالي تتأثر عمليات المجاهدين وتقل ، ولكنها على أية حال لا تتوقف .
والمشكلة الرئيسية بالنسبة للسوفييت هو أن هذه الورطة لن تحل جذريا إلا باحتلال باكستان نفسها أو بإسقاط ضياء الحق وإحلال حكومة صديقة لهم .
أما محاولات إغلاق المنافذ الحدودية بواسطة المواقع العسكرية أو غيره من الإجراءات فكانت كما وصفها كتاب (فخ الدب) : (مثل الذي يحاول إغلاق صنبور المياه بوضع كفه عليه) .
وفي ظني أن عام 84م كان يمكن أن تتحقق فيه تهديدات (بابراك كارمل) الرئيس الشيوعي في كابل من أنه سيكون عام النهاية بالنسبة للمجاهدين . ولكن مصرع أنديرا غاندي ـ في الوقت المناسب ـ وبقاء نظام ضياء الحق أكسبا المجاهدين فرصة البقاء والإستمرار .
أما ما ورد في التقرير من أن الباب أصبح مفتوحا لإستمرار الحرب في أفغانستان ، وإن كان الجهاد قد توقف ، فهو قول يعكس ما بدأت أشعر به من أننا أمام (حرب بالوكالة) من ذلك النوع من الحروب التي زخر بها العالم بعد الحرب العالمية الثانية . وأن التأثير (الكافر) على الحرب ومجرياتها ومفاتيحها الرئيسية هو أكبر من التأثير (المسلم) ، الذي ضاع في الزحام وجرفه التيار وصار يتخبط داخل الدوامة التي يديرها الأمريكان وأعوانهم ، وإن ظللت أحتفظ بأمل أن الفرصة لم تنته ، إن لم يكن لإصلاح المسار كله ، فعلى الأقل لتكوين مسار إسلامي جهادي ، يعمل من منطلق الإسلام وشرائعه ومصالح الأمة الإسلامية .
وكان في تصوري وقتها أنه لو توفر دعم مالي مستقل عن الدعم الباكستاني (الأمريكي) وتم توجيه ذلك الدعم بواسطة مجموعة عربية تشترك مباشرة في القتال ـ مع القلة المخلصة في أفغانستان ـ ويكون خلفها إمتداد العالمين العربي والإسلامي إعلاميا وماليا فإننا قد نستطيع أن نقيم جهاد إسلاميا حقيقيا ، لم أكن في شك من إمكانية إنتصاره في نهاية المطاف .
(2) ... نتيجة للقصور التنظيمي للمقاومة وضعف فاعليتها العسكرية تضاعف العبء على باكستان وأصبحت متطلبات الإمداد الضخمة تشكل عبئا يثقل كاهل باكستان . كان من الواضح أن باكستان و(أسيادها) لا بد أن يعيدوا تنظيم المقاومة (الجهاد) . فذلك العام (1984) كان عام الفشل ، ورغم كميات السلاح الضخمة والأموال العربية الهائلة فإن النتائج كانت فشلا في معظم المناطق .ولم يكن من الممكن أن يستمر الوضع كذلك ، سواء على الصعيد العسكري أو السياسي . كانت هناك معالم فشل أخرى تحت السطح ، ولكن رائحتها العفنة تنبعث في أرجاءالمكان . ذلك مثل عمليات الفساد في الطبقة الإدارية والقيادية للأحزاب ، وفي البيروقراطية الباكستانية سواء العسكرية منها أو الإدارية . فهذا السيل العارم من السلاح والمهمات و التبرعات العينية والمالية ، في وسط أجواء التسيب والفوضى وبيع الضمائر والذمم ومصائر الشعوب ، وحتى المتاجرة بالدين ، كل ذلك شكل مناخا مواتيا لكل أنواع

الفساد ، من السرقة حتى الجاسوسية .
أبرز مجالات الفساد الفاضحة كانت في مجالين ، الأول سرقات الأسلحة والمتاجرة بها .
والثاني تهريب المخدرات بل وتصنيعها . مورست تلك الأعمال على مستوى عال جدا من مسئولي أحزاب بيشاور (الجهادية) ! ! وبين كبار موظفي دولة باكستان الإسلامية ! ! سواء ضباط الجيش (خاصة الإستخبارات العسكرية) أو ضباط الشرطة والجمارك .
بات واضحا أن كميات الأسلحة والذخائر في أيدي المجاهدين في الجبهات أصبحت قليلة وفي تناقص ، بينما تتزايد كميات الأسلحة التي تتحرك من مخازن الجيش الباكستاني نحو حدود أفغانستان ، حيث المخازن الرئيسية للأحزاب الأفغانية . ببساطة كانت أكثر تلك الأسلحة والذخائر تباع وتتقاسم ثمنها قيادات الأحزاب ـ أو كبار موظفيها ـ ومع كبار ضباط الإستخبارات العسكرية الباكستانية .
من هنا تبنت الإستخبارات الأمريكية توزيع الأسلحة والذخائر على المجموعات المقاتلة في الداخل ، مع مراقبتها عن كثب حتى لا تتلاعب بتلك المهمات . بالطبع لم يكن الأمريكان بقادرين على دخول أفغانستان والإشراف على العمل مباشرة ـ فضياءالحق لا يوافق وأيضا كبار قادة المجموعات المقاتلة وقادة الأحزاب ـ فعمل مثل ذلك كفيل بتدميرهم سياسيا ، ويفقدهم مصداقية الجهاد ، ويعطي مصداقية لدعاية كابل وموسكو التي تقول بأن المجاهدين هم عملاء للإمبريالية الأمريكية . وبالتالي لا بد من الإعتماد على الباكستانيين أنفسهم ، فنفذوا العمل (الأوامر الأمريكية) على مضض ، وإضطروا لنقل الأسلحة إلي داخل أفغانستان .
رافق ذلك ضغط منهم على بعض المجموعات الحدودية ، بل ومساعدتهم ماليا ، من أجل بناء أنفاق ضخمة لتخزين الأسلحة وبيعها مناصفة عندما تسنح الفرصة .وقد شاهدت عددا من تلك المغارات ، وكانت محفورة في جبال صماء ، تسع المغارة الواحدة شاحنة تتحرك بحرية إلى أكثر من مائة متر داخل الجبل كي تفرغ شحنتها في أماكن خاصة ، وتوجد عدة مغارات متوازية ومتصلة لذلك الغرض . نزلنا ضيوفا في أحد تلك المغارات في أحد المناطق المجهولة في منطقة خوست التي كنا نظن أنه لا يقطنها إلا الأشباح . فوجدنا تلك المغارات تحرسها مجموعة (جهادية) ! ! سيئة السمعة لم نعلم قط أنها شاركت في قتال ضد العدو .
(3) ... البند الخامس من التعديلات التي كانت تفكر فيها باكستان آنذاك يقضي بإجراء بعض التعديلات في أحزاب المقاومة وعلاقاتها الداخلية ، خاصة فيما يتعلق بالإتحاد .
لقد أثار الإتحاد فوضى داخلية وسلبيات وصراعات داخل المقاومة الأفغانية ، وأثار بذلك موجة صدامات داخل الجبهات إستفاد منها السوفييت ، حتي أوشكوا على تحقيق إنتصار نهائي ، خاصة إذا إستمر الوضع كذلك . وبالتالي تحركت الولايات المتحدة لمعالجة الوضع ، وتلاقت رغبتها تلك مع الرغبة الباكستانية وإن إختلفت مع الرغبة السعودية قليلا .كان لا بد من صيغة عمل جديدة بديلة للإتحاد القائم . وهذا ما حدث في العام التالي ، حيث أرسلت الولايات المتحدة أحد كبار مسئوليها لوضع صيغة تنسيق بين أحزاب المقاومة علي أنقاض الإتحاد الموجود وهو ما تم فعلا .
(4) ... إستبعاد بعض القيادات الأفغانية من العمل . حدث ذلك بدون ضوضاء تذكر ، ولم يكد يلاحظه أحد . فالمجموعات التي إنشقت عن أحزاب كبيرة وكان عددها أربعة وجميعها دخلت كأحزاب كاملة الأهلية ضمن (الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) أي أنها تشكل أغلبية عدد الأعضاء السبعة . هؤلاء جميعا وجهت لهم نصائح إما بالجلوس في منازلهم أو

العودة لأحزابهم الأصلية . ومنعت عنهم كل المعونات التي تصرفها لهم باكستان حتى
ذبلوا وتهاوت دورهم ـ وإن كانوا تلقوا بعض المساعدات الباكستانية في مناسبات خاصة ـ
ولكن دورهم السياسي إنتهى بعد حل الإتحاد "السيافي" عام1985م. كذلك بعض القيادات الكبيرة
تحولت إلى رموز أكثر منها قيادات حقيقية لأحزابها.
ـ مثلا يونس خالص تحول إلى مجرد راية للحزب الذي أداره فعليا (حاجي دين محمد)
بمساعدة أخويه عبد الحق وعبد القدير ـ والأخير يشغل منصب والي جلال آباد حاليا.
أما مولوي محمد نبي محمدي ، فهو الآخر وقبل حل الإتحاد قد تحول إلى مجرد (تميمة)
يتبرك بها أعضاء الحزب وموظفوه ـ أما القيادة الفعلية فتولاها ابنه أحمد الشهير بفساده
وإنحرافاته الخلقية . وكان حوله مجموعة من الشباب ذوي الميول السياسية اليسارية والعلمانية
وهكذا كانت تدار حركة انقلاب إسلامي .
مثال آخر ، سيد أحمد الجيلاني زعيم الطريقة الجيلانية ورئيس حزب محاذ مللي إسلامي
أفغانستان ، كان راية حزبية أما قيادة الحزب فكانت في أيدي مجموعة من (الذئاب الملكية)
تضم بعض كبار موظفي الإدارة الملكية للملك ظاهر شاه . ويحاول (السيد) أن يلاحظ
المجريات من خلال إبنه حامد الجيلاني الذي لم يكن له وزن يذكر لصغر سنه وقلة تجربته .
أما فاطمة الجيلاني ابنة السيد فكانت مقيمة في العاصمة البريطانية ، كسفيرة غير معلنة لبلادها
في بلاط رئيسة الوزراء مرجريت تاتشر، التي كانت ترتبط أيضا بصداقة مع (عبد الحق)
أحد الكبار في حزب مولوي خالص (حزب إسلامي) . وإذا تعمقنا في الخريطة الداخلية
للأحزاب ، يتضح خطورة رجال الصف الثاني وحتي الثالث الذي لا يدري عنهم العالم
الخارجي شيئا . وكانوا يمثلون الإرتباطات الحقيقية والقوة الموجهة ، والخط السياسي الحقيقي
للأحزاب . وليس عجيبا أن أكثرهم كان يحمل جنسيات غربية ، أمريكية واسترالية وأوروبية ...
الخ . وحتى نائب سياف (مهندس أحمد شاه) يحمل جواز سفر أمريكي ومتزوج من أمريكية.
وهو بلا شك المهندس السياسي لسياف وجماعته ، وهو يتلقى مرتبه من السعودية بشكل رسمي
ـ حسب آخر معلوماتي عنه عام 1985م ـ وكان يقول ذلك بنفسه .
داخل تلك الصفوف الخلفية لأحزاب بيشاور ، تحققت منذ زمن بعيد (علمانية الجهاد) وتخلى
القادة سرا أمام باكستان وأمريكا عن أي تمسك حقيقي بالشعارات الإسلامية المعلنة . فقد
عبرت الصفوف الداخلية للأحزاب ، عمليا ، عن الوحدة الإسلامية العلمانية الشيوعية . أي أن
تلك الأحزاب ترجمت عمليا موافقتها على إنشاء حكم مشترك؛ يكونون فيه شركاء مع بقايا
الشيوعية والملكية . وذلك كان مطلبا أمريكيا لنهاية الصراع وهدفا سياسيا له . وعبرت روسيا
أثناء مباحثات جنيف،التي كانت تدور بإشراف الأمم المتحدة بين حكومتي كابل وإسلام آباد،
أنها قد توافق على مثل ذلك الحل بشرط ضمان تواجد عسكري فعال لجيشها في أفغانستان،
كان ذلك موقف موسكو حتى نهاية 84 وقد بدأ يلين تدريجيا منذ عام 85 بسبب فشلها في
إسقاط باكستان في المخطط الذي ذكرناه وبالتالي استحالة الحل العسكري في أفغانستان.
(5) ... سعت الأموال العربية إلى نشر الخلاف المذهبي بين (أهل الحديث) وأتباع المذهب
الحنفي ـ وهم الغالبية العظمى من أهل البلاد. كذلك بين التيار السياسي المحسوب علي
الإخوان المسلمين وبين العلماء الأفغان التقليديين .
ورغم كل خلافاتهم ، إلتقى السوفييت وأمريكا على هدف واحد وهو تحطيم القوقعة الصلبة التي

تحتضن الإسلام فوق الجبال الأفغانية أو ما أطلقوا عليه في أدبياتهم (القلعة الإسلامية على سقف العالم) . ولو نظرنا إلى أهم مكونات تلك القلعة لوجدناها :

1 ـ قبائل غاية في التماسك الإجتماعي .

2 ـ علماء أحناف متمسكون بدينهم عبر مذهبهم .

3 ـ جبال يعتصم بها العلماء وتعتصم بها القبائل في وجه أي اضطهاد حاكم أو عدو غازي . ومنها يقاتلون .

هذه العناصر الثلاثة تكاتف الأمريكان والسوفييت على تحطيمها أثناء الحرب ، كل من زاويته الخاصة وبطريقته الخاصة .

فالغارات الجوية السوفييتية وقوات الجيش الأحمر أخرجت معظم القبائل ومعظم العلماء من الجبال إلي المهجر في باكستان أساسا (4 مليون مهاجر) ثم إيران (2مليون مهاجر) .

أما تجاوزات الأحزاب "الأمريكية/ الجهادية"، فقد أرغمت من تبقى من سكان في مناطقها على النزوح، بعد أن تعدوا على الحرمات وأضاعوا الأمن في غيبة الرادع القبلي.

العلماء قضى عليهم السوفييت بالقتل والسجن ، وقضت عليهم أمريكا في بيشاور بتوظيفهم في أعمال إدارية تافهة أضاعت هيبتهم وتأثيرهم القيادي .

ثم أغرقتهم بالخلافات فدفعت السعودية نحوهم بفرسيها الإسلاميين: حركة الإخوان الدوليين والسلفيين الملكيين من السعودية .

الإخوان لهم ثلاثة أحزاب أفغانية، مع الجامعة الإسلامية الدوليه في إسلام آباد ينظمون فيها الطلاب الأفغان ـ وغيرهم من طلاب العالم الإسلامي ـ في خلايا إخوانية تحت إشراف الإستخبارات السعودية صاحبت الجامعة و المنفقة عليها .

والسلفيون أنشأوا حزبا جديدا حول مولوي جميل الرحمن في محافظة كونار الأفغانية وأصدروا له مجلة فاخرة وبنوا العديد من المدارس والمعاهد العلمية في بيشاور ولاهور وبعضها داخل أفغانستان .

الإخوان هاجموا العلماء الأفغان ، بدعوى أنهم غير حركيين وأن جمودهم وممالأتهم للملك أضاع البلاد ـ كما أن القيادة الفعلية في البلاد إغتصبتها أحزاب الإخوان (سياف ـ برهان ـ حكمتيار) بقوة المال والسلاح .

وتراجع دور العلماء عندهم إلى مجرد أتباع من الدرجة الثانية في مكاتب تبتلع الرواتب ولا تقدم خدمات. والسلفيون هاجموا العلماء بدعوى أنهم (مشركون) وقبوريون ومنحرفوا العقيدة وبعضهم كفار.وبهذا التصعيد صارالقتال حتميا وإن كان مؤجلا حتى إنفجر في التوقيت الملائم بما يخدم الخطوات الأمريكية ـ وذلك في معارك كونار (1990ـ 1991م) .

(فى تقديرى أن عداء السعودية للعلماء الأحناف المجاهدين يعود إلى سبب غير معان وهو فتاوى أبو حنيفة نفسه بوجوب الخروج على الحكومات الظالمة بالسيف ، وأن ذلك القتال أولى من قتال الكفار فى الخارج . كذلك موقفه من ثورة محمد النفس الزكية والقول بأن مساندته أفضل من خمسين أو سبعين حجة نفل . لهذا حاربوهم فى أفغانستان بواسطة الإخوان والسلفين ، ونعتوهم بالشرك وانحراف العقيدة . وقد كافحت السعودية لوقف الجهاد بعد إنسحاب السوفييت عام 1989م حتى لا يتعلم الشباب العرب من الافغان مبدأ الخروج المسلح على الحكومات الخارجة عن الاسلام من امثال حكومة نجيب ا فى كابول التى استمرت فى الحكم بعد انسحاب السوفييت).

أما الهجرة التي شهدها الأفغان فقد كانت تحطيما للبنية القبلية المتماسكة ، وللتقاليد الإسلامية الراسخة وللكرامة والأنفة الأفغانية .

بعد سنوات ظهر في تلك المعسكرات المتسولون ، والنصابون وحوادث الإنحراف الخلقي وإن ظل

محدودا .
أما المعسكرات الخاصة للنساء الأرامل ، فقد عاثت فيها جنود الشرطة الباكستانيون فسادا وكذلك قوافل التبشير التي تحوي نساء شيوعيات وعلمانيات من الأفغان أنفسهم .
العرب المخلصون هم أيضا ساهموا بجهالة في ذلك المخطط ، وأموالهم التي أنفقت بغير ضابط ولا بصيرة في أوساط المهاجرين أفسدت الأخلاق والذمم وسارعت وتيرة الإنحراف بين المهاجرين .
(6) ... فقد الشباب العربي ثقتهم في الجهاد الأفغاني لكثرة السلبيات . وما ظهر لهم من السلبيات كان كافيا لدفعهم إلى الهروب من الساحة الأفغانية ، مصابين باليأس والإحباط .
في عام 84 وحتى تعاظم نشاط أبو عبد ا في معركة 1987م وإنطلاق العمل العسكري العربي بعدها ، كان النشاط العسكري للمجاهدين الأفغان لا يستوعب الشباب العربي لفوضويته وقلته وغرابة أسلوبه ،ثم أخلاقيات المجاهدين التي بدأت تهبط . والشاب الذي قرأ كتاب آيات الرحمن أو سمع الشرائط الحماسية التي بدأت تغزو الوسط الإسلامي أينما كان ، ما كان يمكن لمثل ذلك الشاب أن يتحمل أياما قلائل في بيشاور أو أي جبهة داخل أفغانستان . فالبون شاسع جدا بين ما قرأ وبين ما يشاهد . وقليلا منهم إستطاع الصمود ومواصلة المسير ـ وأغلبية الشباب الذين جاءوا في تلك السنوات خرجوا ولم يعودوا ـ حتى أن الدكتور عبد ا عزام أشار في كثير من خطبه وكتاباته في تلك الفترة من أواخر84 وحتى إستشهاده، إلى أن الشباب في معظمه قليل الصبر، ويتوقع أن الأفغان شعب من الملائكة . وإنتقد كثيرا من التصرفات والأفكار التي كانت عند الشباب العرب.وقد كان محقا في كل ذلك ، ولكنه ربما لم يلتفت إلى مسئوليته عن تلك الصدمة التي إنتابت الشباب ، وبعضهم إتخذ منه موقفا متعنتا للغاية.
(7) ... بالنسبة للجماعات الإسلامية فقد كانت ـ باستثناء الإخوان ـ في غياب تام عن الساحة . فقط بعد معركة جاجي العربية التي كانت منعطفا خطيرا في الدور العربي في أفغانستان ، بدأت الجماعات الجهادية في التوافد إلى أفغانستان ، أولها حسب علمي جماعة الجهاد ـ تبعتها بعد ذلك بقليل الجماعة الإسلامية المصرية أيضا . ثم تجمعات صغيرة معظمها إستكمل نموه على أرض أفغانستان . فزاد بهم الزخم القتالي ولكن إزدادت الفوضى الفكرية والأخلاقية والتنظيمية في صفوف العرب ـ رغما عن بطولاتهم الخارقة ـ وتأثيرهم الخطير في مسيرة القضية . والسؤال المحزن هو : ماذا عن تأثير هؤلا ء لو كانوا تكتلا واحدا ؟ فالجبهة الكفرية العالمية تعتبرهم جسدا واحدا ـ وذلك هو المفروض ـ و يا ليته كان .

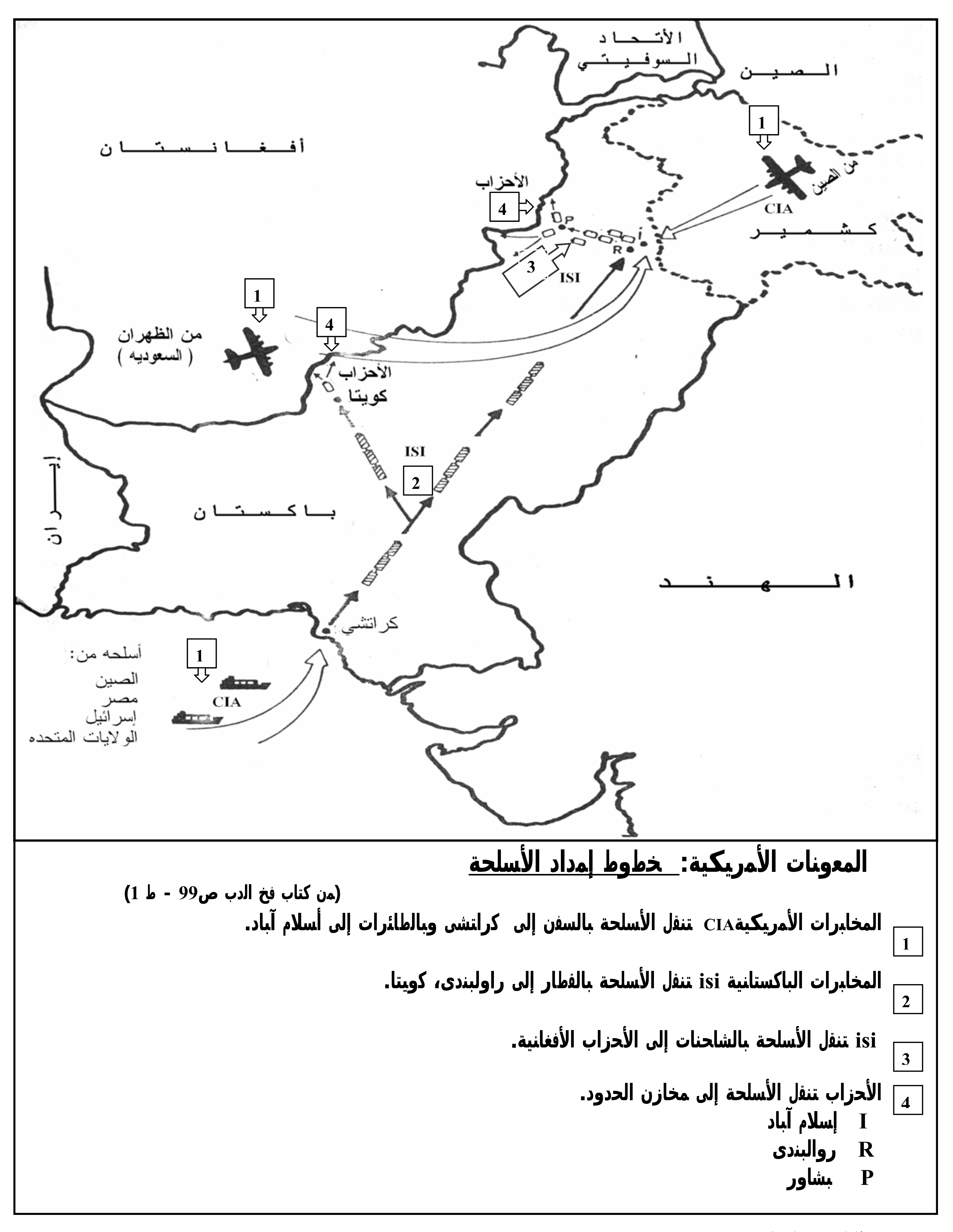
فى وداع عام 84

** في شهر نوفمبر 1984م كان أول لقاء لي مع الدكتور عبد ا عزام في المركز الإسلامي التابع لاتحاد الطلبة في شارع رئيسي في بيشاور ويدعى(جمرود رود) . كان الرجل مجاملا وشجاعا كما إعتبرته وقتها ، لكونه يستقبلني علنا في هذا الحشد الشعبي الجهادي والطلابي من الشباب العرب ـ وكثير منهم عرف ساعتها من أنا، أي عرفوني شخصيا بعد أن سمعوا عني الكثير الكثير من سياف ورهطه .
قضينا أكثر من ساعة كشفت عمق الفجوة بيننا من حيث تناول قضية أفغانستان ودور العرب فيها . كما إكتشفت عمق الفجوة (المعلوماتية) التي تقف ضمن حواجز اللقاء .
فهو يرى الوضع العام ورديا ومتقدما، وكنت أراه وقتها خطيرا ومنذرا بالشر بل والهزيمة .

تساءل بدهشة وأنا أقول ذلك وقال : ،كيف ذلك ؟ ... إن هذا العام هو أفضل عام من حيث إنتصارات المجاهدين ، هكذا يقول سياف والقادة وسمعته أيضا من ضابط باكستاني)!!.
حذرته من المبالغة في تصوير المجاهدين و قادتهم بصورة ملائكية لأن ذلك قد يعود بكارثة في حالة خسارة الحرب لأن الشكوك سوف تتوجه إلى المبدأ نفسه . أما إذا شرحنا الحقائق فسوف يكون ذلك خط رجعة جيد في كل الأوقات ، فإذا إنتصرنا فذلك قد تم بفضل ا رغم أخطائنا ، وإذا هزمنا تحملنا نحن الوزر وبقي الإسلام والجهاد بعيدا عن الطعن .
وذكرته بهزيمة 67 وكيف أنها سبب عودة جيلنا إلي الإسلام .
سكت الشيخ تماما ولم يعقب .
ولما علمت بمشروع قوافل الإمداد التي سوف يحركها نحو شمال وغرب أفغانستان ـ لم ترقني الفكرة من أساسها ـ وإكتفيت فقط بتنبيهه إلى خطورة التحرك في الشتاء شمالاً بسبب الثلج ـ وخطورة التحرك غربا بسبب الكمائن المتزايدة وأخبارها لا تخفى عنه .
ولكنه قالي لي ببساطة: "ولكنني أصدرت أوامري بالتحرك".
نظرت إليه بدهشة ولم أعلق ودار في ذهني تساؤل:
أي نوع من الأوامر ذلك الذي لا يلغى حتى لو كان الثمن هو هلاك الشباب؟.
قوافل الشمال نجت بأعجوبة وقضت في صراع مع الثلج أكثرمن ضعف الوقت المقرر للوصول.
وفي الغرب كانت "الشهادة" ! ! .
ولكن مكتب الخدمات الناشئ وظفها بمهارة في إثارة العواطف ومضاعفة التبرعات.
وتعجبت كثيرا لذلك . كنت أتوقع تحقيقا في الحادث وإن لم يعاقب المسؤول، فعلى الأقل تعدل السياسة ونستفيد من الأخطاء .
ولكنني إكتشفت أن الأخطاء تجلب
المزيد من الأموال... ويالها من مفارقة .

إنتهى الكتاب الأول
خوست/ معسكر الفاروق ـ1995م

الكتاب التالى : (معارك البوابة الصخرية)



المعونات الأمريكية: خطوط إمداد الأسلحة

(من كتاب فخ الدب ص99 - ط 1)

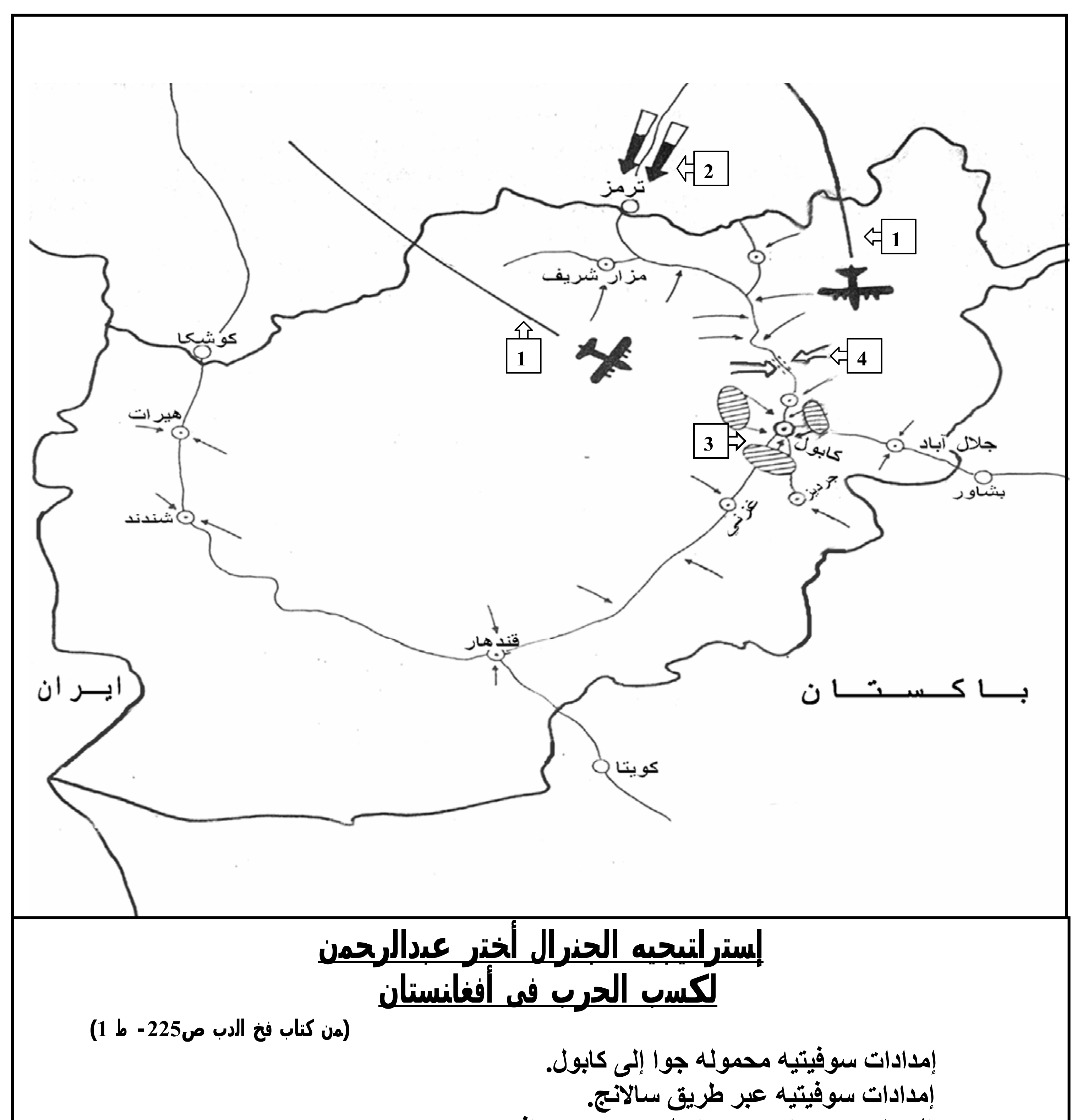
1 المخابرات الأمريكية CIA تنقل الأسلحة بالسفن إلى كراتشى وبالطائرات إلى أسلام آباد.

2 المخابرات الباكستانية isi تنقل الأسلحة بالقطار إلى راولبندى، كويتا.

3 isi تنقل الأسلحة بالشاحنات إلى الأحزاب الأفغانية.

4 الأحزاب تنقل الأسلحة إلى مخازن الحدود.

I إسلام آباد
R روالبندى
P بشاور



إستراتيجيه الجنرال أختر عبدالرحمن
لكسب الحرب فى أفغانستان

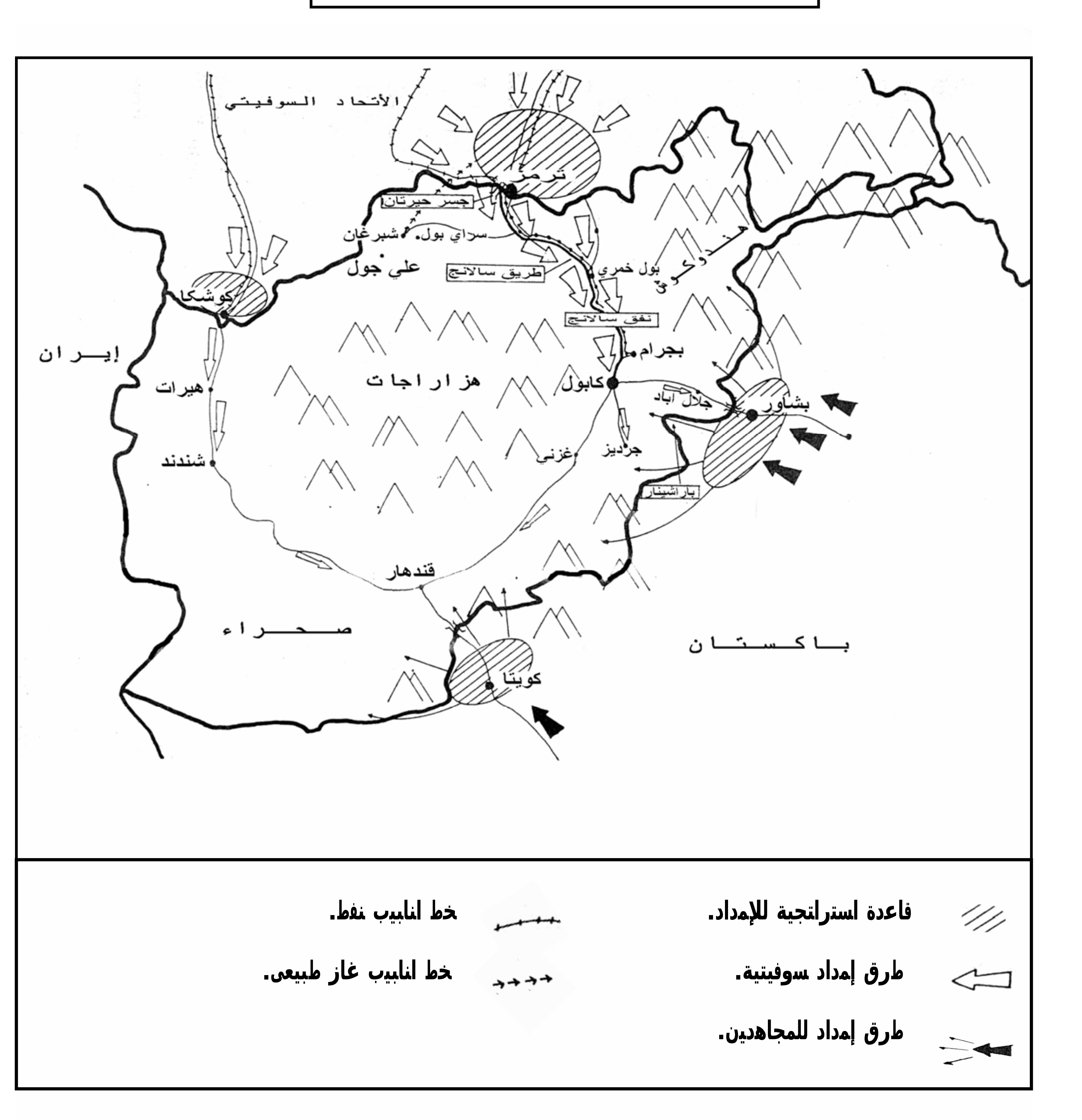
(من كتاب فخ الدب ص225- ط 1)

إمدادات سوفيتيه محموله جوا إلى كابول.
إمدادات سوفيتيه عبر طريق سالانج.
المجاهدون يحاصرون كابول (كوهى ـ صافى).
أشد الهجمات على نفق سالانج.

المدن الأفغانيه الرئيسيه محاطه.
هجمات و كمائن المجاهدين.

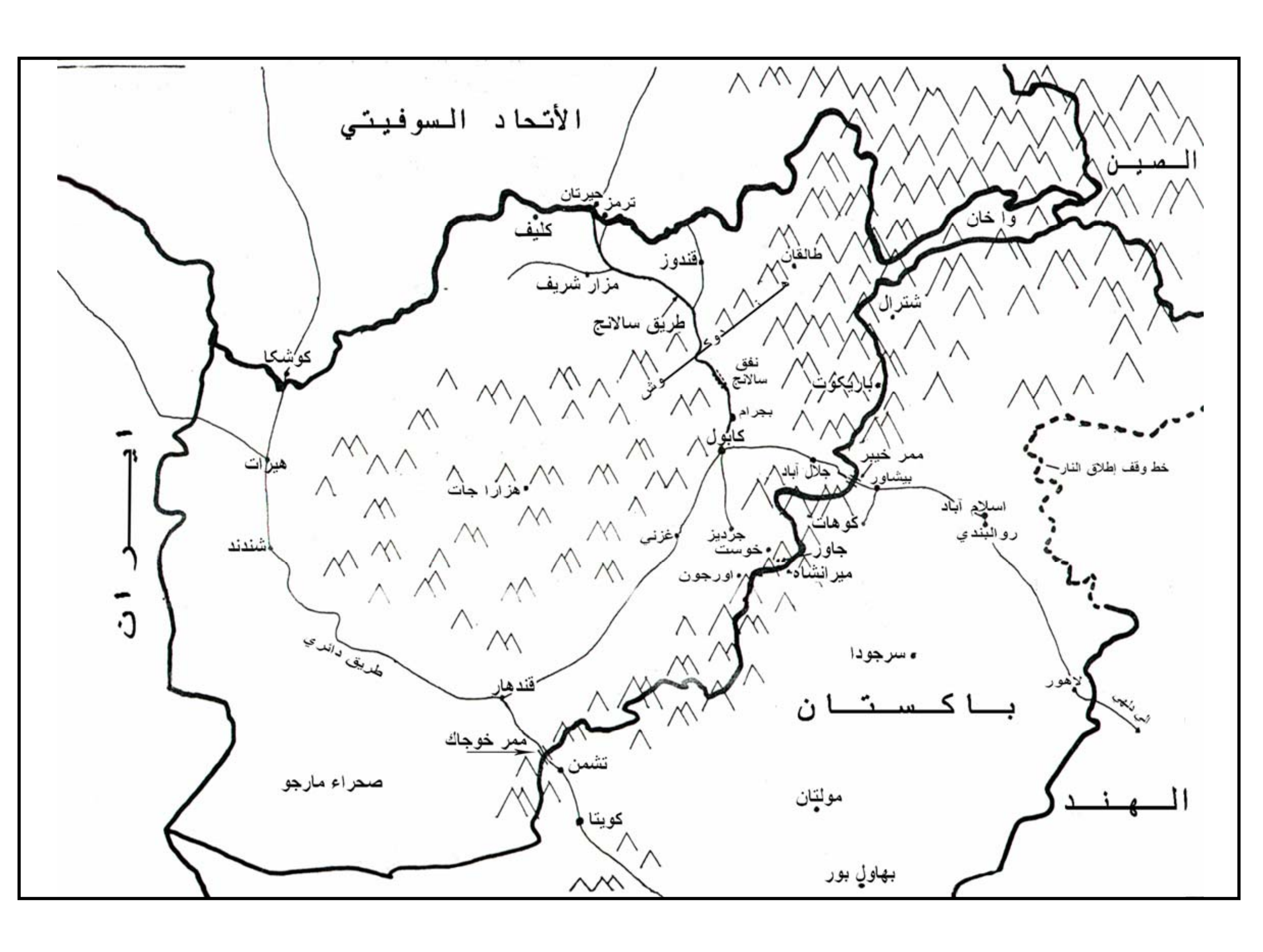
طرق إمداد و قواعد للسوفيت و المجاهدين

(مـن كـتـاب فـخ الـدب ص66- ط 1)



افغانستان و دول الجوار

(من كتاب فخ الدب ص225- ط 1)





1980م ـ ـ أثناء جولته الأولى كرئيس للإتحاد الإسلامى، سياف (فى المنتصف) قبل مؤتمره الصحفى فى أحد فنادق أبو ظبى.
المؤلف (إلى يساره) و صحفى من جريدة الفجر (إلى يمينه) .



تميم العدنانى

عند نهاية زيارته الجهادية الأولى فى الأورجون . (تصوير المؤلف)